المعجم الموضوعي

لنهج البلاغة

إعداد

أويس كريم محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

المعجم الموضوعي

لنهج البلاغة

اعداد
أويس كريم محمد

بنیاد پژوهشهای اسلامی
آستان قدس رضوی

الكتاب: المعجم الموضوعي لنهج البلاغة

المؤلف: أويس كريم محمّد

نشر: مجمع البحوث الاسلامية، مشهد، ايران، ص ب ٣٦٦٣- ٩١٣٧٥

الطبعة الأولى: جمادى الثانية ١٤٠٨ هـ.

العدد: ٣٠٠٠ نسخة

الأمورالفنيّة والطبع: مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة

كلمة المجمع

تعتبر المكتبة الاسلامية من أهمّ المكتبات في عالم الفكر و الثقافة، إن لم نقل بأنّها أهمّها اطلاقا، والفضلُ في ذلك يعود لما بذله العلماء والمفكّرون المسلمون في التحقيق والمطالعة في شتّى جوانب العلوم من القرآن والحديث والكلام والفلسفة والفقه والادب والتاريخ والطب وغيرها.

إنّ ما نُشِرَ إلى الآن من التراث الاسلامي القيّم والنفيس هوغيض من فيض و قطرة من بحر، و علينا نحن المسلمين أن نشمّر عن ساعد الجدّ في نشر الكتب والرسائل المخطوطة الموجودة في المكتبات الاسلامية وغيرها في أنحاء العالم كلّه، و نقوم بعملية البحث والتحقيق فيما قدّمه لنا الاوائل من السلف الصّالح ممّانحتاجه الآن في معرفة أصول عقيدتنا و مايتعلّق بها، وهذا العمل يتطلّب جهوداً جهيدةمن أجل أن تظهر نتائج البحث والتحقيق بصورة عصرية أنيقة، لذا فإنّ ماهو مطلوب من الباحثين هو أن يقوموا ببحث الكتب و تحقيقها مع ضبط نصوصها والحصول على مصادرها، و يعضد هؤلاء آخرون وذلك بإعداد الفهارس اللاّزمة لِتلك الكتب وموضوعاتها مثل فهرسة الآيات والأخبار والأعلام والمصطلحات الواردة في تلك الكتب وكذلك ما نسمّيه المعجم الموضوعي، وهو دليل عامّ للقارئ والباحث في آنٍ واحد، و يستفيد منه الباحث كثيراً خلال دراسته و تحقيقه. ومن الضروري اليوم إعداد مثل هذا المعجم لكلّ ما يُعتبر مصادرَ للكتب الإسلامية.

ولاشكّ أنّ كتاب نهج البلاغة هو من أهمّ المصادر الروائيّة والتاريخية عند الفريقين، فهذا ابن ابي الحديد المعتزلي قد شرحه بصورة مُفَصّلة، وطبع مرّات عديدة في مختلف البلاد الاسلامية،وهذا الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية، له شرح موجز للنهج، و ما من قارئ للنهج إلاّ ويعرفه من خلال الاطلاع عليه وعلى تعليقاته الهامة على

الكتاب، وهذا ابن ميثم البحراني وغيره من علماءِ الإمامية قد شرحوا نهج البلاغة وعلّقوا عليه ونقلوه إلى اللّغات الأخرى.

فهذا هي مكانة النهج في المكتبة الاسلامية، وقد بذل العلماء والمفكرون في حقه جهوداً محمودة و بناء على هذا فإنّه بهذه المنزلة المرموقة ـ لابُدّ له من معجم موضوعي ليسهّل للدارسين والقارئين الحصول على مواضيعه ومباحثه، ولقد طُبعت لحدّ الآن موسوعات مختلفة لهذا الغرض و لكنّها تختلف فيما بينها في أسلوب التحقيق و طريقة العمل، فمنها ما يكشف عن ألفاظ النصوص فقط[1]، و منها ما يدلّ على المواضيع العامة للكتاب[2]، ومنها مايهدي إلى أهمّ موضوعاته[3].

أمّا هذا فهو معجم موضوعيّ شامل يطّلع القارئ من خلاله على أدقّ المباحث وجزئيات المواضيع، فضلاً عن أهمّها و أعمّها، يقدّمه «مجمع البحوث الاسلامية» التابع للآستانة الرضوية المقدسة إلى عالم الفكر والثقافة. راجين من صاحب النهج الإمام علي عليه السلام أن يتقبّل هذا العمل المتواضع، وسائلين المولى سبحانه وتعالى أن يوفّق كل العاملين في حَقل العلم والثقافة من أجل خدمة الإنسانية جمعاء، وله الحمد اوّلاً وآخراً.

مجمع البحوث الاسلامية

---

(١): إشارة إلى «المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة» و«الكاشف» لها.

(٢): إشارة إلى «الدليل على موضوعات نهج البلاغة»، و «تصنيف نهج البلاغة».

(٣): إشارة إلى «الهادي الى موضوعات نهج البلاغة». و في المقدمة التالية للمؤلف مقارنة بين هذه المعاجم وبين هذا المعجم.

الإهداء

أهدي هٰذا الجهد المتواضع في نهج بلاغةِ سيّدي ومولاي أبي الحسن عليٍّ المرتضى إلىٰ سيّدي ومولاي أبي الحسن عليٍّ الرّضا راجياً شفاعتهما «يوم لا يشفعون إلّا لمن ارتضى».

المؤلّف

المقدّمــة

بسم الله الرحمن الرحيم

من الظلم أن نعامل نهج البلاغة علىٰ أنّه كتاب أُعدّ فقط لمن ينشد مثلاً أعلىٰ في البلاغة والأدب . فقراءةٌ عابرةٌ لمقدّمة الشّريف الرّضي ــ رحمه الله ــ للنّهج تُرينا أنّ الدّوافع الرئيسيّة لتأليفه لم تكن أدبيّة و بلاغية فقط ، وإنّما كما ورد في تعبيره « فيه حاجة العالم والمتعلّم ، و بغية البليغ والزّاهد ، ويمضي في أثنائه من الكلام في التّوحيد والعدل وتنزيه الله سبحانه وتعالىٰ عن شبه الخلق ما هوبلال كلّ غلّة ، وجلاء كلّ شبهة » . وقوله في نفس المقدّمة « وسألوني أن أبتدىء بتأليف كتابٍ يحتوي علىٰ مختار كلام مولانا أمير المؤمنين (عليه السّلام) في جميع فنونه ، ومتشعبّات غصونه ، من خطبٍ ، وكتب ، ومواعظ ، وأدب ، علماً أنّ ذلك يتضمّن من عجائب البلاغة ، وغرائب الفصاحة ، وجواهر العربيّة ، وثواقب الكلم الدينيّة والدّنيويّة ، ما لا يوجد مجتمعاً في كلام ، ولا مجموع الأطراف في كتاب » .

وحقاً ما قاله الشّريف الرّضيّ ، فنهج البلاغة ــ علىٰ محدوديّة نصوصه ــ ، له في معظم المواضيع كلامٌ وتصريح ، وفي أغلب المسائل تفصيلٌ وتوضيح .

ومن المُسلَّم به عند الجميع ، أنّ الإمام عليه السّلام لم يكن هدفه الأوّل والأساس تقديم نماذج أدبيّة و بلاغيّة لروّاد الأدب والبلاغة وإنّما كان يرسل كلامه إرسالاً ، ولكن بصفته الإنسان المتكامل عند رسول الله (ص) ، فقد جاء كلامه متكاملاً كسائر أفعاله صلوات الله وسلامه عليه .

فلماذا إذن سمّي الكتاب بنهج البلاغة ؟!

وللجواب علىٰ هٰذا السّؤال نقول : من نظرة سريعة لعصر الشّريف الرّضي ــ رحمه الله ــ يتبيّن لنا أنّ الطابع العام الّذي كان يطغىٰ على ذلك العصر ، هو الإهتمامُ بالعلوم العربيّة وآدابها وفنونها بشكل لا يضاهيه الإهتمام بالعلوم والفنون الأخرى ، ولا تضاهيه عصور

الأدب الأخرى .

ولكن الّذي يحزّ في النّفس هو أنّه بسبب النّظرة المتقدّمة ، ولأسباب أخرى سياسيّة وعقائديّة وفنيّة ... حُرِمَ العالم من هٰذا النّبع العظيم الّذي يمكن أن يضيف خدمات جبّارة للإسلام والمسلمين بصفته أحد المصادر الإسلاميّة النقليّة العظيمة التي تأتي أهميّتها بعد القرآن الكريم ، والحديث النبويّ الشريف .

وفي هٰذا الظّرف ، الّذي نشاهد فيه صحوة إسلاميّة كبيرة ، ونهضة إسلاميّة صاعدة ، من الأجدر بالكتّاب والباحثين أن يتعمّقوا في النّهج لسبر أغواره ، واكتناه أسراره ، للإستفادة منه في دفع مسيرة الإسلام نحو الأمام .

وفي اعتقادنا ، إنّ إعداد فهارس لفظيّة وموضوعيّة للنهج يسهّل مهمة الباحثين والكتّاب للسّير قُدُماً في هٰذا الطّريق المقدّس . وقد ظهر في الأسواق ــ ولله الحمد ــ « المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة » وهو جهدٌ مشكور ، فيه الكفاية لمن يبحث عن عبارات محدَّدة في النّهج ، أمّا فيما يتعلّق بموضوعات النّهج ، فقد ظهرت لحدّ الآن أربع فهارس وهي :

١ ــ الدّليل علىٰ موضوعات نهج البلاغة .

٢ ــ تصنيف نهج البلاغة .

٣ ــ الهادي إلىٰ موضوعات نهج البلاغة .

٤ ــ الفهارس العلميّة الّتي رتّبها الدكتور الفقيد صبحي صالح لنهج البلاغة . (١)

ورغم أنّ هٰذه المؤلّفات لها أفضليّة السّبق في هٰذا المضمار ، إلاّ أن هناك بعض المؤاخذات عليها ، ممّا جعلها لا تصل إلىٰ الغاية المرجوّة من وراء تأليفها ، وهٰذا ما دَفَعَنا الى أن نلج هٰذا الباب ، فنؤلّف هذا الفهرس الموضوعي الّذي يتميّز بما يلي :

أوّلاً : كثرة مباحثه :

لقد تجاوزت مباحث فهرستنا السّتمائة مبحثاً ، أمّا مباحث (الدّليل) فكانت (١٣٢) مبحثاً ، و(التّصنيف) (٢٥٥) مبحثاً ، و(الفهارس العلميّة) (٢٤٥) مبحثاً ، و(الهادي)

(١) تختلف الفهارس العلميّة عن الفهارس الأخرى في أنّها لم تورد العبارات كاملة ، وإنّما اكتفت بالأشارة إليها فقط .

يقرب تعداد مباحثه من عدد مباحث الفهارس العلميّة بعد حذف المتكرّر منها . (٢)

ثانياً : كثرة عباراته :

إنّ العبارات الّتي استخرجناها لكلّ مبحث من مباحثنا هي أيضاً أكثر من العبارات التي استخرجتها الفهارس الأخرى ففي موضوعي (الجهاد والشهادة) :

أورد الدّليل مبحثين في (٥٦) عبارة .

والتّصنيف مبحثاً واحداً في (٦) عبارات .

والهادي مبحثين في (١٠) عبارات .

والفهارس العلميّة مبحثين في (٤) عبارات .

أمّا في فهرستنا فقد استخرجنا (١٨) مبحثاً في (١١٧) عبارة .

ـ وفي مباحث المعاد (الموت والقبر والبرزخ والنّشور والحساب والجزاء) :

ذكر الدّليل (٣) مباحث وعدد عباراته (١٦٣) .

والتّصنيف (٤) مباحث وعدد عباراته (٧٢) .

والهادي (٧) مباحث وعدد عباراته (٥٩) .

والفهارس العلمية (١١) مبحثاً وعدد عباراته (٦٥) .

---

(٢) من الأمثلة على تكرار العناوين والمباحث في (الهادي) مبحث صفات الله تعالى :

ففي ص (١١) ورد مبحث «الله ــ أوصافه» .

وفي ص (١٢) ورد مبحث «الله ــ توصيفه» .

وفي ص (١٣) ورد مبحث «الله ــ توصيفه» .

وفي ص (٢٩) ورد مبحث «الله ــ صفاته» .

وفي ص (٣١) ورد مبحث «الله ــ صفته تعالى» .

وفي ص (٣٧) ورد مبحث «الله ــ وصفه» .

وفي ص (٣١٨) ورد مبحث «صفات الله» .

وفي ص (٢٦) ورد مبحث «الله ــ حمده وصفاته» .

وفي ص (٢٧) ورد مبحث «الله ــ حمده وصفائه» .

وقس على ذلك ما سواه .

أمّا في فهرستنا ، فقد استخرجنا (٣٥) مبحثاً ، أمّا عدد العبارات فبلغت (٢٠٦) عبارة .

ـ وفي موضوع (التّقوى والمتّقين) :

ذكر الدّليل مبحثين وعدد العبارات (٨٥) .

والتّصنيف مبحثين وعدد العبارات (٥٥) .

والهادي مبحثين وعدد العبارات (٣١) .

والفهارس العلميّة مبحثاً واحداً وعدد العبارات (٩) .

أمّا في فهرستنا ، فقد استخرجنا (٢٧) مبحثاً ، أمّا عدد العبارات فبلغت (١٩٣) عبارة .

ـ وفي موضوع (جهاد النّفس) :

ذكر الدّليل مبحثاً واحداً و (١٠) عبارات .

والتّصنيف مبحثين و (١٠) عبارات .

والهادي مبحثاً واحداً و (١٧) عبارة .

والفهارس العلميّة (٣) مباحث و (٦) عبارات .

أمّا في فهرستنا ، فقد استخرجنا (١٠) مباحث ، وعدد عباراتها بلغت (٧٠) عبارة .

وللزّيادة في التّوضيح نذكر علىٰ سبيل المثال أيضاً لا الحصر ، بعض العبارات التي لم يوردها أو يشير إليها أيٌّ من الفهارس الأخرىٰ وهي في موضوع (جهاد النّفس) :

ـ قوله عليه السّلام في الكتاب رقم (٥٦) :

« وأعلم انّك إن لم تردع نفسك عن كثيرٍ ممّا تحبّ مخافة مكروهٍ ، سَمَتْ بك الأهواء إلىٰ كثيرٍ من الضَّرَر ، فكن لنفسك مانعاً رادعاً ، ولنزوتك عند الحفيظة واقماً قامعاً » .

ـ وقوله عليه السّلام في الخطبة رقم (١٩٣) وهو يصف المتّقي :

« ... إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره ، لم يُعْطِها سُؤْلَها فيما تحبّ ... نفسه منه في عناء ، والنّاس منه في راحة » .

ــ وقوله عليه السّلام في الخطبة رقم (٨٧) :
« عـباد الله ، إنّ من أحبّ عباد الله إليه عبداً أعانه الله علىٰ نفسه ... فقرّب علىٰ نفسه البعيد ، وهوّنَ الشّديد ... قد ألزم نفسه العدل ، فكان أوّل عدله نفي الهوى عن نفسه » .
ــ وقوله عليه السّلام في الخطبة رقم (١١٤) في بداية الخطبة بعد حمد الله تعالىٰ :
« ... ونستعين علىٰ هٰذِهِ النّفوس البِطاء ، عمّا أُمِرَت به ، السِّراع إلىٰ ما نُهِيَت عنه » .

ثالثاً : دقّة توزيع العبارات على المباحث :

حاولنا في فهرستنا توخّي الدّقّة عند اختيار وتجزئة وتوزيع العبارات علىٰ مباحثها الخاصّة بـهـا ، خـوفـاً مـن الوقوع في الأشتباهات التي وقعت بها الفهارس الأخرى ، ونذكر هنا على سبيل المثال أيضاً لا الحصر بعضاً من هٰذه الاشتباهات :

ــ في الـتّـصـنـيـف ص (٣٢) تحـت عنوان « وحدانيّة الله سبحانه وتعالى وصفات ذاته وصفات أفعاله » وردت بشكلٍ مستقل العبارة التّالية : « أوصيكم بتقوى الله الّذي أعذر بما أنذر ، وحذّركم عدوّاً نفذ في الصّدور خفيّاً » .

وفي الهـادي ص (٥٠٤) تحت عنوان « المُرائي » وردت بشكل مستقل العبارة التّالية : « المرأة شرٌّ كلّها ، وشرّ ما فيها أنّه لا بدّ منها » .

ــ وفي الـدّلـيـل ص (٩٩٢) تحت عـنوان « الخير والشّرّ » وردت بشكلٍ مستقل العبارة التالية : « لأنّها بيعةٌ واحدة ، لا يُثْنَى فيها النّظر ، ولا يستأنَف فيها الخِيار » .

ــ وفي الـفـهـارس الـعـلـمية ص (٨٠٨) تحت عنوان « العقائد الدينيّة » جاءت العبارة التّالية بشكل مستقّل أيضاً : « إنّما بدء وقوع الفتن أهواء تُتَّبَع ... » .

«الأسلوب الذي اعتمدناه في اعداد الفهرست»

١ ــ حـاولـنـا اسـتـقـصـاء جميع عبارات الإمام عليه السّلام ، دون استثناء بعضها ، أو حذف شيءٍ منها .

٢ ــ إنّـنـا لـم نـعـتـمـد اعـتـمـاداً كـلّـيّاً في عمليّة استقصاء العبارات ، علىٰ الفهارس اللـفـظـيّـة ، وإنّـمـا وَسَّـعْـنَـا دائرة هٰذه العمليّة ، بالتعمّق في معاني العبارات ، فحصلنا علىٰ

رصيد كبير من العبارات بما يخصّ كلّ موضوعٍ أو مبحث فرعيّ .

٣ ــ عندما تتجمّع لدينا عبارات كثيرة لموضوعٍ ما ، فإنّنا نستحدث عناوين فرعيّة مختلفة لتوزيع تلك العبارات عليها .

٤ ــ في كتابة عناوين المباحث ، اتّبعنا الأسلوب المطوّل وليس المختصر ، لتحديد مرامي عبارات الإمام عليه السّلام بدقّة ، وهو الأسلوب الّذي اتّبعه العلاّمة المجلسي ــ رحمه الله ــ في بحار الأنوار .

٥ ــ في وضع المباحث أتّبعنا الطّريقة المستخدمة في البحوث ، فنضع العناوين المطلوبة لدراسة متكاملة حسب تسلسلها المنطقيّ المتّبَع في البحوث والدّراسات ، وكأنّنا بصدد كتابة دراسة شاملة ومتكاملة ، ثمّ نستفتي النّهج في كلّ مبحث ، فنثبت البحوث الّتي نجد لها عباراتٍ في النّهج ، ونحذف تلك الّتي لم نجد لها عبارات تخصّها . .

٦ ــ لم نلتزم التّسلسل العددي في إيراد العبارات تحت كلّ مبحث ، وربّما جاءت العبارة من الخطبة (٢٠٠) قبل العبارة من الخطبة (١) ، وعذرنا في ذلك هو التزامنا ــ غالباً ــ بالتّسلسل المنطقي في البحث .

ويطول بنا المقام هنا لو أردنا إيراد الأمثلة الواقعيّة لتوضيح هٰذه النّقاط ، وبإمكان القاريء أو الباحث مراجعة الفهرست رقم (١) في آخر الكتاب ليتبيّن أسلوبنا وتتوضّح خطّتنا بشكلٍ أفضل . .

وختاماً فإنّي أتوجّه بالشّكر الجزيل للمشرفين على مجمع البحوث الاسلامية ولأستاذي ومرشدي في العمل ، العلاّمة الأستاذ الفاضل الشّيخ علي أكبر إلٰهي علىٰ تيسيرهم الإمكانيّات الّلازمة لإخراج هٰذا الدّليل ، وتوفيرهم المصادر والمراجع المطلوبة ، وتشجيعهم الكبير الّذي كان من الأسباب الرّئيسيّة الّتي دفعتني قُدُماً في إنجاز هٰذا المشروع .

كما أشكر الأستاذين الكبيرين العلاّمة الفاضل الشّيخ واعظ زاده والعلاّمة الأستاذ السيّد ابراهيم حجازي علىٰ إبدائهما بعض الملاحظات الّتي أفدتُ منها كثيراً .

هٰذا وإنّي لا أرجو عوضاً علىٰ جهودي سوى رضوانه سبحانه وتعالىٰ ، وشفاعة رسوله الكريم (ص) وأهل بيته عليهم أفضل الصّلاة والسّلام .

المؤلّف

الباب الأوّل : في العقل والعلم

الفصل الأوّل : في العقل

الفصل الثّاني : في العلم

« العــقل »

(١) في فضل العقل والعاقل ، وذمّ الجهل والجاهل :

* لا غنى كالعقل ، ولا فقر كالجهل (ح/٥٤) .
* لا مال أعود من العقل (ح/١١٣) .
* ليست الرؤية كالمعاينة مع الأ بصار ، فقد تكذب العيون أهلها ، ولا يغشّ العقل من استنصحه (ح/٢٨١) .
* ما استودع الله امرءاً عقلاً إلّا استنقذه به يوماً ما (ح/٤٠٧) .
* إنّ أغنى الغنى العقل ، وأكبر الفقر الحمق (ح/٣٨) .
* العلم غطاءٌ ساتر ، والعقل حسام قاطع ، فاستر خَلَلَ خُلُقِك بحلمك ، وقاتل هواك بعقلك (ح/٤٢٤) .
* والفكر مرآة صافية (ح/٥) .

(٢) في علامات العقلاء والجهلاء والحمقى :

* قيل له : صف لنا العاقل ، فقال عليه السّلام : هو الّذي يضع الشّيء مواضعه ، فقيل : فصف لنا الجاهل ، فقال : قد فعلت (ح/٢٣٥) .
* لا تصحب المائق فإنّه يزيّن لك فعله ، و يودّ أن تكون مثله (ح/٢٩٣) .
* فإنّ العاقل يتّعظ بالآداب ، والبهائم لا تتّعظ إلّا بالضّرب (ر/٣١) .
* لا ترى الجاهل إلاّ مُفْرِطاً أو مفرّطاً (ح/٧٠) .
* لسان العاقل وراء قلبه ، وقلب الأحمق وراء لسانه (ح/٤٠) .

* ومن نظر في عيوب الناس فأنكرها ، ثمّ رضيها لنفسه ، فذلك الأحمق بعينه (ح/٣٤٩) .
* قلب الأحمق في فيه ، ولسان العاقل في قلبه (ح/٤١) .
* يابنيّ إيّاك ومصاحبة الأحمق ، فإنّه يريد أن ينفعك فيضرّك (ح/٣٨) .
* إذا تمّ العقل نقص الكلام (ح/٧١) .
* من الخُرْق المعاجلة قبل الإمكان والأناة بعد الفرصة (ح/٣٦٣) .
* فتامّ الرُّواء ناقص العقل (ك/٢٣٤) .
* التودّد نصف العقل (ح/١٤٢) .
* وليس للعاقل أن يكون شاخصاً إلاّ في ثلاث : مرمّةٍ لمعاش ، أو خطوةٍ في معاد ، أو لذّةٍ في غير مُحَرَّم (ح/٣٩٠) .
* مَثَلُ الدّنيا كَمَثَل الحَيَة لَيِّنٌ مَسُّها ، والسُّمُّ النّاقع في جوفها ، يهوي إليها الغِرّ الجاهل ، و يَحْذَرُها ذو اللّب العاقل (ح/١١٩) .

(٣) في أمور تضرّ العقل وتمرضه :

* أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع (ح/٢١٩) .
* وكم من عقلٍ أسيرٍ تحت هوى أمير ! (ح/٢١١) .
* فإنّ الفقر منقَصَةٌ للدّين ، مَدْهَشَةٌ للعقل ، داعيةٌ للمقت ! (ح/٣٩٠) .
* ما مَزَح امرؤٌ مزحةً إلاّ مَجَّ من عقله مجّةً (ح/٢٥٠) .
* عُجْبُ المرء بنفسه أحد حُسّاد عقله (ح/٢١٢) .
* اتَّخَذَهم إبليس مطايا ضلال ، وجُنداً بهم يصول على النّاس ، وتراجمةً ينطق على ألسنتهم ، استراقاً لعقولكم ودخولاً في عيونكم ، ونفثاً في أسماعكم ، فجعلكم مرمى نبله ، وموطىء قدمه ، ومأخذ يده (خ/١٩٢) .
* إذا وقع الأمر بفصل القضاء « وخسر هنالك المبطلون » شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى ، وسلم من علائق الدّنيا (ر/٣) .
* وترك شُرْبِ الخمر تحصيناً للعقل (ح/٢٥٢) .
* قد خرقت الشّهوات عقله ، وأماتت الدّنيا قلبه (خ/١٠٩) .

* واعلموا أنّ الأمل يُسهي العقل ، و ينسي الذّكر ، فاكذبوا الأمل فإنّه غرور ، وصاحبه مغرور (خ/٨٦) .
* (الملائكة) ولم تطمع فيهم الوساوس فتقترع بريْنِها على فكرهم (خ/٩١) .

(٤) لا يُعْتَبَر من العقل إلاّ ما يدعو إلى طاعة الله وسلوك طريق الهُدىٰ :

* كفاك من عقلك ما أوضح لك سُبُلَ غيّك من رشدك (ح/٤٢١) .
* فإنّ الشّقيّ من حُرِمَ نفع ما أوتي من العقل والتّجربة (ر/٦٤) .
* والعقل حفظ التّجارب ، وخيرما جرّبت ما وعظك (ر/٣١) .
* فإنّ الغاية القيامة ؛ وكفىٰ بذلك واعظاً لمن عقل (خ/١٩٠) .
* أين العقول المستصبحة بمصابيح الهُدىٰ (خ/١٤٤) .
* عبادٌ ناجاهم في فكرهم ، وكَلَّمَهم في ذات عقولهم ، فاستصبحوا بنور يقظةٍ في الأبصار والأسماع والأفئدة (ك/٢٢٢) .
* فاحذروا ، عباد الله ، حَذَرَ الغالب لنفسه ، المانع لشهوته ، النّاظر بعقله ، فإنّ الأمر واضح ، والعَلَمَ قائم ، والطّريق جَدَد ، والسّبيل قَصْد (خ/١٦١) .
* عَقَلوا الدّين عقلِ وعايةٍ ورعاية ، لا عقل سماعٍ ورواية ، فإنّ رواة العلم كثير ، ورعاته قليل (ح/٢٣٩) .

(٥) عقل الانسان محدود وأنّه لا يستطيع إدراك كنه الذّات الإلٰهيّة ، ولا كيفيّة الخلق :

* وغَمَضَتْ مداخل العقول في حيث لا تَبْلُغُه الصّفات لتناول علم ذاته (خ/٩١) .
* وإنّك أنت الله الّذي لم تتناهَ في العقول فتكون في مهبّ فكرها مكيَّفاً (خ/٩١) .
* لم تبلغه العقول بتحديدٍ فيكون مُشَبَّهاً (خ/١٥٥) .
* وردعت عظمته العقول ، فلم تجد مساغاً إلى بلوغ غاية ملكوته (خ/١٥٥) .
* وما تغيَّبَ عنّا منه ، وقَصُرَت أبصارُنا عنه ، وانتهت عقولنا دونه ، وحالت ستور الغيب بيننا و بينه أعظم ، فمن فَرَّغ قلبه ، وأعمل فكره ليعلم كيف أقمت عرشك وكيف علّقت

سماواتك وكيف مددت على مور الماء أرضك رجع طرفه حسيراً ، وعقله مبهوراً (خ/١٦٠) .

* ولتحيّرت عقولها في علم ذلك وتاهت ، وعَجزَت قواها وتناهت ، ورجعت خاسئةً حسيرةً، عارفةً بأنّها مقهورة ، مقرّةً بالعجز عن إنشائها ، مذعنةً بالضَّعف عن إفنائها (خ/١٨٦) .

* ابتَدَعَهُم خَلْقاً عجيباً من حيوان وموات ، وساكنٍ وذي حركات ؛ وأقام من شواهد البيّنات على لطيف صنعته ، وعظيم قدرته ، ما انقادت له العقول معترفةً به ، ومُسَلّمةً له ، فكيف تصل إلى صفة هٰذا عمائق الفِطَن ، أو تَبْلُغُهُ قرائح العقول ، أو تستنظم وصفه أقوال الواصفين ! وأقلّ أجزائه قد أعجز الأوهام أن تُدْرِكَهُ ، والألسنة أن تصِفَه ! فسبحان الّذي بهر العقول عن وصف خلقٍ جلاّه للعيون (خ/١٦٥) .

* لم يطلع العقول على تحديد صفته ، ولم يحجُبْها عن واجب معرفته (خ/٤٩) .

« العلـــم »

(٦) في فضل العلم وأهميته ، والحثّ على طلبه ، وفضل العلماء :

* العلم وراثةٌ كريمة(ح/٥) .
* ولا شرف كالعلم (ح/١١٣) .
* يـا كـميل بن زياد ، إنّ هذه القلوب أوعية ، فخيرها أوعاها ... يا كميل ، العلم خيرٌ من المـال ، العـلـم يحرسُكَ وأنـت تحرسُ المـال ، والمال تنقصه النّفقة ، والعلم يزكو على الانـفـاق ، وصـنـيـع المـال يزول بزواله ... يا كميل بن زياد ، العلم دينٌ يُدان به ، به يـكسبُ الانسانُ الطّاعة في حياته ، وجميل الأحدوثة بعد وفاته . والعلم حاكم ، والمال محكومٌ عـلـيـه ، يـا كميل ، هَلَكَ خزّان الأموال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدّهر : أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة (ح/١٤٧) .
* كلّ وعاءٍ يضيق بما جُعِلَ فيه إلاّ وعاء العلم فإنّه يتّسع به (ح/٢٠٥) .
* وسُئِلَ عن الخير ما هو؟ فقال : ليس الخير أن يكثر مالُكَ وَوَلَدُك ، ولكنّ الخير أن يكثر علمك ، وأن يعظم حلمك ، وأن تباهي النّاس بعبادة ربّك (ح/٩٤) .
* فبـادِرُوا العلم من قبل تصويح نبتِهِ ، ومن قبل أن تُشْغَلوا بأنفسكم عن مستَثار العلم من عند أهله (خ/١٠٥) .
* فلـتـكـن مـسـألتك فيما يبقى لك جماله ، و يُنْفىٰ عنك و باله ، فالمال لا يبقى لك ولا تبقىٰ له (ر/٣١) .
* قيمة كلّ امريء ما يحسنه (ح/٨١) .
* إذا أرذل الله عبداً حظر عليه العلم (ح/٢٨٨) .

* و بالعلم يُرْهَب الموت (ك/١٥٦) .
* النّاس أعداء ما جهلوا (ح/١٧٢) .
* فمن فَهِمَ عَلِمَ غورَ العلم ، ومَن عَلِمَ غور العلم صدر عن شرائع الحكم (ح/٣١) .
* الايمان علىٰ أربع دعائم : علىٰ الصّبر واليقين والعدل والجهاد ... واليقين منها على أربع شُعَب : علىٰ تبصرة الفطنة ، وتأوّل الحكمة ، وموعظة العبرة ، وسنّة الأوّلين ؛ فمن تبصّر في الفطنة تبيّنت له الحكمة ، ومن تبيّنت له الحكمة عرف العبرة ، ومن عرف العبرة فكأنّما كان في الأوّلين (ح/٣١) .

(٧) أصناف النّاس في العلم :

* النّاس ثلاثة ، فعالم ربّاني ، ومتعلّم علىٰ سبيل نجاة ، وهَمَجٌ رَعاعٌ أتباع كلّ ناعق ، يميلون مع كلّ ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا إلىٰ ركنٍ وثيق (ح/١٤٧) .
* يا كميل ... ها إنّ ها هنا لعلماً جمّاً (وأشار بيده إلىٰ صدره) لو أصبتُ له حَمَلَةً ! بَلىٰ أصبتُ لَقِناً غير مأمون عليه ، مستعملاً آلة الدّين للدّنيا ، ومستظهراً بنعم الله على عباده ، و بحججه على أوليائه ، أو منقاداً لحَمَلَة الحقّ ، لا بصيرة له في أحنائه ، ينقدح الشكّ في قلبه لأوّل عارضٍ من شُبْهَة ، ألا لا ذا ولا ذاك ! أو منهوماً باللّذّة ، سلس القياد للشّهوة ، أو مغرماً بالجمع والإدّخار ليسا من رعاة الدّين في شيء ، أقرب شَيْءٍ شَبَهاً بهما الأنعام السّائمة ! كذٰلك يموت العلم بموت حامليه (ح/١٤٧) .

علماء الخير وعلماء السّوء :

(٨) علماء الخير:

* (علماء الخير) اللّهم بلىٰ ! لا تخلو الأرض من قائمٍ لله بحُجّة ، إمّا ظاهراً مشهوراً ، وإمّا خائفاً مغموراً ، لئلاّ تبطل حجج الله و بيّناته . وكم ذا وأين أولئك ؟ أولٰئك ــ والله ــ الأقلّون عدداً ، والأعظمون عند الله قدراً . يحفظ الله بهم حُجَجه و بيّناته ، حتّى يُودِعُوها نُظَراءهم ، و يزرعوها في قلوب أشباههم . هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة ، و باشَرُوا روح اليقين ، واستلانوا ما استوعره المترفون ، وأَنِسوا بما استوحش منه الجاهلون ، وصَحِبوا الدّنيا بأبدان أرواحها معلّقَةٌ بالمحلّ الأعلىٰ (ك/١٤٧) .

* (علماء الخير) : واعلموا أنّ عباد الله المستحفظين عِلْمَه ، يصونون مصونه ، و يفجّرون عيونه ، يتواصلون بالولاية ، و يتلاقون بالمحبّة ، و يتساقَوْن بكأسٍ رَوِيّة ، و يَصْدُرُونَ بريّة ، لا تشوبُهُم الرّيبة ، ولا تُسْرِع فيهم الغيبة . علىٰ ذٰلك عَقَدَ خَلْقَهُم وأخلاقَهم ، فعليه يتحابّون ، و به يتواصلون ، فكانوا كتفاضُل البذر يُنْتَقىٰ ، فيُؤْخَذ منه و يُلْقىٰ ، قد مَيَّزَه التّخليص ، وهذّبه التمحيص (خ/٢١٤) .

* (علماء الخير) : قد أبصر طريقه ، وسلك سبيله ، وعرف مناره ، وقطع غِماره ، واستمسك من العُرىٰ بأوثقها ، ومن الحبال بأمتنها ، فهو من اليقين على مثل ضوء الشّمس ، قد نصب نفسه لله سبحانه في أرفع الأمور ، من إصدار كلّ واردٍ عليه ، وتصيير كل فرعٍ إلىٰ أصله . مصباح ظُلُمات . كشّاف عَشَوات ، مفتاح مُبْهَمات ، دفّاع معضِلات ، دليل فَلَوات ، يقول فَيُفْهِم ، و يسكت فيسلم ، قد أَخْلَصَ لله فاستخلصه ، فهو من معادن دينه ، وأوتاد أرضه (خ/٨٧) .

* (علماء الخير) : الفقيه كلّ الفقيه ، من لم يُقَنِّط النّاس من رحمة الله ، ولم يُؤيِسْهم من رَوْح الله ، ولم يُؤْمِنْهم من مكر الله (ح/٩٠) .

(٩) علماء السّوء :

* (علماء السّوء) : وآخر قد تسمّى عالماً وليس به ، فاقتَبسَ جهائل من جهّال ، وأضاليل من ضُلاّل ، ونَصَبَ للنّاس أشراكاً من حبائل غرور ، وقول زور ، قد حَمَلَ الكتاب على آرائه ؛ وعطف الحقّ على أهوائه ، يُؤْمِنُ النّاس من العظائم ، و يهوّن كبير الجرائم ، يقول : أقف عند الشُّبُهات ، وفيها وقع ، و يقول : اعتزل البِدَع ، و بينها اضطجع ! فالصّورة صورة إنسان ، والقلب قلب حَيَوان ، لا يعرف بابَ الهُدىٰ فيتّبعُه ، ولا بابَ العمىٰ فَيَصُدّ عنه . وذلك ميّت الأحياء (خ/٨٧) .

* (علماء السّوء) : بلىٰ أصبتُ لَقِناً غير مأمونٍ عليه ، مستعملاً آلة الدّين للدّنيا ، ومستظهِراً بنعم الله على عباده ، وبحججه على أوليائه ؛ أو منقاداً لحَمَلَة الحقّ لا بصيرة له في أحنائه ، ينقدح الشّكّ في قلبه لأوّل عارضٍ من شبهة . ألا لا ذا ولا ذاك ! أو منهوماً باللّذّة ، سَلِسَ القياد للشّهوة ، أو مُغْرَماً بالجمع والإدّخار ، ليسا من رعاة الدّين في شيء ، أقربُ شيءٍ

شَبَهاً بهما الأَنْعام السّائمة !(ح/١٤٧).

* (علماء السّوء) : رجلٌ قَمَشَ جهلاً ، مُوضِعٌ في جُهّال الأمّة ، عادٍ في أغباش الفتنة ، عَمٍ بما في عقد الهُدْنة ؛ قد سمّاه أشباه النّاس عالِماً وليس به ، بَكَّرَ فاستكثر من جمع ؛ ما قلّ منه خيرٌ ممّا كَثُر(ك/١٧).

(١٠) في العلوم التي أُمِرَ النّاس بتحصيلها وهي العلوم النّافعة دنياً وآخرة :

* أوّل الدّين معرفته (خ/١).

* وأن أبتدئك بتعليم كتاب الله عزّ وجلّ وتأويله ، وشرائع الاسلام وأحكامه ، وحلاله وحرامه ، لا أجاوز ذلك بك إلىٰ غيره (ر/٣١).

* وخُضِ الغمرات للحقّ حيث كان ، وتفقّه في الدّين ... وتفهّم وصيّتي ، ولا تذهبَنَّ عنها صفحاً ، فإنّ خير القول ما نفع . واعلم أنّه لا خير في علمٍ لا ينفع ، ولا يُنْتَفَعُ بعلمٍ لا يحقّ تعلّمه (ر/٣١).

*.ولا تكونوا كجفاة الجاهليّة : لا في الدّين يتفقّهون ، ولا عن الله يعقلون ؛ كقيض بيضٍ في أداحٍ يكون كَسْرُها وزراً ، و يُخرِج حِضَانُها شرّاً (خ/١٦٦).

* وتعلّموا القرآن فإنّه أحسن الحديث ، وتفقّهوا فيه فإنّه ربيع القلوب (خ/١١٠).

* العلم علمان : مطبوعٌ ومسموع . ولا ينفع المسموع إذا لم يكن المطبوع (خ/٣٣٨).

* ولا علم كالتفكّر(ح/١١٣).

* (المتّقون) وقفوا أسماعهم على العلم النّافع لهم (خ/١٩٣).

(١١) في العلوم الّتي نَهى الشّارع عن تحصيلها :

* من كلام له عليه السّلام ، قاله لأحد أصحابه لما عزم المسير إلىٰ الخوارج ، وقد قال له : إن سرتَ ياأمير المؤمنين في هذا الوقت ، خشيت ألاّ تظفر بمرادك ــ من طريق علم النّجوم ــ فقال عليه السّلام :

أتزعم أنّك تهدي إلىٰ السّاعة التي مَنْ سارَ فيها صُرِفَ عنه السّوء ؟ وتخوّفُ من السّاعة الّتي مَن سار فيها حاق به الضّرر؟ فمن صَدّقك بهذا فقد كذب القرآن ، واستغنىٰ عن

الإستعانة بالله في نيل المحبوب ودفع المكروه ؛ وتبتغي في قولك للعامل بأمرك أن يوليك الحمد دون ربّه ؛ لأنّك ـ بزعمك ـ أنت هديته إلى السّاعة الّتي نال فيها النّفع ، وأمن الضرّ ! .

ثمّ أقبل عليه السّلام على النّاس فقال :

أيّها النّاس ، إيّاكم وتعلّم النّجوم ، إلاّ ما يهتدى به في برٍّ أو بحر ، فإنّها تدعو إلى الكهانة ، والمنجّم كالكاهن ، والكاهن كالسّاحر ، والسّاحر كالكافر ، والكافر في النّار ! سيروا على اسم الله (خ/٧٩) .

* العين حقّ ، والرّقى حقّ ، والسّحر حقّ ، والفأل حقّ . والطّيرة ليست بحقّ ، والعدوى ليست بحقّ ، والطّيب نُشْرَة ، والعسل نُشْرَة ، والرّكوب نشرة ، والنّظرة إلى الخضرة نشرة (ح/٤٠٠) .

(١٢) في القول بغير علم :

* لا تقل ما لا تعلم ، بل لا تقل كلّ ما تعلم ، فإنّ الله فرض على جوارحك كلّها فرائض يحتجّ بها عليك يوم القيامة (ح/٣٨٢) .

* أوصيكم بخمسٍ لو ضربتم إليها آباط الإبل لكانت لذلك أهلاً : لا يَرْجُوَنَّ أحدٌ منكم إلاّ ربّه ، ولا يخافَنّ إلاّ ذنبه ، ولا يستَحِيَنَّ أحدٌ منكم إذا سُئِلَ عمّا لا يعلم أن يقول : لا أعلم ، ولا يستحيَنَّ أحدٌ إذا لم يعلم الشّيء أن يتعلّمه ، وعليكم بالصّبر (ح/٨٢) .

* لا خير في الصّمت عن الحكم ، كما أنّه لا خير في القول بالجهل (ح/١٨٢) .

* من ترك قول لا أدري أصيبت مقاتِلُه (ح/٨٥) .

* ولا تقل ما لا تعلم وإن قلّ ما تعلم (ر/٣١) .

* الإيمان أن تؤثر الصّدق حيث يضرّك على الكذب حيث ينفعك (ح/٤٥٨) .

(١٣) في العمل بغير علم :

* فالنّاظر بالقلب العامل بالبصر يكون مبتدأ عمله أن يعلم ؛ أعمله عليه أم له ؟ فإن كان له مضى فيه ، وإن كان عليه وقف عنه ، فإنّ العامل بغير علم كالسّائر على غير طريق ،

فلا يزيده بعده عن الطريق إلاّ بعداً من حاجته . والعامل بالعلم كالسّائر على الطّريق الواضح ، فلينظر ناظرٌ أسائرٌ هو أم راجع ! (خ/١٥٤) .

(١٤) في النّهي عن كتمان العلم وعدم تعليمه :

* لا خير في الصّمت عن العلم كما أنّه لا خير في القول بالجهل (ح/٤٧١) .
* ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلّموا حتّى أخذ علىٰ أهل العلم أن يعلّموا (ح/٤٧٨) .
* فأمّا حقّكم عليّ فالنّصيحة لكم ، وتوفير فيئكم عليكم ، وتعليمكم كيلا تجهلوا ، وتأديبكم كيما تعلموا (خ/٣٤) .

(١٥) في وجوب استعمال العالم لعلمه :

* وإنّ العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الّذي لا يستفيق من جهله ، بل الحجّة عليه أعظم ، والحسرة له ألزم ، وهو عند الله ألوم (خ/١١٠) .
* ربّ عالمٍ قد قتله جهلُه ، وعلمُه معه لا ينفعه (ح/١٠٧) .
* ياجابر، قِوامُ الدّين والدّنيا بأربعة : عالمٍ مستعملٍ علْمَه ، وجاهلٍ لا يستنكف أن يتعلّم ، وجوادٍ لا يبخل بمعروفه ، وفقيرٍ لا يبيع آخرته بدنياه ، فإذا ضيّع العالم علمه استنكَفَ الجاهل أن يتعلّم (ح/٣٧٢) .
* فإنّ رواة العلم كثير، ورعاتَه قليل (خ/٢٣٩) .
* العلم مقرون بالعمل : فمن عَلِمَ عَمِل ، والعلم يهتفُ بالعمل ، فإن أجابه وإلاّ ارتحل عنه (ح/٣٦٦) .
* لا تجعلوا علمكم جهلاً ، و يقينكم شكّاً ؛ إذا علمتم فاعملوا ، وإذا تيقّنتم فأقدموا (ح/٢٧٤) .
* قَطَعَ العلم عُذرَ المتعلّلين (ح/٢٨٤) .
* إنّا قد أصبحنا في دهرٍ عنود ... لا ننتفع بما علمنا ، ولا نسأل عمّا جهلنا (خ/٣٢) .
* جاهلكم مُزداد ، وعالمكم مُسوِّف (ح/٢٨٣) .
* أوضعُ العلم ما وُقِفَ على اللّسان ، وأرفَعُهُ ما ظَهَرَ في الجوارح والأركان (ح/٩٢) .

* الإيمان أن ... وألاّ يكون في حديثك فضلٌ عن عملك (ح/٤٥٨).

(١٦) في حقّ العالم وصفته وآداب وإرشادات في طلب العلم وصفة طلاّب العلم :

* العالم من عرف قدره ، وكفىٰ بالمرء جهلاً أن لا يعرف قدره (خ/١٦).
* لا تجعلَنّ ذَرَبَ لسانك على مَن أنطقك ، و بلاغةَ قولك علىٰ مَن سَدَّدَك (ح/٤١١).
* (قال (ع) لسائل سأله عن معضلة) : سل تفقّهاً ، ولا تسأل تعنُّتاً ، فإنّ الجاهل المتعلّم شبيهٌ بالعالم ، وإنّ العالم المتعنّت شبيهٌ بالجاهل (ح/٣٢٠).
* والنّاس منقوصون مدخولون إلّا من عصم الله ، سائلهم متعنّت ومجيبهم متكلّف (ح/٣٤٣).
* فإن أشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك ، فإنّك أوّل ما خُلِقتَ به جاهلاً ثمّ عُلِّمْتَ ، وما أكثر ما تجهل من الأمر ، و يتحيّر فيه رأيك ، و يضلّ فيه بصرك ثمّ تبصره بعد ذٰلك ! (ر/٣١).
* ومن كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحقّ (ح/٣١).
* و بالإيمان يَعْمُرُ العلم (ك/١٥٦).
* ومَن أبَصَرَ فَهِم ، ومَن فَهِمَ عَلِم (ح/٢٠٨).
* ياجابر، قِوام الدّين والدّنيا بأربعة : عالم مستعملٍ علمه ، وجاهل لا يستنكف أن يتعلّم (ح/٣٧٢).
* ولا يستحيَنَّ أحدٌ إذا لم يعلم الشيء أن يتعلّمه ، وعليكم بالصّبر (ح/٨٢).
* أمّا بعد ، فإنّ معصية النّاصح الشّفيق العالم المجرّب تورث الحسرة ، وتُعقب النّدامة (خ/٣٥).
* منهومان لا يشبعان : طالب علمٍ وطالب دنيا (ح/٤٥٧).
* فإن أبَتْ نفسك أن تقبل ذٰلك دون أن تعلم كما علموا ، فليكن طلبك ذٰلك بتفهّم وتعلّم ، لا بتورّط الشُّبُهات ، وعُلَق الخصومات (ر/٣١).
* أين الّذي عمّروا فنعموا ، وعلّموا ففهموا (خ/٨٣).
* إذا ازدحم الجواب خفي الصّواب (ح/٢٤٣).

* من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ (ح/١٧٣).

(١٧) في جواز أخذ العلم حتّىٰ من المنافقين:

* خذ الحكمة أنّىٰ كانت، فإنّ الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجلج في صدره حتّى تخرج فتسكن إلىٰ صواحبها في صدر المؤمن (ح/٧٩).
* الحكمة ضالّة المؤمن، فخذ الحكمة ولو من أهل النّفاق (ح/٨٠).

الباب الثّاني : في الإسلام والإيمان واليقين وأضدادها

الفصل الأوّل : في الإسلام

الفصل الثّاني : في الإيمان واليقين

الفصل الثّالث : في الكفر والشّرك والشّكّ

« الإســلام »

(١٨) في تعريف الإسلام، ومعنى كلمة «إسلام»:

* لَأَنْسُبَنَّ الإسلام نسبةً لم ينسبها أَحَدٌ قبلي: الاسلام هو التّسليم، والتّسليم هو اليقين، واليقين هو التّصديق، والتّصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء، والأداء هو العمل (خ/١٢٥).
* ... انّه إسم سلامة، وجِماع كرامة (خ/١٥٢).
* التّصديق منهاجه، والصّالحات مناره (خ/١٠٦).

(١٩) في الدّعوة إليه:

* أين القوم الّذين دُعُوا إلىٰ الإسلام فقبلوه؟ (خ/١٢١).
* ثمّ إنّ هذا الإسلام دين الله ... فشرّفوه واتّبعوه، وأدّوا إليه حقّه، وضَعوه مواضِعَه (خ/١٩٨).
* لا شرفَ أعلىٰ من الإسلام (خ/٣٧١).

(٢٠) في غاية الإسلام:

* إنّ للإسلام غاية، فانتهوا إلىٰ غايته (خ/١٧٦).
* كريم المضمار، رفيع الغاية، جامعُ الحَلْبَة، مُتَنافس السُّبقة ... والموت غايته، والدّنيا مضماره، والقيامة حَلْبَتُه، والجنّة سُبْقَتُه (خ/١٠٦).

بعض خصائص الإسلام :

(٢١) ١ ـ سهولته و يسره :

* سَهَّلَ شرائعه لمن ورده (خ/١٠٦) .
* أبلج المناهج ، وأوضح الولائج (خ/١٠٦) .
* وإنّ الطرق لواضحة ، وانّ أعلام الدّين لقائمة (خ/١٦٣) .
* ولا ضنك لطرقه ، ولا وعوثة لسهولته ، ولا سواد لوضحه ، ولا عوج لانتصابه ، ولا عصل في عوده ، ولا وَعَثَ لفجّه ... ولا مرارة لحلاوته (خ/١٩٨) .
* وفهماً لمن عقل ، ولُبّاً لمن تدبّر ، وآيةً لمن توسّم ، وتبصرةً لمن عزم (خ/١٠٦) .
* و بَيَّنَ حججه من ظاهر علمٍ ، و باطن حكم .

(٢٢) ٢ ـ قويّ البرهان :

* منير البرهان (خ/١٩٨) .
* برهاناً لمن تكلّم به ، وشاهداً لمن خاصم عنه (خ/١٠٦) .

(٢٣) ٣ ـ شموليّته :

* فيه شفاء المستشفي ، وكفاية المكتفي (خ/١٠٨) .
* سَقىٰ مَنْ عَطِشَ من حياضه ، وأتْأَق الحياض بمواتحه (خ/١٩٨) .

(٢٤) ٤ ـ هو الدين عند الله تعالى ، وهو خير الأديان وناسخها ، ولا تسعد البشريّة إلاّ بتطبيق منهجه العظيم :

* الإسلام دين الله الّذي اصطفاه لنفسه ، واصطنعه علىٰ عينه ... أذلّ الأديان بعزّته ، ووضع الملل برفعه ... جعل الله فيه منتهىٰ رضوانه ، وذروة دعائمه ، وسنام طاعته ... ومناهل رَوِيَ بها وُرّادُها (خ/١٩٨) .
* اصطفى الله تعالىٰ منهجه (خ/١٥٢) .
* إنه اسم سلامة ، وجماع كرامة (خ/١٥٢) .
* فجعله أمناً لمن عَلِقَه ، وسلماً لمن دَخَلَهُ ، ... وآيةً لمن توسّم ، وتبصرةً لمن عزم ، وعبرةً

لمن اتعظ ، ونجاةً لمن صَدّق ، وثقةً لمن توكّل ، وراحةً لمن فَوّض ، وجُنّةً لمن صبر (خ/١٠٦) .

* فمن يبتغ غير الإسلام ديناً تتحقّق شقوته ، وتنفصم عروته ، وتَعْظُمُ كبوته ، و يكن مآبه إلى الحزن الطّويل ، والعذاب الوبيل (خ/١٦١) .

* أَرْسَلَهُ بالدّين المشهور ، والعَلَم المأثور (خ/٢) .

* دعوة متلافيه ، أظهر به الشّرائع المجهولة ، وقَمَعَ به البِدَعَ المدخولة (خ/١٦١) .

* وأهل الأرض يومئذٍ ملل متفرّقة ، وأهواء منتشرة ، وطرائق متشتّتة ، بين مُشَبِّهٍ لله بخلقه ، أو ملحدٍ في اسمه ، أو مشيرٍ الى غيره ، فهداهم به من الضّلالة ، وأنقذهم بمكانه من الجهالة (خ/١) .

* فيه مرابيع النّعَم ، ومصابيح الظُّلَم ، لا تُفْتَحُ الخيرات إلاّ بمفاتيحه ، ولا تُكْشَفُ الظُّلُمات إلاّ بمصابيحه (خ/١٠٨) .

(٢٥) استمراريّته ، وأنّ منهجه محفوظ ، وسلطانه عزيز:

* أذَلَّ الأديان بعزّته ، وَوَضَعَ المِلَلَ برفعه ، وأهان أعداءَه بكرامته ، وخَذَلَ محادّيه بنصره ، وهَدَمَ أركان الضّلالة بركنه ... ثمّ جَعَلَهُ لا انفصام لعروته ، ولا فَكَّ لحَلقَتِهِ ، ولا انهدامَ لأساسه ، ولا زوال لدعائمه ، ولا انقلاع لشجرته ، ولا انقطاع لمدّته ، ولا عفاء لشرائعه ، ولا جَذَّ لفروعه ... فهو دعائم أساخ في الحقّ أسناخَها ، وثَبَّتَ لها آساسَها ... رفيع البنيان ... عزيز السّلطان ، ... مُعْوِز المَثار (خ/١٩٨) .

* لا تفنى غرائبه ، ولا تنقضي عجائبه (خ/١٥٢) .

* قد أَحْمَى حِماه ، وأَرْعَى مَرْعاه (خ/١٠٨) .

* وجَعَلَ أمراس الإسلام متينة (خ/١٨٥) .

* أعزّ الله أركانه على من غالَبَهُ (خ/١٠٦) .

* إنّ هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرةٍ ولا قلّة ، وهو دين الله الّذي أظهره ، وجنده الّذي أعدّه وأمدّه ، حتّى بَلَغَ ما بلغ ، وطلع حيث طلع ، ونحن على موعودٍ من الله ، والله منجزٌ وعده ، وناصرٌ جنده (ك/١٤٦) .

(٢٦) الإسلام يكون بالعمل ، وليس بالقول فقط :

* العمل العمل ، ثمّ النّهاية النّهاية ، والاستقامة الاستقامة ، ثمّ الصّبر الصّبر ، والورع الورع ! « إنّ لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم » ، وإنّ لكم عَلَماً فاهتدوا بعَلَمِكم ، وإنّ للإسلام غاية فانتهوا إلىٰ غايته ، واخرجوا إلى الله بما افترض عليكم من حقّه ، و بيّن لكم من وظائفه (خ/١٧٦) .

* الإسلام هو التّسليم ، والتّسليم هو اليقين ، واليقين هو التّصديق ، والتّصديق هو الأقرار ، والأقرار هو الأداء ، والأداء هو العَمَل (ر/٦٢) .

* واعلموا أنكم صرتم بعد الهجرة أعراباً ، و بعد الموالاة أحزاباً ، ما تتعلّقون من الإسلام إلاّ باسمه (خ/١٩٢) .

* يأتي على النّاس زمان لا يبقىٰ من القرآن إلاّ رسمه ، ومن الإسلام إلاّ اسمه (ح/٣٦٩) .

* ومن عمل لدينه ، كفاه الله أمر دنياه (ح/٤٢٣) .

* لا يترك النّاس شيئاً من أمر دينهم لاستصلاح دنياهم ، إلاّ فتح الله عليهم ما هو أضرّ منه (ح/١٠٦) .

(٢٧) من خصائص المسلم وعلاماته والأمور الّتي تضرّ بشخصيّة المسلم :

* « فالمسلم مَن سَلِمَ المسلمون من لسانه و يده » إلاّ بالحقّ (خ/١٦٧) .

* فأَطْفِئُوا ما كَمُنَ في قلوبكم من نيران العصبيّة ، وأحقاد الجاهليّة ، فإنّما تلك الحميّة تكون في المسلم من خَطَرات الشّيطان ونخواته ، ونزغاته ونَفَثاته (خ/١٩٢) .

* وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكّاً في دينه ، ولا مرتاباً بيقينه (ر/٢٨) .

* (الحجّ) جعله سبحانه وتعالىٰ للإسلام عَلَماً (خ/١) .

(٢٨) في أصناف المسلمين ، والّذين أظهروا الإسلام واضمروا الكفر:

* يرحم الله خباب بن الأرتّ فلقد أسلم راغباً (ح/٤٣) .

* أين القوم الّذين دُعُوا إلى الإسلام فقبلوه (خ/١٢١).
* (إلى معاوية): ولمّا أدخل الله العرب في دينه أفواجاً وأسلمت له هٰذي الأمّة طَوْعاً وكَرْهاً، كنتم ممّن دخل في الدّين: إمّا رغبةً وإمّا رهبةً، علىٰ حين فاز أهل السَّبق بسَبْقِهِم، وذَهَبَ المهاجرون الأوّلون بفضلهم (ر/١٧).
* (لأصحابه عند الحرب وهو يتحدّث عن أعدائه): فَوَالّذي فَلَقَ الحبّة، و بَرَأَ النّسَمَة، ما أسلموا، ولكن استسلموا، وأسَرّوا الكفر، فلمّا وَجَدوُا أعواناً عليه أظهروه (ك/١٦).
* (إلى معاوية): وما أسلم مسلمكم إلاّ كَرْهاً، و بعد أن كان أنفُ الإسلام كلّهُ لرسول الله (ص) حِزباً (ر/٦٤).
* ولكنّني آسىٰ أن يَلِيَ أَمْرَ هٰذه الأمّة سفهاؤها وفجّارها ... وإنّ منهم مَنْ لم يُسْلِم حتّىٰ رُضِخَت له الرّضائخ (ر/٦٢).
* رجلٌ منافقٌ مظهرٌ للأيمان، متصنّع بالإسلام، لا يتأثّم ولا يتحرّج (ك/٢١٠).
* فإنّي وُلِدْتُ على الفطرة، وسَبَقْتُ إلى الإيمان والهجرة (ك/٥٧).

(٢٩) أحكامٌ في حُرْمَةِ المُسْلِم، وأنّه لا يجوز تكفيره إذا ارتكب كبيرة ما لم يشرك بالله تعالىٰ:

* إنّ الله حرّم حراماً غير مجهول، وأحلّ حلالاً غير مَدْخول، وفَضّلَ حُرْمَةَ المسلم على الحُرَم كُلّها، وشَدّ بالأخلاص والتّوحيد حُقُوق المسلمين في معاقدها، «فالمسلم مَن سَلِمَ المسلمون من لسانه و يده» إلاّ بالحقّ، ولا يحلّ أذى المسلم إلاّ بما يجب (خ/١٦٧).
* فمن استطاع منكم أن يلقى الله تعالىٰ وهو نقيّ الرّاحة من دماء المسلمين وأموالهم، سليم اللّسان من أعراضهم، فليفعل (خ/١٧٦).
* ألا وإنّ الظّلم ثلاثة: فظلمٌ لا يُغْفَر، وظلمٌ لا يُتْرَك، وظلمٌ مغفورٌ لا يُطْلَب، فأمّا الظلم الّذي لا يُغْفَر فالشِّرك بالله، قال الله تعالىٰ: «إنّ الله لا يغفر أن يُشرَك به» (خ/١٧٦).
* (مخاطباً الخوارج): فإن أَبَيْتُم إلاّ أن تَزْعُمُوا أنّي أخطأتُ وضَلَلْتُ، فَلِمَ تُضَلّلون عامّة أمّة محمّدٍ (ص) بضلالي، وتأخذونهم بخَطَئِي، وتكفرونهم بذنوبي! ... وقد عَلِمْتُم أنّ

رسول الله (ص) رَجَمَ الزّانيَ المُحْصَن ، ثمّ صَلّى عليه ، ثمّ وَرَّثَه أهله ؛ وقَتَلَ القاتل وَوَرَّث ميراثَه أهله ؛ وقَطَعَ السّارق وجَلَدَ الزّانيَ غيرَ المُحْصَن ، ثمّ قَسَمَ عليهما من الفَيء ، ونكَحا المسلمات ؛ فَأَخَذَهم رسول الله (ص) بذنوبهم ، وأقام حقّ الله فيهم ، ولم يَمْنَعْهم سَهْمَهُم من الإسلام ، ولم يخرج أسماءَهم من بين أهله (ك/١٢٧) .

« الإيــمان واليقــين »

(٣٠) فضل الإيمان واليقين :

* سبيلٌ أبلج المنهاج ، أنور السّراج ، فبالإيمان يُستَدَلُّ على الصّالحات ، و بالصّالحات يُسْتَدَلُّ على الإيمان ، و بالإيمان يُعْمَر العلم ، و بالعلم يُرهَب الموت ، و بالموت تُخْتَم الدّنيا ، و بالدّنيا تُحْرَز الآخرة (ك/١٥٦) .

* ولقد قال لي رسول الله (ص) : « إنّي لا أخاف علىٰ أمّتي مؤمناً ولا مشركاً ؛ أمّا المؤمن فيمنعه الله بإيمانه ، وأمّا المشرك فيقمعه الله بشركه (ر/٢٧) .

* فَرَضَ الله الإيمان تطهيراً من الشِّرك (ح/٢٥٢) .

* و باليقين تُدْرَك الغاية القُصْوىٰ (خ/١٥٧) .

* أُحْيِ قلبك بالموعظة ، وأَمِتْهُ بالزّهادة ، وقَوّه باليقين ، ونَوِّرْه بالحكمة (ر/٣١) .

* إطّرَح عنك واردات الهموم بعزائم الصّبر وحسن اليقين (ر/٣١) .

* فاتّقوا الله تقيّة من سمع فخشع ... وأيقن فأحسن (خ/٨٣) .

* عِظَمُ الخالق عندك يصغّر المخلوق في عينك (ح/١٢٩) .

(٣١) في تعريف اليقين :

* الإسلام هو التّسليم ، والتّسليم هو اليقين ، واليقين هو التّصديق ، والتّصديق هو الإقرار ، والإقرار هو الأداء ، والأداء هو العمل (خ/١٢٥) .

(٣٢) دعائم الإيمان :

* (سُئِلَ عن الإيمان فقال) : الإيمان علىٰ أربع دعائم : علىٰ الصّبر ، واليقين ،

والعدل ، والجهاد . والصّبر منها على أربع شُعَب : على الشّوق والشّفَق والزُّهد والترقّب : فمن اشتاق الى الجنّة سَلاَ عن الشّهوات ؛ ومن أشفق من النّار اجتنَب المحرَّمات ، ومَن زَهِدَ في الدّنيا استهانَ بالمصيبات ، ومَنِ ارتَقَب الموت سارَعَ إلى الخيرات .

واليقين منها على أربع شُعَب : على تبصرة الفطِنة ، وتأوُّل الحكمة ، وموعظة العِبْرَة ، وسُنَّة الأوّلين : فمن تبصّر في الفِطْنَة تبيَّنَت له الحكمة ؛ ومَن تبيَّنَت له الحكمة عَرَفَ العبرة ؛ ومَن عَرَف العِبْرَة كان في الأوَّلين .

والعدل منها على أربع شُعَب : على غائص الفَهْم ، وغَوْر العِلْم ، وزُهْرَة الحُكْم ، ورساخة الحِلْم ؛ فمن فهم عَلِمَ غور العلم ؛ ومَن عَلِمَ غورَ العلم صَدَرَ عن شرائع الحُكْم ؛ ومَن حَلُمَ لم يُفَرِّط في أمره وعاشَ في النّاس حميداً .

والجهاد منها على أربع شُعَب : على الأمر بالمعروف ، والنّهي عن المُنكَر ، والصّدق في المواطن ، وشَنَآن الفاسقين : فَمن أَمَرَ بالمعروف شدّ ظهور المؤمنين ، ومن نَهى عن المنكر أرْغَمَ أنوف الكافرين ؛ ومَن صَدَقَ في المَواطِن قَضى ما عليه ؛ ومَن شَنِيءَ الفاسقين وَغَضِبَ لله ، غَضِبَ الله له وأرضاهُ يومَ القيامة (ح/٣١) .

* وعليكم بالصّبر ، فإنّ الصّبر من الإيمان كالرّأس من الجسد ، ولا خير في جَسَدٍ لا رأسَ معه ، ولا في إيمانٍ لا صبر معه (ح/٨٢) .

(٣٣) أهمّ خصائص وعلامات المؤمنين والموقنين :

* المؤمن بِشْرُه في وجهه ، وحُزْنُهُ في قلبه ، أَوْسَعُ شَيء صَدراً ، وأَذَلُّ شيء نَفْساً . يكره الرِّفْعَة ، و يَشْنَأ السُّمعة ؛ طويلٌ غَمُّهُ ، بعيدٌ هَمُّهُ ، كثيرٌ صمتُهُ ، مشغولٌ وَقْتُهُ ، شكورٌ صبورٌ ، مغمورٌ بفكرته ، ضنينٌ بِخلَّتِهِ ، سَهْلُ الخليقة ، ليّن العريكة ، نَفْسُهُ أصلب من الصَّلْد ، وَهُوَ أَذَلُّ من العبد (ح/٣٣٣) .

* لا يصدُقُ إيمان عبدٍ ، حتّى يكون بما في يد الله أوثق منه بما في يده (ح/٣١٠) .

* الإيمان أن تؤثِرَ الصّدق حيث يضرّك ، على الكذب حيث ينفعك ، وألاّ يكون في حديثك فضلٌ عن عملك ، وأن تَتَّقيَ الله في حديث غيرك (ح/٤٥٨) .

* وإنّما ينظر المؤمن إلى الدّنيا بعين الإعتبار ، و يقتات منها ببطن الإضطرار ، و يسمع

فيها بأُذُن المَقْت والإبغاض ، إن قيل أَثْرىٰ قيل أَكْدى : وإنْ فُرِحَ له بالبقاء ، حُزِنَ له بالفَناء ! هٰذا ولم يأتهم « يومٌ فيه يُبْلِسون » (ح/٣٦٧) .

* للمؤمن ثلاث ساعات : فساعةٌ يُناجي فيها رَبَّه ، وساعةٌ يَرُمّ معاشَه ، وساعةٌ يُخَلّي بين نفسه و بين لذّتها فيما يَحِلّ و يَجْمُل (ح/٣٩٠) .

* إنّ المؤمنين مستكينون ، إنّ المؤمنين مُشْفِقون ، إنّ المؤمنين خائفون (خ/١٥٣) .

* (المتّقون) فمن علامة أحدهم أنّك ترى له قوّة في دين ، وحزماً في لين ، وإيماناً في يقين (خ/١٩٣) .

* وقد عرف حَقَّها (الصّلاة) رجالٌ من المؤمنين الّذين لا تَشْغَلُهُم عنها زينةُ متاعٍ ، ولا قُرَّة عين من ولدٍ ومال ، يقول الله سبحانه : « رجالٌ لا تُلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله وإقام الصّلاة وإيتاء الزّكاة » (ك/١٩٩) .

* وإنّ لسان المؤمن من وراء قلبه ، وإنّ قلب المنافق من وراء لسانه : لأنّ المؤمن إذا أراد أن يتكلّم بكلامٍ تَدَبَّرَه في نفسه ، فإن كان خيراً أبْداه ، وإن كان شرّاً واراه . وإنّ المنافق يتكلّم بما أتىٰ على لسانه لا يدري ماذا له ، وماذا عليه (خ/١٧٦) .

* واعلموا ــ عباد الله ــ أنّ المؤمن لا يُصبِح ولا يُمْسي إلاّ ونَفْسُه ظَنون عنده ، فلا يزال زارياً عليها ومستزيداً لها (خ/١٧٦) .

* فلقد كنّا مع رسول الله (ص) ، وإنّ القتل لَيَدُور على الآباء والأبناء والإخوان والقرابات ، فما نزداد علىٰ كلّ مصيبةٍ وشدّةٍ إلاّ إيماناً ، ومُضِيّاً على الحقّ ، وتسليماً للأمر ، وصبراً على مضض الجِراح (ك/١٢٢) .

* إنّ الإيمان يبدو لُمْظَةً في القلب ، كلّما ازداد الإيمان ازدادت اللُّمْظَة (ح/٥) .

* اتّقوا ظنون المؤمنين ، فإنّ الله سبحانه جعل الحقّ علىٰ ألسنتهم (ح/٣٠٩) .

* أحبّ عباد الله ... فهو من اليقين على مثل ضوء الشّمس (خ/٨٧) .

(٣٤) اليقين والإيمان يكونان بالعمل وليس بالقول فقط :

* (سُئِلَ عليه السّلام عن الأيمان فقال) : الإيمان معرفةٌ بالقلب ، وإقرارٌ باللّسان ، وعملٌ بالأركان (ح/٢٢٧) .

* الإيمان أن ... وألاّ يكون في حديثك فضلٌ عن عملك (ح/٤٥٨).

* واعلموا أنكم صرتم بعد الهجرة أعراباً ، و بعد الموالاة أحزاباً ، ما تتعلّقون من الاسلام إلاّ باسمه ، ولا تعرفون من الإيمان إلاّ رَسْمَه (خ/١٩٢).

* لا تجعلوا علمكم جهلاً و يقينكم شكّاً ، إذا علمتم فاعملوا ، وإذا تيقّنتم فأقدموا (ح/٢٧٤).

* واليقين هو التّصديق ، والتّصديق هو الإقرار ، والإقرار هو الأداء ، والأداء هو العمل (خ/١٢٥).

(٣٥) في أنّ المؤمنين قِلّة ، وأنّه ينبغي أن لا يُسْتَوحش لقلّتهم :

* أيّها النّاس لا تستوحشوا في طريق الهُدىٰ لقلّة أهله ، فإنّ النّاس قد اجتمعوا علىٰ مائدةٍ شِبَعها قصير ، وجوعها طو يل (ك/٢٠١).

* و بقي رجالٌ ... قد وَعَظوا حتّى مَلّوا ، وقُهِروا حتّى ذَلّوا ، وقُتِلوا حتّى قلّوا (خ/٣٢).

* إنّ هٰذا الأمر لم يكن نصرُه ولا خذلانه بكثرة ولا بقلّة ... والعرب اليوم ، وإن كانوا قليلاً ، فهم كثيرون بالإسلام ، عزيزون بالأجتماع (ك/١٤٦).

* فإنّ التقوى في اليوم الحرز والجنّة ، وفي غدٍ الطّريق إلى الجّنة ... فما أقلّ مَن قَبِلَها ، وحَمَلَها حقّ حَمْلِها ! أولٰئك الأقلّون عدداً ، وهم أهل صفة الله سبحانه إذ يقول : « وقليلٌ من عبادي الشَّكور » (خ/١٩١).

(٣٦) في مراتب الإيمان واليقين :

* فمن الإيمان ما يكون ثابتاً مستقرّاً في القلوب ، ومنه ما يكون عواريَ بين القلوب والصّدور ، « إلىٰ أجلٍ معلوم » (ك/١٨٩).

* واعلم أنّ أفضل المؤمنين أَفْضَلُهُمْ تقدمةً من نفسه وأهله وماله (ر/٦٩).

* ونؤمن به (الله سبحانه) إيمانَ مَن عايَنَ الغيوب ، وَوَقَفَ على الموعود ؛ إيماناً نَفىٰ إخلاصُه الشّرك ، و يقينُه الشكَّ (خ/١١٤).

* ونؤمن به (الله سبحانه) إيمانَ مَن رجاه موقناً ، وأناب إليه مؤمناً ، وخَنَعَ لَهُ مُذعِناً ،

وأَخْلَصَ له موحِّداً ، وعَظَّمَه مُمَجِّداً ، ولاذ به راغباً مجتهداً (خ/١٨٢) .

• (الملائكة) وقطعهم الإيمان به إلى الوله إليه (خ/٩١) .

(٣٧) المرأة والإيمان :

• معاشر النّاس ، إنّ النّساء نواقص الإيمان ... فأمّا نُقْصانُ إيمانهنّ فقعودُهُنّ عن الصّلاة والصّيام في أيّام حيضهنّ (خ/٨٠) .

• غيرة المرأة كفر ، وغيرة الرجل إيمان (ح/١٢٤) .

(٣٨) أمور تنقص الإيمان وتضعّفه ، وأخرىٰ تزيده وتقوّيه :

• واعلموا أنّ يسير الرّياء شرك ، ومجالسة أهل الهَوىٰ مَنْسَأةٌ للإيمان ، ومَحْضَرَةٌ للشّيطان جانبوا الكَذِب ، فإنّه مجانبٌ للإيمان ... ولا تحاسَدوا ، فإنّ الحسد يأكل الإيمان « كما تأكل النّار الحطب » (خ/٨٦) .

• فهم (الملائكة) أسراء إيمانٍ لم يفكّهم من رِبْقَتِه زيغٌ ولا عُدولٌ ولا وَنًى ولا فُتور (خ/٩١) .

• عرفت الله سبحانه بفسخ العزائم ، وحلّ العقود ، ونقض الهمم (ح/٢٥٠) .

• وعن ذٰلك ما حَرَس الله عباده المؤمنين بالصّلوات والزّكَوات ، ومجاهدة الصّيام في الأيّام المفروضات ، تسكيناً لأطرافهم ، وتخشيعاً لأبصارهم ، وتذليلاً لنفوسهم ، وتخفيضاً لقلوبهم ، وإذهاباً للخُيَلاء عنهم ، ولِما في ذلك من تعفير عتاق الوجوه بالتّراب تواضعاً ، والتصاق كرائم الجوارح بالأرض تصاغُراً (خ/١٩٢) .

• سوسوا إيمانكم بالصّدقة (ح/١٤٦) .

« في الكفر والشّكّ والشّرك »

(٣٩) الكفر:

* والكفر علىٰ أربع دعائم : علىٰ التعمق ، والتّنازع ، والزّيغ ، والشّقاق ، فمن تعمق لم ينُب إلىٰ الحقّ . ومن كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحقّ ، ومَن زاغ ساءت عنده الحسنة ، وحسنت عنده السّيئة ، وسَكِرَ سكر الضّلالة ، ومن شاقّ وعرت عليه طرقه ، وأعضل عليه أمره ، وضاق عليه مخرجه (ح/٣١) .
* وأشهد أنّ من ساواكَ بشيء من خلقِكَ فقد عدل بك ، والعادل بك كافر بما تنزّلت به محكمات آياتك ، ونطقت عنه شواهد حجج بيّناتك (خ/٩١) .
* والسّاحر كالكافر ، والكافر في النّار (خ/٧٩) .
* ولقد ضربتُ أنف هٰذا الأمر وعينه ، وقلّبتُ ظهره و بطنه ، فلم أرَ لي فيه إلاّ القتال أو الكفر بما جاء به محمد (ص) (خ/٤٣) .
* (الله سبحانه) ... ولم يُرْسِلِ الأنبياء لَعِباً ، ولم يُنْزِلِ الكتاب للعباد عَبَثاً ، ولا خَلَقَ السّماوات والأرض وما بينهما باطلاً : «ذٰلك ظَنُّ ٱلّذين كفروا ، فويلٌ للّذين كَفَرُوا من النّار» (ح/٧٨) .
* (إلى معاوية) فَفَرّق بيننا و بينكم أمس أنّا آمنّا وكفرتم (ر/٦٤) .
* (إلى معاوية) فقد أجريتَ إلىٰ غايةِ خسرٍ، ومحلّة كفر (ر/٣٠) .
* والله لو شِئتُ أن أُخْبِرَ كلّ رجلٍ منكم بمخرجه ومولِجِه ، وجميع شأنه لَفَعَلْتُ ، ولكن أخافُ أن تكفروا فيّ برسول الله صلّى الله عليه وآله ، ألا وإنّي مُفضيه إلى الخاصّة ممّن يُؤمَن ذلك منه (خ/١٧٥) .

* (قال للخوارج) أبعد إيماني بالله وجهادي مع رسول الله (ص) أشهد علىٰ نفسي بالكفر (خ/٥٨).

* (القرآن) فإنّ فيه شفاء من أكبر الدّاء، وهو الكفر والنّفاق، والغيّ والضّلال (خ/١٧٦).

* (في حقّ من حاربه) ما أسلموا ولكن استسلموا، وأسرّوا الكفر، فلمّا وَجدوُا أعواناً عليه أظهروه (ر/١٦).

* وأشهد أن لا إلٰهَ إلاّ الله غير معدولٍ به، ولا مشكوكٍ فيه، ولا مكفورٍ دينه (خ/١٧٨).

* (إلى معاوية) وكأنّي بجماعتك تدعوني جَزَعاً من الضَّرب المتتابع، والقضاء الواقع، ومصارع بعد مصارع، إلىٰ كتاب الله، وهي كافرة جاحدة، أو مبايعة حائدة (ر/١٠).

* (مخاطباً الأشعث) حائك بن حائك، منافق ابن كافر (خ/١٩).

* مالي ولقريش، والله لقد قاتلتهم كافرين (خ/٣٣).

* (مالك الأشتر) أشدّ على الكفّار من حريق النّار (ر/٣٨).

* وكلّ فَجَرَةٍ كَفَرَة (خ/١٥١).

* غيرة المرأة كفر، وغيرة الرّجل إيمان (ح/١٢٤).

* فهل تبصر إلاّ فقيراً يكابد فقراً، أو غنيّاً بدّل نعمة الله كفراً (خ/١٢٩).

* ومَن نَهىٰ عن المنكر أرغم أنوف الكافرين (ح/٣١).

* من شكا الحاجة إلى مؤمن فكأنّه شكاها إلى الله، ومن شكاها إلى كافر فكأنّما شكا الله (ح/٤٢٧).

* وأنّه لا بدّ للنّاس من أميرٍ برٍّ أو فاجر يعمل في إمرته المؤمن و يستمتع فيها الكافر (خ/٤٠).

(٤٠) الشّكّ:

* والشّكّ على أربع شُعَب: على التّماري والهول، والتردّد، والاستسلام: فمن جَعَلَ المِراء دَيْدَناً لم يُصْبِح لَيْلُه؛ ومَن هاله ما بين يديه نكَصَ علىٰ عقبيه، ومن تَرَدَّدَ في الرّيب وطئته سنابك الشّياطين، ومَنِ استسلم لهلكة الدّنيا والآخرة هَلَكَ فيهما (ح/٣١).

* ونؤمن به (سبحانه وتعالى) ... إيماناً نفى إخلاصه الشّرك ، و يقينه الشّكّ (خ/١١٤).

* وأشهد أن لا إلٰهَ إلاّ الله غير معدول به ، ولا مشكوك فيه (خ/١٧٨).

* قد تكفّل لكم بالرّزق ، وأمرتم بالعمل ... مع أنّه والله لقد اعترض الشّكّ ، ودَخِلَ اليقين ، حتّى كأنّ الّذي قد فُرِضَ عليكم قد وُضِعَ عنكم (خ/١١٤).

* ولو أراد (الله) سبحانه أن يضع بيته الحرام ومشاعره العظام بين جنّات وأنهار ... لخفّف ذلك مصارعة الشّكّ في الصّدور ، ولَوَضَعَ مجاهدة ابليس عن القلوب ، ولَنَفَى معتلج الرّيب من النّاس ، ولكنّ الله يختبر عباده بأنواع الشّدائد (خ/١٩٢).

* نومٌ على يقين خيرٌ من صلاةٍ في شكّ (ح/٩٧).

* وعجبتُ لمن شكّ في الله وهو يرى خلق الله (ح/١٢٦).

* بَلَى أصبتُ لَقِناً غير مأمونٍ عليه ... ينقدح الشّكّ في قلبه لأوّل عارضٍ من شبهة (ح/١٤٧).

* ما شككت في الحقّ مذ أريته (خ/٤).

* لا تجعلوا علمكم جهلاً ، و يقينكم شكّاً ، إذا علمتم فاعملوا ، وإذا تيقّنتم فأقدِموا (ح/٢٧٤).

* (آدم عليه السّلام) وحذّره (سبحانه) ابليس وعداوته ... فباع اليقين بشكّه (خ/١).

* (الملائكة) ولم ترم الشّكوك بنوازعها عزيمة أيمانهم (خ/٩١).

* والتّارك له (القرآن) الشّاكّ فيه أعظم النّاس شغلاً في مضرّة (ح/٢٧٣).

* وما على المسلم من غضاضةٍ في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكّاً في دينه ، ولا مرتاباً بيقينه (ر/٢٨).

* (العلماء) لا تشوبهم الرّيبة ، ولا تسرع فيهم الغيبة (خ/٢١٤).

* فمن الايمان ما يكون ثابتاً مستقرّاً في القلوب ، ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصّدور إلى أجلٍ معلوم (خ/١٨٩).

(٤١) الشّرك :

* واعلموا أن يسير الرّياء شرك (خ/٨٦).

* ألا وإنّ الظّلم ثلاثة : فظلمٌ لا يُغفَر ، وظلمٌ لا يُترَك ، وظلمٌ مغفورٌ لا يُطلَب . فأمّا

الظّلم الّذي لا يُغْفَر فالشّرك بالله ، قال الله تعالى : « إنّ الله لا يغفر أن يُشْرَك » (خ/١٧٦) .

* إنّ من عزائم الله في الذّكر الحكيم ، الّتي عليها يثيب و يعاقب ، ولها يرضَى و يسخط ، أنّه لا ينفع عبداً ــ وإن أجهد نفسه ، وأخلص فعله ــ أن يخرج من الدّنيا لاقياً ربّه بخصلةٍ من هٰذه الخصال لم يَتُب منها : أن يشرك بالله فيما افترض عليه من عبادته (خ/١٥٣) .

* لم يشركه (سبحانه) في فطرتها فاطر ، ولم يعنه على خلقها قادر (خ/١٨٥) .

* أمّا وصيّتي فالله لا تشركوا به شيئاً (خ/١٤٩) .

* ونؤمن به إيمان من عاين الغيوب ، ووقف على الموعود ، إيماناً نفى إخلاصه الشّرك ، و يقينه الشكّ (خ/١١٤) .

* فَرَضَ الله الايمان تطهيراً من الشّرك (ح/٢٥٢) .

* (الله تعالىٰ) ولم يكوّنها لتشديد سلطان ... ولا لمكاثرة شريك في شركه (خ/١٨٦) .

* لم يولد سبحانه ، فيكون في العزّ مشاركاً (خ/١٨٢) .

* وأشهد أن لا إلٰهَ إلّا الله وحده لا شريك له (خ/٢) .

* لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان ... ولا شريك مكاثر ، ولا ضدٍّ منافر (خ/٦٥) .

* ولا شريك أعانه على ابتداع عجائب الأمور (خ/٩١) .

* واعلم يابنيّ أنّه لو كان لربّك شريك لأتتك رسله (ر/٣١) .

* ولقد قال لي رسول الله (ص) : « إنّي لاأخاف على أمّتي مؤمناً ولا مشركاً ؛ أمّا المؤمن فيمنعه الله بإيمانه ، وأمّا المشرك فيقمعه الله بشركه ، ولكنّي أخاف عليكم كلّ منافق الجَنان ، عالم اللّسان ، يقول ما تعرفون ، و يفعل ما تنكرون » (ر/٢٧) .

* (في ذمّ أهل الرّأي) أم أنزل الله سبحانه ديناً ناقصاً ، فاستعان بهم على إتمامه ، أم كانوا شركاء له ، فلهم أن يقولوا ، وعليه أن يرضىٰ (ك/١٨) .

* ولا تهيجوا النساء بأذىً ... إن كنّا لنؤمر بالكفّ عنهنّ وأنّهنّ لمشركات (ر/١٤) .

الباب الثّالث : في القرآن والسّنّة

الفصل الأوّل : في القرآن الكريم

الفصل الثّاني : في السّنّة النّبويّة

« القــرآن »

(٤٢) القرآن الكريم فيه تبيان لكلّ شيء :

* وأنزل عليكم « الكتاب تبياناً لكلّ شيء » ، وعَمَّرَ فيكم نبيّه أزماناً ، حتّى أكمل له ولكم ــ فيما أنزل من كتابه ــ دينه الّذي رَضِيَ لنفسه (خ/٨٦) .

* ذٰلك القرآن فاستنطقوه ، ولن ينطق ، ولكن أخبركم عنه : ألا إنّ فيه علم ما يأتي ، والحديث عن الماضي ، ودواء دائكم ، ونظم ما بينكم (خ/١٥٨) .

* فالقرآن ... أتمّ نوره ، وأكمل به دينه ، وقَبَضَ نبيّه (ص) وقد فرغ إلىٰ الخلق من أحكام الهُدىٰ به ، فعظّموا منه سبحانه ما عظّم من نفسه ، فإنّه لم يُخْفِ عنكم شيئاً من دينه ، ولم يترك شيئاً رَضِيَه أو كَرِهَه إلّا وجعل له علماً بادياً ، وآيةً محكمة ، تزجر عنه ، أو تدعو إليه ، ١٨٣) .

* وفي القرآن نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم (ح/٣١٣) .

* أم أنزل الله سبحانه ديناً تامّاً فقصّر الرّسول (ص) عن تبليغه وأدائه ، والله سبحانه يقول : « ما فرّطنا في الكتاب من شيء » وفيه تبيان لكلّ شيء (ك/١٨) .

(٤٣) في أنّ القرآن يصدّق بعضه بعضاً و يفسّر بعضه بعضاً وأنّه لا اختلاف فيه ولا عِوَج :

* وذَكَرَ (ص) أنّ الكتاب يُصَدِّق بعضه بعضاً ، وأنّه لا اختلاف فيه فقال سبحانه : « ولو كان من عند غير الله لَوَجَدُوا فيه اختلافاً كثيراً » (ك/١٨) .

* و ينطق بَعْضُهُ ببعض ، و يشهد بعضه على بعض ، ولا يختلف في الله ، ولا يُخالِف بصاحبه عن الله (خ/١٣٣) .

* لا يَعْوَجّ فيُقام ، ولا يزيغ فيُسْتَعتَب (ك/١٥٦) .

(٤٤) في أنّه كتابٌ محفوظ إلىٰ يوم القيامة :

* و بيتٌ لا تُهْدمُ أركانه (خ/١٣٣) .

* ثـمّ أنـزل عـليه الكتاب نوراً لا تُطْفَأ مصابيحه ، وسراجاً لا يخبو توقّده ، ... وتبياناً لا تُهْدَم أركانه .

* « ولا تُخْلِقُهُ كثرة الرَّدّ » وولوجُ السَّمع (ك/١٥٦) .

(٤٥) إنّه شفاءٌ مِن جميع الأمراض :

* واستشفوا بنوره فإنّه شفاء الصّدور (خ/١١٠) .

* فـاسـتشفوه من أدوائكم ، واستعينوا به على لأ وائكم ، فإنّ فيه شفاءً من أكبر الدّاء : وهو الكفر والنّفاق ، والغيّ والضّلال (خ/١٧٦) .

* وفيه ربيع القلب ... وما للقلب جِلاءٌ غَيْرُهُ (خ/١٧٦) .

* وشفاءاً لا تُخْشى أسقامُه ... ودواءً ليس بعده داء (خ/١٩٨) .

* (المتقون) : و يستثيرون به دواء دائهم (خ/١٩٣) .

* والشّفاء النّافع (ك/١٥٦) .

(٤٦) لا تنقضي علومه ، وهو أوّل المصادر الاسلامية :

* وإنّ الـقـرآن ظـاهره أنيق ، و باطنه عميق ، لا تُفنىٰ عجائبه ، ولا تنقضي غرائبه ، ولا تُكْشَف الظّلمات إلاّ به (ك/١٨) .

* فـهـو مـعـدن الأيمـان و بـحبوحته ، و ينابيع العلم و بحوره ، ورياض العدل وغدُرانه ، وأثـافـيّ الاسـلام و بـنـيـانـه ، وأوديـة الحقّ وغيطانه ، و بحرٌ لا ينزفه المستنزفون ، وعيون لا يُـنـضـبـهـا الماتحون ، ومناهل لا يغيضها الواردون ... جعله الله رِيّاً لعطش العلماء ، وربيعاً لـقلوب الفقهاء ، ومحاجّ لطرق الصُّلَحاء ... وعِلماً لمن وَعىٰ ، وحديثاً لمن رَوىٰ ، وحكماً لمن قَضى (خ/١٩٨) .

* واسـتـدلّـوه على ربّكم ، واستنصحوه على أنفسكم ، واتّهموا عليه آراءكم ، واستغشّوا فيه أهواءكم .

(٤٧) في أنّ القرآن الكريم حجّة من حجج الله تعالى علىٰ خلقه :

* فالقرآن ... حجّة الله على خلقه ، أخذ عليه ميثاقهم ، وارتهن عليه أنفسهم (خ/١٨٣) .
* وإنّ الله سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هٰذا القرآن ، فإنّه « حبل الله المتين » وسببه الأمين (خ/١٧٦) .
* ولم يخل الله سبحانه خلقه من نبيٍّ مرسل أو كتاب منزل (خ/١) .
* وعلى كتاب الله تُعْرَض الأمثال (خ/٧٥) .
* وكفىٰ بالله منتقماً ونصيراً ، وكفىٰ بالكتاب حجيجاً وخصيماً (خ/٨٣) .

(٤٨) وجوب العمل بالقرآن الكريم وتحكيم مناهجه وأنّ ذلك ينجي البشريّة من جميع مشاكلها :

* والله الله في القرآن ، لا يسبقُكُم بالعمل به غيركم (ر/٤٧) .
* ومنهاجاً لا يُضِلّ نَهْجُهُ ... ومنازل لا يَضِلّ نهجَها المسافرون ، وأعلام لا يعمى عنها السّائرونَ ، وآكام لا يجوز عنها القاصدون ... ومعقِلاً منيعاً ذِروته ، وعزّاً لمن تولاّه ، وسِلْماً لمن دخله ، وُهدىً لمن ائتمّ به ... وحاملاً لمن حمله ، ومطيّةً لمن أعمله ، وآيةً لمن توسّم ، وجُنّةً لمن استلأم ... وحكماً لمن قضى (خ/١٩٨) .
* وتمسّك بحبل القرآن واستنصحه ، وأحِلّ حلاله ، وحَرِّم حرامه (ر/٦٩) .
* واعلموا أنّه ليس على أحدٍ بعد القرآن من فاقة ، ولا لأحدٍ قبل القرآن من غِنًى (خ/١٧٦) .
* إنّ الله بعث رسولاً هادياً بكتابٍ ناطقٍ وأمرٍ قائم ، لا يهلك عنه إلاّ هالك (خ/١٦٩) .
* ولكم علينا العمل بكتاب الله تعالىٰ (خ/١٦٩) .
* ... والمحافظة على ما استحفظكم من كتابه ... (خ/١٧٣) .
* ولكن أخبركم عنه : ألا إنّ فيه ... ونظم ما بينكم (خ/١٥٨) .
* فالله الله أيّها النّاس ، فيما استحفظكم من كتابه ، واستودعكم من حقوقه (خ/٨٦) .
* إنّما بدء وقُوُع الفِتَن أهواءٌ تُتَّبَع ، وأحكامٌ تُبْتَدَع ، يُخالَف فيها كتاب الله (ك/٥٠) .
* ولمّا دعانا القوم إلى أن نحكّم بيننا القرآن لم نكن الفريق المتولّي عن كتاب الله

سبحانه وتعالى ، وقد قال الله سبحانه : « فإن تنازعتم في شيءٍ فردّوه إلى الله والرّسول » فردّه إلى الله أن نحكم بكتابه ، وردّه إلى الرّسول أن نأخذ بسنّته (ك/١٢٤) .

* « مَن قال به صَدَق ، ومَن عَمِلَ به سَبَق » (ك/١٥٦) .

* إنّ الله سبحانه أنزل كتاباً هادياً بيّن فيه الخير والشرّ ؛ فخذوا نهج الخير تهتدوا ، واصدِفوا عن سمت الشر تَقْصِدوا (خ/١٦٧) .

* والعِصْمَة للمتمسّك ، والنّجاة للمتعلّق (ك/١٥٦) .

(٤٩) في أهميّة قراءته ومدارسته والتعبّد به :

* وتعلّموا القرآن فإنّه أحسن الحديث ، وتفقّهوا فيه فإنّه ربيع القلوب ... وأحسِنوا تلاوته فإنّه أنفع القصص (خ/١١٠) .

* واعلموا أنّ هٰذا القرآن هو النّاصح الّذي لا يَغُشّ ، والهادي الّذي لا يُضِلّ ، والمُحَدِّث الّذي لا يكذب ، وما جالَسَ هٰذا القرآن أحدٌ إلاّ قام عنه بزيادةٍ أو نقصان : زيادةٍ في هُدىً ، أو نُقصانٍ من عمًى ... فاسألوا الله به ، وتَوَجَّهوا إليه بحبّه ، ولا تسألوا به خلقه ؛ إنّه ما توجّه العباد إلى الله تعالىٰ بمثله . واعلموا أنّه شافعٌ مُشَفَّع ، وقائلٌ مُصَدَّق ، وأنّه من شَفَعَ له القرآن يوم القيامة شُفِّع فيه ، وَمَن مَحَلَ به القرآن يوم القيامة صُدِّق عليه ، فإنّه يُنادي منادٍ يوم القيامة : « ألا إنّ كلّ حارثٍ مُبتلًى في حَرْثِهِ وعاقبة عمله ، غير حَرَثَة القرآن » ، فكونوا من حَرَثَتِه وأتباعه (خ/١٧٦) .

* (المتّقون) : تالين لأجزاء القرآن ، يرتّلونها ترتيلا ، يحزّنون به أنفسهم ، و يستثيرون به دواء دائهم ؛ فإذا مرّوا بآيةٍ فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً ، وتطلّعت نفوسهم إليها شوقاً ، وظنّوا أنّها نُصْبَ أعينهم ، وإذا مرّوا بآيةٍ فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم ، وظنّوا أنّ زفير جهنّم وشهيقها في أصول آذانهم (خ/١٩٣) .

* طوبىٰ للزّاهدين في الدّنيا ، الرّاغبين في الآخرة ، أولئك قومٌ اتّخذوا الأرض بساطاً ، وترابها فراشاً ، وماءها طيباً ، والقرآن شِعاراً (ح/١٠٤) .

* ومن قرأ القرآن فمات فدخل النّار فهو ممّن كان يتّخذ آيات الله هُزواً (ح/٢٢٨) .

* والعصمة للمتمسّك ، والنّجاة للمتعلّق (ك/١٥٦) .

أفضل المَراجِع في علوم القرآن وتفسيره وفيه أمور أخرى بشأن القرآن :

(٥٠) الرسول (ص) :

* وخلّف فيكم ما خلّفت الأنبياء في أممها ، إذ لم يتركوهم هَمَلاً ، بغير طريقٍ واضح ، ولا علمٍ قائم : كتاب ربّكم فيكم : مبيّناً حلاله وحرامه ، وفرائضه وفضائله ، وناسخه ومنسوخه ، ورُخَصَهُ وعزائمَه ، وخاصَّه وعامَّه ، وعِبَرَه وأمثالَه ، ومُرْسَلَهُ ومحدوده ، ومُحْكَمَهُ ومتشابَهَهُ ، مفسّراً مُجْمَلَه ، ومبيّناً غوامضَه ، بين مأخوذٍ ميثاقُ علمه ، وموسَّعٍ على العباد في جهله ، و بين مثبَتٍ في الكتاب فرضُه ، ومعلومٍ في السُّنّة نَسْخُه ، و واجبٍ في السُّنّة أَخْذُهُ ، ومُرَخَّصٍ في الكتاب تركُهُ ، و بين واجبٍ بوقته ، وزائلٍ في مستقبله . ومبايَنٌ بين محارمِهِ ، من كبيرٍ أوعَدَ عليه نيرانَه ، أو صغيرٍ أرصَدَ له غُفرانه ، و بين مقبولٍ في أدناه ، موسَّعٍ في أقصاه (خ/١) .

* وقبض نبيّه (ص) وقد فرغ إلى الخلق من أحكام الهُدٰى به (القرآن) (خ/١٨٣) .

(٥١) أهل البيت (ع) :

* ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتّى تعرفوا الّذي نَقَضَه ، ولن تمسّكوا به حتّى تعرفوا الّذي نبذه ، فالتمسوا ذٰلك من عند أهله ، فإنّهم عيش العلم ، وموت الجهل (خ/١٤٧) .

* فيهم كرائم القرآن ، وهم كنوز الرّحمان (خ/١٥٤) .

* وإنّ الكتاب لمعي ، ما فارقتُه مذ صحبتُه (ك/٥٠) .

* هم موضع سرّه ، ولَجَأ أمرِهِ ، وعيبة علمه ، وموئل حكمه ، وكهوف كتبه (خ/٢) .

* تاالله لقد عُلّـِمْتُ تبليغَ الرّسالات ، وإتمام العِدات ، وتمام الكلمات ، وعندنا أهل البيت ، أبوابُ الحكم ، وضياء الأمر (ك/١٢٠) .

* عقلوا الدّين عقل وعايةٍ ورعاية ، لا عقل سَماعٍ ورواية ، فإنّ رواة العلم كثير ، ورعاتَه قليل (خ/٢٣٩) .

* أولئك ــ والله ــ الأقلّون عدداً ، والأعظمون عند الله قدراً ، يحفظ الله بهم حُجَجَه و بيّناته ، حتّى يودعوها نُظَراءهم ، و يزرعوها في قلوب أشباههم (ح/١٤٧) .

* (المهدي عج) : و يعطف الرّأي على القرآن ، إذا عطفوا القرآن على الرّأي (خ/١٣٨) .
* بهم عُلِمَ الكتاب و به علموا ، و بهم قام الكتاب و به قاموا (ح/٤٣٢) .

(٥٢) في الاحتجاج بالقرآن الكريم :

* وعذراً لمن انتحله ، و برهاناً لمن تكلّم به ، وشاهداً لمن خاصم به ، وفَلْجاً لمن حاجَّ به (خ/١٩٨) .
* لا تخاصِمْهُم بالقرآن ، فإنّ القرآن حمّال ذو وجوه ، تقول و يقولون ، ولكن حاجِجْهم بالسُّنّة فإنّهم لن يجدوا عنها محيصاً (ر/٧٧) .

(٥٣) في التّأكيد على الأخذ بمحكم القرآن وترك المتشابه منه عند التّنازع :

* واردد إلى الله ورسوله ما يُضْلِعُكَ من الخطوب ، و يشتبه عليك من الأمور ؛ فقد قال الله تعالى لقومٍ أحبَّ ارشادهم : « ياأيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شيءٍ فردّوه إلى الله والرّسول » فالرّدّ إلى الله : الأخذ بمحكم كتابه ، والرّدّ إلى الرّسول : الأخذ بسنته الجامعة غير المفرّقة (ر/٥٣) .

« السُّــنّة »

(٥٤) في أهميّة السّنّة النّبويّة والدّعوة إلى الإهتداء بها ، والإستنان بها :

* واقتدوا بهدي نبيّكم فإنّه أفضل الهَدْي ، واستنّوا بسنّته فإنّها أهدى السُّنَن (خ/١١٠) .

* (لعبد بن الله بن العبّاس ، لما بعثه للإحتجاج علىٰ الخوارج) لا تخاصمهم بالقرآن ، فإنّ القرآن حمّال ذو وجوه ، تقول و يقولون ، ولكن حاججهم بالسّنّة ، فإنّهم لن يجدوا عنها محيصاً (ر/٧٧) .

* فيا عجباً ومالي لا أعجب من خطا هٰذه الفِرَق علىٰ اختلاف حججها في دينها ، لا يقتصّون أثر نبيّ ولا يقتدون بعمل وصي ... مفزعهم في المعضلات إلىٰ أنفسهم ، وتعويلهم في المهمّات علىٰ آرائهم ، كأنّ كلّ امرىءٍ منهم إمام نفسه ، قد أخذ منها فيما يَرَىٰ بعُرَىً ثقِات ، وأسبابٍ مُحْكَمات (خ/٨٨) .

(٥٥) في آداب الرّواية ، وأنّ الكذب علىٰ الرّسول الكريم كثيرٌ جدّاً :

* سأله رجل أن يعرّفه الايمان فقال عليه السّلام : إذا كان الغد فأتِني حتّى أخبرَك على أسماع النّاس ، فإن نسيتَ مقالتي حَفِظَها عليك غيرُك ، فإنّ الكلام كالشّاردة ، يَنْقُفُها هٰذا و يُخْطِئُها هٰذا (ح/٢٦٦) .

* (إلى الحارث الهمذاني) : ولا تحدّث النّاس بكلّ ما سمعت به ، فكفىٰ بذٰلك كذباً . ولا تَرُدَّ على النّاس كلّ ما حدّثوك به ، فكفىٰ بذٰلك جهلاً (ر/٦٩) .

* اعقِلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعايةٍ لا عقل رواية ، فإنّ رواة العلم كثير، ورعاته قليل (ح/٩٨) .

* عَقَلوا الدّين عقلَ وعايةٍ ورعاية ، لا عقل سماع ورواية ، فإنّ رواة العلم كثير، ورعاته قليل (ح/٢٣٩) .

* وانّه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أَخْفَىٰ من الحقّ ، ولا أظهر من الباطل ، ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله (خ/١٤٧) .

(٥٦) في العلل الّتي من أجلها كتم الأئمّة عليهم السّلام بعض العلوم والأحكام :

* بل اندمجتُ علىٰ مكنون علمٍ لو بحتُ به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطويّ البعيدة ! (خ/٥) .

* والله لو شئت أن أخبر كلّ رجلٍ منكم بمخرَجِهِ ومَوْلِجِه وجميع شأنه لفعلت ، ولكن أخاف أن تكفروا فيَّ برسول الله صلّى الله عليه وآله (خ/١٧٥) .

* ها إنّ ها هنا لِعِلْماً جمّاً (وأشار بيده إلى صدره) لو أصبتُ له حملةً ! بلىٰ أصبتُ لَقِناً غير مأمون عليه ، مستعملاً آلة الدّين للدّنيا ، ومستظهراً بنِعَمِ الله علىٰ عباده ، و بحججه على أوليائه ؛ أو منقاداً لِحَمَلَة الحقّ لا بصيرة له في أحنائه ، ينقدح الشكّ في قلبه لأوّل عارضٍ من شبهة . ألا لا ذا ولا ذاك ! أو منهوماً باللّذّة ، سلس القياد للشّهوة ، أو مغرماً بالجمع والأدّخار ، ليسا من رعاة الدّين في شيء ، أقرب شيء ٍشَبَهاً بهما الأنعام السّائمة ! كذلك يموت العلم بموت حامليه (ح/١٤٧) .

(٥٧) عِلَلُ اختلاف الأخبار وأنواع الأخبار وأنواع المحدّثين :

* (سأله سائل عن أحاديث البِدَع ، وعمّا في أيدي النّاس من اختلاف الخبر ، فقال عليه السّلام) :

إنّ في أيدي النّاس حقّاً و باطلاً ، وصِدقاً وكَذِباً ، وناسخاً ومنسوخاً ، وعامّاً وخاصّاً ، ومحكماً ومتشابهاً ، وحفظاً ووهماً ، ولقد كُذِبَ علىٰ رسول الله (ص) علىٰ عهده ، حتّى قام خطيباً ، فقال : «من كَذَبَ عليّ متعمّداً فَلْيَتَبَوَّأ مقعده من النّار» . وإنّما أتاك بالحديث أربعة رجالٍ ليس لهم خامس :

رجلٌ منافقٌ مظهرٌ للايمان ، متصنّعٌ بالاسلام ، لا يتأثّم ولا يتحرّج ، يكذب على

رسول الله (ص) متعمّداً ، فلو علم النّاس أنّه منافق كاذبٌ لم يقبلوا منه ، ولم يُصَدِّقوا قوله ، ولـكنّهم قالوا : صاحب رسول الله (ص) رآه ، وسمع مِنه ، ولَقِفَ عنه ، فيأخذون بقوله ، وقد أخـبرك الله عن المنافقين بما أخبرك ، ووصفهم بما وصفهم به لك ، ثمّ بَقُوا بعده ، فتقرّبوا إلى أئـمّـة الـضّلالة ، والدّعاة إلى النّار بالزّور والبهتان ، فولوهم الأعمال ، وجعلوهم حكاماً على رقـاب الـنّـاس ، فأكلوا بهم الدّنيا ، وإنّما النّاس مع الملوك والدّنيا ، إلاّ من عصم الله ، فهٰذا أحد الأربعة .

ورجـلٌ سـمـع مـن رسـول الله (ص) شـيئـاً لم يحفظه على وجهه ، فَوَهِمَ فيه ، ولم يتعّمد كَذِباً ، فهو في يديه ، ويرويه ويعمل به ، ويقول : أنا سمعتُه من رسول الله (ص) ، فلو عَلِمَ المسلمون أنّه وَهِمَ فيه لم يقبلوه منه ، ولو عَلِمَ هو أنّه كذلك لَرَفَضَه !

ورجـلٌ ثـالـث ، سـمع من رسول الله (ص) شيئاً يأمر به ، ثمّ إنّه نهىٰ عنه ، وهو لا يعلم ، أو سَـمِـعَهُ ينهىٰ عن شيء ، ثمّ أمر به وهو لا يعلم ، فحفظ المنسوخ ، ولم يحفظ النّاسخ ، فلو علم أنّه منسوخ لَرَفَضَه ، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنّه منسوخ لَرفضوه .

وآخـرَ رابـعٌ ، لـم يـكـذب على الله ، ولا عـلـىٰ رسـولـه ، مـبغضٌ للكَذِب خوفاً من الله ، وتـعـظـيـمـاً لرسول الله (ص) ولـم يَهِم ، بل حفظ ما سمع علىٰ وجهه ، فجاء به على ما سمعه ، لم يَزِد فيه ولم ينقص منه ، فهو حَفِظَ النّاسخ فَعَمِلَ به ، وحَفِظَ المنسوخ فَجَنَّبَ عنه ، وعرف الخاصّ والعامّ ، والمحكم والمتشابه ، فوضع كلّ شيء موضعه .

وقـد كـان يـكـون من رسول الله (ص) الكلام له وجهان : فكلامٌ خاصّ ، وكلام عامّ ، فيسمَعُهُ من لا يعرف ما عنى الله ، سبحانه به ، ولا ما عَنىٰ رسول الله (ص) فيحمله السّامع ، ويـوجّـهـه عـلـىٰ غير مـعـرفـةٍ بمعناه ، وما قُصِدَ به ، وما خَرَجَ من أجله ، وليس كلّ اصحاب رسـول الله (ص) مـن كـان يـسـألـه ويـستفهمه ، حتّى إن كانوا لَيُحبّون أن يجيء الأعرابيّ والـطّاريء ، فيسأله عليه السّلام حتّى يسمعوا ، وكان لا يمرّ بي من ذلك شيء إلاّ سألته عنه وحَفِظْتُه ، فهذه وجوه ما عليه النّاس في اختلافهم ، وعِلَلِهم في رواياتهم (ك/٢١٠) .

(٥٨) التّأكيد على الأخذ بالسّنة الجامعة عند التّشابُه والتنازُع :

* واردد إلى الله ورسولـه مـا يُضْلِعُك من الخطوب ، ويشتبه عليك من الأمور ؛ فقد قال

الله تعالٰى لقومٍ أحبّ أرشادَهم : « يا أيها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم ، فإن تنازَعْتُم في شيء فردّوه إلٰى الله والرّسول » فالرّدّ إلٰى الله : الأخذ بمحكم كتابه ، والرّدَ إلٰى الرسول : الأخذ بسنّته الجامعة غير المفرِّقة (ر/٥٣) .

(٥٩) في البدعة والسّنّة ومخاطر البِدَع ووجوب إحياء السّنّة ومحاربة البدعة :

* إنّ الله بعث رسولاً هادياً بكتابٍ ناطقٍ وأمرٍ قائم ، لا يهلك عنه إلاّ هالك ، وإنّ المبتَدَعات المشبَّهات هُنّ المُهْلِكات إلاّ ما حَفِظَ الله منها (خ/١٦٩) .

* وما أُحْدِثَت بدعة إلاّ تُرِك بها سُنّة ، فاتّقوا البِدَع ، والزموا المِهْيَع . إنّ عوازم الأمور أفْضَلُها ، وإنّ مُحْدِثاتَها شرارُها (خ/١٤٥) .

* (إلى عثمان) : فاعلم أنّ أفضل عباد الله عند الله إمامٌ عادل ، هُدِيَ وهَدٰى ، فأقام سُنّة معلومة ، وأمات بدعةً مجهولة . وإنّ السُّنَن لنيّرة ، لها أعلام ، وإنّ البِدَع لظاهرة ، لها أعلام . وإن شرّ النّاس عند الله إمامٌ جائر ضَلّ وضُلّ به ، فأمات سُنّة مأخوذة ، وأحيا بدعةً متروكة (ك/١٦٤) .

* فاستقيموا على كتابه ، وعلى منهاج أمره ، وعلى الطّريقة الصّالحة من عبادته ، ثمّ لا تمرقوا منها ، ولا تبتدعوا فيها ، ولا تخالفوا عنها ، فإنّ أهل المروق مُنْقَطَعٌ بهم عند الله يوم القيامة ... واعلموا عباد الله أنّ المؤمن يستحلّ العام ما استحلّ عاماً أوّل ، ويحرّم العام ما حَرّمَ عاماً أوّل ؛ وأنّ ما أحدث النّاس لا يُحِلّ لكم شيئاً ممّا حُرّم عليكم ... وإنّما النّاس رجلان : متّبعٌ شِرعة ، ومبتدعٌ بدعة ، ليس معه من الله سبحانه برهان وسُنّة ، ولا ضياء حُجّة (خ/١٧٦) .

* إنّ أبغض الخلائق إلى الله رجلان : رجلٌ وَكَلَهُ الله إلى نفسه ، فهو جائرٌ عن قصد السّبيل ، مشغوف بكلام بِدعة ، ودعاء ضلالة ، فهو فتنةٌ لمن افتُتِنَ به ، ضالٌ عن هَدْي من كان قبله ، مُضِلٌ لمن اقتدٰى به في حياته وبعد وفاته ، حمّال خطايا غيره ، رهنٌ بخطيئته (ك/١٧) .

* إنّما بَدْء وُقوع الفِتَن أهواءٌ تُتّبَع ، وأحكامٌ تُبْتَدَع ، يُخالَف فيها كتاب الله ، و يتولّى عليها رجالٌ رجالاً ، علٰى غير دين الله (ك/٥٠) .

* (ضرب بيده(ع) على لحيته الشّريفة الكريمة، فأطال البكاء ثم قال) : أوّه على أخواني الّذين تلوُا القرآن فأحكموه، وتدبّروا الفرضَ فأقاموه، وأحيَوا السُّنّة وأماتوا البِدعة (خ/١٨٢).

* إنّ من عزائم الله في الذّكر الحكيم، الّتي عليها يثيب و يعاقب ولها يرضى و يسخط، أنّه لا ينفع عبداً ـ وإن أجهد نفسه، وأخلص فعله ـ أن يخرج من الدّنيا، لاقياً ربّه بخصلةٍ من هٰذه الخصال لم يتب منها ... أو يستنجح حاجةً إلى النّاس بإظهار بدعةٍ في دينه (خ/١٥٣).

* طوبىٰ لمن ذلّ في نفسه ... وعزل عن النّاس شرّه و وسعته السّنة، ولم ينسب إلى البدعة (ح/١٢٣).

* وآخر قد تسمّىٰ عالماً وليس به، فاقتبس جهائل من جهّال، وأضاليل من ضُلاّل ... يقول : أقف عند الشُّبُهات، وفيها وقع، و يقول : أعتزل البِدَع، و بينها اضطجَع، فالصّورة صورة إنسان، والقلب قلب حيوان (خ/٨٧).

* فلا تكونوا أنصاب الفِتَن، وأعلامَ البِدَع، وألزموا ما عُقِدَ عليه حبل الجمّاعة، و بُنِيَت عليه أركان الطّاعة (خ/٥١).

* وقال (رسول الله (ص)) : «ياعلي، إنّ القوم سيفتَنون بأموالهم، ويمتنون بدينهم على ربّهم ... و يستحلّون حرامه بالشّبهات الكاذبة، والأهواء السّاهية؛ فيستحلّون الخمر بالنّبيذ، والسُّحت بالهديّة، والرّبا بالبيع» (ك/١٥٦).

* (بني أميّة) قد خاضوا بحار الفتن، وأخذوا بالبِدَع دون السُّنَن، وأرَزَ المؤمنون، ونطق الضّالون المكذّبون (خ/١٥٤).

(٦٠) في أنّ ما أخبر به الامام(ع) عن الرّسول(ص) وأنّه لم يكذب فيه قيد أنملة :

* إنّ الّذي أنبّئكم به عن النّبيّ الأمّيّ(ص) ما كذب المبلّغ، ولا جَهِلَ السّامع (خ/١٠١).

* أتراني أكذب على رسول الله (ص) والله لأنا أوّل من صدقه فلا أكون أوّل من كذب عليه (خ/٣٧).

* والله ما كتمت وشمة ، ولا كذبت كذبة (ك/١٦) .
* ما كذبت ولا كُذِّبت ولا ضللتُ ولا ضُلّ بي (ح/١٨٥) .
* ولقد بلَغَني أنكم تقولون : عليّ يكذب ، قاتلكم الله تعالى ! فَعَلىٰ مَن أكذب ؟ أعلىٰ الله ؟ فأنا أوّل من آمن به ! أم على نبيّه ؟ فأنا أوّل مَنْ صَدَّقه ! كلاّ والله . لكنّها لهجةٌ عبتم عنها ، ولم تكونوا من أهلها (خ/٧١) .

الباب الرّابع : في أصول الدّين

الفصل الأوّل : في مباحث التّوحيد

الفصل الثّاني : في مباحث العدل الإلٰهيّ

الفصل الثّالث : في مباحث النّبوّة

الفصل الرّابع : في مباحث الإمامة

الفصل الخامس : في مباحث المعاد

الفصل الأوّل

« في مباحث التّوحيد »

(٦١) في معنى التّوحيد والهدف من البحث فيه :

* التّوحيد ألّا تتوهّمه (ح/٤٧٠) .

(٦٢) الاستدلال بالمخلوق علىٰ وجود الخالق وسائر صفاته ، وهدايته للنّاس إلى معرفته سبحانه وتعالىٰ ، ووجوب معرفته وأهمّيتها :

* الحمد لله الدال على وجوده بخلقه ، و بمُحْدَث خلقه علىٰ أزلّيته ، و باشتباههم على أن لا شبه له (خ/١٥٢) .

* بتشعيره المشاعر عُرِفَ أن لا مشعر له ، وبمضادتّه بين الأمور عُرِفَ أن لا ضدّ له ، وبمقارنته بين الأشياء عُرِف أن لا قرين له (خ/١٨٦) .

* وعجبت لمن شكّ في الله ، وهو يرى خلق الله (ح/١٢٦) .

* وما الّذي نرى من خلقك ونعجب له من قدرتك ، ونَصِفُه من عظيم سلطانك ؟ وما تغيّب عنّا منه ، وقصرت أبصارنا عنه ، وانتهت عقولنا دونه ، وحالت ستور الغيب بيننا و بينه أعظم (خ/١٦٠) .

* الّذي أظهر من آثار سلطانه ، وجلال كبريائه ، ما حيّر مقل العقول من عجائب قدرته (خ/١٦٥) .

* الحمد لله الّذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره ، وسبباً للمزيد من فضله ، ودليلاً علىٰ آلائه وعظمته (خ/١٥٧) .

* ولم يُخْلِهِمْ بعد أن قبضه (آدم) ، ممّا يؤكّد عليهم حجّة ربوبيّته ، و يصل بينهم

و بين معرفته ، بل تعاهدهم بالحجج علىٰ ألسن الخيرة من أنبيائه ، ومتحمّلي ودائع رسالا ته ، قرناً فقرناً (خ/٨٩) .

* بـان مـن الأشـيـاء بالقهر لها والقدرة عليها ، و بانت الأشياء منه بالخضوع له والرجوع إليه (خ/١٥٢) .

* الحمد لله الظّاهر بعجائب تدبيره للنّاظرين (خ/٢١٣) . .

* وأرانـا مـن ملكوت قدرته ، وعجائب ما نطقت به آثار حكمته ، واعتراف الحاجة من الخلق إلى أن يُقيمَها بمِساك قوّته ، ما دلّنا باضطرار قيام الحجّة له على معرفته ، فظهرت البدائع الّتي أحدثتها آثار صنعته ، وأعلام حكمته ، فصار كلّ ما خلق حجّةً له ودليلاً عليه . وإن كان خلقاً صامتاً ، فحجّته بالتّدبير ناطقة ، ودلالته علىٰ المبدع قائمة (خ/٩٠) .

* فتجلّى لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من قدرته ، وخَوَّفَهُم من سطوته ، وكيف محق من محق بالمَثُلات ، واحتصد من احتصد بالنّقمات (خ/١٤٧) .

* فبعث فيهم رسله ، وواتر إليهم انبياءه ، ليستأدوهم ميثاق فطرته ... و يثيروا لهم دفائن العقول ، و يُروهم الآيات المقدّرة : من سقفٍ فوقهم مرفوع ، ومهادٍ تحتهم موضوع ، ومعايش تحييهم ، وآجال تفنيهم ، وأوصاب تهرمهم ، وأحداث تتابع عليهم (خ/١) .

* الحمد لله الّذي بطن خفّيات الأمور ، ودلّت عليه أعلام الظّهور ... فلا عين من لم يره تنكره ، ولا قلب من أثبته يبصره ... لم يُطلع العقول علىٰ تحديد صفته ، ولم يحجبها عن واجب معرفته . فهو الّذي تشهد له أعلام الوجود ، على إقرار قلب ذي الجُحود (ك/٤٩) .

* وأرانا (سبحانه) من ملكوت قدرته ، وعجائب ما نطقت به آثار حكمته ، واعتراف الحاجة من الخلق أن يقيمها بمساك قوّته ، ما دلّنا باضطرار قيام الحجّة له علىٰ معرفته ، فظهرت البدائع الّتي أحدثَتْها آثار صنعته ، وأعلام حكمته ، فصار كلّ ما خلق حجّةً له ودليلاً عليه ؛ وإن كان خلقاً صامتاً ، فحجّته بالتّدبير ناطقة ، ودلالته على المبدع قائمة (خ/٩١) .

* ولو ضربتَ في مذاهبِ فكرك لتبلغ غاياته ، ما دلّتك الدّلالة إلاّ على أنّ فاطر النّملة هو فاطر النّخلة ، لدقيق تفصيل كلّ شيء ، وغامض اختلاف كلّ حيّ (خ/١٨٥) .

* الحمد لله المعروف من غير رؤية (خ/٩٠) .

* الحمد لله المتجلّي بخلقه، والظّاهر لقلوبهم بحجّته (خ/١٠٦).

* ابتدعهم خلقاً عجيباً من حيوانٍ وموات وساكن وذي حركات، وأقام من شواهد البيّنات علىٰ لطيف صنعته، وعظيم قدرته، ما انقادت له العقول معترفة به ومسلّمةً له، ونعقت في أسماعنا دلائله علىٰ وحدانيّته (خ/١٦٣).

* ولو فكّروا في عظيم القدرة وجسيم النّعمة، لَرَجَعُوا إلى الطّريق، وخافوا عذاب الحريق، ولكنّ القلوب عليلة، والبصائر مدخولة (خ/١٨٣).

* فالويل لمن أنكر المقدِّر وجَحَدَ المدبِّر؛ زَعَمُوا أنّهم كالنّبات مالهم زارع، ولا لاختلاف صورهم صانع، ولم يجؤوا إلى حجّةٍ فيما ادَّعَوا، ولا تحقيقٍ لما أوعوا. وهل يكون بناءٌ من غير بانٍ أو جناية من غير جان ؟!

* الحمدُ لله ... الدّالّ علىٰ قِدَمِهِ بحدوث خلقه، و بحدوث خلقه علىٰ وجوده، و باشتباههم على أن لا شبه له ... مستشهدٌ بحدوث الأشياء علىٰ أزليّته، وبما وَسَمَها من العجز على قدرته، وبما اضطرّها إليه من الفناء علىٰ دوامه (خ/١٨٣).

* واعلم يابنيّ، أنّ أحداً لم ينبىء عن الله سبحانه كما أنبأ عنه الرّسول (ص) فارض به رائداً ... (خ/٢٧٠).

* عرفت الله سبحانه بفسخ العزائم، وحلّ العقود، ونقض الهِمَم (ح/٢٥٠).

* أوّل الدّين معرفته، وكمال معرفته التّصديق به (خ/١).

* بل ظهر للعقول بما أرانا من علامات التّدبير المُتْقَن، والقضاء المبرم (خ/١٨٢).

(٦٣) في خلق الأفلاك والسّماوات: (١)

* من قوله عليه السّلام (ثمّ أنشأ ـ سبحانه ـ فتق الأجواء) إلى قوله عليه السّلام (ورقيمٍ مائر) (خ/١).

* من قوله عليه السّلام (ونَظَمَ بلا تعليقٍ رَهَواتِ فُرَجِها) إلى قوله عليه السّلام (ونحوسها وسعودها) (خ/٩١).

* من قوله عليه السّلام (فمن شواهد خلقه خلق السّماوات موطّدات) إلى قوله عليه السّلام (والعمل الصّالح من خلقه) (خ/١٨٢).

* من قوله عليه السّلام (وكان من اقتدار جبروته) إلى قوله عليه السّلام (وقامت علىٰ حدّه) (خ/٢١١).

(٦٤) في خلق النّجوم والشّمس والقمر واللّيل والنّهار:

* من قوله عليه السّلام (جعل نجومها أعلاماً) إلى قوله عليه السّلام (من تلألؤ نور القمر) (خ/١٨٢).
* من قوله عليه السّلام (ثمّ زيّنها بزينة الكواكب) إلى قوله عليه السّلام (ورقيم مائر) (خ/١).
* سُئِلَ (ع) عن المسافة بين المشرق والمغرب، فقال: مسيرة يوم للشّمس (ح/٢٩٤).
* من قوله عليه السّلام (وأقام رصداً من الشّهب الثّواقب) إلى قوله عليه السّلام (ونحوسها وسعودها) (خ/٩١).
* من قوله عليه السّلام (فانظر إلى الشمس والقمر) إلى قوله (والنّهار) (خ/١٨٥).
* من قوله عليه السّلام (والشّمس والقمر دائبان) إلى قوله (كلّ بعيد) (خ/٩٠).
* من قوله عليه السّلام (وجعل شمسها) إلى قوله (بمقاديرهما) (خ/٩١).
* من قوله عليه السّلام (في ليلٍ داج) إلى قوله (وإدبار نهار مدبر) (خ/١٦٣).

(٦٥) في خلق اليابسة وموارد المياه:

* من قوله عليه السّلام (كبس الأرض على الماء) إلى قوله عليه السّلام (علىٰ جوادّ طرقها) (خ/٩١).
* من قوله عليه السّلام (وأنشأ الأرض فأمسكها) إلى قوله عليه السّلام (ولا ضَعُفَ ما قوّاه) (خ/١٨٦).
* من قوله عليه السّلام (وأرسى أرضاً يحملها) إلى قوله عليه السّلام (وتمخضه الغمام الذّوارف) (خ/٢١١).
* من قوله عليه السّلام (وأنشأ السّحاب الثّقال) إلى قوله عليه السّلام (بعد جدو بها) (خ/١٨٥).

* من قوله عليه السّلام (فسبحان من لا يخفى عليه سواد) إلى قوله عليه السّلام (ومسحب الذّرّة ومجرّها) (خ/١٨٢).
* من قوله عليه السّلام (وكذلك السّماء) إلى قوله عليه السّلام (وطول هٰذه القِلال) (خ/١٨٥).
* من قوله عليه السّلام (الّذي لم يزل قائماً) إلى قوله عليه السّلام (ولا خلق ذو اعتماد) (خ/٩٠).
* من قوله عليه السّلام (انّها عُرِضت على السّمٰوات المبنيّة) إلى قوله عليه السّلام (وهو الأنسان « انّه كان ظلوماً جهولاً ») (خ/١٩٩).
* من قوله عليه السّلام (اللّهم ربّ السّقف المرفوع) إلى قوله عليه السّلام (وللخلق اعتماداً) (ك/١٧١).
* من قوله عليه السّلام (فمن فرّغ قلبه) إلى قوله (وفكره حائراً) (خ/١٦٠).

(٦٦) في خلق الملائكة :

* من قوله عليه السّلام (ثمّ خلق سبحانه لاسكان سمٰواته) إلى قوله عليه السّلام (وتزداد عزّة ربّهم في قلوبهم عِظَماً) (خ/٩١).
* من قوله عليه السّلام (من ملائكةٍ أسكنتهم سماواتك) إلى قوله عليه السّلام (ولم يطيعوك حقّ طاعتك) (خ/١٠٩).
* من قوله عليه السّلام (ثمّ فتق ما بين السّمٰوات العُلا) إلى قوله عليه السّلام (ولا يشيرون إليه بالنّظائر) (خ/١).
* من قوله عليه السّلام (بل إن كنتَ صادقاً) إلى قوله عليه السّلام (أحسنَ الخالقين) (خ/١٨٢).

(٦٧) في خلق الانسان ، وآدم(ع) :

* من قوله عليه السّلام (أم هٰذا الّذي أنشأه في ظلمات الأرحام) إلى قوله عليه السّلام (و بصراً لاحظاً) (خ/٨٣).

* من قوله عليه السّلام (جعل لكم أسماعاً) إلى قوله عليه السّلام (ومُدَدُ عُمْرِها) (خ/٨٣).
* من قوله عليه السّلام (أيّها المخلوق السويّ) إلى قوله عليه السّلام (مواضع طلبك وإرادتك) (خ/١٦٣).
* من قوله عليه السّلام (إنّما فرّق بينهم مبادىء طينهم) إلى قوله عليه السّلام (حديد الجنان) (خ/٢٣٤).
* من قوله عليه السّلام (اعجبوا لهذا الانسان) إلى قوله عليه السّلام (و يتنفّس من خَرْم) (ح/٨).
* من قوله عليه السّلام (ثمّ جمع سبحانه من حَزْن الأرض) إلى قوله عليه السّلام (والبلّة والجمود) (خ/١).
* من قوله عليه السّلام (فلمّا مهد أرضه) إلى قوله عليه السّلام (فيما نهاه عنه) (خ/٩١).
* من قوله عليه السّلام (ولو أراد الله) إلى قوله عليه السّلام (وأبعاداً للخُيَلاء منهم) (خ/١٩٢).

(٦٨) في خلق الحيوانات:

١ ــ الخفّاش:

* من قوله عليه السّلام (ومن لطائف صنعته) إلى قوله عليه السّلام (على غير مثالٍ خَلاَ من غيره) (خ/١٥٥).

٢ ــ الطاووس:

* من قوله عليه السّلام (ومن أعجبها خلقاً) إلى قوله عليه السّلام (وقعد بها عن تأدية نعته) (خ/١٦٥).

٣ ــ الطيور:

* من قوله عليه السّلام (ابتدعهم خلقاً عجيباً) إلى قوله عليه السّلام (قد طُوِّق بخلاف

ما صبغ به) (خ/١٦٥).

* من قوله عليه السّلام (فالطير مسخّرة لأمره) إلى قوله عليه السّلام (وكفل له برزقه) (خ/١٨٥).

٤ ــ الجرادة:

* من قوله عليه السّلام (وإن شئت قلت في الجرادة) إلى قوله عليه السّلام (وخَلْقُها كلّه لا يكون اصبعاً مستدقّة) (خ/١٨٥).

٥ ــ النّملة والذّبابة:

* من قوله عليه السّلام (ألا ينظرون إلى صغير ما خلق) إلى قوله عليه السّلام (في خلقه إلاّ سَواء) (خ/١٨٥).

* من قوله عليه السّلام (سبحان من أدمج) إلى قوله عليه السّلام (خلق الحيتان والفِيَلَة) (خ/١٦٥).

(٦٩) في إحكامِهِ سبحانه وتعالىٰ للأمور، وتقديرها وتدبيرها ودقّة توجيهها:

* قَدَّر ما خَلَقَ فأحكم تقديرَه، ودَبَّرَه فألْطَفَ تدبيره، ووَجَّهَهُ لوُجْهَتِهِ فلم يتعدّ حدود منزلته، ولم يَقْصُر دون الأنتهاء إلى غايتِهِ، ولم يَسْتَصْعِب إذ أُمِرَ بالمُضِيِّ علىٰ إرادته، فكيف وإنّما صَدَرَتِ الأمور عن مشيئتِهِ (خ/٩١).

* أحالَ الأشياء لأوقاتها، ولأم بين مختلفاتها، وغَرَّزَ غرائزَها وألزمها أشباحَها، عالماً بها قبل ابتدائها، محيطاً بحدودها وانتهائها، عارفاً بقرائنها وأحنائها (خ/١).

* ولا اعتوَرَتْهُ في تنفيذ الأمور وتدابير المخلوقين ملالة ولا فترة (خ/٩١).

* وجَعَلَ (سبحانه) لكلّ شيءٍ قَدْراً، ولكلّ قَدْرٍ أجلاً، ولكلّ أَجَلٍ كتاباً (خ/١٨١).

* فأقام من الأشياء أودها، ونهج حدودها، ولاءم بقدرته بين متضادّها، ووصل أسبابَ قرائنها، وفرّقها أجناساً مختلفاتٍ في الحدود والأقدار، والغرائز والهيئات، بدايا خلائق؛ أحكم صنعها، وفطرها على ما أراد وأبتدعها (خ/٨٩).

* بل ظهر للعقول بما أرانا من علامات التّدبير المتقَن والقضاء المبرم (خ/١٨٠) .
* دَبَّرَها (سبحانه) بلُطْفِه ، وأمسكها بأمره ، وأتقنها بقدرته (خ/١٨٦) .
* واعلموا عباد الله ، إنّه لم يخلقكم عبثاً ، ولم يرسلكم هملاً (خ/١٩٣) .
* الحمد لله ... الظّاهر بعجائب تدبيره للنّاظرين (خ/٢١٣) .
* وأرانا من ملكوت قدرته ، وعجائب ما نطقت به آثار حكمته ، واعتراف الحاجة من الخلق إلى أن يُقيمَها بمساك قوّته ، ما دلّنا باضطرار قيام الحجّة له على معرفته ، فظهرت البدائع الّتي أحْدَثَها آثار صنعته ، وأعلام حكمته ، فصار كلّ ما خلق حجّةً له ودليلاً عليه ؛ وإن كان خلقاً صامتاً ، فحجّته بالتّدبير ناطقة ، ودلالته على المبدع قائمة (خ/٩١) .

(٧٠) في حدوث العالم وابتداعه ، وأنّه سبحانه خلق الخلق لا من مادّة ولا شيء ، ومن غير حاجةٍ به إليهم ، ولا استعانة بغيره ، ولا غرض في خلقهم يعود إليه :

* أنشأ الخلق إنشاءً ، وابتدأه ابتداءً ، بلا رويّةٍ أجالَها ، ولا تجربةٍ استفادَها ، ولا حركةٍ أحْدَثَها ، ولا همامة نفسٍ اضطرب فيها (خ/١) .
* لم يلحقه في ذلك كلفة ... ولا اعترضته في حفظ ما ابتدَعَ من خلقه عارضة (خ/٩١) .
* لم يتكاءده صنع شيء منها إذ صنعه ، ولم يؤده منها خلق ما خلقه و برأه ، ولم يكوّنها لتشديد سلطان ، ولا لخوفٍ من زوالٍ ونقصان ، ولا للاستعانة بها على ندٍّ مُكاثِر ، ولا للاحتراز بها من ضدٍّ مُثاوِر ، ولا للازدياد بها في ملكه ، ولا لمكاثرة شريكٍ في شِرْكِه ، ولا لوحشةٍ كانت منه فأراد أن يستأنس إليها (خ/١٨٦) .
* خَلَقَ الخلق من غير رويّه ، إذ كانت الرّويّات لا تليق إلاّ بذوي الضّمائر ، وليس بذي ضميرٍ في نفسه (خ/١٠٦) .
* لم تخلق الخلق لوحشة ، ولا استعملتهم لمنفعة (خ/١٠٩) .
* خَلَقَ (سبحانه) الخلائق على غير مثالٍ خَلاَ من غيره ، ولم يَسْتَعِن على خلقها بأحدٍ من خلقه (خ/١٨٠) .
* لم يخلق الأشياء من أصولٍ أزليّة ، ولا من أوائل أبديّة ، بل خَلَقَ ما خلق فأقام حدّه ، وصوّر ما صوّر فأحسن صورته ، ليس لشيءٍ منه امتناع ، ولا له بطاعة شيءٍ انتفاع (خ/١٦٣) .

* خَلَقَ (سبحانه) الخلق على غير تمثيل، ولا مشورة مشير، ولا معونة معين، فتمّ خلقه بأمره (خ/١٥٣).

* الّذي ابتدع الخلق على غير مثالٍ امتثله، ولا مقدارٍ احتذَى عليه، من خالقٍ معبودٍ كان قبله (خ/٩١).

* فسبحان الباريء لكلّ شيءٍ، علىٰ غير مثالٍ خَلاَ من غيره (خ/١٥٣).

* فاعِلٌ لا باضطراب آلة، مقدِّرٌ لا بجَوْل فكرة، غنيٌّ لا باستفادة (خ/١٨٦).

* خَلَقَ الخلق حين خَلَقَهُم؛ غنياً عن طاعتهم، آمناً من معصيتهم، لأنّه لا تضرّه معصية مَن عصاه، ولا تنفعه طاعة من أطاعه (خ/١٩٣).

* لم يخلق ما خَلَقَهُ لتشديد سلطان، ولا تخوّف من عواقب زمان، ولا استعانة على ندٍّ مشاوِر، ولا شريكٍ مُكاثِر، ولا ضدٍّ مُنافِر (خ/٦٣).

* مبتدِع الخلائق بعلمه، ومنشئهم بحكمِهِ، بلا اقتداءٍ ولا تعليم، ولا احتذاء لمثالِ صانعٍ حكيم، ولا إصابة خطأ، ولا مضرّة مَلأ (خ/١٨٩).

* الحمد لله المعروف من غير رؤية، والخالق من غير رؤيّة، الّذي لم يزل قائماً دائماً، إذ لا سماءٌ ذات ابراج، ولا حُجُبٌ ذات أرتاج، ولا ليلٌ داجٍ، ولا بحرٌ ساجٍ، ولا جبلٌ ذو فِجاج، ولا فجٌّ ذو اعوجاج، ولا أرضٌ ذات مهاد، ولا خلقٌ ذو اعتماد: ذٰلك مبتدعُ الخلق ووارثه، وإلهُ الخلق ورازِقُه (خ/٩٠).

* لم يؤده خلق ما ابتدأ، ولا تدبير ما ذرأ، ولا وقف به عجزٌ عمّا خَلَق (خ/٦٣).

* المنشيء أصناف الأشياء بلا رويّه فكرٍ آل إليها، ولا قريحة غريزةٍ أضمر عليها، ولا تجربة أفادها من حوادث الدّهور، ولا شريك أعانه على ابتداع عجائب الأمور، فتمّ خلقه بأمره، وأذعن لطاعته، وأجاب إلىٰ دعوته، لم يعترض دونه ريث المبطيء، ولا أناة المتلكّيء (خ/٨٩).

* لم يذرأ الخلق باحتيال، ولا استعان بهم لكلال (خ/١٩٥).

(٧١) في صفاته الذّاتيّة، وأنّها عين ذاته، وأنّها لا زائدة ولا مغايِرَة:

* وكمال توحيده الاخلاص له، وكمال الاخلاص له نفي الصّفات عنه، لشهادة كلّ

صفة انّها غير الموصوف ، وشهادة كلّ موصوف أنّه غير الصّفة ، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ، ومن قرنه فقد ثنّاه ، ومن ثنّاه فقد جزّأه ، ومن جزّأه فقد جهله ، ومن جهله فقد أشار إليه ، ومن أشار إليه فقد حدّه ، ومن حدّه فقد عدّه (خ/١).

* الخالق لا بمعنى حركةٍ ونَصَب ، والسّميع لا بأداة ، والبصير لا بتفريق آلة ، والشّاهد لا بمماسّة ، والبائن لا بتراخي مسافة ، والظّاهر لا برؤية ، والباطن لا بلطافة ... من وصفه فقد حدّه ، ومن حدّه فقد عدّه ، ومن عدّه فقد أبطل أزله ، ومن قال « كيف » فقد استوصفه ... عالمٌ إذ لا معلوم ، وربٌّ إذ لا مربوب ، وقادر إذ لا مقدور (خ/١٥٢).

* يقول لمن أراد كونه « كن ، فيكون » لا بصوتٍ يُقْرَع ، ولا بنداء يُسْمَع ، وإنّما كلامه سبحانه فعلٌ منه أنشأه ومثّله ، لم يكن من قبل ذلك كائناً ، ولو كان قديماً لكان إلٰهاً ثانياً (خ/١٨٦).

* كلّ معروفٍ بنفسه مصنوع ، وكلّ قائمٍ في سواه معلول ، فاعلٌ لا باضطراب آلة ، مقدّرٌ لا بجول فكرة ، غنيّ لا باستفادة ... ولا ترفده الأدوات (خ/١٨٦).

* ولا يرهقه ليل ، ولا يجري عليه نهار. ليس ادراكه بالإبصار ، ولا علمه بالإخبار (خ/٢١٣).

* فاعلٌ لا بمعنىٰ الحركات والآلة ، بصيرٌ إذ لا منظور إليه من خلقه ، متوحّدٌ إذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده (خ/١).

* كائن لا عن حدث ، موجود لا عن عدم ، مع كلّ شيء لا بمقارنة ، وغير كلّ شيء لا بمزايلة (خ/١).

* العالم بلا اكتساب ولا ازدياد ، ولا علم مستفاد ، المقدّر لجميع الأمور بلا رويّة ولا ضمير. الّذي لا تغشاه الظُّلَم ، ولا يستضيء بالأنوار (خ/٢١٣).

* كلّ مُسمّى بالوحدة غيره قليل ، وكلّ عزيزٍ غيره ذليل ، وكلّ قويٍّ غيره ضعيف ، وكلّ مالكٍ غيره مملوك ، وكلّ عالمٍ غيره متعلّم ، وكلّ قادرٍ غيره يقدر و يعجز ، وكلّ سميعٍ غيره يصمّ عن لطيف الأصوات ، و يصمّه كبيرها ، و يذهب عنه ما بَعُدَ منها ، وكلّ بصيرٍ غيره يعمى عن خفيّ الألوان ولطيف الأجسام ، وكلّ ظاهرٍ غيره باطن ، وكلّ باطنٍ غيره غير ظاهر (خ/٦٣).

* فلسنا نعلم كنه عظمتك ، إلاّ أنّا نعلم أنّك حيٌّ قيّوم ، لا تأخذك سِنَةٌ ولا نوم (خ/١٥٨) .

* قريبٌ من الأشياء غير مُلامِس ، بعيد منها غير مباين . متكلّم لا برؤيّة ، مريدٌ لا بهمّة ، صانعٌ لا بجارحة . لطيفٌ لا يوصَفُ بالخفاء ، كبيرٌ لا يوصَفُ بالجفاء ، بصيرٌ لا يوصف بالحاسّة ، رحيمٌ لا يوصَفُ بالرّقّة (خ/١٧٩) .

* يقول ولا يلفظ ، ويحفظ ولا يتحفّظ ، و يريد ولا يضمر . يحبّ و يرضى من غير رقّة ، و يبغض و يغضب من غير مَشَقّة (خ/١٨٦) .

* ليس لصفته حدّ محدود ، ولا نعت موجود ، ولا وقت معدود ، ولا أجل ممدود (خ/١) .

* لا يُقال كان بعد أن لم يكن ، فتجري عليه الصّفات المُحْدَثات . ولا يكون بينها و بينه فصل ، ولا له عليها فضل . فيستوي الصّانع والمصنوع ، و يتكافأ المبتدَع والبديع (خ/١٨٢) .

(٧٢) في انّه تعالى لا تتغيّر له ذات ولا صفة ذاتية :

* لا يشغله شأن ، ولا يغيّره زمان (خ/١٧٨) .

* لا يشغله سائل ، ولا ينقصه نائل (خ/١٨٠) .

* الحمد لله الّذي لا يَفِرُه المنع والجمود ، ولا يكديه الإعطاء والجود ، إذ كلّ مُعْطٍ منتقصٌ سواه ، وكلّ مانعٍ مذمومٌ ما خلاه (خ/٩١) .

* ولا يتغيّر بحالٍ ، ولا يتبدّل في الأحوال ، ولا تبليه اللّيالي والأ يّام ، ولا يغيّره الضّياء والظّلام (خ/١٨٦) .

* ما اختلف عليه دهرٌ فيختلف منه الحال ، ولا كان في مكانٍ فيجوز عليه الإنتقال . . . ولو وهب ما تنفّست عنه معادن الجبال ، وضحكت عنه أصداف البحار : من فلزّ اللُّجَين والعِقيان ، ونُثارَة الدُّرّ وحصيد المرجان ، ما أثّر ذلك في جوده ، ولا أنفذ سعة ما عنده ، ولكان عنده من ذخائر الإنعام مالا تُنفدُهُ مطالبُ الأنام (خ/٩١) .

* ولا يزول أبداً (خ/٢٧٣) .

* ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان (خ/١٨٢) .

* ولا يوصَف ... بعَرَضٍ من الأعراض (خ/١٨٦) .

* لا يشلمه العطاء ، ولا ينقصه الحباء ، ولا يستنفده سائل ، ولا يستقصيه نائل ... ولا يجنّه البطون عن الظّهور ، ولا يقطعه الظّهور عن البطون (خ/١٩٥) .

* ولا يخلق بعلاج (خ/١٨٢) .

* ولا يجري عليه السّكون والحركة ، وكيف يجري عليه ما هو أجراه ، و يعود فيه ما هو أبداه ، ويحدث فيه ما هو أحدثه ؟ إذاً لَتَفَاوَتَتْ ذاتُه ، وَلَتَجَزَّأ كُنْهُهُ ، ولأمْتَنَعَ من الأزَل معناه ، ولكان له وراء إذ وُجِدَ له أمام ، ولألْتَمَسَ التّمام إذ لزمه النّقصان ، وإذاً لَقَامَتْ آية المصنوع فيه ، ولتحوّل دليلاً بعد أن كان مدلولاً عليه ، وخرج بسلطان الإمتناع من أن يؤثّر فيه ما يؤثّر في غيره (خ/١٨٣) .

(٧٣) لاشريك له تعالى ، ولا تعدّد :

* واعلم يابنيّ : أنه لو كان لربّك شريك لأ تتك رسله ، ولرأيت آثار ملكهِ وسلطانهِ ، ولعرفت أفعالَه وصفاتهِ ، ولكنّه إلهٌ واحد كما وصف نفسه ، لا يُضادُّه في ملكه أحد (ر/٣١) .

* ولا كفّ له فيكافئه ، ولا نظير له فيساو يه (خ/١٨٦) .

* ولا يحسب بعدّ (خ/١٨٦) .

* الأحد بل تأو يل عدد (خ/١٥٢) .

* كلّ مسمّى بالوحدة غيره قليل (خ/٦٥) .

(٧٤) لا يشبه تعالى شيئاً من خلقه ، ولا يشبهه شيء :

* ولا نعت موجود (خ/١) .

* ولا كفّ له فيكافئه ، ولا نظير له فيساو يه (خ/١٨٦) .

* لم تبلغه العقول بتشبيه فيكون مشبَّهاً ، ولم تقع عليه الأ وهام بتقدير فيكون ممثّلاً (خ/١٥٦) .

* الحمد لله العليّ عن شبه المخلوقين .

* فأشهد أنّ من شبّهك بتباين أعضاء خلقك ، وتلاحم حقاق مفاصلهم المحتجِبة لتدبير

حكمتك، لم يعقد غيب ضميره على معرفتك، ولم يباشر قلبه اليقين بأنه لا نِدّ لك، وكأنه لم يسمع تبرؤ التابعين من المتبوعين إذ يقولون: «تالله إن كنّا لفي ضلالٍ مبين، إذ نسوّيكم بربّ العالمين» ... وأشهد أنّ من ساواك بشيءٍ من خلقك فقد عدل بك، والعادل بك كافر بما تنزّلت به محكمات آياتك، ونطقت عنه شواهد حجج بيّناتك (خ/٩١).

* ولا يقاس بالناس (خ/١٨٢).
* ولا إيّاه عنى من شبّهه (خ/١٨٦).
* (الملائكة) ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ... ولا يشيرون إليه بالنّظائر (خ/١).
* الحمد لله الدّال على وجوده بخلقه، و بمُحْدَث خلقه على أزليّته، و باشتباههم على أن لا شبه له. لا تستلمه المشاعر، ولا تحجبه السّواتر؛ لافتراق الصّانع والمصنوع، والحادّ والمحدود، والرّبّ والمربوب (خ/١٥٢).

(٧٥) أنّه تعالىٰ لا يوصف بجسمٍ ولا صورة:

* ليس بذي كِبَرٍ امتدّت به النّهايات فكبرته تجسيماً، ولا بذي عِظَمٍ تناهت به الغايات فعظّمته تجسيداً (خ/١٨٥).
* لا يُشمَلُ بحدّ ... وإنّما تحدّ الأدوات أنفسها (خ/١٨٦).
* تعالىٰ عمّا ينحله المحدّدون من صفات الأقدار، ونهايات الأقطار، وتأثّل المساكن، وتمكّن الأماكن، فالحدّ لخلقه مضروب، وإلىٰ غيره منسوب (خ/١٦٣).
* ولا يُقال: له حدّ ونهاية (خ/١٨٦).
* (الملائكة) لا يتوهّمون ربّهم بالتّصوير (خ/١).

(٧٦) أنّه تعالىٰ ليس بمركّب ولا له جزء:

* ولا تناله التجزئة والتّبعيض (خ/٨٥).
* كذب العادلون بك، إذ شبّهوك بأصنامهم، ونحلوك حِليَة المخلوقين بأوهامهم، وجزّؤوك تجزئة المجسّمات بخواطرهم، وقدّروك على الخِلقة المختلفة القوى بقرائح عقولهم (خ/٩١).

* ولا يوصف بشيء من الأجزاء ... ولا بالغيريّة والأ بعاض (خ/١٨٦).

(٧٧) أنّه تعالىٰ لا ولد له ولا صاحبة ولا ضدّ ولا ندّ :

* لم يولد سبحانه فيكون في العزّ مشارَكاً ، ولم يلد فيكون موروثاً هالكاً (خ/١٨٢).

* لم يلد فيكون مولوداً ، ولم يولد فيصير محدوداً . جلّ عن اتّخاذ الأ بناء ، وطهر عن ملامسة النساء (خ/١٨٦).

* وبمضادّته بين الأمور عُرِف أن لا ضدّ له (خ/١٨٦).

* ولا يوصَف بالأ زواج (خ/١٨٢).

(٧٨) أنّه تعالىٰ لا يوصَفُ بوجهٍ ولا يدٍ ولا شيءٍ من الجوارح :

* ولا يوصَفُ بشيءٍ من الأجزاء ، ولا بالجوارح والأعضاء (خ/١٨٣).

* ولا ينَظرُ بعين (خ/١٨٢).

* يخبر لا بلسانٍ ولَهوات ، و يسمع لا بخروق وأدوات ، يقول ولا يلفظ ، ويحفظ ولا يتحفّظ (خ/١٨٦).

* الّذي كلّم موسى (ع) تكليماً ، وأراه من آياته عظيماً ؛ بلا جوارح ولا أدوات ، ولا نطقٍ ولا لهوات .

* صانعٌ لا بجارحة (خ/١٧٩).

* فاعلٌ لا باضطراب آلة (خ/١٨٦).

* لم يقرب من الأشياء بالتصاق ، ولم يبعد عنها بافتراق (خ/١٦٣).

(٧٩) لا يدركه شيء من الحواسّ :

* وامتنع علىٰ عين البصير، فلا عين من لم يره تُنكره ، ولا قلب من أثبته يُبصره (خ/٤٩).

* والرّادع أناسي الأ بصار عن أن تناله أو تدركه (خ/٩١).

* لم ترك العيون فتخبر عنك ، بل كنت قبل الواصفين من خلقك (خ/١٠٩).

• هو الله الحق المبين ، أحقّ وأبين مما ترى العيون (خ/١٥٥) .

• فتجلّى لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رآوه بما أراهم من قدرته ، وخوّفهم من سطوته ، وكيف مَحَقَ مَنْ مَحَقَ بالمَثُلات ، واحتَصَدَ من احتصد بالنَّقِمات .

• لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان (خ/١٧٩) .

• الحمد لله المتجلّي لخلقه تجلّته ، والظّاهر لقلوبهم بحجّته (خ/١٠٨) .

• عظم عن أن تثبت ربوبيّته بإحاطة قلبٍ أو بصر (وصيّته/٣١) .

• الظاهر بعجائب تدبيره للنّاظرين (خ/٢١٣) .

• ولا تدركه الحواسّ فتحسّه ، ولا تلمسه الأيدي فتمسّه (خ/١٨٤) .

• لا تستلمه المشاعر (خ/١٥٣) .

• لم ينتهِ إليك نظر ، ولم يدركك بصر (خ/١٦٠) .

• ولا يُدْرَك بالحواسّ (خ/١٨٢) .

• الحمد لله الّذي لا تدركه الشّواهد ... ولا تراه النّواظر (خ/١٨٥) .

(٨٠) في أنه تعالىٰ لا يُدرَك كنه ذاته وصفاته ، ولا يدركه خيال ولا يوصف بكيفية ولا آنية ولا حيثية :

أ ــ العجز الكامل :

• الّذي لا يدركه بعد الهمم ، ولا يناله غوص الفطن (خ/١) .

• لا تقع الأوهام له على صفة ، ولا تعقد القلوب منه على كيفيته ... ولا تحيط به الأبصار والقلوب (خ/٨٥) .

• الحمد لله الذي أظهر من آفاق سلطانه وجلال كبريائه ، ما حيّر مقل العقول من عجائب قدرته ، وردع خطرات هماهم النّفوس عن معرفة كنه صفته (خ/١٩٥) .

• لا تناله الأوهام فتقدّره ، ولا تتوهمه الفطن فتصوّره (خ/١٨٦) .

• فتبارك الله الّذي لا يبلغه بُعْدُ الهِمَم ، ولا يناله حدس الفطن (خ/٩٢) .

• ولا يصفه لسان (خ/١٧٨) .

• ما وحّده من كيّفه ، ولا حقيقته أصاب من مثّله ، ولا إيّاه عنىٰ من شبّهه ، ولا صمده

من أشار إليه وتوهّمه (خ/١٨٦).

* فلسنا نعلم كنه عظمتك، إلاّ أنّا نعلم أنّك: «حيّ قيوم، لا تأخذك سنة ولا نوم» (خ/١٦٠).

* لم تحط به الأوهام، بل تجلّى بها، وبها امتنع منها، وإليها حاكمها (خ/١٨٣).

* عظم عن أن تثبت ربوبيّته بإحاطة قلبٍ أو بصر (ر/٣١).

* فمن فرّغ قلبه، وأعمل فكره، ليعلم كيف أقمت عرشك، وكيف ذرأت خلقك، وكيف علّقت في الهواء سماواتك، وكيف مددت على مور الماء أرضك، رجع طرفهُ حسيراً، وعقله مبهوراً وسمعه والهاً، وفكره حائراً (خ/١٦٠).

* ولا يقال: له حدّ ونهاية، ولا انقطاع ولا غاية (خ/١٨٦).

* الحمد لله... الغالب لمقال الواصفين... والباطن بجلال عزّته عن فكر المتوهّمين (خ/٢١٣).

* هو القادر الذي إذا ارتمت الأوهام لتدرك منقطع قدرته، وحاول الفكر المبرأ من خطرات الوساوس أن يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته، وتولّهت القلوب إليه لتجري في كيفيّة صفاته، وغمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصفات لتناول ردعها وهي تجوب مهاوي سُدَف الغيوب، متخلّصةً إليه سبحانه، فرجعت إذ جُبهت معترفةً بأنّه لا يُنال بجور الإعتساف كنه معرفته، ولا تخطر ببال أولي الرويّات خاطرة من تقدير جلال عزّته (خ/٩١).

* لا يُدرَك بوهم، ولا يُقَدَّر بفهم... بل إن كنت صادقاً أيّها المتكلّف لوصف ربّك، فصف جبريل وميكائيل وجنود الملائكة المقرّبين في حجرات القدُس مرجحنّين، متولّهةً عقولهم أن يحدّوا أحسن الخالقين، فإنّما يدرَك بالصّفات ذوو الهيئات والأدوات، ومن ينقضي إذا بلغ أمد حدّه بالفناء. فلا إله إلاّ هو (خ/١٨٢).

* وإنّك أنت الله الّذي لم تتناه في العقول، فتكون في مهبّ فكرها مكيّفاً، ولا في رويّات خواطرها فتكون محدوداً مصرّفاً (خ/٩١).

* هيهات، إنّ من يعجز عن صفات ذي الهيئة والأدوات، فهو عن صفات خالقه أعجز (خ/١٦٣).

* كيف يصف إلٰهَهُ من يعجز عن صفة ملخوقٍ مثله (خ/١١٠).

* وقال عليه السّلام بعد أن وصف الطاووس:

فكيف تصل إلى صفة هذا عمائق الفطن، أو تبلغه قرائح العقول، أو تستنظم وصفه أقوال الواصفين، وأقل أجزائه قد أعجز الأوهام أن تدركه، والألسنة أن تصفه، فسبحان الذي بهر العقول عن وصفٍ جلاّه للعيون، فأدركته محدوداً مكوّناً، ومؤلّفاً ملوّناً، وأعجز الألسن عن تلخيص صفته، وقعد بها عن تأدية نعته (خ/١٦٥).

* الحمد لله الّذي انحسرت الأوصاف عن كنه معرفته، وردعت عظمته العقول، فلم تجد مساغاً إلى بلوغ غاية ملكوته (خ/١٥٣).

ب ـ نصيحة الأمام(ع) في هذا الباب:

* (أتاه رجل فقال له: ياأمير المؤمنين، صف لنا ربّنا مثلما نراه عياناً لنزداد له حباً و به معرفة ... فصعد المنبر وهو مغضب متغيّر اللّون ... وممّا قال): فانظر أيّها السائل، فما دلّك القرآن عليه من صفته فائتمّ به واستضيء بنور هدايته، وما كلّفك الشيطان علمه ممّا ليس في الكتاب عليك فرضه، ولا في سنّة النبي صلّى الله عليه وآله وأئمة الهدىٰ أثرُه، فكِلْ علمه إلى الله سبحانه، فإنّ ذلك منتهىٰ حقّ الله عليك، واعلم أنّ الرّاسخين في العلم هم الّذين أغناهم عن اقتحام السُّدَد المضروبة دون الغيوب، الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فمدح الله تعالىٰ اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً، وسمّى تركهم التعمّق فيما لم يكلّفهم البحث عن كنهه رسوخاً، فاقتصر على ذلك، ولا تقدّر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين (خ/٩١).

(٨١) أنّه تعالىٰ أزليّ أبديّ سرمديّ لا أوّل لوجوده ولا آخر:

* الحمد لله الأوّل قبل كلّ أول، والآخر بعد كلّ آخر، و بأوّليته وجب أن لا أوّل له، و بآخريّته وجب أن لا آخر له (خ/١٠١).

* وأن الله سبحانه، يعود بعد فناء الدنيا وحده لا شيء معه، كما كان قبل ابتدائها، كذلك يكون بعد فنائها، بلا وقتٍ ولا مكان، ولا حين ولا زمان ... عُدِمَت عند ذلك الآجال والأوقات، وزالت السّنون والسّاعات (خ/١٨٦).

* ولم يتقدّمه وقت ولا زمان (خ/١٨٢).

* الحمد لله الّذي لم تسبق له حالٌ حالاً ، فيكون أوّلاً قبل أن يكون آخراً ، و يكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً (خ/٦٥).

* لا يُقال : كان بعد أن لم يكن ، فتجري عليه الصّفات المحدثات (خ/١٨٢).

* الدّالّ على قِدَمِه بحدوث خلقه (خ/١٨٥).

* لا تصحبه الأوقات ... سبق الأوقات كونُه ، والعدم وجوده ، والأبتداء أزله (خ/١٨٦).

* كائنٌ لا عن حدث ، موجود لا عن عدم (خ/١).

* مَنَعَتْها (منذ) القِدمَة ، وحَمَتْها (قد) الأزليّة (خ/١٨٦).

* الكائن قبل أن يكون كرسي أو عرش ، أو سماء أو أرض ، أو جانّ أو إنس (خ/١٨٢).

* الحمد لله ... الأوّل الّذي لم يكن له قبل فيكون شيء قبله ، والآخر الّذي ليس له بعدٌ فيكون شيء بعده (خ/٨٩).

* أنت الأبد فلا أمد لك ، وأنت المنتهى فلا محيص عنك ، وأنت الموعد فلا منجى منك إلاّ إليك (خ/١٠٩).

* الحمد لله الأوّل فلا شيء قبله ، والآخر فلا شيء بعده (خ/٩٤).

* ليس لأوّليّته ابتداء ، ولا لأزليّته انقضاء ، هو الأوّل ولم يزل ، والباقي بلا أجل ... لا يقال له (متى ؟) ولا يُضرَبُ له أمدٌ (بحتّى) ... قبل كلّ غاية ومدّة ، وكلّ إحصاء وعدّة (خ/١٦٣).

* الّذي لا يحول ولا يزول ، ولا يجوز عليه الأفول (خ/١٨٣).

* الحمد لله الكائن قبل أن يكون كرسي أو عرش ، أو سماء أو أرض ، أو جانّ أو إنس (خ/١٨٢).

* مستشهدٌ بحدوث الأشياء على أزليّته (خ/١٨٣).

* ولا يزول أبداً ، ولم يزل أوّل قبل الأشياء بلا أوّليّة ، وآخر بعد الأشياء بلا نهاية (خ/٢٧٣).

* دائمٌ لا بأمَد ، وقائمٌ لا بعَمَد (خ/١٨٣).

* وأشهد أن لا اله الاّ الله وحده لا شريك له : الأوّل لا شيء قبله ، والآخر لا غاية له (خ/٨٣) .

(٨٢) أنّه تعالىٰ لا مكان له ولا يحلّ في مكان :

* لم يَحْلُلْ في الأشياء فيُقال : هو كائن ، ولم ينأ عنها فيقال : هو منها بائن (ك/٦٥) .
* ومن قال : «أين» فقد حيّزه (خ/١٥٢) .
* ولا أنّ الأشياء تحويه فتُقلّه أو تهويه ، أو أنّ شيئاً يحملُه فيُميلَه أو يُعدّ له ، ليس في الأشياء بوالج ، ولا عنها بخارج (خ/١٨٦) .
* سبق في العلوّ فلا شيء أعلىٰ منه ، وقرب في الدنوّ فلا شيء أقرب منه ، فلا استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه ، ولا قربه ساواهم في المكان به (ك/٤٩) .
* (الملائكة) ولا يحدّونه بالأماكن (خ/١) .
* ومَن قال «فيم» فقد ضمّنه ، ومن قال «علام» فقد أخلى منه (خ/١) .
* والظّاهر فلا شيء فوقه ، والباطن فلا شيء دونه (خ/٩٦) .
* ولا يحويه مكان (خ/١٧٨) .
* ولا يُحَدُّ «بأين» (خ/١٨٢) .
* ولا تحويه المشاهد (خ/١٨٥) .

(٨٣) أنه بكل شيء عليم وعلى كلّ شيء قدير وأنّ جميع المعلومات والمقدورات بالنسبة إلى علمه وقدرته سبحانه سواء :

* قد علم السّرائر ، وخبر الضمائر ، له الأحاطة بكل شيء (خ/٨٦) .
* كلّ شيءٍ خاشعٌ له ، وكلّ شيءٍ قائمٌ به ... من تكلّم سمع نطقه ، ومن سكت علم سرّه ... ولا يسبقك من طلبت ولا يفلتك من أخذت ... كلّ سرٍّ عندك علانية ، وكلّ غيبٍ عندك شهادة ... فلا منجى منك إلاّ إليك . بيدك ناصية كلّ دابّة ، وإليك مصير كلّ نسمة . سبحانك ما أعظم شأنك ! سبحانك ما أعظم ما نرى من خلقك ! وما أصغر كلّ عظيمةٍ في جنب قدرتك ! (خ/١٠٩) .

* ونستغفره مما أحاط به علمه ، وأحصاه كتابه : علمٌ غير قاصر وكتاب غير مغادر .

* علمه بالأموات الماضين كعلمه بالأحياء الباقين ، علمه بما في السماوات العلىٰ كعلمه بما في الأرضين السفلى (خ/١٦٣) .

* أحال الأشياء لأوقاتها ، ولأم بين مختلفاتها ، وغرّز غرائزها ، وألزمها أشباحها ، عالماً بها قبل ابتدائها ، محيطاً بحدودها وانتهائها ، عارفاً بقرائنها وأحنائها (خ/١) .

* أدركتَ الأبصار ، وأحصيتَ الأعمال ، وأخذتَ بالنّواصي والأقدام . وما الّذي نرى من خلقك ، ونعجب له من قدرتك ، ونَصِفُه من عظيم سلطانك ، وما تغيَّبَ عنا منه ، وقصرت أبصارنا عنه ، وانتهت عقولنا دونه ، وحالت ستور الغيوب بيننا و بينه أعظم (خ/١٦٠) .

* إنّ الله عنده علم السّاعة ، و ينزّل الغيث ، و يعلم ما في الأرحام ، « وما تدري نفسٌ ماذا تكسب غداً ، وما تدري نفسٌ بأيّ أرض تموت » (خ/١٢٨) .

* ولا يخفىٰ عليه من عباده شخوص لحظة ، ولا كرور لفظة ، ولا ازدلاف ربوة ، ولا انبساط خطوة في ليل داج ، ولا غَسَق ساج (خ/١٦٣) .

* فإنّ الله تعالى يسائلكم معشر عباده عن الصّغيرة من أعمالكم والكبيرة والظاهرة والمستورة (ر/٥٣) .

* ولا تحجبه السّواتر (خ/١٥٣) .

* فلا استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه (ك/٤٩) .

* فما قطعكم عنه حجاب ، ولا أغلق عنكم دونه باب ، وأنّه لبكلّ مكان ، وفي كلّ حينٍ وأوان ، ومع كل إنسٍ وجان (خ/٢١٣) .

* المأمول مع النّقم ، المرهوب مع النّعم (خ/٦٣) .

* عالم السّرّ من ضمائر المضمرين ، ونجوى المتخافتين ، وخواطر رجم الظّنون ، وعُقَدِ عزيمات اليقين ، ومسارق إيماض الجفون ، وما ضَمِنَتْهُ أكنانُ القلوب ، وغيابات الغيوب ، وما أصغت لأستراقِهِ مصائخ الأسماع ، ومصائف الذّرّ ، ومشاتي الهَوامّ ، ورَجْع الحَنين من المولَهات ، وهَمْسِ الأقدام ، ومُنْفَسَحِ الثّمرة من ولائج غُلُفِ الأكمام ، ومُنْقَمَعِ الوحوش من غيران الجبال وأوديتها ، ومُخْتَبَأ البعوض بين سُوقِ الأشجار وألحِيَتها ، ومَغْرِزِ الأوراق من

الأفنانِ ، ومَحَطّ الأمشاج من مسارب الأصلاب ، وناشئةِ الغيوم ومُتَلاحِمِها ، ودُرُورِ قَطْرِ السَّحاب في متراكِمِها ، وما تَسْفي الأعاصير بذيولِها ، وتعفو الأمطار بسيولها ، وعَوْم بنات الأرض في كُثبان الرِّمال ، ومستَقَرِّ ذوات الأجنحةِ بذُرى شناخيب الجبال ، وتغريد ذوات المنطِقِ في دياجير الأوكار ، وما أوعَبَتْهُ الأصداف ، وحَضَنَتْ عليه أمواج البحار ، وما غَشِيَتْهُ سُدْفَةُ لَيْلٍ ، أو ذَرَّ عليه شارِقُ نهار ، وما اعتقَبَتْ عليه أطباقُ الدّياجير ، وسُبُحاتُ النّور ؛ وأثَرِ كلّ خَطْوَةٍ ، وحِسّ كلّ حركة ، ورَجْعِ كلّ كلمة ، وتحريك كلّ شَفَةٍ ، ومستَقَرِّ كلّ نَسَمَةٍ ، ومثقال كلّ ذرّةٍ ، وهماهم كلّ نفسٍ هامَّةٍ ، وما عليها من ثَمَرِ شَجَرَةٍ أو ساقِطِ ورقة ؛ أو قرارة نُطْفَةٍ ، أو نقاعة دمٍ ومضغة ، أو ناشئة خلقٍ وسلالة ؛ لم يلحقه في ذلك كُلْفَة ... نَفَذَهم عِلْمُهُ ، وأحصاهم عَدَدُه ، وَوَسِعَهُمْ عدله ، وغَمَرَهم فضله ، مع تقصيرهم عن كنه ما هو أهله (خ/٩١) .

* خَرَقَ علمهُ باطنَ غيب السُّتُرات ، وأحاط بغموض عقائد السّريرات (خ/١٠٨) .

* الباطن لكلّ خفيّة ، والحاضر لكلّ سريرة ، العالم بما تكنّ الصّدور ، وتخون العيون (خ/١٣٢) .

* ولا يعزُبُ عنه عدد قَطْرِ الماء ولا نجوم السّماء ، ولا سوافي الرّيح في الهواء ، ولا دبيب النّمل على الصَّفا ، ولا مَقيل الذّرّ في اللّيلة الظّلماء ، يعلم مساقط الأوراق ، وخفيّ طَرْفِ الأحداق (خ/١٧٨) .

* وهو الله الّذي لا يعجزه من طلب ، ولا يفوته من هرب (خ/١٠٥) .

* ولئن أمهل الظّالم فلن يفوت أخذه ، وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه ، وبموضع الشّجى من مساق ريقه (خ/٩٧) .

* فسبحان من لا يخفى عليه سواد غَسَقٍ داجٍ ، ولا ليلٍ ساجٍ في بقاع الأرضين المتطأطئات ، ولا في يَفاع السُّفع المتجاورات ؛ وما يتجلجل به الرّعد في أُفُقِ السّماء ، وما تلاشَت عنه بروق الغمام ، وما تسقط من ورقةٍ تُزيلها عن مسقطها عواصفُ الأنواء ، وانهطال السّماء ! ويعلم مَسْقَطَ القطرة ومقرَّها ، ومسحَبَ الذّرة ومَجَرَّها ، وما يكفي البعوضة من قوتِها ، وما تحمل الأنثى في بطنها (خ/١٨٢) .

* وعَلِمَ ما يمضي وما مَضَى (خ/١٩١) .

* يعلم عجيج الوحوش في الفَلَوات ، ومعاصيَ العباد في الخَلَوات ، واختلافَ النّينان في البحار الغامِرات ، وتلاطُم الماء بالرّياح العاصفات (خ/١٩٨) .

* وأحاط (سبحانه) بكم الأحصاء ، وأرصد لكم الجزاء (خ/٨١) .

* وإذا ناجيته عَلِمَ نجواك (ر/٣١) .

* (وسُئِلَ عليه السّلام : كيف يحاسب الله الخلق علىٰ كثرتهم ؟) فقال : كما يرزقهم علىٰ كثرتهم . فقيل : (كيف يحاسبهم ولا يرونه ؟) فقال (ع) : كما يرزقهم ولا يرونه (ح/٣٠٠) .

* الحمد لله الّذي بَطَنَ خفيّات الأمور (ك/٤٩) .

* وأحْصَىٰ آثارهم وأعمالهم ، وعدد أنفسِهم ، وخائنة أعيُنِهم ، وما تُخْفي صدورُهُم من الضّمير ، ومستقرَّهم ومستودَعَهُم من الأرحام والظّهور ، إلىٰ أن تتناهَى بهم الغايات (خ/٩٠) .

* اللّهم ... تشاهدهم في سرائرهم ، وتَطَّلِع عليهم في ضمائرهم ، وتعلم مبلغ بصائرهم ، فأسرارهم لك مكشوفة ، وقلوبهم إليك ملهوفة (دعاء/٢٢٧) .

* ... اللّهم أنت الصّاحب في السَّفَر ، وأنتَ الخليفة في الأهل ، ولا يجمعهما غيرك ؛ لأنّ المستخلَف لا يكون مستصحَباً ، والمُسْتَصْحَب لا يكون مستَخْلَفاً (ك/٤٦) .

* هو الّذي اشتدّت نقمته على أعدائه في سعة رحمته ، واتّسعت رحمته لأوليائه في شدّة نقمته (خ/٩٠) .

* هو الظّاهر عليها بسلطانه وعظمته ، وهو الباطن لها بعلمه ومعرفته ، والعالي علىٰ كلّ شيء منها بجلاله وعزّته . لا يعجزه شيء منها طلبه ، ولا يمتنع عليه فيغلبه . ولا يفوته السّريع منها فيسبقه ، ولا يحتاج إلى ذي مالٍ فيرزقه . خضعت الأشياء له ، وذلّت مستكينةً لعظمته ، لا تستطيع الهرب من سلطانه إلى غيره ، فتمتنع من نفعه وضرّه (خ/١٨٦) .

---

(١) لم نكتب العبارات مفصّلة في هذا الفصل ، واكتفينا بالاشارة إليها وتحديدها ، وذلك للاختصار ، ولاعتقادنا بسهولة مراجعتها .

الفصل الثّاني

« مباحث العدل الإلٰهيّ »

(٨٤) معنى العدل الألٰهي والهدف من البحث فيه :

* العدل ألّا تتّهمه (ح/٤٧٠) .

(٨٥) في أنّ حكمه تعالى العدل ، ومن لا يشمله عدله يغمره بفضله ورحمته :

* وارتفع عن ظلم عباده ، وقام بالقسط في خلقه ، وعَدَلَ عليهم في حكمه (خ/١٨٥) .
* إنّ الله قد أعاذكم من أن يجور عليكم (خ/١٠٣) .
* وعدل في كل ما قضىٰ (خ/١٩١) .
* يقضي بعلم ، و يعفو بحلم (خ/١٦٠)
* ووسعهم عدله وغمرهم فضله (خ/٩١) .
* اللّهم اقسم له مقسماً من عدلك (خ/١٠٦) .
* اللّهم احملني علىٰ عفوك ، ولا تحملني على عدلك (دعاء/٢٢٧) .
* وأشهد أنّه عدلٌ عَدَل وحَكَمٌ فَصَل (خ/٢١٤) .
* ولا يشغله غضبٌ عن رحمة ولا تولهه رحمة عن عقاب (خ/١) .
* الحمد لله غير مقنوطٍ من رحمته ولا مخلوٍّ من نعمته (خ/٢) .
* الذي لا تبرح منه رحمة ولا تفقَد له نعمة (خ/٢) .
* ووسعهم عدله ، وغمرهم فضله مع تقصيرهم عن كنه ما هو أهله (خ/١٠٨) .
* هو الذي اشتدّت نقمته على أعدائه في سعة رحمته ، واتّسعت رحمته لأ وليائه في شدّة نقمته (خ/٩٠) .

* وكن لله مطيعاً ، و بذكره آنِساً ، وتمثّل في حال تولّيك عنه إقباله عليك ، يدعوك إلى عفوه ، و يتغمّدك بفضله ، وأنت متوَلٍ عنه إلى غيره ... فلم يمنعك فضله ، ولم يهتك عنك ستره ، بل لم تخل من لطفه مطرف عين من نعمةٍ يحدثها لك ، أو سيّئةٍ يسترها عليك ، أو بليّةٍ يصرفها عنك (ك/٢٢٣) .

(٨٦) في انّه تعالىٰ لا يصدر عنه العبث ، ولا يأمر بالقبيح ، وأنّ حكمه في أهل السماء والأرض واحد :

* ما خُلِقَ امرؤٌ عَبَثاً فيلهو، ولا تُرِكَ سُدىً فيلغو(ح/٣٧٠) .

* واعلموا عباد الله ، أنّه لم يخلقكم عبثاً ولم يرسلكم هملاً (خ/١٩٥) .

* ولم يُرسل الأنبياء لعباً ، ولم ينزّل الكتاب للعباد عبثاً ، ولا خَلَقَ السّمٰوات والأرض وما بينهما باطلاً : « ذٰلك ظنّ الّذين كَفَرُوا ، فويلٌ للّذين كَفَرُوا من النّار » (ح/٧٨) .

* فإنّه لم يأمرك إلاّ بحَسَن ، ولم ينهك إلاّ عن قبيح (ر/٣١) .

* إنّ حكمه في أهل السّماء والأرض لواحد (خ/١٩٢) .

* واعلموا أنّه لن يرضى عنكم بشيءٍ سخطه علىٰ من كان قبلكم ، ولن يسخط عليكم بشيءٍ رضيه ممّن كان قبلكم (خ/١٨٣) .

* ما كان الله سبحانه ليُدْخِلَ الجنّة بشراً بأمرٍ أخرج به منها مَلَكاً (خ/١٩٢) .

(٨٧) في انّه تعالىٰ لم يجبر عباده علىٰ أفعالهم ، وأنّ المكلّف مختار وله إرادة :

* (من كلامٍ له(ع) لما سأله الشّاميّ : أكان مسيرنا إلىٰ الشّام بقضاء من الله وقدر؟) وَيْحَك ! لعلّك ظننتَ قضاءً لازماً ، وقدراً حاتماً ، ولو كان كذلك لبطل الثّواب والعقاب ، وسقط الوعد والوعيد ، وانّ الله سبحانه أَمَرَ عباده تخييراً ، ونهاهم تحذيراً ، وكلّف يسيراً ولم يكلّف عسيراً ، وأعطى على القليل كثيراً . ولم يُعْصَ مغلوباً ، ولم يُطَع مُكْرَهاً ... « ذٰلك ظنّ الّذين كفروا ، فويلٌ للّذين كفروا من النّار » (ح/٧٨) .

* (وسُئِلَ عن القدر فقال(ع)) : طريق مظلم فلا تسلكوه ، و بحرٌ عميق فلا تَلِجوه ، وسر الله فلا تتكلّفوه (ح/٢٨٧) .

* يغلب المقدار على التقدير حتّى تكون الآفة في التدبير (ح/٤٥٩).

(٨٨) في أنّه تعالىٰ لا يكلّف عباده بشيءٍ قبل أن يرشدهم ويحذّرهم ، ولا يكلّفهم بما هو فوق طاقتهم ، ولا يمنعهم صلاحاً ولا نفعاً ، ولا يترك ما يقرّبهم من طاعته :

* لم يُخْفِ عنكم شيئاً من دينه ، ولم يترك شيئاً رضيه أو كرهه إلاّ وجعل له علماً بادياً ، وآية محكمة ، تزجر عنه أو تدعو إليه (خ/١٨٣).

* فقد أعذر الله إليكم بحجّةٍ مسفرةٍ ظاهرة ، وكتبٍ بارزةٍ في العذر واضحة (ك/٨١).

* فالقرآن آمرٌ زاجرٌ، وصامت ناطق ، حجّة الله على خلقه (خ/١٨٣).

* وأشهد أنّ محمّداً (ص) عبده ورسوله ، أرسله لإنفاذ أمره ، وإنهاء عذره ، وتقديم نُذُرِه (خ/٨٣).

* وبَعَثَ إلىٰ الجنّ والإنسِ رُسُلَه ليكشفوا لهم عن غطائها وليحذروهم من ضرّائها ، وليضربوا لهم أمثالها ، وليبصّروهم عيوبها ، وليهجموا عليهم بمعتبرٍ من تصرّف مصاحّها وأسقامها وحلالها وحرامها ، وما أعدّ الله للمطيعين منهم والعصاة من جنّةٍ ونار ، وكرامةٍ وهوان (خ/١٨٢).

* ولكن من واجب حقوق الله على عباده النّصيحة بمبلغ جهدهم (خ/١٢٦).

* ثمّ منحه قلباً حافظاً ، ولساناً لافظاً ، و بصراً لاحظاً ، ليفهم معتبراً ، و يقصّر مزدجراً (خ/٨٣).

* محمّلَ كلّ امرىءٍ منكم مجهوده ، وخُفَّفَ عن الجهلة ، ربٌّ رحيم (خ/١٤٩).

* نحمده علىٰ ما وَفَّقَ له من الطّاعة ، وذاد عنه من المعصية (خ/١٩٤).

* وكلّف يسيراً ، ولم يكلّف عسيراً (ح/٧٨).

* وقال (ع) لمّا سُئِلَ عن معنى قولهم « لا حول ولا قوّة إلاّ بالله » : إنّا لا نملك إلاّ ما مَلَّكَنا . فمتى مَلَّكَنا ما هو أملك به منّا كَلَّفَنا ، ومتى ما أَخَذَه منّا وضع تكليفه عنّا (ح/٤٠٤).

(في خلق آدم (ع)) : ثم نفخ فيها من روحه ، فمثلت إنساناً ذا أذهانٍ يجيلها ... وَمَعْرِفَةٍ يَفْرَقُ بِها بين الحقّ والباطل (خ/١).

(٨٩) في انّه تعالى عرّف عباده طرق الخلاص من عقابه وابتلاءاته في الدّنيا :

* كان في الأرض أمانان من عذاب الله ، وقد رُفِعَ أحدُهما ، فدونكم الآخر فتمسّكوا به : أمّا الأمان الّذي رُفِعَ فهو رسول الله (ص) وأمّا الأمان الباقي فالاستغفار ، قال الله تعالىٰ : « وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم ، وما كان الله معذّبهم وهم يستغفرون » (ح/٨٨) .

* عجبت لمن يقنط ، ومعه الاستغفار (ر/٣١) .

* لا يقولنّ أحدكم : « اللّهم إنّي أعوذ بك من الفتنة » لأنّه ليس أحدٌ إلاّ وهو مشتمل على فتنة ، ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلاّت الفتن ، فإنّ الله سبحانه يقول : « واعلموا انّما أموالكم أولادكم فتنة » ومعنى ذلك : أنّه يختبرهم بالأموال والأولاد ليتبيّن الساخط لرزقه والراضي بقسمه (ح/٩٣) .

* ولو أنّ النّاس حين تنزل بهم النّقم وتزول عنهم النّعم ، فزعوا إلىٰ ربّهم بصدقٍ من نيّاتهم ، وولهٍ من قلوبهم ، لردّ عليهم كلّ شارد ، وأصلح لهم كل فاسد (خ/١٧٨) .

(٩٠) في أنّ الأرض لا تخلو من هداة أبداً :

* لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة ، إمّا ظاهراً مشهوراً ، وإمّا خائفاً مغموراً ، لئلاّ تبطل حجج الله و بيّناته (ك/١٤٧) .

* وما برح لله ــ عزّت آلاؤه ــ في البرهة بعد البرهة ، وفي أزمان الفترات ، عبادٌ ناجاهم في فكرهم ، وكلّمهم في ذات عقولهم ، فاستصبحوا بنور يقظةٍ في الأبصار والأسماع ، يذكّرون بأيّام الله ، ويخوّفون مقامه ، بمنزلة الأدلّة في الفلوات ، من أخذ القصد حمدوا إليه طريقه ، و بشّروه بالنجاة ، ومن أخذ يميناً وشمالاً ذمّوا إليه الطريق ، وحذّروه من الهلكة وكانوا كذلك مصابيح تلك الظّلمات ، وأدلّة تلك الشّبهات (ك/٢٢٢) .

(٩١) في أنّ عقابه تعالىٰ لعباده في الدنيا رحمة ولطف بهم ولمصلحتهم وهو بسبب ذنوب اقترفوها :

* ما كان قومٌ قطّ في غضّ نعمةٍ من عيش فزال عنهم إلاّ بذنوب اجترحوها ، لأنّ الله

ليس « بظَلاّمٍ للعبيد » (خ/٩١).

* ألا وإن الأرض الّتي تقلّكم والسّماء التي تظلّكم مطيعتان لربّكم ، وما أصبحتا تجودان لكم ببركتهما توجّعاً لكم ولا زلفةً إليكم ولا لخير ترجوانه منكم ، ولكن أُمِرتا بمنافعكم فأطاعتا وأُقيمتا علىٰ حدود مصالحكم فقامتا ، إنّ الله يبتلي عباده عند الأعمال السّيئة بنقص الثّمرات وحبس البركات وإغلاق خزائن الخيرات ، ليتوب تائب ، و يقلع مقلع ، و يتذكّر متذكّر ، و يزدجر مزدجر (خ/١٤٣).

* وليس شيء أدعىٰ إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامةٍ علىٰ ظلم ، فإنّ الله سميع دعوة المضطهدين ، وهو للظالمين بالمرصاد (ر/٥٣).

* إنّ لله عباداً يختصّهم بالنّعم لمنافع العباد ، فيقرّها في أيديهم ما بذلوها ، فإذا منعوها نزعها منهم ، ثمّ حوّلها إلى غيرهم (ح/٤٢٥).

* لا يترك النّاس شيئاً من أمر دينهم لاستصلاح دنياهم إلاّ فتح الله عليهم ما هو أضرّ منه (ح/١٠٦).

* أيّها النّاس ، إنما يجمع النّاس الرّضى والسّخط ، وإنّما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمّهم الله بالعذاب لما عمّوه بالرّضى ، فقال سبحانه : « فعقروها فأصبحوا نادمين » .

(٩٢) في عِلَل إبتلاء المكلّفين :

* أنّه (سبحانه) يختبرهم بالأموال والأولاد ليتبيّن السّاخط لرزقه ، والرّاضي بقِسْمه ، وإن كان سبحانه أعلم بهم من أنفسهم ، ولكن لتظهر الأفعال الّتي بها يَسْتَحِقّ الثّواب والعقاب (ح/٩٣).

* أما بعد فإنّ الله سبحانه قد جعل الدّنيا لما بعدها وابتلىٰ فيها أهلها ، ليعلم أيّهم أحسن عملا (ر/٥٥).

* وقدّر الأرزاق فكثّرها وقلّلها ، وقسّمها على الضّيق والسّعة ، فعدل فيها ليبتلي من أراد بميسورها ومعسورها وليختبر بذلك الشّكر والصّبر من غنيّها وفقيرها (خ/٩١).

* ولو أراد سبحانه أن يضع بيته الحرام ومشاعره العظام بين جنّات وأنهار وسهل وقرار ، جمّ الأشجار داني الثّمار ، ملتفّ البُنىٰ ، متّصل القرى ، بين بُرّةٍ سمراء وروضة خضراء

وأريـاف محدقـة وعـراصٍ مُغدِقة ورياضٍ ناضرة وطرق عامرة ، لكان قد صغر قدر الجزاء على حسب ضعف البلاء ..

ولو كان الأساس المحمول عليها والأحجار المرفوع بها ، بين زمرّدة خضراء و ياقوتةٍ حمراء ونـور وضيـاء ، لخفّـف ذلـك مصـارعة الشكّ في الصّدور ولوضع مجاهدة إبليس عن القلوب ولـنـفـىٰ مـعـتـلج الرّيب من الناس ، ولكنّ الله يختبر عباده بأنواع الشدائد و يتعبدّهم بأنواع المجَـاهـد ، و يـبـتـلـيـهـم بـضـروب المكاره ، إخراجاً للتكبّر من قلوبهم وإسكاناً للتذلّل في نفوسهم ، وليجعل ذلك أبواباً فُتُحاً إلى فضله وأسباباً ذُلُلاً لعفوه (خ/١٩٢) .

* ولـو أراد الله سبـحـانـه لأنـبـيـائـه حيث بعثهم ، أن يفتح لهم كنوز الذّهبان ومعادن العِقـيـان ومغارس الجنان ، وأن يحشر معهم طيور السّماء و وحوش الأ رضين لفعل ، ولوفعل لسـقـط الـبـلاء و بـطـل الجـزاء واضـمحلّت الأنباء ، ولما وجب للقابلين أجور المبتلين ، ولا استحقّ المؤمنون ثواب المحسنين (خ/١٩٢) .

* أيّـها النّاس ، إنّ الله قد أعاذكم من أن يجور عليكم ولم يعذكم من أن يبتليكم ، وقد قال جلّ من قائل : « إنّ في ذلك لآياتٍ وإن كنّا لمبتلين » (خ/١٠٣) .

* واعـلـمـوا أنّـه لـيـس لهـذا الجـلد الرّقيق صبرٌ علىٰ النّار ، فارحموا نفوسكم ، فإنّكم قد جرّبتموها في مصائب الدّنيا (ك/٢٣٥) .

* من أصبح على الدّنيا حزيناً ، فقد أصبح لقضاء الله ساخطاً ، ومن أصبح يشكو مصيبةً نزلت به فقد أصبح يشكو ربّه (ح/٢٢٨) .

* وإن ابتليتم فاصبروا ، فإنّ العاقبة للمتّقين (خ/٩٨) .

* من عظّم صغار المصائب ابتلاه الله بكبارها (ح/٤٤٨) .

* كلّما كانت البلوى والأختبار أعظم كانت المثوبة والجزاء أجزل (خ/١٩٢) .

* وقـال عـلـيـه السّلام يعزّي الأشعث بن قيس عن ابن له : ياأشعث إن تحزن على ابنك فـقـد اسـتـحقّت منك ذلك الرّحم ، وإن تصبر ففي الله من كلّ مصيبةٍ خلف ، يا أشعث إن صـبـرت جـرى عـلـيـك القَدرَ وأنت مأجور ، وإن جزعت جرى عليك القدر وأنت مأزور ، يا أشعث إبنك سَرّك ، وهو بلاء وفتنة ، وحزَنك وهو ثواب ورحمة (ح/٢٩١) .

* وفي مـعـرض حـديـثـه عـلـيـه الـسّلام عن خاصّة الأنبياء والأ ولياء قال : وكانوا قوماً

مستضعفين ، قد اختبرهم الله بالمخمصة ، وابتلاهم بالمجَهَدة ، وامتحنهم بالمخاوف ومخضهم بالمكاره (خ/١٩٢) .

* وتدبّروا أحوال الماضين من المؤمنين قبلكم ، كيف كانوا في حال التّمحيص والبلاء ، ألم يكونوا أثقل الخلائق أعباءً وأجهد العباد بلاءً ، وأضيق أهل الدّنيا حالاً ، إتّخذتهم الفراعنة عبيداً فساموهم سوء العذاب ، وجرّعوهم المرار ، فلم تبرح الحال بهم في ذلّ الهلكة وقهر الغلبة ، لا يجدون حيلةً في امتناع ، ولا سبيلاً إلى دفاع ، حتّى إذا رأى الله سبحانه جدّ الصبر منهم على الأذىٰ في محبّته ، والإحتمال للمكروه من خوفه ، جعل لهم من مضايق البلاء فرجاً ، فأبدلهم العزّ مكان الذّلّ ، والأمن مكان الخوف ، فصاروا ملوكاً حكّاماً ، وأئمةً أعلاماً ، وقد بلغت الكرامة من الله لهم ما لم تذهب الآمال إليه بهم (خ/٢٩٢) .

(٩٣) في أنّه تعالى يملي على العاصين والكافرين ليزدادوا إثماً :

* فلا يغرّنكم ما أصبح فيه أهل الغرور ، فإنّما هو ظلّ ممدود إلى أجل معدود (خ/٦٤) .

* فلا تعتبروا الرّضى والسّخط بالمال والولد جهلاً بمواقع الفتنة والاختبار في موضع الغنى والاقتدار ، فقد قال سبحانه وتعالى : « أيحسبون أنّ ما نمدّهم به من مالٍ و بنين نسارع لهم في الخيرات ؟ بل لا يشعرون » فإنّ الله سبحانه يختبر عباده المستكبرين في أنفسهم بأوليائه المستضعفين في أنفسهم (خ/١٩٢) .

* وقدّر الأرزاق فكثّرها وقلّلها ، وقسّمها علىٰ الضّيق والسّعة ، فعدل فيها ليبتلي من أراد بميسورها ومعسورها ، وليختبر بذلك الشّكر من غنيّها وفقيرها (خ/٩١) .

* أيها النّاس ، ليراكم الله من النّعمة وجلين ، كما يراكم من النّقمة فَرِقين ، إنّه مَن وُسّعَ عليه في ذات يده فلم ير ذلك استدراجاً ، فقد أَمِنَ مخوفاً ، ومن ضُيّقَ عليه في ذات يده فلم ير ذلك اختباراً فقد ضيّع مأمولاً (ح/٣٥٨) .

* ولقد كان في رسول الله (ص) ما يدلّك علىٰ مساوىء الدّنيا وعيوبها ، إذ جاع فيها مع خاصّته ، وزُوِيَت عنه زخارفها مع عظيم زلفته ، فلينظر ناظرٌ بعقله ، أكرم الله محمداً بذلك أم أهانه ؟ فإن قال أهانَهُ فقد كذب — والله العظيم — ، وإن قال : أكرمه ،

فلّيعلم : أنّ الله قد أهان غيره حيث بسط الدّنيا له ، وزواها عن أقرب النّاس إليه (خ/١٦٠) .

* كم من مستدَرجٍ بالإحسان إليه ، ومغرورٍ بالسّتر عليه ، ومفتونٍ بحسن القول فيه ، وما ابتلى الله سبحانه أحداً بمثل الإملاء له (ح/٢٦٠) .

(٩٤) في انّ عقابه تعالى وثوابه يوم القيامة حق بمقتضى عدله ووعده :

* إذا رجفت الرّاجفة ، وحقّت بجلائلها القيامة ، ولحق بكل منسكٍ أهلُه ، و بكلّ معبودٍ عَبَدَتهُ ، و بكلّ مطاعٍ أهلُ طاعتِه ، فلم يَجُز في عدله وقسطه يومئذٍ خرقُ بصرٍ في الهواء ، ولا همس قدمٍ في الأرض إلّا بحقّه ، فكم حجّةٍ يوم ذاك داحضة ، وعلائق عذرٍ منقطعة (ك/٢٢٣) .

* فإنّ الله تعالىٰ يسائلكم معشر عباده عن الصّغيرة من أعمالكم والكبيرة ، والظاهرة والمستورة ، فإن يعذّب فأنتم أظلم ، وإن يعف فهو أكرم (ك/٢٢٣) .

* الّذين كانت أعمالهم في الدّنيا زاكية ، وأعينهم باكية ، وكان ليلهم في دنياهم نهاراً ، تخشّعاً واستغفاراً ، وكان نهارهم ليلاً ، توحّشاً وانقطاعاً ، فجعل الله لهم الجنّة مآباً والجزاء ثواباً ، وكانوا أحقّ بها وأهلها ، في ملك دائم ونعيم قائم (خ/١٩٠) .

* إنّ الله سبحانه وضع الثّواب على طاعته ، والعقاب على معصيته ، ذيادةً لعباده على نقمته ، وحياشةً لهم إلىٰ جنّته (ح/٣٦٨) .

* وإنّي سمعت رسول الله (ص) يقول : « يؤتىٰ يوم القيامة بالامام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر ، فيُلقى في نار جهنّم ، فيدور فيها كما تدور الرّحىٰ ، ثم يرتبط في قعرها » (ك/١٦٤) .

(٩٥) في أنّ تأجيل العقاب لطف منه تعالى بالمذنبين وفرصة لهم للأوبة والتوبة :

* ولم يمنعك إن أسأت من التّوبة ، ولم يعاجلك بالنّقمة ، ولم يعيّرك بالإنابة ، ولم يفضحك حيث الفضيحة بك أولىٰ ، ولم يشدد عليك في قبول الإنابة ، ولم يناقشك بالجريمة ، ولم يؤيسك من الرّحمة ، بل جعل نزوعك عن الذّنب حسنة ، وحسب سيئتك واحدة ، وحسب حسنتك عشراً ، وفتح لك باب المتاب ، و باب الإستعتاب (وصية/٣١) .

* ما أهمّني ذنبٌ أُمهِلْتُ بعدَه ، حتّىٰ أصَلي ركعتين وأسأل الله العافية (ح/٢٩٩) .
* قد أُمهِلوا في طلب المخرج (خ/٨٣) .

(٩٦) في أنّه تعالىٰ للظّالمين بالمرصاد ، ولا يفلت منه ظالم أبداً ، وأنّه يقتصّ منهم في الدّنيا قبل الآخرة :

* ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ، ومن خاصمه الله أدحض حجّته ، وكان لله حرباً حتّى ينزع أو يتوب ، وليس شيء أدعىٰ إلىٰ تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامةٍ على ظلم ، فإنّ الله سميع دعوة المضطهدين ، وهو للظالمين بالمرصاد (ر/٥٣) .
* فلا تقوينّ سلطانك بسفك دمٍ حرام ، فإنّ ذلك ممّا يُضعفه و يوهنُه ، بل يزيلُه و ينقلُه (ر/٥٣) .
* للظّالم البادي غداً يكفّه عضّة (ح/١٨٨) .
* يوم المظلوم على الظّالم أشدّ من يوم الظّالم على المظلوم (ح/٢٤١) .

الفصل الثّالث

« مباحث النبوّة »

(٩٧) في أنّ إرسالَهُ تعالى للرّسل حجّة على خلقه، ووجوب إرسال الرّسل عليه سبحانه إليهم:

* وجعلهم حجّة له علىٰ خلقه لئلّا تجب الحجّة لهم بترك الإعذار إليهم، فدعاهم بلسان الصّدق إلىٰ سبيل الحق (خ/١٤٤).

* ولم يُخلِ الله سبحانه خلقه من نبيّ مرسل أو كتابٍ منزَل أو حجّةٍ لازمة أو محجّة قائمة (خ/١).

* فبعث فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته و يذكّروهم منسي نعمته، ويحتجّوا عليهم بالتبليغ (خ/١).

* وفي حديثه عليه السّلام عن آدم (ع):

فأهبطه بعد التوبة، ليعمر أرضه بنسله، وليقيم الحجّة به على عباده، ولم يُخلِهم بعد أن قبضه مما يؤكّد عليهم حجّة ربوبيّته، و يصل بينهم و بين معرفته، بل تعاهدهم بالحجج علىٰ ألسن الخيَرَة من أنبيائه، ومتحمّلي ودائع رسالاته قرناً فقرناً (خ/٩١).

* وعن نبيّنا (ص) قال عليه السّلام:

ــ أرسله بوجوب الحجج وظهور الفَلَج وإيضاح المنهج (خ/١٨٥).

تمّت بنبيّنا محمد (ص) حجّتُه، و بلغ المقطَع عذرُه ونُذُرُه (خ/٩١).

ــ بلّغ عن ربّه معذراً (خ/١٠٩).

ــ أرسله بحجّةٍ كافية وموعظةٍ شافية ودعوة متلافية، أظهر به الشّرائع المجهولة، وقمع به البدع المدخولة، و بيّن به الأحكام المفصولة (خ/١٦١).

* وقبض نبيّه (ص) وقد فرغ إلى الخلق من أحكام الهدى به ، فعظّموا منه سبحانه ما عظّم من نفسه ، فإنّه لم يُخفِ عنكم شيئاً من دينه ، ولم يترك شيئاً رضيه أو كرهه إلاّ وجعل له علماً بادياً (خ/١٨٣) .

(٩٨) في انّ بعثة الرّسل لطفٌ منه سبحانه وتعالى :

* فانظروا إلى مواقع نعم الله عليهم ، حين بعث إليهم رسولاً ، فعقد بملّته طاعتهم ، وجمع على دعوته أُلْفتهم ؛ كيف نشرت النّعمة عليهم جناح كرامتها ، وأَسَالَتْ لهم جداول نعيمها (خ/١٩٢) .

* سبحانك خالقاً ومعبوداً ، بحسن بلائك عند خلقك ، خلقت داراً ، وجعلت فيها مأدبةً ، مشرباً ومطعماً وأزواجاً وخدماً وقصوراً وأنهاراً وزروعاً وأثماراً ، ثم أرسلت داعياً يدعو إليها (خ/١٠٨) .

(٩٩) في تواتر الرّسل والأنبياء :

* وواتر إليهم أنبياءه (خ/١) .

* كلّما مضى منهم سلف ، قام منهم بدين الله خلف (خ/٩٤) .

* من سابقٍ سُمّي له مَن بعده ، أو عابرٍ عرّفه مَن قبله ، علىٰ ذلك نسلت القرون ، ومضت الدهور ، وسلفت الآباء وخلفت الأبناء ، إلى أن بعث الله سبحانه محمّداً (ص) لأنجاز عِدَتِه وإتمام نبوّته ، مأخوذاً على النبيّين ميثاقه ، مشهورة سماته (خ/١) .

* أرسله بالدّين المشهور والعَلَم المأثور (خ/٢) .

عصمة الأنبياء وأنّهم خير النّاس أخلاقاً :

(١٠٠) أ ــ في طهارة أصلابهم :

* إختار آدم عليه السّلام خيرة من خلقه (خ/٩١) .

* فاستودعهم في أفضل مستودع ، وأقرّهم في خير مستقرّ ، تناسختهم كرائم الأصلاب إلىٰ مطهّرات الأرحام (خ/٩٤ :

* وعن نبيّنا محمد (ص) قال عليه السّلام :

* فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً ، وأعزّ الأرومات مغرساً ، من الشّجرة الّتي صدع منها أنبياءه ، وانتجب منها أمناءه (خ/٩٤) .

* إختاره من شجرة الأنبياء ، ومشكاة الضّياء ، وذؤابة العلياء ، وسُرّة البطحاء (خ/١٦١) .

* مستقرّة خير مستقر ، ومنبته أشرف منبت ، في معادن الكرامة ، ومماهد السّلامة (خ/٩٦) .

* أسرته خير أسرة ، وشجرته خير شجرة ، أغصانها معتدلة ، وثمارها متهدّلة ، مولده بمكّة ، وهجرته بطيبة ، كلّما نسخ الله الخلق فرقتين ، جعله في خيرهما ، لم يسهم فيه عاهر ، ولا ضرب فيه فاجر (خ/٢١٣) .

(١٠١) في زهدهم (ع) :

* يانوف ، طوبىٰ للزّاهدين في الدّنيا ، الرّاغبين في الآخرة ، أولئك قومٌ اتّخذوا الأرض بساطاً ، وترابها فراشاً ، وماءها طيباً ، والقرآن شعاراً ، والدّعاء دثاراً ، ثمّ قرضوا الدّنيا قرضاً على منهاج المسيح (ح/١٠٦) .

* وإن شئت ، قلت : في عيسى بن مريم عليه السّلام ، فلقد كان يتوسّد الحجر ، و يلبس الخَشِنْ ، و يأكل الجَشِب ، وكان إدامه الجوع ، وسراجه بالليل القمر ، ظلاله في الشّتاء مشارق الأرض ومغاربها ، وفاكهته وريحانه ما تنبت الأرض للبهائم ، ولم تكن له زوجة تفتنه ، ولا ولد يحزنه ولا مال يلفته ، ولا طمع يذلّه ، دابّته رجلاه ، وخادمه يداه (خ/١٦٠) .

* وإن شئت ثنّيت بموسى كليم الله (ع) حيث يقول : « ربّ إنّي لما أنزلت إليّ من خيرٍ فقير» والله ما سألَه إلاّ خبزاً يأكله ، لأنّه كان يأكل بقلة الأرض ، ولقد كانت خضرة البقل تُرىٰ من شفيف صفاق بطنِهِ ، لهزُاله وتشذّب لحمه (خ/١٦٠) .

* وإن شئت ثلّثت بداود (ع) صاحب المزامير وقارىء أهل الجنّة ، فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده ، و يقول لجلسائه : أيّكم يكفيني بيعها ؟ و يأكل قرص الشَّعير من

ثمنها (خ/١٦٠).

* ولقد دخل موسى بن عمران، ومعه أخوه هارون عليهما السلام على فرعون، وعليهما مدارع الصّوف، و بأيديهم العصي، فشرطا له ــ إن أسلم ــ بقاء مُلكهِ ودَوامَ عزّه، فقال: ألا تعجبون من هذَين يشرطان لي دوام العزّ، و بقاء المُلك، وهما بما ترون من حال الفقر والذلّ، فهلاّ ألقي عليهما أساورة من ذهب؟ إعظاماً للذّهب وجمعه، واحتقاراً للصّوف ولبسه (خ/١٩٢).

ــ وعن نبيّنا محمد (ص) قال عليه السّلام:

* قد حقّر الدّنيا وصغّرها، وأهون بها وهوّنها، وعَلِمَ أنّ الله زواها عنه اختياراً، و بسطها لغيره احتقاراً، فأعرض عن الدّنيا بقلبه، وأمات ذكرها عن نفسه، وأحبّ أن تغيب زينتُها عن عينه، لكيلا يتّخذ منها رياشاً، أو يرجو فيها مَقاماً (خ/١٠٩).

* قضم الدّنيا قضماً، ولم يُعِرها طرفاً، أهضمُ أهل الدّنيا كشحاً، وأخمصهُم من الدّنيا بطناً، عُرِضَت عليه الدّنيا فأبىٰ أن يقبلها (خ/١٦٠).

* ولقد كان (ص) يأكل على الأرض، ويجلس جلسة العبد، ويخصف بيده نعله، و يرقّع بيده ثوبه، و يركب الحمار العاري، و يُردف خلفه، و يكون السّتر على باب بيته فتكون فيه التّصاوير فيقول: «يافلانة ــ لأحدى أزواجه ــ غيّبيه عنّي، فإنّي إذا نظرتُ إليه ذكرتُ الدّنيا وزخارفَها»، فأعرض عن الدّنيا بقلبه، وأمات ذكرها من نفسه، وأحبّ أن تغيب زينتُها عن عينه، لكيلا يتّخذ منها رياشاً، ولا يعتقدها قراراً، ولا يرجو فيها مقاماً، فأخرجها من النّفس، وأشخصها عن القلب، وغيّبها عن البصر، وكذلك من أبغض شيئاً أبغض أن ينظر إليه، وأن يُذكَر عنده، ولقد كان في رسول الله (ص) ما يدلّك على مساوىء الدّنيا وعُيوبها: إذ جاع فيها مع خاصّته، وزُوِيَت عنه زخارفُها مع عظيم زُلْفتِه (خ/١٦٠).

* خرج من الدّنيا خميصاً، وورد الآخرة سليماً، لم يضع حجراً على حجر، حتى مضى لسبيله، وأجاب داعيَ ربّه (خ/١٦٠).

(١٠٢) في شجاعتهم (ع) :

* لم يوجس موسى عليه السّلام خيفةً على نفسه ، بل أشفق من غلبة الجهّال ودول الضّلال (خ/٤) .

* ولكنّه ــ سبحانه ــ جعل رسله أولي قوّةٍ في عزائمهم ، وضَعَفَةً فيما ترى الأعين من حالاتهم ، مع قناعةٍ تملأ القلوب والعيون غنًى ، وخصاصةٍ تملأ الأبصار والأسماع أذًى (خ/١٩٢) .

* كنّا إذا احمرّ البأس اتّقينا برسول الله (ص) فلم يكن أحدٌ منّا أقرب إلى العدوّ منه (ح/٩) .

(١٠٣) في تواضعهم (ع) :

* ولكنّه ــ سبحانه ــ كرّه إليهم التكبّر ، ورضي لهم التّواضع ، فألصقوا بالأرض خدودهم ، وعفّروا بالتّراب وجوههم ، وخفضوا أجنحتهم للمؤمنين (خ/١٩٢) .

* وعن نبيّنا الكريم (ص) قال عليه السلام :

ولقد كان (ص) يأكل على الأرض ، ويجلس جلسة العبد (خ/١٦٠) .

(١٠٤) في تعهّده تعالىٰ بأخلاقهم (ع) :

* قال عليه السّلام في رسول الله (ص) :

ولقد قرن الله به (ص) من لدن أن كان فطيماً أعظم مَلَكٍ من ملائكته ، يسلك به طريق المكارم ، ومحاسن أخلاق العالم ، ليله ونهاره (خ/١٩٢) .

(١٠٥) في أنّه تعالىٰ قد ابتلىٰ جميع الرسل والأنبياء (ع) :

* قد اختبرهم الله بالمخمصة ، وابتلاهم بالمجهدة ، وامتحنهم بالمخاوف ، ومحضهم بالمكاره (خ/١٩٢) .

* ولو أراد الله سبحانه لأنبيائه حيث بعثهم ، أن يفتح لهم كنوز الذّهبان ، ومعادن العقيان ، ومغارس الجِنان ، وأن يحشر معهم طيور السّماء ، ووحوش الأرضين لفعل ، ولو

فعل لسقط البلاء ، و بطل الجزاء ، واضمحلّت الأنباء ، ولما وجب للقابلين أجور المبتلين ، ولا استحقّ المؤمنون ثواب المحسنين ، ولا لزمت الأسماء معانيها (خ/١٩٢) .

(١٠٦) في أنهم (ع) قد تعرّضوا للأذى الكثير من النّاس في سبيل الله تعالىٰ وأنّهم رغم ذلك واصلوا الطريق :

* رسلٌ لا تقصّر بهم قلّة عددهم ، ولا كثرة المكذّبين لهم (خ/١) .
* أين أصحاب مدائن الرّسّ الّذين قتلوا النبيّين ، وأطفأوا سنن المرسلين ، وأحيوا سنن الجبّارين ؟ (خ/١٨٢) .
* وتدبّروا أحوال الماضين من المؤمنين قبلكم ، كيف كانوا في حال التّمحيص والبلاء ، ألم يكونوا أثقل الخلائق أعباءً ، وأجهد العباد بلاءً ، وأضيق أهل الدّنيا حالاً ، اتّخذتهم الفراعنة عبيداً ، فساموهم سوء العذاب ، وجرّعوهم المرار ، فلم تبرح الحال بهم في ذلّ الهلكة وقهر الغلبة ، لا يجدون حيلةً في امتناع ولا سبيلاً إلى دفاع ، حتّى إذا رأى الله سبحانه جِدّ الصبر منهم على الأذى في محبّته ، والإحتمال للمكروه من خوفه ، جعل لهم من مضايق البلاء فرجاً (خ/١٩٢) .
* وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله ، دعا إلى طاعته ، وقاهر أعداءه جهاداً عن دينه ، لا يثنيه عن ذلك اجتماعٌ على تكذيبه ، والتماسٌ لأطفاء نوره (خ/١٩٠) .
* فبلّغ رسالات ربّه غير وانٍ ولا مقصّر ، وجاهد في الله أعداءه غير واهنٍ ولا معذّر (خ/١١٦) .
* كما حُمّلَ (ص) فاضطلع ، قائماً بأمرك ، مستوفزاً في مرضاتك ، غير ناكلٍ عن قُدُم ، ولا واهٍ في عزم ، داعياً لوحيك ، حافظاً لعهدك ، ماضياً على نفاذ أمرك (خ/٧٢) .

في وظائف الرّسل والأنبياء (ع) والأمانة الّتي تحمّلوها :

(١٠٧) أ ــ التبليغ والدعوة إلى الله سبحانه :

* أخذ على الوحي ميثاقهم ، وعلى تبليغ الرّسالة أمانتهم (خ/١) .
* بعث الله رسله بما خصّهم به من وحيه (خ/١٤٤) .

* وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، و يذكّروهم منسي نعمته، ويحتجّوا عليهم بالتّبليغ، و يثيروا لهم دفائن العقول، و يروهم آيات المقدرة، من سقف فوقهم مرفوع، ومهادٍ تحتهم موضوع، ومعايش تحييهم، وآجال تفنيهم، وأوصاب تهرمهم، وأحداث تتابع عليهم (خ/١).

وعن محمد (ص) قال عليه السّلام:

* أرسله داعياً إلى الحقّ، وشاهداً على الخلق (خ/١١٦).

* أم أنزل الله سبحانه ديناً تامّاً، فقصّر الرسول عن تبليغه وأدائه؟ (خ/١٨).

* فبالغ في النّصيحة، ومضى على الطريقة، ودعا إلىٰ الحكمة والموعظة الحسنة (خ/٩٥).

* وأنّ محمداً عبده ورسوله، أرسله بأمره صادعاً، و بذكره ناطقاً، فأدّى أميناً، ومضى رشيداً (خ/١٠٠).

* وعمّر فيكم نبيّه أزماناً، حتّى أكمل له ولكم فيما أنزل من كتابه دينه الّذي رضي لنفسه، وأنهى إليكم على لسانه محابّهُ من الأعمال ومكارهه، ونواهيه وأوامره (خ/٨٦).

(١٠٨) ب ــ التّبشير والإنذار:

* و بعث إلى الجنّ والإنس رسله، ليكشفوا لهم عن غطائها، وليحذّروهم من ضرّائها، وليضربوا لهم أمثالها، وليبصّروهم عيوبها، وليهجموا عليهم بمعتبر من تصرّف مصاحّها وأسقامها، وحلالها وحرامها، وما أعدّ الله للمطيعين منهم والعصاة، من جنّة ونار، وكرامة وهوان (خ/١٨٣).

وقال عليه السّلام وهو يصف محمّداً (ص):

* ونصح لأمّته منذراً، ودعا إلى الجنّة مبشّراً، وخوّف من النار محذّراً (خ/١٠٩).

* فإنّ الله جعل محمداً (ص) عَلَماً للساعة، ومبشّراً بالجنّة، ومنذراً بالعقوبة (خ/١٠٦).

(١٠٩) ج ــ إقامة حكم الله علىٰ الأرض:

في حديثه عليه السّلام عن رسول الله (ص):

* وأقام بموضّحات الأعلام، ونيّرات الأحكام (خ/٧٢).

* سيرته القصد ، وسنّته الرّشد ، وكلامه الفصل ، وحكمه العدل (خ/٩٤) .
* جعله الله بلاغاً لرسالته ، وكرامةً لأمّته ، وربيعاً لأهل زمانه ، ورفعَةً لأعوانه ، وشرفاً لأنصاره (خ/١٩٧) .
* أرسله وأعلام الهدى دارسة ، ومناهج الدّين طامسة (خ/١٩٥) .
* فساق النّاس ، حتى بوّأهم محلّتهم ، وبلّغهم منجاتهم ، فاستقامت قناتهم ، واطمأنّت صَفاتُهم (خ/٣٣) .
* يسوقهم إلى منجاتهم ، ويبادر بهم السّاعة أن تنزل بهم ، يحسر الحسير ، ويقف الكسير ، فيقيم عليه حتّى يلحقه غايته ، إلاّ هالكاً لا خير فيه ، حتى أراهم منجاتهم ، وبوّأهم محلّتهم ، فاستدارت رحاهم ، واستقامت قناتهم (خ/١٠٤) .
* دفن الله به الضّغائن ، وأطفأ به الثّوائر ، ألّف به إخواناً ، وفرّق به أقراناً ، أعزّ به الذّلة ، وأذلّ به العزة (خ/٩٦) .
* فبعث الله محمداً (ص) بالحقّ ليُخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته ، ومن طاعة الشيطان إلى طاعته ، بقرآن قد بيّنه وأحكمه ، ليعلم العباد ربّهم إذ جهلوه ، وليقرّوا به بعد إذ جحدوه ، وليثبتوه بعد إذ أنكروه (خ/١٤٧) .
* ابتعثه بالنّور المضيء والبرهان الجليّ والمنهاج البادي والكتاب الهادي (خ/١٦١) .
* إنّ الله بعث محمداً (ص) نذيراً للعالمين ، وأميناً علىٰ التّنزيل (خ/٢٦) .
* أرسله علىٰ حين فترةٍ من الرّسل ، وهفوةٍ عن العمل ، وغباوةٍ من الأمم (خ/٩٤) .
* فصدع بالحقّ ، ونصح للخلق ، وهدى إلى الرّشد ، وأمر بالقصد (خ/١٩٥) .
* أورى قبس القابس ، وأضاء الطّريق للخابط (خ/٧٢) .

(١١٠) الهداية من الضّلالة والجهل :

قال (ع) في وصف الرسول (ص) :

* سرّح الضّلال عن يمين وشمال (خ/٢١٣) .
* وهُدِيَت به القلوب بعد خوضات الفتن والآثام (خ/٧٢) .
* فهداهم به من الضّلالة ، وأنقذهم بمكانه من الجهالة (خ/١) .

* أضاءت به البلاد بعد الضّلالة المظلمة والجهالة الغالبة (خ/١٥١).

* انّ الله بعث رسولاً هادياً بكتاب ناطق، وأمرٍ قائم، لا يهلك عنه إلاّ هالك، وإنّ المبتدعات المشبّهات، هنّ المهلِكات إلاّ ما حفظ الله منها (خ/١٦٩).

* الموضّحة به أشراطُ الهُدىٰ، والمجلّو به غربيب العمىٰ (خ/١٧٨).

* بعثه، والنّاس ضُلاّلٌ في حَيرة، وخابطون في فتنة، قد استهوتهم الأهواء، واستزلّتهم الكبرياء، واستخفّتهم الجاهلية الجهلاء، حيارى في زلزالٍ من الأمر، وبلاءٍ من الجهل (خ/٩٥).

* إبتعثه والنّاس يضربون في غمرة، ويموجون في حيرة، قد قادتهم أزمّة الحَيْن، واستغلقت علىٰ أفئدتهم أقفال الرَّين (خ/١٩١).

(١١١) هـ ـ مجاهدة أعداء الله تعالىٰ:

قال عليه السّلام وهو يصف الرسول الأكرم (ص):

* فجاهد في الله المدبرين عنه، والعادلين به (خ/١٣٣).

* فقاتل بمن أطاعه من عصاه (خ/١٠٤).

* الدّافع جيشات الأباطيل، والدّافع صولات الأضاليل (خ/٧٢).

(١١٢) في أنّ نبيّنا محمد (ص) خير الأنبياء والمرسلين وخاتمهم:

* أرسله بالضّياء، وقدّمه في الإصطفاء (خ/٢١٢).

* وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله وسيّد عباده (خ/٢١٤).

* خير البريّة طفلاً، وأنجبها كهلاً (خ/١٠٥).

* لا يوازىٰ فضله (خ/١٥١).

* وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، المجتبىٰ من خلائقه، والمعتام لشرح حقائقه، والمختصّ بعقائل كراماته، والمصطفى لكرائم رسالاته (خ/١٧٨).

* بعث محمداً (ص) نذيراً للعالمين، ومهيمناً على المرسلين (ر/٦٢).

* أرسله بالدّين المشهور، والعَلَم المأثور (خ/٢).

* اللّهم اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك، علىٰ محمد عبدك ورسولك. الخاتم لما سبق، والفاتح لما انغلق، والمعلن الحقّ بالحقّ (خ/٧٢).

(١١٣) الرّسول (ص) قدوة وأسوة:

* فتأسّ بنبيّك الأطيب الأطهر (ص) فإنّ فيه أسوةً لمن تأسّى، وعزاءً لمن تعزّى، وأحبّ العباد إلى الله المتأسّي بنبيّه، والمقتصّ لأثره (خ/١٦٠).
* ولو لم يكن فينا إلّا حبّنا ما أبغض الله ورسوله، وتعظيمنا ما صغّر الله ورسوله، لكفىٰ به شقاقاً لله، ومحادّةً عن أمر الله (خ/١٦٠).
* ولقد كان في رسول الله (ص) ما يدلّك علىٰ مساوىء الدّنيا وعيوبها: إذ جاع فيها مع خاصّته، وزُوِيَت عنه زخارفُها مع عظيم زُلْفَتِه (خ/١٦٠).
* فما أعظم منّة الله عندنا، حين أنعم علينا به سلفاً نتّبعه، وقائداً نطأ عقبه (خ/١٦٠).
* ولقد كان في رسول الله (ص) كافٍ لك في الأسوة (خ/١٦٠).
* واقتدوا بهدي نبيّكم فإنّه أفضل الهدي، واستنّوا بسنّته فإنّها أهدى السُّنن (خ/١١٠).
* فهو إمام من اتّقى، وبصيرة من اهتدى (خ/٩٤).
* إنّ لكم عَلَماً، فاهتدوا بعلمكم (خ/١٧٥).

(١١٤) من معجزات نبيّنا محمد (ص):

* ولقد كنتُ معه (ص) لمّا أتاه الملأ من قريش، فقالوا له: يامحمّد، إنّك قد ادّعيت عظيماً لم يَدَّعِهِ آباؤك ولا أحدٌ من بيتك، ونحن نسألك أمراً إن أنت أجبتَنا إليه وأريتَناه، عَلِمْنا أنّك نبيٌّ ورسول، وإن لم تفعل عَلِمْنا أنّك ساحرٌ كذّاب. فقال (ص): «وما تسألون؟» قالوا: تدعو لنا هٰذه الشَّجَرَة حتّى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك، فقال (ص): «إنّ الله على كلّ شيءٍ قدير، فإنْ فَعَلَ الله لكم ذٰلك، أتؤمنون وتشهدون بالحقّ؟» قالوا: نعم، قال: «فإنّي سأُريكم ما تطلبون، وإنّي لأعلم أنّكم لا تفيئون إلى خير، وإنّ فيكم مَن يُطرَح في القَلِيب، ومَن يحزّب الأحزاب». ثم قال (ص): «ياأيّتها الشَّجَرَة، إن كنتِ تؤمنين بالله واليوم الآخِر، وتعلمين أنّي رسول الله، فانقلعي بعروقِك حتّى تَقِفِي بين

يَدَيَّ بإذن الله » . فَوَ الّذي بَعَثَهُ بالحقّ لأنْقَلَعَت بعروقها ، وجاءَتْ وَلَهَادَوِيٌّ شديدٌ ، وقصفٌ كقصف أجنحة الطَّيْر ؛ حتّى وَقَفَتْ بين يَدَي رسول الله (ص) مرفرِفَةً ، وألقت بغصنها الأعلى على رسول الله (ص) وبعض أغصانها على مَنْكِبي ، وكنتُ عن يمينه (ص) فلمّا نَظَرَ القوم إلى ذلك قالوا ــ علوّاً واستكباراً ــ : فَمُرْها فَلْيَأتِكَ نِصْفُها و يَبْقَى نِصْفُها ، فَأَمَرَها بذلك ، فَأَقْبَلَ إليه نصفُها كأعجبِ إقبالٍ وأشَدِّهِ دَوِيّاً ، فكادت تلتف برسول الله (ص) ، فقالوا ــ كفراً وعُتُوّاً ــ : فَمُرْ هذَا النّصف فَلْيَرجِع إلى نِصْفِهِ كما كان ، فَأَمَرَهُ (ص) فَرَجَع ؛ فقلتُ أنا : لا إلهَ إلاّ الله ؛ إنّي أوّل مؤمنٍ بك يارسول الله ، وأوّل مَنْ أَقَرّ بأنّ الشّجرة فَعَلَتْ ما فَعَلَتْ بأمر الله تعالى تصديقاً بنبوّتك ، وإجلالاً لكلمتك ، فقال القوم كلّهم : بل ساحرٌ كذّابٌ ، عجيبُ السّحر خفيفٌ فيه ، وهل يصدّقُك في أمرك إلاّ مثلُ هذا ! ــ يعنونني ــ (خ/١٩٢) .

الفصل الرّابع

« مباحث الامامة »

(١١٥) في وجوب الامامة على الله سبحانه وتعالىٰ ، وأنّ أئمّتنا (ع) من حجج الله علينا ، ولا تخلو الأرض منهم إلىٰ يوم القيامة) .

* اللّهم بلىٰ ، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة ، إمّا ظاهراً مشهوراً وإمّا خائفاً مغموراً ، لئلاّ تبطل حجج الله و بيّناته ، وكم ذا وأين أولئك ؟ أولئك — والله — الأقلّون عدداً ، والأعظمون عند الله قدراً ، يحفظ الله بهم حججه و بيّناته ، حتى يودعوها نظراءهم ، و يزرعوها في قلوب أشباههم (ك/١٤٧) .

* ألا بأبي وأمّي ، هم من عدّة ، أسماؤهم في السّماء معروفة ، وفي الأرض مجهولة (خ/١٨٧) .

* ألا إنّ مثَل آل محمد (ص) كمثل نجوم السّماء : إذا خوىٰ نجمٌ طلع نجم ، فكأنّكم قد تكاملت من الله فيكم الصّنائع ، وأراكم ما كنتم تأملون (خ/١٠٠) .

* قد دارستكم الكتاب ، وفاتحتكم الحِجاج ، وعرّفتكم ما أنكرتم وسوّغتكم ما مججتم ، لو كان الأعمى يلحظ أو النّائم يستيقظ (خ/١٨٠) .

* أنا حجيج المارقين ، وخصيم النّاكثين المرتابين (ك/٧٥) .

* أيّها النّاس ، خذوها عن خاتم النّبيّين (ص) : أنه يموت من مات منّا وليس بميّت ، و يبلى من بليَ منّا وليس ببال (خ/٨٧) .

* واعذروا من لا حجّة لكم عليه — وهو أنا — ألم أعمل فيكم بالثّقَل الأكبر ، وأترك فيكم الثّقَل الأصغر ؟ (خ/٨٧) .

(١١٦) في عصمتهم عليهم السّلام وأنه لا يقاس بهم أحد ، أنّهم (ع) أفضل النّاس بعد رسول الله (ص) ولا يصل إلىٰ درجتهم أحد وفيه بعض خصائصه (ع) :

* ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه ، لذكر ذاكرٌ فضائل جمّة ، تعرفها قلوب المؤمنين ، ولا تمجّها آذان السّامعين ، فدع عنك من مالت به الرمية ، فإنّا صنائع ربّنا ، والنّاس بعد صنائع لنا (ر/٢٨) .

* لا يقاس بآل محمد (ص) من هذه الأمّة أحد ؛ ولا يسوّى من جرت نعمتهم عليه أبداً (خ/٢) .

* عترته خير العتر ، وشجرته خير الشّجر ، نبتت في حرم ، و بسقت في كرمٍ ، لها فروع طوالٌ ، وثمرٌ لا يُنال (خ/٩٤) .

* والأعظمون عند الله قدراً (ح/١٤٧) .

* إنّ أمرنا صعبٌ مستصعب ، لا يحمله إلاّ عبدٌ مؤمنٌ امتحن الله قلبه للأيمان (ك/١٨٩) .

* نحن شجرة النبوّة ، ومحطّ الرّسالة ، ومختلف الملائكة ، ومعادن العلم ، و ينابيع الحكم (خ/١٠٩) .

* إسلامنا قد سُمِع ، وجاهلّيتنا لا تُدفَع (ر/٢٨) .

* فياعجباً للدّهر ، إذ صرتُ يُقرَنُ بي من لم يَسْعَ بقدمي ، ولم تكن له كسابقتي الّتي لا يدلي أحدٌ مثلها ، إلاّ أن يدّعيَ مدّعٍ بما لا أعرفه (ر/٩) .

* إن نَطَقُوا صَدَقوا ، وإن صَمَتُوا لم يُسْبَقُوا (خ/١٥٤) .

* أسرته خير أسرة ، وشجرته خير شجرة (خ/١٦١) .

* فإنّ ذلك أمرٌ لم أحكم أنا فيه برأيي ، ولا وليتُه هوىً منّي (ك/٢٠٥) .

* ولكن هيهات أن يغلبني هواي (خ/٢٨٦) .

* لا يخالفون الحقّ ولا يختلفون فيه (خ/٢٣٩) .

* وما وجد لي (ص) كذبةً في قول ، ولا خطلةً في عمل (خ/١٩٢) .

* فإنّي لست في نفسي بفوق أن أخطىء ، ولا آمن ذلك من فعلي ، إلاّ أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به منّي (خ/٢١٦) .

(١١٧) في منزلتهم من رسول الله (ص) :

* وقد علمتم موضعي من رسول الله (ص) بالقرابة القريبة ، والمنزلة الخصّيصة ، وضعني في حجره ، وأنا وُلَيْدٌ يضمنّي إلى صدره ، و يكنفني في فراشه ، ويمسّني جسده ، و يشمّني عرفه ، وكان يمضغ الشّيء ثمّ يلقمنيه ، وما وجد لي كذبةً في قول ، ولا خطلةً في فعل .. ولقد كنتُ أتبعه اتّباع الفصيل أثر أمّه ، يرفع لي في كلّ يومٍ من أخلاقه عَلَماً ، و يأمرني بالاقتداء به ، ولقد كان يجاور في كل سنةٍ بحراء ، فأراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع بيتٌ واحدٌ يومئذٍ في الاسلام غير رسول الله (ص) وخديجة وأنا ثالثهما ، أرى نور الوحي والرّسالة ، وأشمّ ريح النبوّة (خ/١٩٢) .

* فماذا قالت قريش ؟ قالوا : احتجّت بأنّها شجرة الرّسول (ص) فقال عليه السّلام : احتجّوا بالشّجرة ، وأضاعوا الثّمرة (ك/٦٧) .

* ولقد سمعت رنّة الشيطان ، حين نزل الوحيُ عليه (ص) فقلت : يارسول الله ، ما هٰذه الرنّة ؟ فقال : « هذا الشّيطان قد أَيِسَ من عبادته ، إنّك تسمع ما أسمع ، وترى ما أرى ، إلاّ أنّك لست بنبيّ ، ولكنّك وزير ، وإنّك لعلىٰ خير (خ/١٩٢) .

* وأنا من رسول الله (ص) كالصنو من الصنو ، والذّراع من العضد (ر/٤٥) .

* إسلامناً قد سُمِعَ ، وجاهليّتنا لا تُدفَع ، وكتاب الله يجمع لنا ما شذّ عنّا ، وهو قوله سبحانه وتعالى : « وأولوا الأ رحام بعضهم أولى ببعضٍ في كتاب الله » وقوله تعالى : « إنّ أولى النّاس بإبراهيم للّذين اتّبعوه ، وهذا النبيّ والذين آمنوا والله وليّ المؤمنين » فنحن مرةً أولىٰ بالقرابة ، وتارة أولىٰ بالطّاعة (ر/١٢٨) .

* إنَّ وليّ محمد (ص) من أطاع الله وإن بعدت لُحمته ، وإنّ عدوّ محمّد من عصى الله وإن قرُبَت قرابته (ح/٩٦) .

* نحن الأعلون نسباً ، والأشدّون برسول الله (ص) نوطاً (خ/١٦٢) .

(١١٨) في أنّهم (ع) صادقون وحديثهم متواتر:

* وهم أزمّة الحقّ ، وأعلام الدّين ، وألسنة الصّدق (خ/٨٧) .

* إن نطقوا صدقوا ، وإن صمتوا لم يُسبَقوا (خ/١٥٤) .

* ذمّتي بما أقول رهينة ، وأنا به زعيم ... والله ما كتمت وشمة ، ولا كذبت كذبة (ك/١٦) .

* أتراني أكذب علىٰ رسول الله (ص) ؟ والله لأَنَا أوّل مَنْ صَدَّقَه ، فلا أكون أوّل من كذّب عليه (خ/٣٧) .

* ولقد بلغني أنكم تقولون : عليٌّ يكذب ، قاتلكم الله تعالىٰ ، فعلىٰ مَن أكذب ؟ أعلىٰ الله ؟ فأنا أوّل من آمن به ، أم على نبيّه ؟ فأنا أوّل من صدّقه ، كلاّ والله ، لكنّها لهجةٌ غبتم عنها ، ولم تكونوا من أهلها (خ/٧١) .

(١١٩) في أنّهم (ع) لا يفعلون شيئاً إلاّ بأمر الله تعالىٰ ووفق كتابه وسنّة نبيّه (ص) :

* إنّه ليس علىٰ الامام إلاّ ما حُمّلَ من أمر ربّه (خ/١٠٥) .

* فلمّا أفضت (الخلافة) إليّ نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا ، وأمرنا بالحكم به فاتّبعته ، وما استّن النبيّ (ص) فاقتديته (خ/٢٠٥) .

* فإنّ ذلك أمرٌ لم أحكم أنا فيه برأيي ، ولا وليته هوىً منّي ، بل وجدت أنا وأنتما ما جاء به رسول الله (ص) قد فُرغ منه (خ/٢٠٥) .

* ما استبدلت ديناً ، ولا استحدثت نبيّاً ، وإنّي علىٰ المنهاج الّذي تركتموه طائعين ، ودخلتم فيه مكرَهين (ر/١٠) .

* وإنّي لعلىٰ بيّنةٍ من ربّي ، ومنهاجٍ من نبيّي ، وإنّي لعلىٰ الطّريق الواضح ألقطه لقطاً (ر/٤٥) .

* ألا وقد أمرني الله بقتال أهل البغي والنّكث والفساد في الأرض ، فأمّا النّاكثون فقد قاتلت ، وأمّا القاسطون فقد جاهدت ، وأمّا المارقة فقد دوّخت ، وأمّا شيطان الرّدهة فقد كُفيتُهُ بصعقةٍ سُمِعَت لها وجبة قلبه ، ورجّة صدره ، و بقيت بقيّةٌ من أهل البغي ، ولئن أذن الله في الكرّة عليهم ، لأديلنّ منهم ، إلاّ ما يتشذّر في أطراف البلاد تشذّراً (خ/١٩٢) .

* إنّي قد بثثت لكم المواعظ الّتي وعظ الأنبياء بها أُمَمَهُم ، وأَدّيْتُ إليكم ما أدّت الأوصياء إلىٰ مَن بَعدهم (خ/١٨٢) .

(١٢٠) في أنّهم (ع) لا يعلمون الغيب، وما ورد عنهم من المغيّبات أعلمهم بها الرسول (ص) عن الله تعالىٰ :

* والله لو شئت أن أُخْبِرَ كلّ رجلٍ منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت ، ولكن أخاف أن تكفروا فيّ برسول الله (ص) ، ألا وإنّي مفضيه إلى الخاصّة ممّن يُؤمَن ذلك منه ؛ والّذي بعثه بالحقّ ، واصطفاه على الخلق ، ما أنطق إلاّ صادقاً ، وقد عهد إليّ بذلك كلّه ، وبمهلك مَن يَهلك ، ومنجىٰ مَن ينجو، ومآل هذا الأمر ، وما أبقىٰ شيئاً يمرّ علىٰ رأسي ، إلاّ أفرغه في أذنيَّ ، وأفضى به إليّ (خ/١٧٥) .

* فو الّذي فلق الحبّة ، و برأ النّسمة ، إنّ الّذي أنبّئكم به عن النّبيّ الأمّيّ (ص) ما كذب المبلّغ ، ولا جهل السّامع (خ/١٠١) .

* فقال له بعض أصحابه : لقد أُعطيتَ يا أمير المؤمنين علم الغيب ! فضحك عليه السّلام ، وقال للرّجل ، وكان كلبيّاً :

يا أخا كلبٍ ، ليس هو بعلم غيبٍ ، وإنّما هو تعلّمٌ من ذي علمٍ ، وإنّما علم الغيب علم السّاعة ، وما عدّده الله سبحانه بقوله : « إنّ الله عنده علم السّاعة ، و ينزّل الغيث ، و يعلم ما في الأرحام ، وما تدري نفسٌ ماذا تكسب غداً ، وما تدري نفسٌ بأيّ أرض تموت ... » فيعلم الله سُبحانه ما في الأرحام من ذكرٍ أو أنثىٰ ، وقبيحٍ أو جميل ، وسخيٍّ أو بخيل ، وشقيٍّ أو سعيد ، ومن يكون في النّار حطباً ، أو في الجِنان للنبيّين مُرافقاً ، فهذا علم الغيب الّذي لا يَعلَمُه أحدٌ إلاّ الله ، وما سوى ذلك فعلمٌ علّمه الله نبيّه فعلّمنيه ، ودعا لي بأن يعيَه صدري ، وتضطّم عليه جوانحي (خ/١٢٨) .

* بل اندمجت علىٰ مكنون علمٍ لو بُحتُ به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطّويّ البعيدة (خ/٥) .

(١٢١) في أنّهم (ع) يعون جميع العلوم الاسلامية والمادّية ، وهم المرجع الأوّل لجميع العلوم الاسلامية بعد النبيّ (ص) :

* عقلوا الدّين عقلَ وعاية ورعاية ، لا عقل سماعٍ ورواية ، فإنّ رواة العلم كثير، ورعاته قليل (خ/٢٣٩) .

* أين الّذين زعموا أنّهم الرّاسخون في العلم دوننا ، كذباً و بغياً علينا ، أن رفعنا الله ووضعهم ، وأعطانا وحرمهم ، وأدخلنا وأخرجهم (خ/١٤٤) .

* بهم عُلِمَ الكتاب و به عُلِموا (خ/٤٣٢) .

* فيهم كرائم القرآن ، وكنوز الرّحمان (خ/١٥٤) .

* ها إنّ ها هنا لَعِلْماً جمّاً (وأشار بيده عليه السّلام إلى صدره) لو أصبت له حَمَلَة (ح/١٤٧) .

* وإنّا لأمراء الكلام ، وفينا تنشّبت عروقه ، وعلينا تهدّلت غصونه (ك/٢٣٣) .

* أولئك والله الأقلّون عدداً ، يحفظ الله بهم حججه و بيّناته ، حتى يودعوها نظراءهم ، و يزرعوها في قلوب أشباههم ، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة ، و باشروا روح اليقين (ح/١٤٧) .

* نحن شجرة النّبوّة ، ومحطّ الرسالة ، ومختلف الملائكة ، ومعادن العلم ، و ينابيع الحكم (خ/١٠٩) .

* هم عيش العلم ، وموت الجهل ، يخبركم حلمُهم عن علمهم ، وظاهرهم عن باطنهم ، وصمتهم عن حكم منطقهم (خ/٢٣٩) .

* تالله لقد علّمت تبليغ الرّسالات ، وإتمام العِدات ، وتمام الكلمات ، وعندنا أهل البيت ، أبواب الحكم ، وضياء الأمر(ك/١٢٠) .

* فبادروا العلم من قبل تصويح نبته ، ومن قبل أن تُشغَلوا بأنفسكم عن مستثار العلم من عند أهله (خ/١٠٥) .

* واعلموا أنّكم لن تعرفوا الرّشد ، حتى تعرفوا الّذي تركه ، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتّى تعرفوا الّذي نقضه ، ولن تمسّكوا به حتّى تعرفوا الّذي نبذه ، فالتمسوا ذلك من عند أهله (خ/١٤٧) .

* فما دلّك القرآن عليه من صفته (تعالىٰ) فائتمّ به ، واستضىء بنور هدايته ، وما كلّفك الشيطان علمه ممّا ليس في الكتاب عليك فرضُه ، ولا في سُنّة النبيّ(ص) وأئمة الهدى أثرُه فكِل عِلمَه إلى الله سبحانه ، فإنّ ذلك منتهىٰ حق الله عليك (خ/٩١) .

(١٢٢) في أنّهم (ع) خير قدوةٍ لمن يقتدي ، وخير أسوةٍ لمن يهتدي ، وبهم سلم الدّين من الانحراف بعد الرّسول (ص) :

* نحن النمرقة الوسطى ، بها يلحق التّالي ، وإليها يرجع الغالي (ح/١٠٩) .
* إنّما مثلي بينكم كمثل السّراج في الظُّلمة ، يستضيء به من ولجها (خ/١٨٧) .
* هم أساس الدّين ، وعماد اليقين ، إليهم يفيء الغالي ، و بهم يلحق التّالي (خ/٢) .
* « فأين تذهبون » ؟ « وأنّى تؤفكون » ؟ والأعلام قائمة والآيات واضحة ، والمنار منصوبة ، فأين يُتاه بكم ، وكيف تعمهون ، و بينكم عترة نبيّكم ، وهم أزمّة الحقّ ، وأعلام الدّين ، وألسنة الصّدق ، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن ، وردوهم ورود الهيم العطاش (خ/٨٧) .
* وخلّف فينا راية الحق ، من تقدّمها مرق ، ومن تخلّف عنها زهق ، ومن لزمها لحق (خ/١٠٠) .
* يخبركم حلمهم عن علمهم ، وظاهرهم عن باطنهم ، وصمتهم عن حكم منطقهم ، لا يخالفون الحقّ ، ولا يختلفون فيه ، وهم دعائم الاسلام ، و ولائج الاعتصام ، بهم عاد الحقّ إلى نصابه ، وانزاح الباطل عن مقامه ، وانقطع لسانه عن منبته (خ/٢٣٩) .
* وجبال دينه ، بهم أقام انحناء ظهره ، وأذهب ارتعاد فرائصه (خ/٢) .
* لقد حملتكم على الطّريق الواضح التي لا يهلك عليها إلاّ هالك (ك/١١٩) .
* لله أنتم ! أتتوقّعون إماماً غيري يطأ بكم الطّريق ، و يرشدكم السبيل ؟ (خ/١٨٢) .
* يحفظ الله بهم حججه و بيّناته ، حتى يودعوها نظراءهم ، و يزرعوها في قلوب أشباههم (ح/١٤٧) .
* أنا يعسوب المؤمنين ، والمال يعسوب الفجّار (ح/٣١٦) .
* فأمسكت يدي حتّى رأيت راجعة النّاس ، قد رجعت عن الاسلام ، يدعون إلى محق دين محمد (ص) فخشيت إن لم أنصر الاسلام وأهله ، أن أرى فيه ثلماً أو هدماً ، تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيّام قلائل ، يزول منها ما كان ، كما يزول السّراب ، وكما يتقشّع السّحاب ، فنهضت في تلك الأحداث ، حتى زاح الباطل ، وزهق ، واطمأنّ الدّين وتنهنه (ر/٦٢) .

* بنا يستعطى الهدى ، و يُستجلى العمى (خ/١٤٤) .

(١٢٣) في أنّهم (ع) من بني هاشم حتماً ، وأنّهم خلفاء الله تعالى الحقيقيُون ، وأوصياء رسوله الكريم ، وأنّهم أحقّ بالخلافة من غيرهم :

* إنّ الأئمّة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم ، لا تصلح علىٰ سواهم ، ولا تصل الولاة من غيرهم (خ/١٤٤) .

* ولهم خصائص حقّ الولاية ، وفيهم الوصيّة والوراثة (خ/٢) .

* إنّ أولىٰ النّاس بالأنبياء ، أعلمهم بما جاءوا به ، ثم تلا عليه السّلام : « إنّ أولَى النّاس بابراهيم للّذين اتّبعوه ، وهذا النّبيّ والّذين آمنوا » (ح/٩٦) .

* أمّا بعد ، فإنّ الله سبحانه بعث محمّداً (ص) نذيراً للعالمين ، ومهيمناً على المرسلين ، فلمّا مضى عليه السّلام ، تنازع المسلمون الأمر من بعده ، فَوَ الله ، ما كان يُلقىٰ في روعي ، ولا يخطر ببالي ؛ أنّ العرب تزعج هذا الأمر من بعده (ص) عن أهل بيته ، ولا أنّهم مُنَحُّوه عنّي من بعدهِ (ر/٦٢) .

* أيّها النّاس ، إنّ أحقّ النّاس بهذا الأمر ، أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه ، فإن شُغِبَ شاغبٌ استُعِتِب ، فإن أبىٰ قوتل (خ/١٧٣) .

* نحن الشّعار والأصحاب ، والخزنة والأ بواب ، ولا تؤتىٰ البيوت إلاّ من أبوابها ، فمن أتاها من غير أبوابها سُمّيَ سارقاً (خ/١٥٤) .

* أولئك خلفاء الله في أرضه ، والدّعاة إلى دينه ، آهِ آهِ شوقاً إلى رؤيتهم (ح/١٤٧) .

* فأين يتاه بكم ، وكيف تعمهون ، و بينكم عترة نبيّكم ، وهم أزمّة الحقّ ، وأعلام الدّين ، وألسنة الصّدق (خ/٨٧) .

* وخلّف فينا راية الحق ، من تقدّمها مرق ، ومن تخلّف عنها زهق ، ومن لزمها لحق (خ/١٠٠) .

* فإسلامنا قد سُمِع ، وجاهلّيتنا لا تُدفَع ، وكتاب الله يجمع لنا ما شذّ عنّا ، وهو قوله تعالىٰ : « وأولوا الأ رحام بعضهم أولىٰ ببعض في كتاب الله » وقوله تعالىٰ : « إنّ أولى

النّاس بابراهيم للّذين اتّبعوه ، وهذا النبيّ والّذين آمنوا والله وليّ المؤمنين » فنحن مرّةً أولىٰ بالقرابة ، وتارةً أولىٰ بالطّاعة ، ولما احتجّ المهاجرون على الأنصار يوم السّقيفة برسول الله (ص) فلجوا عليهم ، فإن يكن الفلج به فالحقّ لنا دونكم ، وإن يكن بغيره ، فالأنصار على دعواهم (ر/٢٨) .

* وإنّما الأئمة قوّام الله علىٰ خلقه ، وعرفاؤه على عباده (خ/١٥٢) .

(١٢٤) في شجاعتهم وأنّهم (ع) خير من جاهد مع الرّسول الأعظم (ص) لنصرة الأسلام ، وأنّهم خير من واساه (ص) :

* وكان رسول الله (ص) إذا احمرّ البأس ، وأحجم النّاس ، قدّم أهل بيته ، فوقىٰ بهم أصحابه حرّ السّيوف والأسنّة (ر/٩) .

* ولقد كنّا مع رسول الله (ص) نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا ، ما يزيدنا ذلك إلاّ إيماناً وتسليماً ، ومُضيّاً على اللّقَم ، وصبراً على مضض الألم ، وجدّاً في جهاد العدوّ . . . فلمّا رأى الله صدقنا أنزل بعدوّنا الكبت ، وأنزل علينا النّصر ، حتّى استقرّ الاسلام ملقياً جِرانه ، ومتبوّئاً أوطانه ، ولعمري لو كنّا نأتي ما أتيتم ، ما قام للدّين عمود ، ولا اخضر للأيمان عود (ك/٥٦) .

* بنا اهتديتم في الظّلماء ، وتسنّمتم ذُروَة العلياء ، و بنا اُفْجرتم عن السّرار (خ/٤) .

* ولقد علم المستحفَظون من أصحاب محمّد (ص) أنّي لم أردّ على الله ولا علىٰ رسوله ساعةً قطّ ، ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي تنكُص فيها الأ بطال ، وتتأخّر فيها الأقدام ، نجدةً أكرمني الله بها (ك/١٩٧) .

* أما بعد ، (لمعاوية) : فقد أتاني كتابك ، تذكر فيه اصطفاء الله محمداً (ص) لدينه ، وتأييده إيّاه بمن أيّده من أصحابه ؛ فلقد خبّأ لنا الدّهر منك عجباً ، إذ طَفِقتَ تُخبرُنا ببلاء الله تعالىٰ عندنا ، ونعمتِهِ علينا في نبيّنا ، فكنتَ في ذلك كناقل التّمر إلى هجَر ، أو داعي مسدّدِهِ إلى النّضال (ر/٢٨) .

* ولقد قُبِضَ رسول الله (ص) وإنّ رأسه لعلىٰ صدري ، ولقد سالت نفسهُ في كفّي ، فأمررتها علىٰ وجهي ، ولقد وُلّيتُ غُسلَه (ص) والملائكة أعواني ، فضجّت الدّار والأفنية :

مَـلأٌ يـهـبـط ، ومـلأٌ يـعـرُج ، ومـا فارَقَت سمعي هينمةٌ منهم ، يُصلّون عليه حتّى واريناه في ضريحه (ك/١٩٧) .

* أنا وضعتُ في الصِّغَر بكلاكل العرب ، وكسرتُ نواجم قرون ربيعةَ ومُضَر (خ/١٩٢) .

* لـقـد مـلأتـم قلبي قيحاً ، وشحنتم صدري غيظاً ، وجرّعتموني نُغَب التَّهمام أنفاساً ، وأفسـدتـم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان ، حتّى لقد قالت قريش : إنّ ابن ابي طالب رجلٌ شجـاع ، ولـكـن لا علم له بالحرب ، لله أبوهم ، وهل أحدٌ منهم أشدّ لها مراساً ، وأقدم فيها مقاماً منّي ، لقد نهضت فيها وما بلغتُ العشرين ، وهاأنذا قد ذرّفتُ على السّتين (خ/٢٧) .

* فإن أقل يقولوا : حَرَصَ على الملك ، وإن أسكت يقولوا : جزع من الموت . هيهات بعد اللّـتيّـا والّـتـي ، والله لابـن أبـي طالب آنَسُ بالموت من الطّفل بثدي أمّه . بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطويّ البعيدة (خ/٥) .

* والله لا أكـون كـالـضّـبـع : تـنـام على طـول اللّدم حـتّـى يصل إليها طالبها ، ويختلها راصدهـا . ولكنّي أضرب بالمقبل إلى الحقّ ، المدبر عنه ، و بالسّامع المطيع ، العاصي المريب أبداً ، حتّى يأتي عليّ يومي (خ/٦) .

* ومـن الـعـجـب بـعثهم إليّ أن أبرز للطّعان ! وأن أصبر للجلاد ، هبلتهم الهبول ! لقد كـنـت ومـا أُهَـدَّد بالحرب ، ولا أُرْهَبُ بالضّرب ، وإنّي على يقين من ربّي ، وغير شبهة من ديني (خ/٢٢) .

* أمـا والله إن كـنـت لفي ساقتها ، حتّى تولّت بحذافيرها ، ما عجزت ولا جبنت ، وانّ مسيري هذا لمثلها (خ/٣٣) .

* وأيم الله ، لقد كنت في ساقتها ، حتّى تولّت بحذافيرها ، واستوسقت في قيادها ، ما ضعفت ولا جبنت ، ولا خنت ولا وهنت (خ/١٠٤) .

* وإنّـي والله لـو لـقـيـتـهـم واحـداً ، وهـم طـلاع الأرض كـلّـهـا ، مـا بـالـيـت ولا استوحشت (ر/٦٠) .

* وكـأنّـي بقائلكم يقول » إذا كان هٰذا قوت ابن ابي طالب ، فقد قعد به الضّعف عن قـتـال الأقـران ، ومنازلة الشّجعان) ، ألا وإنّ الشّجرة البرّيّة أصلب عوداً ، والرّوائع الخَضِرَة أرقّ جـلـوداً ، والـنـباتـات البـدويّة أقوى وقوداً ، وأبطأ خموداً ... والله لو تظاهَرَتِ العرب على

قتالي لما ولّيتُ عنها ، ولو أمكنت الفُرَصُ من رقابها لسارَعْتُ إليها (ر/٤٥) .

(١٢٥) في وجوب معرفة الامام الحقّ ، وأنّ مُنكِرَهُ في النّار :

* عليكم بطاعة من لا تُعذَرون بجهالته (ح/١٥٦) .

* فإنّه من مات منكم على فراشه ، وهوعلى معرفة حقّ ربّه ، وحقّ رسوله ، وأهل بيته مات شهيداً ، ووقع أجره على الله ، واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله ، وقامت النيّة مقام إصلاته لسيفه (خ/١٩٠) .

* واعلموا أنكم لن تعرفوا الرّشد ، حتّى تعرفوا الّذي تركه ، لن تأخذوا بميثاق الكتاب ، حتّى تعرفوا الّذي نقضه ، ولن تمسّكوا به حتّى تعرفوا الّذي نبذه ، فالتمسوا ذلك من عند أهله ، فإنّهم عيش العلم وموت الجهل هم الّذين يخبركم حكمهم عن علمهم ، وصمتهم عن منطقهم ، وظاهرهم عن باطنهم ، لا يخالفون الدّين ولا يختلفون فيه ، فهو بينهم شاهد صادق ، وصامت ناطق (خ/١٤٧) .

* ولا يدخل الجنّة إلاّ من عرفهم وعرفوه ، ولا يدخل النّار إلاّ من أنكرهم وأنكروه (خ/١٥٢) .

* أنا حجيج المارقين ، وخصيم النّاكثين المرتابين (ك/٧٥) .

* وقال عليه السّلام في وصف الضّال :

وهو في مهلةٍ من الله يَهوي مع الغافلين ، و يغدو مع المذنبين بلا سبيلٍ قاصد ، ولا إمامٍ قائد (خ/١٥٣) .

(١٢٦) في وجوب طاعتهم واتّباعهم (ع) :

* أنظروا أهل بيت نبيّكم ، فالزموا سمتهم ، واتّبعوا أثرهم ، لن يخرجوكم من هدىً ، ولن يعيدوكم في ردىً ، فإن لبدوا فالبدوا ، وإن نهضوا فانهضوا ، ولا تسبقوهم فتضلّوا ، ولا تتأخّروا عنهم فتهلكوا (خ/٩٧) .

* فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن ، وردوهم ورود الهيم العِطاش (خ/٨٧) .

* والامامة نظاماً للأمّة ، والطّاعة تعظيماً للأمامة (ح/٢٥٢) .

* عليكم بطاعة مَن لا تعْذَرون بجهالته (ح/١٥٦).

* وخلّف فينا راية الحقّ، من تقدّمها مرق، ومن تخلّف عنها زهق، ومن لزمها لحق (خ/١٠٠).

* إنّ من أحبّ عباد الله إليه عبداً ... قد أمكن الكتابَ من زِمامه، فهو قائدُه وإمامُه، يحلّ حيث حلّ ثَقَلُهُ، و ينزل حيث كان منزلُه (خ/٨٧).

* فياعجباً ومالي لا أعجب، من خطأ هذه الفِرَق علىٰ اختلاف حججها في دينها، لا يقتصّون أثر نبيّ، ولا يقتدون بعمل وصي، مفزعهم في المعضلات أنفسُهم، وتعو يلهم في المهمّات علىٰ آرائهم، كأنّ كلّ امرىءٍ منهم إمامُ نفسِه، قد أخذ منها فيما يرى بعرىً ثِقات، وأسباب محكمات (خ/٨٨).

* وقال عليه السّلام لعبد الله بن العبّاس، وقد أشار عليه في شيءٍ لم يوافق رأيه: لك أن تشير عَلَيَّ وأرى، فإن عصيتُك فَأَطِعْني (ح/٣٢١).

* فإن أطعتموني فإنّي حاملكم إنشاء الله على سبيل الجنّة، وإن كان ذا مشقّةٍ شديدة، ومذاقة مريرة (ك/١٥٦).

* عزب رأي امرىءٍ تخلّف عنّي (خ/٤).

* وأمّا حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة، والنّصيحة في المشهد والمغيب، والاجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم (خ/٣٤).

* أنا يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الفُجّار.. قال الرّضي: ومعنىٰ ذلك أنّ المؤمنين يتبعونني، والفجّار يتبعون المال كما تتبع النّحل يعسوبها وهو رئيسها (ح/٣١٦).

* وإنّي ــ والله ــ لأظنّ أنّ هؤلاء القوم، سيُدالون منكم باجتماعهم على باطلهم، وتفرّقكم عن حقّكم، وبمعصيتكم إمامكم في الحقّ، وطاعتهم إمامهم في الباطل (خ/٢٥).

* وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان ... ولكن لا رأي لمن لا يطاع (خ/٢٧).

* أيّها النّاس، لا يجرمنّكم شقاقي، ولا يستهو ينّكم عصياني (خ/١٠١).

(١٢٧) في أنّ حبّهم (ع) بلا تفريط وإفراط نجاة، وبغضهم هلاك:

* ناصرنا ومحبّنا ينتظر الرّحمة، وعدوّنا ومبغضنا ينتظر السّطوة (خ/١٠٩).

* وسيهلك فيّ صنفان : محبٌّ مفرط يذهب به الحبّ إلىٰ غير الحقّ ، ومبغضٌ مفرط يذهب به البغض إلى غير الحقّ ، وخير النّاس فيّ حالاً : النّمط الأوسط ، فالزموه (ك/١٢٧) .

* لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا علىٰ أن يبغضني ما أبغضني ، ولو صببت الدّنيا بجمّاتها على المنافق علىٰ أن يحبّني ما أحبّني ، وذلك أنّه قُضِيَ فانقضى علىٰ لسان النبيّ الأميّ (ص) أنه قال : ياعلي ، لا يبغضك مؤمن ، ولا يحبّك منافق (ح/٤٥) .

* هلك فيّ رجلان ، محبٌّ غالٍ ، ومبغضٌ قالٍ (ح/١١٧) .

* هلك فيّ رجلان : محبٌّ مفرط ، و باهِتٌ مُفْتَرٍ (ح/٤٦٩) .

* أما إنّه سيظهر عليكم بعدي رجلٌ رحب البلعوم ، مندحق البطن ، يأكل ما يجد ، و يطلب مالا يجد ، فاقتلوه ، ولن تقتلوه .. ألا وإنّه سيأمركم بسبّي ، والبراءة منّي ، فأمّا السّبّ فسبّوني ، فإنّه لي زكاة ، ولكم نجاة ، وأمّا البراءة فلا تتبرّأو منّي ، فإنّي وُلِدتُ على الفطرة ، وسبقت إلىٰ الايمان والهجرة (ك/٥٧) .

(١٢٨) في أنّ الأمامة هي الرّياسة العامّة في أمور الدّين والدّنيا ، نيابةً عن النّبيّ (ص) :

* والأمامة نظاماً للأمّة (ح/٢٥٢) .

* تاالله لقد عُلِّمتُ تبليغَ الرّسالات ، وإتمام العِدات ، وتمامَ الكلمات ، وعندنا ــ أهل البيت ــ أبوابُ الحكم ، وضياء الأمر (ك/١٢٠) .

* وإنّما الأئمة قوّام الله علىٰ خلقه ، وعرفاؤه علىٰ عباده ، ولا يدخل الجنّة إلاّ من عرفهم وعرفوه ، ولا يدخل النّار إلاّ من أنكرهم وأنكروه (خ/١٥٢) .

* إنّه ليس على الامام إلاّ ما حُمِّلَ من ربّه : الابلاغ في الموعظة ، والاجتهاد في النّصيحة ، والاحياء للسنّة ، وإقامةُ الحدود على مستحقّيها ، وإصدار السُّهمان على أهلها (خ/١٠٥) .

(١٢٩) في أن أئمّتنا عليهم السّلام لا ينهون عن شيء قبل أن ينتهون منه ، ولا يأمرون بشيء قبل أن يأتمرون به :

* أيّها النّاس ، إنّي ، والله ، ما أحثّكم على طاعة إلاّ وأسبقكم إليها ، ولا أنهاكم عن

معصيةٍ إلاّ وأتناهى قبلكم عنها (خ/١٧٥) .

* من نصب نفسه للنّاس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن تأديبُه بسيرتِهِ قبل تأديبه بلسانه ، ومعلّمُ نفسِهِ ومؤدّبُها ، أحقّ بالإجلال من معلّم النّاسِ ومؤدّبهم (ح/٧٣) .

* ولعمري لو كنّا نأتي ما أتيتم ، ما قام للدّين عمود ، ولا اخضرّ للايمان عود (ك/٥٦) .

(١٣٠) في زهدهم عليهم السّلام ، وتأسّيهم بأضعف النّاس في معيشتهم الخاصّة :

* قال : ياأمير المؤمنين ، هذا أنت في خشونة ملبسك ، وجشوبة مأكلك ؟

قال : ويحَك إنّي لستُ كأنت ، إنّ الله تعالىٰ فرض على أئمّة العدل أن يقدّروا أنفسهم بضعفة النّاس ، كيلا يتبيّغ بالفقير فقره (ك/٢٠٩) .

* ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمرَيهِ ، ومن طُعمِهِ بقُرصَيه ، ألا وإنّكم لا تقدرون على ذلك ، ولكن أعينوني بورعٍ واجتهاد ، وعفّةٍ وسداد ، فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً ، ولا ادّخرتُ من غنائمها وفراً ، ولا أعددتُ لبالي ثوبي طِمراً ، ولا حُزتُ من إرضها شِبراً ، ولا أخذتُ منه إلاّ كقوت أتانٍ دَبِرَةٍ ، وَلَهِيَ في عيني أوهىٰ وأوهن من عفصةٍ مَقِرَةٍ (ر/٤٥) .

* ولو شئت لاهتديت الطّريق ، إلىٰ مصفّى هذا العسل ، ولُباب هذا القمح ، ونسائج هذا القزّ ، ولكن هيهات أن يغلبَني هواي ، ويقودَني جشعي إلى تخيّر الأطعمة ، ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ، ولا عهد له بالشِّبَع ، أوَ أبيتُ مِبطاناً وحولي بطونٌ غرثىٰ ، وأكبادٌ حرّى ، أو أكون كما قال القائل :

وَحسْبُكَ داءً أن تبيت ببطنةٍ وَحولك أكبادٌ تحنُّ إلى القِدّ

* أأقنع من نفسي بأن يُقال : أمير المؤمنين ، ولا أشاركهم في مكاره الدّهر ، أو أكون أسوةً لهم في جشوبة العيش (ر/٤٥) .

* واستلانوا مااستوعره المُترَفون ، وأنسِوا بما استوحشَ منه الجاهلون ، وصحبوا الدّنيا بأبدانٍ أرواحُها معلّقةٌ بالمحلّ الأعلىٰ ، أولئك خلفاء الله في أرضه ، والدّعاة إلى دينه (ح/١٤٧) .

(١٣١) في أنّهم (ع) مع الحقّ وفي سبيل الحقّ ولا يخافون في الحقّ لومة لائم :

* واعلموا إنّي إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ، ولم أُصغ إلى قول القائل وعُتبِ العاتِب (ك/٩٢) .

* الذّليل عندي عزيز حتّى آخذ الحقّ له ، والقويّ عندي ضعيف حتى آخذ الحقّ منه (ك/٣٧) .

* أيّها النّاس ، أعينوني على أنفسكم ، وأيم الله لأنصفنّ المظلوم من ظالمه ، ولأقودنّ الظالم بخزامته ، حتّى أورده منهل الحقّ وإن كان كارهاً (ك/١٣٦) .

* وسأجهد في أن أطهّر الأرضَ من هذا الشّخص المعكوس (معاوية) والجسم المركوس ، حتى تخرج المَدَرةُ من بين حبّ الحصيد (ر/٤٥) .

* فإن أبَوا أعطيتُهم حدّ السّيف ، وكفىٰ به شافياً من الباطل ، وناصراً للحق (خ/٢٢) .

* وهم أزمّة الحقّ (خ/٨٧) .

* لا يخالفون الحقّ ولا يختلفون فيه ، وهم دعائم الاسلام ، وولائج الاعتصام ، بهم عاد الحقّ إلى نصابه ، وانزاح الباطل عن مُقامه ، وانقطع لسانه عن منبته (خ/٢٣٩) .

* فليكن أمر النّاس عندك في الحقّ سواء ، فإنّه ليس في الجور عوضٌ من العدل (ر/٥٩) .

* (إلى بعض عمّاله) فاتّق الله واردد إلى هؤلاء القوم أموالهم ، فإنّك إن لم تفعل ثمّ أمكنني الله منك لأعذِرنّ إلى الله فيك .

* (إلىٰ أخيه عقيل) وأمّا ما سألتَ عنه من رأيي في القتال ، فإنّ رأيي قتال المُحِلّين حتى ألقى الله ، لا يَزيدني كثرة النّاس حولي عزّة ، ولا تفرّقهم عنّي وحشة (ر/٣٦) .

* ولأضربنّك بسيفي الّذي ما ضربتُ به أحداً إلاّ دخل النّار ووالله لو أنّ الحَسَن والحسَين فعلا مثل الّذي فعلتَ ، ما كانت لهما عندي هوادة ، ولا ظفِرا منّي بإرادة ، حتّى آخذَ الحقّ منهما ، وأزيحُ الباطل عن مظلمتهما (ر/٤١) .

* فوَ الّذي لا إلٰهَ إلاّ هو إنّي لعلىٰ جادّة الحق ، وإنّهم لعلىٰ مزلّة الباطل (ك/١٩٧) .

* لنا حقٌّ فإن أُعطيناه ، وإلاّ ركبنا أعجازَ الإبل ، وإن طال السُّرى (ح/٢٢) .

* إنّي والله لو لقيتهم واحداً وهم طلاع الأرض كلّها ما باليت ولا استوحشت ، وإنّي من ضلالهم الّذي هم فيه ، والهدى الّذي أنا عليه لعلىٰ بصيرةٍ من نفسي ، ويقينٍ من ربّي ،

وإنّي إلى لقاء الله لمُشتاق ، وحُسنِ ثوابه لمنتظرٌ راج (ر/٦٢) .

* وخلّف فينا راية الحقّ ، من تقدّمها مرق ، ومن تخلّف عنها زهق ، ومن لزمها لحق (خ/١٠٠) .

* وإنّي لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم ، سيماهم سيما الصّديقين ، وكلامهم كلام الأبرار (خ/١٩٢) .

* وأيم الله ، لأ بقُرَنّ الباطل ، حتّى أُخرج الحقّ من خاصرته (خ/١٠٤) .

* وعَلِموا أنّ النّاس عندنا في الحقّ أسوة ، فهربوا إلى الأَثَرَة ، فبُعداً لهم وسُحقاً (ر/٧٠) .

* لن يُسرع أحدٌ قبلي إلى دعوة حقّ (ك/١٣٩) .

* إنّ أفضل النّاس عند الله من كان العمل بالحقّ أحبَّ إليه ــ وإن نَقَصَه وكرثَه ــ من الباطل ــ وإن جرّ إليه فائدةً وزاده ــ (ك/١٢٥) .

(١٣٢) في الإمام المهدي (عجّل الله تعالىٰ فرجه) ، وأنّه حجّة الله على خلقه إلى يوم القيامة ، وسيظهر لكي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً ، وأنّه عليه السّلام من آل محمد (ص) :

* اللّهمّ بلىٰ ، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة ، إمّا ظاهراً مشهوراً ، وإمّا خائفاً مغموراً ، لئلاّ تبطل حُجَج الله و بيّناته (ح/١٤٧) .

* فلبثتم بعده ما شاء الله ، حتّى يُطلِعَ الله لكم مَنْ يجمعُكُم ، و يضُمُّ نشركم (خ/١٠٠) .

* ألا إنّ مَثَلَ آل محمّد ، صلّى الله عليه وآله ، كَمَثَل نجوم السّماء : إذا خوى نجمٌ طَلَع نجمٌ ، فكأنّكم قد تكاملت من الله فيكم الصّنائع ، وأراكم ما كنتم تأملون (خ/١٠٠) .

* ألا وفي غدٍ ــ وسيأتي غدٌ بما لا تعرفون ــ يأخذ الوالي من غيرها عُمّالَها علىٰ مساوىء أعمالِها ، وتخرِجُ الأرض أفاليذَ كبدِها ، وتُلقي إليه سِلماً مقاليدَها ، فيُريكم كيفَ عدلُ السّيرة ، ويحيي ميّت الكتابِ والسُّنّة (خ/١٣٨) .

* ألا وإنّ مَن أدركَها منّا يسري فيها بسراجٍ منير ، ويحذو فيها على مثال الصّالحين ، ليحُلّ فيها رِبقاً ، و يُعتِقَ فيها رِقاً ، و يَصْدَع شَعباً ، و يشعبَ صَدعاً ، في سُترةٍ عن النّاس ، لا يُبصرِ القائفُ أثَرَه ولو تابع نَظَرَه ، ثمّ ليُشحَذَنّ فيها قومٌ شَحْذَ القَينِ النَّصْلَ ، تُجلىٰ

بالتنزيل أبصارُهُم ، و يُرمىٰ بالتفسير في مسامِعهم ، و يُغْبَقُونَ كأسَ الحكمةِ بعدَ الصَّبوح (خ/١٥٠) .

* قد لَبِسَ للحكمة جُنّتها ، وأخَذَها بجميع أدبها ، من الاقبال عليها ، والمعرفة بها ، والتفرّغ لها ، فهي عند نفسه ضالّتُه الّتي يطلبها ، وحاجته الّتي يسأل عنها ، فهو مغتربٌ إذا اغترب الاسلام ، وضرب بعسيب ذَنَبه ، وألصَقَ الأرضَ بجِرانه ، بقيّةٌ من بقايا حجّته ، خليفةٌ من خلائف أنبيائه (خ/١٨٢) .

* وقال عليه السّلام : لتعطِفَنَّ الدّنيا علينا بعد شِماسها ، عطفَ الضَّروس علىٰ وَلَدِها ، وتلا عقيب ذلك : « ونريد أن نمنّ على الّذين استُضعفوا في الأرض ، ونجعلهم أئمّةً ونجعلهم الوارثين » (ح/٢٠٩) .

* فإن كان ذلك ضرب يعسوب الدّين بذَنَبه ، فيجتمعون إليه كما يجتمع قَزع الخريف (حديث/١) .

* وخَلَّفَ فينا راية الحقّ ، مَن تَقَدَّمها مَرَق ، ومَن تَخَلَّفَ عنها زَهَق ، ومَن لَزِمَها لَحِق ، دليلها مكيث الكلام ، بطيء القيام ، سريعٌ إذا قام . فإذا أنتم ألنتم له رقابكم ، وأشَرْتُم إليه بأصابعكم ، جاءه الموت فَذَهَبَ به ، فلبثتم بعده ما شاء الله حتّى يُطْلِعَ الله لكم من يجمعكم و يضمّ نشركم ، فلا تطمعوا في غير مقبل ، ولا تيأسوا من مدبر ، فإنّ المدبر عسى أن تَزِلّ به إحدى قائمتيه ، وتثبتَ الأخرىٰ ، فترجعا حتّى تثبُتا جميعاً (خ/١٠٠) .

* يَعْطِفُ الهوىٰ على الهُدَىٰ ، إذا عَطَفُوا الهُدَىٰ على الهَوَىٰ ، و يعطف الرّأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي (خ/١٣٨) .

* حتّى تقوم الحرب بكم علىٰ ساقٍ ، بادياً نواجذُها ، مملوءةً أخلافُها ، حلواً رَضاعُها ، علقماً عاقبتُها . ألا وفي غدٍ ــ وسيأتي غدٌ بما لا تعرفون ــ يأخذ الوالي من غيرها عمّالَها علىٰ مساوىء أعمالها ، وتُخْرِجُ له الأرضُ أفاليذَ كَبِدِها ، وتُلْقي إليه سِلْماً مقاليدَها ، فيريكم كيف عدل السّيرة ، ويحيي ميّت الكتاب والسُّنة (خ/١٣٨) .

(١٣٣) في فاطمة الزّهراء عليه السّلام :

* (قاله عند دفن سيّدة النّساء فاطمة عليها السّلام ، كالمناجي به رسول الله (ص) عند

قبره) :

السّلام عليك يارسول الله عنّي ، وعن ابنتك النّازلة في جوارك ، والسّريعة اللّحاق بك ! قَلّ ، يارسول الله ، عن صفيّتك صبري ، ورقّ عنها تجلّدي ، إلاّ أنّ في التّأسّي لي بعظيم فُرْقَتِك ، وفادِحِ مصيبتك ، موضعَ تَعَزٍّ ، فلقد وسَّدْتُكَ في ملحودة قبرك ، وفاضت بين نحري وصدري نفسُك ، «فإنّا لله وإنّا إليه راجعون» فلقد استُرْجِعَتِ الوديعة ، وأُخِذَتِ الرّهينة ! أمّا حُزْني فَسَرْمَدٌ ، وأمّا ليلي فمُسَهَّد ، إلى أن يختار الله لي دارك الّتي أنت بها مقيم ، وستنبّئك ابنتُك بتضافر أمّتك على هضمها ، فأَحْفِها السّؤال ، واستخبرها الحال : هذا ولم يَطُلِ العهد ، ولم يَخْلُ منك الذّكر ، والسّلام عليكما سلام مودّعٍ ، لا قالٍ ولا سَئِمٍ ، فإنْ أنْصرِفْ فلا عن ملالةٍ ، وإن أُقِمْ فلا عن سوء ظنٍّ بما وعد الله الصّابرين (ك/٢٠٢) .

* (من كتابه إلى معاوية جواباً) :

ومنّا خير نساء العالمين ، ومنكم حمّالة الحطب (ر/٢٨) .

* (من وصيّته بما يُعْمَل في أمواله) :

وإنّ لابنَيْ فاطمة من صدقة عليٍّ مثل الّذي لبني عليٍّ ، وإنّي إنّما جعلتُ القيام بذلك إلى ابني فاطمة ابتغاء وَجْهِ الله ، وقربة إلى رسول الله (ص) وتكريماً لحرمته ، وتشريفاً لوُصْلَتِه (ر/٢٤) .

(١٣٤) في الإمامَين الحَسَنِ والحسين عليهما السّلام :

* (في بعض أيّام صفين ، وقد رأى الحَسَنَ ابنه عليه السّلام يَتَسَرَّع إلى الحرب) املكوا عنّي هذا الغلام لا يَهُدّني ، فإنّني أنْفَسُ بهذَيْنِ ــ يعني الحسن والحسين عليهما السلام ــ على الموت ، لَئلاّ ينقطع بهما نسل رسول الله (ص) (ك/٢٠٧) .

* (من كتابه إلى معاوية جواباً) :

ومنّا سيّدا شباب أهل الجنّة ، ومنكم صبية النّار (ر/٢٨) .

* واعذروا من لا حجّة لكم عليه ــ وهو أنا ــ ألم أعمل فيكم بالثّقَل الأكبر ؟ وأترك فيكم الثّقَل الأصغر (خ/٨٧) .

* (قالوا : أُخِذَ مروان بن الحَكَم أسيراً يوم الجمل ، فاستشفع الحَسَن والحسين عليهما

السّلام إلى أمير المؤمنين عليه السّلام ، فَكلمّاه فيه ، فَخَلّى سبيله ...) (ك/٧٣) .

* (إلى بعض عمّاله) :

ووالله لو أنّ الحَسَنَ والحسين فَعَلاَ مثل الّذي فَعَلْتَ ، ما كانت لهما عندي هَوادَة ، ولا ظَفِرا منّي بإرادة ، حتّى آخذ الحقّ منهما ، وأزيحَ الباطل عن مظلمتهما (ر/٤١) .

* (من وصيّته عليه السّلام بما يُعْمَل في أمواله) :

هٰذا ما أمَرَ به عبد الله عليّ بن أبي طالبٍ أمير المؤمنين في ماله ، ابتغاء وجه الله ، ليولِجَهُ به الجنّة ، ويعطيه به الأَمَنَة ... فإنّه يقوم بذٰلك الحسن بن عليّ يأكل منه بالمعروف ، ويُنْفِقُ منه بالمعروف ، فإن حَدَثَ بحَسَنٍ حَدَثٌ وحسينٌ حَيٌّ ، قام بالأمر بعده ، وأَصْدَرَه مصدره .

وإنّ لأ بنَيْ فاطمة من صدقةِ عليّ مثلَ الّذي لبني عليٍّ ، وإنّي إنّما جعلتُ القيام بذٰلك إلى ابنَيْ فاطمةَ ابتغاءَ وجه الله ، وقربةً إلىٰ رسول الله (ص) ، وتكريماً لحُرْمَتِهِ ، وتشريفاً لوُصْلَتِهِ (ر/٢٤) .

الفصل الخامس

«مباحث المعاد»

١ - الموت والبرزخ

(١٣٥) في أنّ كل نفسٍ ذائقة الموت ، والانسان مخلوق للموت ، ولا يستطيع مخلوق دفع أجله أو الفرار منه :

* أيّها النّاس ، كلّ امرىء لاقٍ ما يفرّ في فراره ، الأجل مساق النّفس ، والهرب منه موافاته (خ/١٤٩) .

* فاعلموا ــ وأنتم تعلمون ــ بأنّكم تاركوها وظاعنون عنها ، واتّعظوا فيها بالّذين قالوا : « من أشدّ منّا قوّة » : حُمِلُوا إلى قبورهم فلا يُدعَوْنَ ركباناً ، وأُنزلوا الأجداث فلا يُدعَوْنَ ضيفاناً (خ/١١١) .

* وما عسى أن يكون بقاء من له يومٌ لا يعدوه ، وطالبٌ حثيثٌ من الموت يحدوه (خ/٩٩) .

* وكذلك الخلف يعقب السّلف ، لا تُقلِعُ المنيّةُ اختراماً ، ولا يرعوي الباقون اجتراماً ، يحتذون مثالاً ، ويمضون أرسالاً ، إلى غاية الإنتهاء ، وصيّور الفناء (خ/٨٣) .

* أوَ لستم أبناءَ القوم والآباء ، وإخوانهم والأقرباء ؟ تحتذون أمثلتهم ، وتركبون قِدَّتهم ، وتطؤون جادّتهم ، فالقلوب قاسيةٌ عن حظّها ، لاهيةٌ عن رشدها ، سالكةٌ في غير مضمارها ، كأنّ المعنيّ سواها ، وكأنّ الرّشد في إحراز دنياها (خ/٨٣) .

* وأنتم بنو سبيل ، على سفرٍ من دارٍ ليست بداركم ، وقد أوذنتم منها بالإرتحال ، وأُمِرتم فيها بالزّاد (خ/١٨٣) .

* فلو أنّ أحداً يجد إلى البقاء سُلّماً ، أو لدفع الموت سبيلاً ، لكان ذلك سليمان بن داود

عليه السلام ، الّذي سُخِّر له مُلكُ الجنّ والإنس ، مع النبوّة وعظيم الزُّلفَة ، فلمّا استوفىٰ طُعْمته ، واستكمل مدّته ، رَمَتْه قِسِيّ الفناء بنبال الموت ، وأصبحت الدّيار منه خالية ، والمساكن معطّلة ، وورثها قومٌ آخرون ، وإنّ لكم في القرون السالفة لعبرة : أين العمالقة وأبناء العمالقة ، أين الفراعنة وأبناء الفراعنة ، أين أصحاب مدائن الرّسّ الّذين قتلوا النبيّين ، وأطْفَأُوا سُنَن المرسلين ، وأحْيَوْا سنن الجبّارين ، أين الّذين ساروا بالجيوش ، وهَزَموا بالألوف ، وعَسْكَروا العساكر ، ومَدَّنوا المدائن ، وأين نُظَراؤهم من إخوانهم الّذين تعاقَدوا على المنيّة ، وأُبرِدَ برؤوسهم إلىٰ الفَجَرة (خ/١٨٢) .

* إنّ لله مَلَكاً يُنادي في كلّ يوم :

لِدُوا للموت ، واجمعوا للفَناء ، وابنوا للخراب (ح/١٣٢) .

* لكلّ مقبلٍ إدبار ، وما أدبر كأن لم يكن (ح/١٥٢) .

* (للحسن عليه السلام) : واعلم يابنيّ أنّك إنّما خُلِقْتَ للآخرة لا للدّنيا ، وللفناء لا للبقاء ، وللموت لا للحياة ، وأنّك في قُلعةٍ ودارِ بُلغة ، وطريقٍ إلى الآخرة ، وأنّك طريد الموت الّذي لا ينجو منه هاربه ، ولا يفوته طالبه ، ولا بدّ أنّه مدركه (ر/٣١) .

* بلا قدرةٍ منها كان ابتداء خلقها ، وبغير امتناعٍ منها كان فناؤها ولو قدرت على الإمتناع لدام بقاؤها (خ/١٨٦) .

* فهل ينتظر أهل بضاضة الشّباب إلاّ حوانيَ الهرم ، وأهلُ غضارة الصّحة إلاّ نوازل السَّقَم ، وأهل مدّة البقاء إلاّ آونة الفناء ؟ (خ/٨٣) .

* الرّحيل وشيك (ح/١٨٧) .

* نَفَسُ المرء خطاه إلىٰ أجله (ح/٧٤) .

* وَوَأى (سبحانه) على نفسه ، أن لا يضطرب شَبَحٌ ممّا أولج فيه الرّوح ، إلاّ وجعل الحمامَ موعده ، والفناء غايته (خ/١٦٥) .

* فما ينجو من الموت من خافه ، ولا يُعطى البقاء من أحبّه (ك/٣٨) .

* وأنتم طرداء الموت ، إن أقمتم له أخذكم ، وإن فررتم منه أدرككم ، وهو ألزم لكم من ظلّكم ، الموت معقودٌ بنواصيكم (ر/٢٧) .

* وسمع (ع) رجلاً يقول : « إنّا لله وإنّا إليه راجعون » فقال : إنّ قولَنا : « إنّا لله » إقرارٌ

علىٰ أنفسنا بالمُلْك ؛ وقولَنا : « وإنّا إليه راجعون » إقرارٌ علىٰ أنفُسِنا بالْهُلك (ح/٩٩) .

(١٣٦) لكلّ إنسانٍ أجلٌ لا يتعدّاه ، والأجل حارسٌ للانسان حتّى يحين يوم وفاته :

* لكلّ قَدَرٍ أجلاً ، ولكلّ أجلٍ كتاباً (خ/١٨٣) .
* إنّ لكلّ أجلٍ وقتاً لا يعدوه وسبباً لا يتجاوزه (خ/١٩٣) .
* إنّ مع كلّ إنسانٍ ملكين يحفظانه ، فإذا جاء القَدَر خلّيا بينه و بينه وإنّ الأجل جُنّة حصينة (ح/٢٠١) .
* وقال عليه السّلام لما خُوّف من الغيلة : وإنّ عَلَيَّ من الله جُنّةً حصينةً ، فإذا جاء يومي انفرجَت عنّي وأسلَمَتني ، فحينئذٍ لا يطيش السَّهم ، ولا يبرأ الكَلْم (ك/٦٢) .
* وإنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر لا يقرّبان من أجلٍ ولا ينقصان من رزق (ح/٣٧٤) .
* واعلم يقيناً أنّك لن تبلغ أملك ، ولن تعدو أجلك (ك/٣١) .
* فإنّك لست بسابقٍ أجَلَك ، ولا مرزوقٍ ما ليس لك (ر/٧٢) .
* أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب الأمثال ، و وقّت لكم الآجال (خ/٨٣) .
* خلق الآجال فأطالها وقصّرها وقدّمها وأخّرها (خ/٩١) .
* وربّما شرق شارب الماء قبل ريّه (ح/٢٧٥) .

(١٣٧) أجل الإنسان مكتومٌ عنه ، وهو يأتي بغتة ، وسرعة قدومه كبيرة ، ولكن لا يفقه الإنسان ذلك :

* فكأن قد أتاكم بغتةً فأسكت نجيّكم ، وفرّق نديّكم ، وعفّى آثاركم ، وعطّل دياركم ، و بعث ورّاثكم يقتسمون تراثكم (خ/٢٣٠) .
* من جرى في عنان أمله ، عثر بأجله (ح/١٩) .
* مسكين ابن آدم : مكتوم الأجل ، مكنون العلل ، محفوظ العمل ، تؤلمه البقّة ، وتقتله الشَّرقَة ، وتُنْتِنُه العَرْقَة ! (ح/٤١٩) .
* إذا كنتَ في إدبارٍ ، والموت في أقبالٍ ، فما أسرع الملتقىٰ ! (ح/٢٩) .

* فبينا هو كذلك على جناحٍ من فراق الدّنيا ، وترك الأحبّة ، اذ عرض له عارضٌ من غُصَصه ، فتحيّرت نوافذ فطنته ، و يبست رطوبة لسانه (ك/٢٢١) .
* فحقّقوا عليكم نزوله ، ولا تنتظروا قدومه (خ/١٩٦) .
* فبادروا العمل ، وخافوا بغتة الأجل (خ/١١٤) .
* كيف نزل بهم ما كانوا يجهلون ، وجاءهم من فراق الدّنيا ما كانوا يأمنون (خ/١٠٩) .
* أهل الدّنيا كركبٍ يسار بهم وهم نيام (ح/٦٤) .
* دهمته فجعات المنيّة في غُبّرَ جِماحه ، وسَنَنَ مراحه (خ/٨٣) .
* أرهقتهم المنايا دون الآمال ، وشذّ بهم عنها تخرّم الآجال (خ/٨٣) .
* و بادروا بالأعمال عُمُراً ناكساً ، أو مرضاً حابساً ، أو موتاً خالساً ... فيوشك أن تغشاكم دواجي ظُلَلِهِ ، واحتدام علله ، وحنادس غمراته ، وغواشي سكراته (خ/٢٣٠) .
* واعلموا أنّ مَلاحظ المنيّة نحوكم دانية ، وكأنكم بمخالبها وقد نشبت فيكم ، وقد دهمتكم فيها بمفظعات الأمور (ك/٢٠٤) .

(١٣٨) الله تعالىٰ هو الّذي يتوفّى الأنفس ، ومَلَك الموت يقبض الأرواح بأمره سبحانه :

* فتفهّم يابنيّ وصيّتي ، واعلم أنّ مالك الموت ، هو مالك الحياة ، وأنّ الخالق هو المميت ، وأنّ المفني هو المعيد (ر/٣١) .
* هو المُفني لها بعد وجودها ، حتّى يصير موجودها كمفقودها ، ... بلا قدرةٍ منها كان ابتداء خلقها ، و بغير امتناعٍ منها كان فناؤها ، ولو قدرت على الامتناع لدام بقاؤها ... ثمّ هو يفنيها بعد تكوينها ، لا لسأمٍ دخل عليه في تصريفها وتدبيرها ، ولا لراحةٍ واصلةٍ إليه ، ولا لِثقَل شيءٍ منها عليه ، لا يُمِلّه طول بقائها فيدعوه إلى سرعة إفنائها ، ولكنّه سبحانه دبّرها بلطفه ، وأمسكها بأمره ، وأتقنها بقدرته (خ/١٨٦) .
* (وقال عليه السّلام عن مَلَك الموت) : هل تحسّ به إذا دخل منزلاً ، أم هل تراه إذا توفّى أحداً ؟ بل كيف يتوفّى الجنين في بطن أمّه ؟! أيلج عليه من بعض جوارحها ، أم الرّوح أجابَتْه بإذن ربها ؟ أم هو ساكنٌ معه في أحشائها ؟ (خ/١١٢) .
* (سُئِلَ عن رجل سُدَّ باب بيته ، من أين يأتيه رزقه ؟) قال عليه السّلام : من حيث

يأتيه أجله (ح/٣٥٦).

(١٣٩) وصف الموت وسكراته، والحالة النفسية للمحتضر:

* فغير موصوفٍ ما نَزَلَ بهم، اجتمعت عليهم سكرة الموت، وحسرة الفوت، فَفَتَرَتْ لها أطرافهم، وتغيّرت لها ألوانهم، ثمّ أزداد الموت فيهم ولوجاً، فحيل بين أحدهم و بين منطقه، وإنّه لبين أهله ينظر ببصره، و يسمع بأذنه، علىٰ صحّةٍ من عقله، و بقاءٍ من لُبّه، يفكّر فيم أفنىٰ عمره، وفيم أذهبَ دهرَه، و يتذكّر أموالاً جَمَعَها، أغمض في مطالبها، وأخذها من مصرّحاتها ومشتبهاتها، قد لَزِمَتْهُ تَبِعات جمعها، وأشرف علىٰ فراقها، تبقى لمن وراءه ينعمون فيها، و يتمتّعون بها، فيكون المَهْنَأ لغيره، والعبء علىٰ ظهره، والمرء قد غَلِقَتْ رهونه بها، فهو يعضّ يده ندامةً علىٰ ما أصحر له عند الموت من أمره، و يزهد فيما كان يرغب فيه أيّام عمره، و يتمنّى أنّ الّذي كان يغبطه بها ويحسده عليها قد حازها دونه، فلم يزل الموت يبالغ في جسده حتّى خالط لسانُه سمعَه، فصار بين أهله لا ينطق بلسانه، ولا يسمع بسمعه: يردّد طرفه بالنّظر في وجوههم، يرى حركات ألسنتهم، ولا يسمع رجع كلامهم، ثمّ أزداد الموت التياطاً به، فقُبِضَ بصرُه كما قُبض سمعه، وخرجت الرّوح من جسده (خ/١٠٩).

* فبينما هو يضحك إلى الدّنيا وتضحك إليه في ظلّ عيشٍ غَفول، إذ وَطِيء الدّهر به حَسَكُه، ونقضت الأيّام قواه، ونظرت إليه الحتوف، من كثب، فخالَطَه بثٌّ لا يعرفه، ونجيّ همٍّ ما كان يجده، وتولّدت فيه فتراتُ عِللٍ، آنَسَ ما كان بصحّته، فَفَزِعَ إلى ما كان عوّده الأطبّاء من تسكين الحارّ بالقارّ، وتحريك البارد بالحارّ، فلم يُطفيء ببارد إلاّ ثَوّر حرارةً، ولا حرّك بحارٍّ إلاّ هيّج برودةً، ولا اعتدل بمُمازجٍ لتلك الطّبائع إلاّ أمدّ منها كلّ ذات داء، حتّى فَتَرَ مُعَلِّلُه، وذهل مُمرّضُهُ، وتعايا أهله بصفة دائه، وخرسوا عن جواب السّائلين عنه، وتنازعوا دونه شجيّ خبرٍ يكتمونه: فقائلٌ يقول: هو لما به، ومُمَنٍّ لهم إياب عافيته، وَمُصَبِّرٌ لهم علىٰ فقده، يذكّرهم أسى الماضين من قبله، فبينما هو كذلك على جناحٍ من فراق الدّنيا، وترك الأحبّة، إذ عرض له عارضٌ من غُصَصه، فتحيّرت نوافذ فطنته، و يبست رطوبة لسانه، فكم من مهمٍّ من جوابه عرفه فعيَّ عن ردّه، ودعاء مؤلمٍ بقلبه سَمِعَهُ

فتصامّ عنه ، من كبيرٍ كان يعظّمه ، أو صغيرٍ كان يرحمه ، وإنّ للموت لغمراتٍ هي أفظع من أن تُسْتَغْرَق بصفةٍ ، أو تعتدل علىٰ عقول أهل الدّنيا (ك/٢٢١) .

(١٤٠) كيف يُعامِلُ النّاسُ من يموت منهم ؟ :

* وخرجت الرّوح من جسده ، فصار جيفةً بين أهله ، قد أوحشوا من جانبه ، وتباعدوا من قربه ، لا يُسعِدُ باكياً ، ولا يجيب داعياً ، ثمّ حملوه إلىٰ مَخَطٍ في الأرض ، فأسلموه فيه إلى عمله ، وانقطعوا عن زورته (خ/١٠٩) .

* بين أخٍ شقيق ، ووالدٍ شفيق ، وداعيةٍ بالويل جَزَعاً ، ولادمةٍ للصّدر قَلَقاً ؛ والمرء في سكرةٍ مُلْهِثَة ، وغمرةٍ كارثةٍ ، وأنّةٍ مُوجِعَة ، وجذبةٍ مُكرِبة ، وسَوْقَةٍ مُتعِبَة ، ثمّ أُدرِجَ في أكفانه مُبلساً ، وجُذِبَ مُنقاداً سَلِساً ، ثمّ أُلْقِيَ على الأعواد رجيعَ وَصَبٍ ، ونِضْوَسَقَمٍ ، تحمِلُهُ حَفَدَة الوِلدان ، وحَشَدَة الأخوان ، إلى دار غُربته ، ومنقطع زورته ، ومفرد وحشته (خ/٨٣) .

* وصارت أموالهم للوارثين ، وأزواجهم لقومٍ آخرين (خ/١٣٢) .

* وبَعَثَ وُرّاثكم ، يقتسمون تُراثكم ، بين حميمٍ خاصٍّ لم ينفع ، وقريبٍ محزونٍ لم يمْنَع ، وآخر شامتٍ لم يجزع (ر/٤٥) .

(١٤١) وصف القبر ، ووحشته ، وساعة دخوله :

* « فأنّىٰ تؤفكون » أم أين تُصرَفون ، أم بماذا تغترّون ! وإنّما حظّ أحدكم من الأرض ، ذات الطّول والعَرض ، قِيدُ قدّهِ ، متعفّراً علىٰ خدّه (خ/٨٣) .

* واتّعظوا فيها (الدّنيا) بالّذين قالوا : « مَن أشدُّ منّا قوّةً » حُمِلوا إلى قبورهم فلا يُدْعَوْنَ رُكباناً ، وأُنْزِلُوا الأجداث فلا يُدْعَوْنَ ضيفاناً ، وجُعِلَ لهم من الصّفيح أجنان ، ومن التّراب أكفان ، ومن الرّفات جيران ... استبدلوا بظهر الأرض بطناً ، وبالسّعة ضيقاً ، وبالأهل غربة ، وبالنّور ظلمة ، فجاؤوها كما فارقوها ، حفاةً عراة (خ/١١١) .

* والنّفس مظانّها في غدٍ جَدَث تنقطع في ظلمته آثارُها ، وتغيب أخبارها ، وحفرةٌ لو زِيْدَ في فُسحَتِها ، وأوسَعَتْ يدا حافرها ، لأضغطها الحَجَرُ والمَدَر ، وسدَّ فُرَجَها التّراب

المتراكم (ر/٤٥).

* فاستبدلوا بالقصور المشيَّدة ، والنّمارق الممَهّدة ، الصّخور والأحجار المسنَّدة ، والقبور اللاطئة الملحَدَة ، الّتي قد بُنِيَ على الخراب فِناؤها ، وشُيّدَ بالتّراب بناؤها ، فمحلّها مقتربٌ ، وساكنها مغتربٌ ، بين أهل محلّةٍ مُوحشين ، وأهل فراغٍ متشاغلين (خ/٢٢٦).

* فإنّ أمامكم عقبةً كؤوداً ، ومنازل مخوفة مهولة ، لا بدّ من الورود عليها والوقوف عندها (ك/٢٠٤).

(١٤٢) سؤال القبر ونعيمه وعذابه :

* فإنكم لو قد عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجَزِعتُم ووهلتم ، وسمعتم وأطعتم ، ولكن محجوبٌ عنكم ما قد عاينوا ، وقريبٌ ما يُطرح الحجاب (ك/٢٠).

* حتّى إذا انصرف المُشَيِّع ، ورجع المتفجّع ، اُقْعِدَ في حفرته نجيّاً لِبَهْتَةِ السّؤال ، وعثرة الإمتحان (خ/٨٣).

* فإنّ أمامكم عقبةً كؤوداً ، ومنازل مخوفة مهولة ، لا بدّ من الورود عليها والوقوف عندها (ك/٢٠٤).

* شاهَدوا من أخطار دارهم أفظع ممّا خافوا ، ورأوا من آياتها أعظم ممّا قدّروا ، فكلتا الغايتين مُدَّت لهم إلىٰ مباءةٍ ، فأتت مبالغ الخوف والرّجاء ، فلو كانوا ينطقون بها لعيّوا بصفة ما شاهدوا وما عاينوا (ك/٢٢١).

* وبادِروا الموت وغمراته ، وامهَدوا له قبل حلوله ، وأعدّوا له قبل نزوله : فإنّ الغاية القيامة ؛ وكفىٰ بذلك واعظاً لمن عقل ، ومعتَبَراً لمن جَهِل ، وقبل بلوغ الغاية ما تعلمون : من ضيق الأرماس ، وشدّة الإبلاس ، وهول المُطّلَع ، وروعات الفزَع ، واختلاف الأضلاع ، واستكاك الأسماع ، وظلمة اللّحْد ، وخيفة الوعد ، وغمّ الضّريح ، وردم الصّفيح (خ/١٩٠).

(١٤٣) وصف أهل القبور:

* واتّعظوا فيها بالّذين قالوا : « من أشدّ منّا قوّةً » : حُمِلُوا إلى قبورهم فلا يُدْعَوْنَ رُكباناً ، واُنزلوا الأجداث ، فلا يُدْعَونَ ضيفاناً ، وجُعِلَ لهم من الصّفيح أجنان ، ومن

التُّراب أكفان ، ومن الرُّفات جيران ، فهم جيرةٌ لا يُجيبون داعياً ، ولا يمنعون ضيماً ، ولا يبالون مندبةً ، إن جيدوا لم يفرحوا ، وإن قُحطوا لم يَقْنَطوا ، جميعٌ وهم آحاد ، وجيرةٌ وهم أبعاد ، متدانون لا يتزاورون ، وقريبون لا يتقاربون ، حُلَماء قد ذهبت أضغانُهم ، وجُهَلاء قد ماتت أحقادُهم ، لا يُخشى فجعُهم ، ولا يُرجى دَفْعُهُم (خ/١١١) .

* فكأنّهم في ارتجال الصّفة صرعى سباتٍ ، جيران لا يتأنّسون ، وأحبّاءٌ لا يتزاورون ، بَلِيَتْ بينهم عُرا التّعارف ، وانقطعت منهم أسباب الإخاء ، فكلّهم وحيدٌ وهم جميع ، وبجانب الهجر وهم أخلاّء ، لا يتعارفون لليلٍ صباحاً ، ولا لنهارٍ مساءً (ك/٢٢١) .

(١٤٤) مصير أجساد النّاس بعد موتهم ودفنهم :

* وقد غودِرَ في محلّة الأموات رهيناً ، وفي ضيق المضجع وحيداً ، قد هتكت الهوامُّ جلدَته ، وأبلت النّواهك جِدّته ، وعفت العواصف آثاره ، ومَحا الحَدَثان معالمه ، وصارت الأجساد شحِبَةً بعد بَضّتها ، والعظام نَخِرَةً ، بعد قوّتها (خ/٨٣) .

* ولو استنطقوا عنهم عَرَصات تلك الدّيار الخاوية ، والرّبوع الخالية ، لقالت : ذهبوا في الأرض ضُلاّلاً وذهبتم في أعقابهم جُهّالاً ، تطأون في هامهم ، وتستنبتون في أجسادهم ، وترتعون فيما لفظوا ، وتسكنون فيما خرّبوا (ك/٢٢١) .

* فلو مثّلتهم بعقلك ، أو كُشِفَ عنهم محجوبُ الغطاء لك ، وقد ارتسخت أسماعهم بالهوامّ فاستكّت ، واكتحلت أبصارهم بالتّراب فخَسَفَتْ ، وتقطّعت الألسنة في أفواههم بعد ذلاقتها ، وهمدت القلوب في صدورهم بعد يقظتها ، وعاث في كلّ جارحةٍ منهم جديد بلًى سَمَّجها ، وسَهَّلَ طُرُقَ الآفةِ إليها ، مستسلمات فلا أيدٍ تَدفَع ، ولا قلوبٌ تجزَع ، لرأيتَ أشجانَ قلوبٍ ، وأقذاء عيونٍ ، لهم في كلّ فظاعةٍ صفةُ حالٍ لا تنتقل ، وغمرةٌ لا تنجلي ، فكم أكلت الأرض من عزيز جسدٍ ، وأنيق لونٍ ، كان في الدّنيا غذيَّ ترفٍ ، وربيبَ شَرَف (ك/٢٢١) .

* وقد طَحَنَهم بكَلْكَلِهِ البِلى ، وأكَلَتْهُمُ الجنادلُ والثّرى (خ/٢٢٦) .

(١٤٥) أولياء الله يختلفون عن سائر النّاس في ميتتهم، وسؤال القبر، ومصير الجسد، ووحشة القبر:

* أيّها النّاس، خذوها عن خاتم النبيّين صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّه يموت مَن مات منّا وليس بميّت، و يَبلى من بَلِيَ منّا وليس ببالٍ» (خ/٨٧).

* فإنّ تقوى الله دواء داء قلوبكم ... وأمن فزع جأشكم، وضياء سواد ظلمتِكم... ومَنهَلاً لحين ورودكم، وشفيعاً لدَرك طَلِبتَكم، وجُنَّةً ليوم فَزَعِكم، ومصابيح لبطون قبوركم، وسَكَناً لطول وحشتكم، ونَفَساً لكَرْبِ مواطنكم (خ/١٩٨).

* فمن عمل في أيّام أمله قبل حضور أجله، فقد نفعه عَمَلُه، ولم يَضْرُرْهُ أجله (خ/٢٨).

(١٤٦) أهميّة التهيؤ للموت، وفوائد ذكر الموت:

* يابنيّ أكثر من ذكر الموت، وذكر ما تهجم عليه، وتُفضي بعد الموت إليه، حتّى يأتيَكَ وقد أخذتَ منه حِذرَك، وشددتَ له أزرك، ولا يأتيك بغتةً فيبهَرَك (ر/٣١).

* واعلموا أنّه ليس من شيء إلاّ و يكاد صاحبه يشبع منه و يَمَلّه إلاّ الحياة فإنّه لا يجد في الموت راحةً، وإنّما ذلك بمنزلة الحِكمة الّتي هي حياةٌ للقلب الميّت (خ/١٣٣).

* وإنّما هَلَكَ مَن كان قبلكم بطول آمالهم وتغيّب آجالهم، حتّى نزل بهم الموعود الّذي تُرَدّ عنه المعذرة، وتُرفَع عنه التوبة، وتَحُلُّ معه القارعة والنِّقمة (خ/١٤٧).

* من تذكّر بُعْدَ السَّفر استعدّ (خ/٢٨٠).

* وما بين أحدكم و بين الجنة أو النار إلاّ الموت أن يَنْزِل به، وإن غايةً تنقصها اللحظة، وتهدمها السّاعة، لجديرةٌ بقِصَر المدّة، وإنّ غائباً يحدوه الجديدان: اللّيل والنّهار، لحريّ بسُرعة الأو بة، وإنّ قادماً يقدُمُ بالفوز أو الشّقوة لمستحقٌ لأفضل العُدَّة، فتزوّدوا في الدّنيا من الدّنيا ما تحرزون به أنفسكم غداً (خ/٦٤).

* وأوصيكم بذكر الموت، وإقلال الغفلة عنه، وكيف غفلتكم عمّا ليس يُغفِلُكم، وطَمَعُكم فيمن ليس يُمهلكم، فكفى واعظاً بموتى عاينتموهم، حُمِلوا إلى قبورهم غير راكبين، وأُنزِلوا فيها غير نازلين، فكأنّهم لم يكونوا للدّنيا عُمّاراً، وكأنّ الآخرة لم تزل لهم داراً، أوحشوا ما كانوا يُوطِنون، وأوطَنوا ما كانوا يُوحِشون (خ/١٨٨).

* وبادِروا الموت وغَمَراته ، وامهدوا له قبل حلوله ، وأعِدّوا له قبل نزوله : فإنّ الغاية القيامة ؛ وكفى بذلك واعظاً لمن عَقَل ، ومعتَبَراً لمن جَهِل (خ/١٩٠) .

* ومن ارتقب الموت سارع الى الخيرات (ح/٣١) .

* لو رأى العبد الأجل ومصيره ، لأ بغض الأمل وغروره (ح/٣٣٤) .

* فاتّقوا الله عباد الله ، وبادِروا آجالكم بأعمالكم ، واستعدّوا للموت فقد أظلّكم (خ/٦٤) .

* من أكثر من ذكر الموت رضي من الدّنيا باليسير (ح/٣٤٩) .

* فاحذروا عباد الله الموتَ وقُربَه ، وأعدّوا له عدّته ، فإنّه يأتي بأمرٍ عظيم ، وخطبٍ جليل ، بخيرٍ لا يكون معه شرٌّ أبداً ، أو شرٌّ لا يكون معه خيرٌ أبداً (ر/٢٧) .

* تجهّزوا رحمكم الله ، فقد نودي فيكم بالرّحيل ، وأقِلّوا العُرجَة على الدّنيا ، وانقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزّاد (ك/٢٠٤) .

* وأكثِر ذكر الموت وما بعد الموت ، ولا تتمنَّ الموتَ إلّا بشرطٍ وثيق ، وإيّاك أن ينزل بك الموت وأنت آبقٌ من ربّك في طلب الدّنيا (ر/٦٩) .

* وعجبتُ لمن نَسِيَ الموت ، وهو يرى الموتى (ح/١٢٦) .

* أما والله إنّي لَيمَنعنُي من اللَّعِب ذكر الموت (خ/٨٤) .

* من أطال الأمل أساء العمل (ح/٣٦) .

(١٤٧) المتّقون والتهيّؤ للموت :

* استقربوا الأجل فبادَروا العمل ، وكذّبوا الأمل فلاحَظوا الأجل (خ/١١٤) .

* فإنّ تقوى الله مفتاح سداد ، وذخيرة معاد ، وعِتقٌ من كلّ مَلَكَة ، ونجاةٌ من كلّ هَلَكَة ، بها ينجَح الطّالب ، وينجو الهارب ، وتُنال الرّغائب (خ/٢٣٠) .

* رحم الله امرَءاً سمع حُكماً فوعى ... جعل الصّبرَ مطيّة نجاته ، والتّقوى عُدّة وفاته ، ركب الطّريقة الغرّاء ، ولزم المحجّة البيضاء ، اغتنم المهل ، وبادر الأجل ، وتزوّد من العمل (خ/٧٦) .

* فكأنّما اطّلعوا غيوب أهل البرزخ في طول الأقامة فيه ، وحقّقت القيامة عليهم

عِداتِها (ك/٢٢٢).

* ولولا الأجل الّذي كَتَبَ الله عليهم، لم تستقرّ أرواحُهم في أجسادهم طَرْفَةَ عينٍ، شوقاً إلى الثّواب، وخوفاً من العقاب (خ/١٩٣).

* إنّ أولياء الله هم الّذين نظروا إلى باطن الدّنيا إذا نظر النّاس إلى ظاهرها، واشتغلوا بآجلها، إذا اشتغل النّاس بعاجلها (ح/٤٣٢).

(١٤٨) العاصي والموت:

* لا تكن ممّن يكره الموت لكثرة ذنوبه، و يقيم علىٰ ما يكره الموت من أجله... يخشى الموت، ولا يبادر الفوت (ح/١٥٠).

(١٤٩) الجزع عند فقد الأحبّة مرفوضٌ في الاسلام والحزن مقبول، والصّبر ممدوح وصاحبه مأجور والاتّعاظ بهم هو المطلوب:

* قال عليه السّلام، وهو يعزّي الأشعث بن قيس عن ابن له: يا أشعث، إن تحزن على ابنك فقد استحقّت منك ذلك الرَّحِم، وإن تصبر ففي الله من كلّ مصيبةٍ خَلَف، يا أشعث، إن صبرتَ جرى عليك القَدَر وأنت مأجور، وإن جَزِعت جرى عليك القَدَر وأنت مأزور (ح/٢٩١).

* ينزل الصّبر على قدر المصيبة، ومن ضرب يده علىٰ فَخِذِه عند مصيبته حَبِطَ عمله (ح/١٤٤).

* وعزّى عليه السّلام قوماً عن ميّت مات لهم فقال:

إنّ هذا الأمر ليس لكم بدأ، ولا إليكم انتهىٰ، وقد كان صاحبكم هذا يسافر، فعُدّوه في بعض أسفاره، فإن قَدِمَ عليكم وإلّا قَدِمْتم عليه (ح/٣٥٧).

* وتبع عليه السّلام جنازةً فسمع رجلاً يضحك، فقال: كأنّ الموت فيها على غيرنا كُتِبَ، وكأنّ الحقّ فيها علىٰ غيرنا وجب، وكأنّ الّذي نرى من الأموات سَفْرٌ عمّا قليلٍ إلينا راجعون، نُبَوِّئُهم أجداثَهم، ونأكل تُراثَهم، كأنّا مُخَلَّدون بعدهم، ثمّ قد نسينا كلّ واعظٍ وواعظةٍ، ورُمينا بكلّ وجائحة (ح/١٢٢).

* (في وصف المتقين) : ولا يُعَزَّونَ عن الموتىٰ (خ/١٢١) .

(١٥٠) ماهيّة الموت ، وكيفية فناء الأرواح علمٌ يختصّ به الله سبحانه وتعالىٰ :

* كم أطـرَدْتُ الأيّام أبحثُها عن مكنون هذا الأمر ، فأبىٰ الله إلّا إخفاءهَ ، هيهات ، علم مخزون ! (خ/١٤٩) .

* كيف يتوفّى الجنين في بطن أمّه ! أيلج عليه من بعض جوارحها أم الرّوح أجابته بإذن ربّها ؟ ، أم هو ساكنٌ معه في أحشائها ؟ (خ/١١٢) .

٢ ـ النّشور

(١٥١) المعاد جسمانيّ وروحانيّ معاً :

* حتّى إذا تصرّمت الأمور ، وتقضّت الدّهور ، وأزف النّشور ، أخرجهم من ضرائح القبور ، وأوكار الطّيور ، وأوجرة السّباع ، ومطارح المهالك ، سراعاً إلى أمره ، مُهطعين إلى مَعاده ، رعيلاً صُموتاً ، قياماً صفوفاً ، يَنفذُهم البصر ، و يُسمعهم الدّاعي ، عليهم لَبوسُ الإستكانة ، وضَرَعُ الإستسلام والذّلّة ، قد ضلّت الحِيَل ، وانقطع الأمل ، وهَوَتِ الأفئدة كاظمةً ، وخشعت الأصوات مهيمنة ، وألجم العَرَق ، وعَظُمَ الشَّفق ، وأُرعِدَتِ الأسماعُ لزبرةِ الدّاعي إلى فصل الخطاب ، ومقايضة الجزاء ، ونكال العِقاب ، ونوال الثّواب (خ/٨٣) .

* وذلك يومٌ يجمع الله فيه الأوّلين والآخرين لنقاش الحساب ، وجزاء الأعمال ، خضوعاً ، قياماً ، قد ألجمهم العَرَق ، ورجفت بهم الأرض ، فأحسنُهم حالاً من وَجَدَ لقدميه موضعاً ، ولنفسه متّسعاً (خ/١٠٢) .

* قد شَخِصوا من مستقرّ الأجداث ، وصاروا إلى مصائر الغايات ، لكلّ دارٍ أهلُها ، لا يستبدلون بها ، ولا يُنقلون عنها (خ/١٥٦) .

* وأرّج الأرضَ وأرجفها ، وقلع جبالها ونسفها ، ودكّ بعضها بعضاً من هيبة جلالته ومخوف سطوته ، وأخرج مَن فيها ، فجدّدهم بعد إخلاقِهم ، وجمعهم بعد تفرّقهم ... فأمّا أهل الطّاعة فأثابهم بجواره ... وأمّا أهل المعصية فأنزلهم شرّ دارٍ ، وغلّ الأيدي إلىٰ الأعناق ،

وقرن النّواصي بالأقدام ، وألبسهم سرابيل القَطِران ، ومقطّعات النّيران (خ/١٠٩) .

* فكيف بكم لو تناهت بكم الأمور ، و بُعثِرَت القبور (خ/٢٢٦) .

* أفرأيتم جزع أحدكم من الشّوكة تصيبهُ ، والعثرة تدميه ، والرّمضاء تُحرقه ، فكيف إذا كان بين طابقَين من نارٍ ، ضجيعَ حَجَر ، وقرينَ شيطان (خ/١٨٣) .

* فالله الله عباد الله ، فإنّ الدّنيا ماضيةٌ بكم على سنن ، وأنتم والسّاعة في قرن ، وكأنّها قد جاءت بأشراطها ، وأزفت بأفراطها ، ووقفت بكم على صراطها ، وكأنّها قد أشرفت بزلازلها ، وأناخت بكلاكلها ، وانصرمت الدّنيا بأهلها ، وأخرجتهم من حضنها (خ/١٩٠) .

(١٥٢) المعاد حقّ على الله تعالى ، ولن يخلف الله وعده :

* واستحقّوا منه ما أعدّ لكم بالتنجّزِ لصدق ميعاده ، والحذرِ من هول معاده (خ/٨٣) .

* وكأنّ الصّيحة قد أتتكم ، والسّاعة قد غشيتكم ، و برزتم لفصل القضاء ، قد زاحت عنكم الأ باطيل ، واضمحلّت عنكم العلل ، واستحقّت بكم الحقائق ، وصدرت بكم الأمور مصادرها (خ/١٠٢) .

* إذا رجفت الرّاجفة ، وحقّت بجلائلها القيامة (ك/٢٢٣) .

(١٥٣) للايمان بالمعاد فوائد تربويّة ونفسيّة ومادّيّة تعود على الانسان في الدّنيا ، وبيان بعض تلك الفوائد :

* وأنّ الدّنيا لم تكن لتستقرّ إلاّ على ما جعلها الله عليه من النّعماء ، والابتلاء ، والجزاء في المعاد ، أو ما شاء ممّا لا تعلم (ر/٣١) .

* طوبى لمن ذكر المعاد ، وعمل للحساب ، وقنع بالكفاف ، ورضي عن الله (ح/٤٤) .

* فإنّ الغاية القيامة ، وكفى بذلك واعظاً لمن عقل ، ومعتَبراً لمن جهل (خ/١٩٠) .

* فسبحان الله ، أما تؤمن بالمعاد ؟ أوَ ما تخاف نقاش الحساب ؟! (ر/٤١) .

* فإذا مرّوا بآيةٍ فيها تشويقٌ ركنوا إليها طمعاً ، وتطلّعت نفوسهم إليها شوقاً ، وظنّوا أنّها نُصْب أعينهم ، وإذا مرّوا بآيةٍ فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم ، وظنّوا انَّ زفير

جهنّم وشهيقها في أصول آذانهم (خ/١٩٣).

* ومن أصلح أمر آخرته، أصلح الله له أمر دنياه (ح/٨٩).

* فمن اشتاق إلى الجنّة سلا عن الشّهوات، ومن أشفق من النّار اجتنب المحرّمات (ح/٣١).

* ومن طلب الآخرة، طلبته الدّنيا حتّى يستوفي رزقه منها (ح/٢٣١).

* (لمالك): ولن تحكم ذلك من نفسك، حتّى تُكثر همومك بذكر المعاد إلى ربّك (ر/٥٣).

* رحم الله امَرءاً تفكّر فاعتبر، واعتبر فأبصر، فكأنّ ما هو كائن في الدّنيا عن قليلٍ لم يكن، وكأنّ ما هو كائنٌ من الآخرة عمّا قليلٍ لم يزل (خ/١٠٣).

* أما والله إنّي لَيمنعني من اللّعب ذكر الموت، وإنّه ليمنعه من قول الحقّ نسيان الآخرة (خ/٨٤).

(١٥٤) المعاد ضرورة وواجب لإثابة المؤمنين الطائعين والاقتصاص من العاصين والظالمين:

* والله سبحانه مبتدىء بالحكم بين العباد، فيما تسافكوا من الدّماء يوم القيامة (ر/٥٩).

* ومن شنىء الفاسقين، وغضب لله، غضب الله له وأرضاه يوم القيامة (ح/٣١).

* وذلك يومٌ يجمع الله فيه الأوّلين والآخرين لنقاش الحساب وجزاء الأعمال (خ/١٠٢).

* فلم يجز في عدله وقسطه يومئذٍ خرق بصرٍ في الهواء، ولا همسُ قدمٍ في الأرض إلاّ بحقّه، فكم حجّةٍ يوم ذاك داحضة، وعلائق عذرٍ منقطعة (ك/٢٢٣).

* وبؤسى لمن خصمه عند الله، الفقراء والمساكين، والسّائلون والمدفوعون، والغارمون وابن السبيل (ر/٢٦).

* «وسيق الّذين اتّقوا ربّهم إلى الجنّة زمَراً» قد أُمِنَ العذاب، وانقطع العتاب، وزُحزحوا عن النّار، واطمأنّت بهم الدّار، ورَضُوا المثوى والقرار، الّذين كانت أعمالهم في الدّنيا زاكية، وأعينهم باكية، وكان ليلهم في دنياهم نهاراً، تخشّعاً واستغفاراً، وكان

نـهارهم ليلاً ، توحّشاً وانقطاعاً ، فجعل الله لهم الجنّة مآباً ، والجزاء ثواباً ، « وكانوا أحقَّ بها وأهلها » في ملك دائم ، ونعيمٍ قائم (خ/١٩٠) .

* والحَكَم الله ، والمعود إليه القيامة (ك/١٦٢) .

(١٥٥) إعادة خلق الانسان ليست بعسيرةٍ على من خلقه أولّ مرة :

* وعـجـبـتُ لـمن نسي الموت ، وهو يرى الموتىٰ ، وعجبت لمن أنكر النّشأة الأخرىٰ ، وهو يرى النشأة الأ ولىٰ (ح/١٢٦) .

* حتّـى إذا تـصـرّمـت الأمـور ، وتـقـضّت الدّهور ، وأزف النّشور ، أخرجهم من ضرائح الـقـبـور ، وأوكـار الـطّـيـور ، وأوجرة السّباع ، ومطارح المهالك سِراعاً إلى أسره ، مُهطعين إلى معاده (خ/٨٣) .

* عـبـادٌ مخلوقون اقتداراً ، ومربوبون اقتساراً ، ومقبوضون احتضاراً ، ومضمّنون أجداثاً ، وكائنون رُفاتاً ، ومبعوثون أفراداً ، ومدينون جزاءً ، ومميّزون حساباً (خ/٨٣) .

(١٥٦) ساعة المعاد من الأمور الغيبيّة التي يختصّ بها الله سبحانه وتعالى :

* يـاأخـا كـلـب ، لـيس هو بعلم غيب ، وإنّما هو تعلّمٌ من ذي علم ، وإنّما علم الغيب عـلـم الـسّاعة ، وما عدّده الله بقوله : « إنّ الله عنده علم السّاعة ، و ينزّل الغيث ، و يعلم ما في الأ رحـام ، ومـا تـدري نـفـسٌ مـاذا تـكـسـب غـداً ، ومـا تـدري نـفـسٌ بـأي أرضٍ تموت ... » (ك/١٢٨) .

* وكـلّ شيء من الدّنيا سماعه أعظم من عِيانه ، وكلّ شيء من الآخرة عِيانُه أعظم من سماعه ، فَلْيَكْفِكُم من العِيان السَّماع ، ومن الغيب الخبر (خ/١١٤) .

(١٥٧) يوم المعاد يأتي بغتة :

* أمّـا بـعـد ، فـإنّ الـدّنـيـا أدبـرت ، وآذنـت بـوداع ، وإنّ الآخـرة قـد أقـبلت وأشرفت باطّلاع (خ/٢٨) .

* ثـمّ إنّ الله سـبـحـانـه بعث محمداً (ص) بالحقّ حين دنا من الدّنيا الإنقطاع وأقبل من

الآخرة الإطّلاع (خ/١٩٨).

* أمّا بعد، فإنّ الله سبحانه بعث محمداً (ص) وليس أحدٌ من العرب يقرأ كتاباً، ولا يدّعي نبوّةً ولا وحياً، فقاتل بمن أطاعه من عصاه، يسوقهم إلى منجاتهم، و يبادر بهم السّاعة أن تنزل بهم (خ/١٠٤).

* وكأنّ الصّيحة قد أتتكم، والسّاعة قد غَشِيَتكم (خ/١٥٧).

(١٥٨) مشاهد من البحث :

* أخرجهم من ضرائح القبور، وأوكار الطّيور، وأوجرة السّباع، ومطارح المهالك، سراعاً إلى أمره، مهطعين إلى معاده، رعيلاً صُموتاً، قياماً صفوفاً، ينَفُذُهم البصر، و يُسمِعُهُم الدّاعي، عليهم لَبوس الإستكانة، وضَرعُ الإستسلام والذّلّة، قد ضلّت الحِيَل، وانقطع الأمل، وهوت الأفئدة كاظمة، وخشعت الأصوات مهينمة، وألجم العرق، وعظم الشّفق، وأرعدت الأسماع لزَبرة الدّاعي إلى فصل الخطاب، ومقايضة الجزاء، ونكال العقاب، ونوال الثّواب (خ/٨٣).

* ورجفت بهم الأرض، فأحسنهم حالاً من وجد لقدميه موضعاً، ولنفسه متّسعاً (خ/١٠٢).

* «يوم تشخص فيه الأ بصار» وتُظلم له الأقطار، وتعطّل فيه صُروم العِشار، و يُنفَخُ في الصُّور، فتُزهَقُ كلُّ مهجة، وتُبكَم كلّ لهجة، وتذلّ الشُّمُّ الشّوامخ، والصُّمُّ الرّواسخ، فيصير صَلدُها سراباً رَقرقاً، ومعهدُها قاعاً سملقاً، فلا شفيعٌ يشفَع، ولا حميمٌ ينفَع، ولا معذرةٌ تدفَع (خ/١٩٥).

(١٥٩) حالة النّاس النّفسيّة يوم المعاد، وما ينتابهم من فزع واضطراب :

* عليهم لبوس الاستكانة، وضَرَعُ الاستسلام والذِّلّة ... وهَوَتِ الأفئدة كاظمةً، وخشعت الأصوات ميهنمةً، وألجَمَ العَرَق، وعَظُمَ الشَّفَق، وأرعِدَت الأسماعُ لزَبرةِ الدّاعي إلى فصل الخطاب، ومقايضة الجزاء، ونكال العقاب، ونوال الثّواب (خ/٨٣).

* ودهمتكم مفظعات الأمور، والسّياقة إلى الورد المورود (خ/٨٥).

* فأحسنهم حالاً من وجد لقدميه موضعاً ، ولنفسه متّسعاً (خ/١٠٢) .
* فكأنّكم بالسّاعة تحدوكم حدو الزّاجر بشوله (خ/١٥٧) .
* واستحِقّوا منه ما أعدّ لكم بالتّنجّز لصدق ميعاده ، والحذر من هول مَعاده (خ/٨٣) .
* و يُنفَخُ في الصّور ، فتزهَقُ كلّ مهجةٍ ، وتبكَمُ كلّ لهجة (خ/١٩٥) .
* واعلم أنّ أمامك طريقاً ذا مسافةٍ بعيدة ، ومشقّةٍ شديدة (ر/٣١) .
* في موقفٍ ضنك المقام ، وأمورٍ مشتبهة عظام (خ/١٩٠) .

٣ ـ الحساب والجزاء

(١٦٠) النّاس جميعاً يعرضون يوم القيامة للحساب ولا يترك أحدٌ مطلقاً :

* وذلك يومٌ يجمع الله الأوّلين والآخرين لنقاش الحساب ، وجزاء الأعمال ، خضوعاً قياماً ... فأحسنهم حالاً من وجد لقدميه موضعاً ، ولنفسه متّسعاً (خ/١٠٢) .

* أخرجهم من ضرائح القبور ، وأوكار الطّيور ، وأوجرة السّباع ، ومطارح المهالك ، سراعاً إلى أمره ، مهطعين إلى مَعاده ، رعيلاً صموتاً ، قياماً صفوفاً (خ/٨٣) .

* فإنّما يُنتَظر بأوّلكم آخرُكم (خ/٢١) .

* وأرّج الأرض وأرجفها ، وقلع جبالها ونسفها ، ودكّ بعضها بعضاً من هيبة جلالته ومخوف سطوته ، وأخرج من فيها ، فجدّدهم بعد إخلاقهم ، وجمعهم بعد تفرّقهم ، ثمّ ميّزهم لما يريده من مسألتهم (خ/١٠٩) .

(١٦١) في أنّ النّاس يحاسبون أفراداً :

* ثم ميّزهم لما يريده من مسألتهم عن خفايا الأعمال وخبايا الأفعال (خ/١٠٩) .
* ومميّزون حساباً (خ/٨٣) .
* لكلّ امرىءٍ عاقبة ، حلوة أو مرّة (ح/١٥١) .
* ودهمتكم مفظعات الأمور ، والسّياقة إلى الورد المورود ، فـ « كلّ نفسٍ معها سائقٌ وشهيد » .. سائقٌ يسوقها إلى محشرها ، وشاهد يشهد عليها بعملها (خ/٨٥) .

* (وسُئِل(ع)) : كيف يحاسِبُ الله الخلق على كثرتهم ؟ فقال(ع) : كما يرزقهم على كثرتهم . فقيل : كيف يحاسبهم ولا يرونه ؟ فقال : كما يرزقهم ولا يرونه (ح/٣٠٠) .

(١٦٢) في أنّه لا مفر لأحد من الحساب ، ولا عودة لكي يعمل صالحاً ، و يردّ مظلمة :

* وإنّ اليوم عملٌ ولا حساب ، وغداً حسابٌ ولا عمل (ك/٤٢) .

* ... عليهم لبوس الإستكانة ، وضَرَع الإستسلام والذلّة ، قد ضلّت الحِيَل ، وانقطع الأمل (خ/٨٣) .

* وإنّ الخلقَ لا مقصَر لهم عن القيامة ، مُرقلين في مضمارها إلى الغاية القصُوى (خ/١٥٦) .

* فارتدْ لنفسك قبل نزولك ، ووطّىء المنزل قبل حلولك ، « فليس بعد الموت مستَعتَب » ولا إلى الدّنيا مُنصرَف (ر/٣١) .

* وما بين أحدكم و بين الجنّة أو النّار إلاّ الموت أن ينزل به (خ/٦٤) .

* وأنّ مهبطك بها لا محالة إمّا على جنّةٍ أو نار(ر/٣١) .

* واعلم أنّ أمامك طريقاً ذا مسافةٍ بعيدة ، ومشقّة شديدة ، وأنّه لا غنى بك فيه عن حسن الإرتياد (ر/٣١) .

(١٦٣) في أنّه لا حجّة أو عذر ينقذ أحداً من مصيره يوم الحساب ولا شفيع للكافرين العاصين :

* فكم حجّةٍ يوم ذاك داحضة ، وعلائق عذرٍ منقطعة (ك/٢٢٣) .

* اعملوا ليومٍ تُذخر له الذّخائر ، « وتبُلىٰ فيه السّرائر » ومن لا ينفعه حاضر لبّه فعاز به عنه أعجز ، وغائبه أعوز(ك/١٢٠) .

* فلا شفيعٌ يشفع ، ولا حميمٌ ينفع ، ولا معذرةٌ تَدفع (خ/١٩٥) .

(١٦٤) من شفعاء المؤمنين يوم القيامة ، وخصماء الكافرين والعاصين :

* وأنّه من شفع له القرآن يوم القيامة شُفّع فيه ، ومن مَحَلَ به القرآن يوم القيامة صُدّق

عليه ، فإنّه يُنادي منادٍ يوم القيامة : « ألا إنّ كلّ حارثٍ مُبتلًى في حرثه وعاقبة عمله ، غير حَرَثَة القرآن » فكونوا من حرثته وأتباعه (خ/١٧٦) .

* وكفى بالكتاب حجيجاً وخصيماً (خ/٨٣) .

* أنا حجيج المارقين ، وخصيم النّاكثين المرتابين (خ/٧٥) .

* وإنّما الأئمّة قوّام الله علىٰ خلقه ، وعرفاؤه علىٰ عباده ، ولا يدخل الجنّة إلاّ من عرفهم وعرفوه ، ولا يدخل النّار إلاّ من أنكرهم وأنكروه (خ/١٥٢) .

* و بؤسى لمن ــ خصمُه عند الله ــ الفقراء والمساكين والسّائلون والمدفوعون ، والغارمون وابن السبيل (ر/٢٦) .

* ومن قرأ القرآن فمات فدخل النّار ، فهو ممّن كان يتّخذ آيات الله هُزواً (ح/٢٢٨) .

(١٦٥) يُسْأل النّاس يوم القيامة عن كلّ صغيرة وكبيرة وظاهرة ومستورة من أعمالهم :

* فإنّ الله تعالىٰ يسائلكم ــ معشر عباده ــ عن الصّغيرة من أعمالكم والكبيرة ، والظّاهرة والمستورة ، فإن يعذّب فأنتم أظلم ، وإن يَعفُ فهو أكرم (ر/٢٧) .

* عباد الله ، احذروا يوماً تُفحَص فيه الأعمال (خ/١٠٢) .

* إعملوا ليومٍ تُذخَر له الذّخائر ، « وتُبلىٰ فيه السرّائر » (ك/١٢٠) .

* وجمعهم بعد تفرّقهم ، ثمّ ميّزهم لما يريده من مسألتهم عن خفايا الأعمال وخبايا الأفعال (خ/١٠٩) .

* وإنّ الله سبحانه يُدخل بصدق النيّة والسّريرة الصّالحة من يشاء من عباده الجنّة (ح/٤٢) .

* ونستغفره ممّا أحاط به علمه ، وأحصاه كتابه ، علمٌ غير قاصر ، وكتابٌ غير مغادر (خ/١١٤) .

* إنّ الله سبحانه وتعالىٰ لا يخفى عليه ما العباد مقترفون في ليلهم ونهارهم ، لَطُفَ به خُبْراً ، وأحاط به علماً ، أعضاؤكم شهودُه ، وجوارحكم جنوده ، وضمائركم عيونه ، وخلواتكم عيانه (خ/١٩٩) .

* أَمَرَهُ بتقوى الله في سرائر أمره وخفيّات عمله ، حيث لا شهيد غيره ، ولا وكيل دونه ،

وأمَرَهُ ألاّ يعمل بشيء من طاعة الله فيما ظهر فيخالف إلى غيره فيما أسرّ، ومن لم يختلف سرّه وعلانيته، وفعله ومقالته، فقد أدّى الأمانة، وأخلص العبادة (ر/٢٦).

* للظّالم البادي غداً بكفّه عضّة (ح/١٨٨).

* فاتّقوا الله الّذي أنتم بعينه، ونواصيكم بيده، وتقلّبكم في قبضته، إن أسررتم عَلِمَهُ، وإن أعلنتم كَتَبَه؛ قد وكّلَ بذلك حَفَظَةً كراماً، لا يُسقِطون حقّاً، ولا يُثبتون باطلاً (خ/١٨٣).

* اتّقوا معاصي الله في الخَلَوات، فإنّ الشّاهد هو الحاكم (ح/٣٢٤).

* واعلم أنّ الدّنيا دار بليّةٍ لم يَفْرغ صاحبُها فيها قطّ ساعةً إلاّ كانت فرغتُهُ عليه حسرةً يومَ القيامة (ر/٥٩).

(١٦٦) حال المثقلين بالذّنوب يوم القيامة، وحال المخفّين:

* واعلم أنّ أمامك طريقاً ذا مسافةٍ بعيدة، ومشقّةٍ شديدة، وأنّه لا غِنى بك فيه عن حسن الإرتياد، وقدر بلاغك من الزّاد، مع خِفّة الظّهر، فلا تحملَنّ على ظهرك فوق طاقتك، فيكون ثِقْلُ ذلك و بالاً عليك (ر/٣١).

* واعلم أنّ أمامك عَقَبَةً كؤوداً، المُخِفُّ فيها أحسنُ حالاً من المُثْقِل، والمُبطىء عليها أقبح حالاً من المُسرِع (ر/٣١).

* تخفّفوا تلحقوا (خ/٢١).

(١٦٧) أنّ في الجنّة أنواع اللّذائذ وما تشتهيه الأنفس، وأنّها الدّار الحقيقيّة للمؤمنين:

* فلو رميت ببَصَر قلبك نحو ما يوصف لك منها لعَزَفت نفسُك عن بدائع ما أُخرِج إلى الدّنيا من شهواتها ولذّاتها، وزخارف مناظرها، ولذَهِلَت بالفِكْر في اصطفاق أشجارٍ غُيِّبَتْ عروقها في كُثبان المِسْك على سواحل أنهارها، وفي تعليق كبائس اللّؤلؤ الرَّطْب في عساليجها وأفنانها، وطلوع تلك الثّمار مختلفةً في غُلُف أكمامها، تُجنى من غير تكلّف، فتأتي على مُنْيَةِ مُجتنيها، و يُطاف على نزّالِها في أفنية قصورها بالأعسال المصفّقة، والخمور المروّقة... فلو شَغَلْتَ قلبك أيّها المستمع بالوصول إلى ما يهجم عليك من تلك المناظر المونقة،

لزهقت نفسك شوقاً إليها ، ولتحمّلتَ من مجلسي هذا إلىٰ مجاورة أهل القبور استعجالاً بها (خ/١٦٥) .

* كلّ نعيمٍ دون الجنّة فهو محقور (ح/٣٨٧) .

* ولا ييأس ساكنُها (خ/٨٥) .

* « وسيق الّذين اتّقوا ربّهم إلى الجنّة زُمَراً » ، قد أمِنَ العذاب ، وانقطع العتاب ، وزُحزِحوا عن النّار ، واطمأنّت بهم الدّار ، ورَضُوا المثوىٰ والقرار (خ/١٩٠) .

* فأمّا أهل الطّاعة فأثابهم بجواره ، وخلّدهم في داره ، حيث لا يظعن النُزّال ، ولا تتغيّر بهم الحال ، ولا تنوبُهُم الأفزاع ، ولا تنالهم الأسقام ، ولا تعرِض لهم الأخطار ، ولا تشْخِصُهُم الأسفار (خ/١٠٩) .

(١٦٨) في خلود المؤمنين في الجنّة ، وخلود الكافرين في النّار :

* درجاتٌ متفاضلاتٌ ، ومنازل متفاوتاتٌ ، لا ينقطع نعيمها ، ولا يظعن مقيمها ، ولا يهرم خالدها ، ولا ييأس ساكنُها (خ/٨٥) .

* الّذين كانت أعمالهم في الدّنيا زاكيةً ، وأعينهم باكيةً ، وكان ليلهم في دنياهم نهاراً ، تخشّعاً واستغفاراً ، وكان نهارهم ليلاً ، توحّشاً وانقطاعاً ، فجعل الله لهم الجنّة مآباً ، والجزاء ثواباً ، « وكانوا أحقّ بها وأهلها » في ملكٍ دائم ، ونعيمٍ قائم (خ/١٩٠) .

* وأمّا أهل المعصية فأنزلهم شرّ دار ... في نارٍ لها كَلَبٌ ولجبٌ ، ولهبٌ ساطعٌ ، وقصيفٌ هائل ، لا يظعن مقيمها ، ولا يُفادىٰ أسيرها ، ولا تُفصَم كبولُها ، لا مدّة للدّار فتفنى ، ولا أجل للقوم فيقْضىٰ (خ/١٠٩) .

* فأمّا أهل الطاعة فأثابهم بجواره ، وخلّدهم في داره ، حيث لا يظعن النُزّال ، ولا تتغيّر بهم الحال (خ/١٠٩) .

(١٦٩) أن في النّار أشدّ أنواع العذاب والعقاب :

* وأعظم ما هنالك بليّة نزول الحميم ، وتصلية الجحيم ، وفورات السّعير ، وسورات الزّفير ، لا فترةٌ مريحة ، ولا دَعَةٌ مُزيحة ، ولا قوّةٌ حاجزة ، ولا موتةٌ ناجزة (خ/٨٣) .

* وأمّا أهل المعصية فأنزلهم شرّ دارٍ، وغلّ الأيدي إلى الأعناق، وقَرَنَ النّواصي بالأقدام، وألبسهم سرابيل القَطِران، ومقطّعات النّيران، في عذابٍ قد اشتدّ حرّه، وبابٍ قد أُطبِقَ على أهله، في نارٍ لها كَلَبٌ ولجبٌ، ولهبٌ ساطع، وقصيفٌ هائل (خ/١٠٩).

* واتّقوا ناراً حرّها شديد، وقعرها بعيد، وحليتُها حديد (ك/١٢٠).

* أفرأيتم جزع أحدِكم من الشّوكة تصيبُه، والعثرة تُدميه، والرّمضاء تحرقُهُ؟ فكيف إذا كان بين طابقين من نارٍ، ضجيع حجر، وقرين شيطان، أعلمتم أنّ مالكاً إذا غضب على النّار حطم بعضُها بعضاً لغَضَبه، وإذا زجرها توثّبت بين أبوابها جَزَعاً من زجرته (خ/١٨٣).

* ونارٍ شديدٍ كَلَبُها، عالٍ لَجَبُها، ساطعٍ لَهَبُها، متغيّظٍ زفيرُها، متأجّجٍ سعيُرها، بعيدٍ خُمودُها، ذاكٍ وُقودُها، مخوفٍ وعيدُها، عَمٍ قرارُها، مظلمةٍ أقطارُها، حاميةٍ قدورهُا، فظيعةٍ أمورُها (خ/١٩٠).

* فاحذروا ناراً قعرها بعيد، وحرّها شديد، وعذابها جديد (ر/٢٧).

* وكلّ بلاءٍ دون النّار عافية (ح/٣٨٧).

الباب الخامس : في العبادات

الفصل الأوّل : في أمور عامّة في العبادات

الفصل الثّاني : في آداب العبادات و آثارها

الفصل الأوّل

« العبــادات »

(١٧٠) في أنّ العبادة حق الله تعالىٰ على عباده، وبيان بعض أهمّية العبادات بصورة عامّة:

* ولكنّه سبحانه جعل حقّه على العباد أن يطيعوه، وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثّواب تفضّلاً منه، وتوسّعاً بما هو من المزيد أهله (خ/٢١٦).

* اللّهم وهٰذا مقام مَنْ أفردك بالتّوحيد الّذي هُوَلَكَ، ولم ير مستحقّاً لهٰذه المحامد والممادح غيرك (خ/٩١).

* الحمد لله ... حمداً يكون لحقّه قضاءً، ولشكره أداءً (خ/١٨٢).

* واستعينوا الله علىٰ أداء واجب حقّه، وما لا يُحصىٰ من أعداد نعمه وإحسانه (خ/٩٩).

* إنّ لله في كلّ نعمةٍ حقّاً، فمن أدّاه زاده منها، ومن قصّر فيه خاطر بزوال نعمته (ح/٢٤٤).

* إنّ من حقّ مَن عَظُمَ جلال الله سبحانه في نفسه، وجلّ موضعه من قلبه، أن يصغر عنده ــ لعِظَمِ ذلك ــ كلّ ما سواه، وإنّ أحقّ من كان كذلك لَمَنْ عَظُمَت نعمة الله عليه، ولَطُفَ إحسانه إليه، فإنّه لم تَعْظُمْ نِعْمَةُ الله على أحدٍ إلاّ ازداد حقّ الله عليه عِظَماً (خ/٢١٦).

* أقلّ ما يلزمكم لله ألاّ تستعينوا بنعمه علىٰ معاصيه (ح/٣٣٠).

* إنّ الله سبحانه جعل الطّاعة غنيمة الأكياس عند تفريط العَجَزَة (ح/٣١٣).

(١٧١) في أنّ الله تعالىٰ غنيّ عن عبادة عباده :

* أمّا بعد ، فإنّ الله ــ سبحانه وتعالىٰ ــ خلق الخلق حين خلقهم غنيّاً عن طاعتهم ، آمناً من معصيتهم ، لأنّه لا تضرّه معصية من عصاه ، ولا تنفعه طاعة من أطاعه (خ/١٩٠) .

(١٧٢) في أنّ من أهمّ علل بعث الرّسل : إخراج النّاس من عبادة الأوثان إلى عبادة الله :

* لمّا بَدَّلَ أكثر خلقه عهد الله إليهم فجهلوا حقّه ، واتّخذوا الأنداد معه ، واجتالتهم الشّياطين عن معرفته ، واقتطعتهم عن عبادته ، فبعث فيهم رسله ، و واتر إليهم أنبياءه (خ/١) .

* فبعث الله محمّداً (ص) بالحقّ ليُخرِجَ عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته ، ومن طاعة الشّيطان إلى طاعته (خ/١٤٧) .

(١٧٣) في أنّه مهما عَبَدَ العَبْدُ الله تعالىٰ ، فإنّه لن يبلغَ حقَّ عبادته :

* لو عايَنوا كنه ما خفي عليهم منك لحقّروا أعمالهم ، ولَزَرَوْا علىٰ أنفسهم ، ولعرفوا أنّهم لم يعبدوك حقّ عبادتك ، ولم يطيعوك حقّ طاعتك (خ/١٠٩) .

* ولا يؤدّي حقّه المجتهدون (خ/١) .

* اللّهم لك الحمد ... حمداً يكون أرضَىٰ الحمد لك ، وأحبّ الحمد إليك ، وأفضل الحمد عندك ، حمداً يملأ ما خلقت ، و يبلغ ما أردت (خ/١٦٠) .

* لا يقطعون أمد غاية عبادته ، ولا يرجع بهم الأستهتار بلزوم طاعته (خ/٩١) .

* وتالله لو انماثت قلوبكم انمياثاً ، وسالت عيونكم من رغبةٍ إليه أو رهبةٍ منه دماً ، ثمّ عُمِّرتم في الدّنيا ، ما الدّنيا باقية ، ما جزت أعمالكم عنكم ــ ولو لم تُبقوا شيئاً من جهدكم ــ أنْعُمَه عليكم العظام ، وُهداه إيّاكم للأيمان (خ/٥٢) .

(١٧٤) في مراتب العبادة والعابدين ، وأنّ أفضلها عبادة الأحرار (الشّاكرين) له على كلّ حال :

* إنّ قوماً عبدوا الله رغبةً فتلك عبادة التّجّار ، وإنّ قوماً عبدوا الله رهبةً فتلك عبادة

العبيد ، وإنّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار(ح/٢٣٧) .

* لو لم يتوعّد الله علىٰ معصيته ، لكان يجب ألاّ يُعْطَىٰ شكراً لِنِعَمِه (ح/٢٩٠) .

(١٧٥) لو لا عون الله تعالىٰ لعبده على عبادته لما كانت هنالك عبادة :

* وأستعينه على وظائف حقوقه (خ/١٩٠) .

* ونستعينه على رعاية حقوقه (خ/١٠٠) .

* الحمد لله الّذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره ، وسبباً للمزيد من فضله ، ودليلاً على آلائه وعظمته (خ/١٥٧) .

* عباد الله ، إنّ من أحبّ عباد الله إليه عبداً أعانه الله على نفسه ، فاستشعر الحزن ، وتجلبب الخوف ، فزهر مصباح الهدىٰ في قلبه (خ/٨٧) .

(١٧٦) لو لا تمكين الله تعالىٰ لعبده على عبادته لما كان هنالك تكليف :

* (سُئِلَ عن معنىٰ قولهم : « لا حول ولا قوة إلاّ بالله » فقال عليه السّلام) :

إنّا لا نملك مع الله شيئاً ، ولا نملك مع الله شيئاً ، ولا نملك إلاّ ما مَلَّكَنَا ؛ فمتى مَلَّكَنَا ما هو أملك به منّا كَلَّفَنَا ، ومتى أخذه منّا وَضَعَ تكليفه عنّا (ح/٤٠٤) .

(١٧٧) الرّياء في العبادة وعبادة غير الله :

* ألستم في مساكن من كان قبلكم أطول أعماراً ، وأبقىٰ آثاراً ، وأبعد آمالاً ، وأعَدّ عديداً ، وأكثف جنوداً ! تَعَبَّدوا للدّنيا أيَّ تعبّد ، وآثَروها أيَّ إيثار ، ثمّ ظَعَنُوا عنها بغير زاد مُبَلِّغ ، ولا ظهرٍ قاطع (خ/١١١) .

* يرجو الله في الكبير ، و يرجو العباد في الصّغير ، فيعطي العبد مالا يُعطي الربّ . . . وكذلك إن هو خاف عبداً من عبيده ، أعطاه من خوفه مالا يُعْطي ربّه ، فجعل خوفه من العباد نقداً ، وخوفَه من خالقه ضِماراً وَوَعداً ، وكذلك مَن عَظُمَت الدّنيا في عينه ، وكبر موقعها من قلبه ، آثَرَها على الله تعالىٰ ، فانقطع لها ، وصار عبداً لها (خ/١٦٠) .

* فاعتصم بالّذي خلقك ورزقك وسوّاك ، وليكن له تعبدّك ، وإليه رغبتك ، ومنه

شفقتك ، ولا تكن عبدَ غيرك وقد جعلك الله حرّاً (ر/٣١) .

* واعلموا أنّ يسير الرّياء شرك (خ/٨٦) .

* من عشق شيئاً أعشى بَصَره ... قد خرقت الشّهَوات عقله ... فهوعبدٌ لها (خ/١٠٩) .

* (الماضون) اتّخذتهم الفراعنة عبيداً فساموهم سوء العذاب وجَرّعوهم المِرار (خ/١٩٢) .

* واعملوا في غير رياء ولا سمعة . فإنّ من يعمل لغير الله يكله الله لمن عمل له (خ/٢٣) .

(١٧٨) في أنّ كلّ المخلوقات تعبد الله تعالىٰ ، وفي طاعته :

* فتبارك الله الّذي «يسجد له مَن في السّماوات والأرض طَوْعاً وكَرْهاً» ، و يُعَفِّر له خَدّاً ووجهاً ، و يُلْقي إليه بالطّاعة سِلماً وضَعْفاً ، و يُعْطي له القِيادَ رَهْبَةً وخوفاً (خ/١٨٥) .

* والشّمس والقمر دائبان في مرضاته (خ/٩٠) .

* وقَلَعَ جبالَها ونَسَفَها ، ودكّ بعضُها بعضاً من هيبة جلالته ومخوف سَطْوَته (خ/١٠٩) .

* فمن شواهد خَلْقِهِ خَلقُ السّماوات مُوَطّدات بلا عَمَدٍ ، قائمات بلا سَنَدٍ ، دَعاهُنّ فَأَجَبْنَ طائعات مذعنات ، غير متلكّئات ولاً مبطئات ، ولو لا إقرارُهُنّ له بالرّبوبيّة وإذعانهنّ بالطّواعية ، لما جَعَلَهُنّ موضعاً لعرشه ، ولا مَسْكَناً لملائكته ، ولا مَصْعَداً لِلكَلِمِ الطيّب والعمل الصّالح من خلقه (خ/١٨٢) .

* ألا وإنّ الأرض الّتي تقلّكم ، والسّماء الّتي تظلّكم ، مطيعان لربّكم ، وما أصبحتا تجودان لكم ببركتهما توجُّعاً لكم ، ولا زُلْفَةً إليكم ، ولا لخيرٍ ترجوانه منكم ، ولكن أُمِرَتا بمنافعكم فأطاعتا ، وأقيمتا على حدود مصالحكم فقامتا (خ/١٤٣) .

* وقَذَفَت إليه السّماوات والأرضون مقاليدها ، وسَجَدَتْ له بالغدوّ والآصال الأشجار النّاضرة ، وقَدَحَت له من قضبانها النّيران المضيئة ، وآتت أُكُلَها بكلماته الثّمار اليانعة (خ/١٣٣) .

* ثمّ فَتَقَ ما بَيْنَ السّمٰواتِ العُلا ، فَمَلأَهُنّ أطواراً من ملائكته ، منهم سجودٌ لا يركعون ، وركوعٌ لا ينتصبون ، وصافّون لا يتزايلون ، ومسبّحون لا يسأمُون (خ/١) .

* ثمّ خَلَقَ سبحانه سمٰواته ، وعمارة الصّفيح الأعلىٰ من ملكوته ، خَلْقاً بديعاً من

ملائكته، ومَلأَ بهم فروج فجاجِها، وحَشا بهم فتوق أجوائها، و بين فجوات تلك الفروج زَجَلُ المسبّحين منهم في حظائر القُدُس، وسُتُرات الحُجُب، وسُرادِقات المَجْد، وَوَراءَ ذلك الرّجيج الّذي تَسْتَكّ منه الأسماع سُبُحاتُ نورٍ تردع الأ بصار عن بلوغها، فتقف خاسئةً على حدودها (خ/٩١).

* (الملائكة أيضاً): قد استَفْرَغَتْهُم أشغال عبادته، وَوَصَلَتْ حقائق الإيمان بينهم و بين معرفته، وقَطَعَهُمُ الإيقانُ به إلى الوَلَه إليه ... فحَنَوا بطول الطّاعة اعتدال ظهورهم، ولم يُنْفِدْ طول الرّغبة إليه مادّة تضرّعهم، ولا أطْلَقَ عنهم عظيم الزّلفة رِبَقَ خشوعهم، ... ولم تجفّ لطول المناجاة أسْلاتُ ألْسِنَتِهِم، ولا ملكتهم الأشغال فتنقطع بهمس الجُؤار إليه أصواتهم، ولم تختلف في مقاوم الطّاعة مناكبهم ... لا يقطعون أمد غاية عبادته، ولا يرجع بهم الإستهتار بلزوم طاعته ... وليس في أطباق السّماء مَوْضِعُ إهابٍ إلاّ وعليه مَلَكٌ ساجد، أو ساعٍ حافد (خ/٩١).

* وجعلت سكّانه سِبْطاً من ملائكتك، لا يسأمون من عبادتك (ك/١٧١).

* (الدّنيا) ومُصَلّى ملائكة الله (ح/١٣١).

* (الملائكة) وإنّهم على مكانهم منك، ومنزلتهم عندك، واستجماع أهوائهم فيك، وكثرة طاعتهم لك، وقلّة غفلتهم عن أمرك، لو عايَنوا كُنْهَ ما خفي عليهم منك لحقّروا أعمالهم، ولَزَرَوْا على أنفسهم، وَلَعَرَفُوا أنّهم لم يعبدوك حقّ عبادتك، ولم يطيعوك حقّ طاعتك (خ/١٠٩).

الفصل الثّاني

« في آداب العبادات وآثارها »

١) الصّــلاة :

(١٧٩) ١ ــ في التأكيد على إقامة الصّلاة في أوقاتها وعدم تركها أو التّهاون بها أبداً :

* تـعاهدوا أمر الصّلاة ، وحافظوا عليها ، واستكثروا منها ، وتقرّ بوا بها ، فإنّها « كانت على المـؤمـنين كـتـاباً موقوتاً » ألا تسمعون إلى جواب أهل النّار حين سُئِلوا : « ما سلككم في سقر؟ قالوا : لم نكُ من المصلّين » ... وقد عرف حقّها رجالٌ من المؤمنين الّذين لا تشغلهم عـنها زينةُ متاع ، ولا قرّة عينٍ من ولدٍ ولا مال ، يقول الله سبحانه : « رجالٌ لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيـعٌ عن ذكر الله وإقام الصّلاة وإيتاء الزّكاة » وكان رسول الله (ص) نَصِباً بالصّلاة بعد التّبشير له بالجنّة ، لقول الله سبحانه : « وَأْمُر أهلكَ بالصّلاة واصطبر عليها » ، فكان يأمر بها أهله ، و يصبر عليها نفسه (ك/١٩٩) .

* إنّ أفـضـل مـا تـوسّـل بـه المـتـوسّـلون إلى الله سبحانه وتعالىٰ ... واقام الصّلاة فإنّها الملّة (خ/١١٠) .

* والله الله في الصّلاة ، فإنّها عمود دينكم (ر/٤٧) .

* الصّلاة قربان كلّ تقيّ (ح/١٣٦) .

* وتعاهدها عند محلّها (ر/٦٩) .

* صلّ الـصّـلاة لـوقـتـهـا المؤقّـت لهـا ، ولا تـعجّل وقتها لفراغ ، ولا تؤخّرْها عن وقتها لاشتغال ، واعلم أنّ كلّ شيء من عملك تَبَعٌ لصلا تك (ر/٢٧) .

* إنّ الله افترض عليكم فرائض فلا تضيعّوها (ح/١٠٥) .

(١٨٠) في أوقات الصّلاة وكيفيّة معرفتها :

* أمّا بعد فصلّوا بالنّاس الظّهر حتّى تفيء الشّمس من مَرْبِضِ العنز، وصلّوا بهم العصر والشّمس بيضاء حيّةٌ في عُضْوٍ من النّهار حين يُسار فيها فرسخان ، وصلّوا بهم المغرب حين يفطر الصّائم ، و يدفع الحاجّ إلى منًى ، وصلّوا بهم العشاء حتّى يتوارى الشّفَق إلى ثُلُث اللّيل ، وصَلّوا بهم الغداة والرَّجُل يعرف وجه صاحبه (ر/٢٧) .

(١٨١) في وجوب إلتزام الرّفق بالعبادة مع النّفس إلاّ في الفرائض ، وإذا أضرّت النّوافل بالفرائض فيجب رفض النّوافل :

* وخادِعْ نفسك في العبادة ، وارفُق بها ولا تقهرها ، وخذ عفوها ونشاطها ، إلاّ ما كان مكتوباً عليك من الفريضة ، فإنّه لا بدّ من قضائها (ر/٦٩) .

* لا قربة بالنّوافل إذا أضرّت بالفرائض (ح/٣٩) .

* إذا أضرّت النّوافل بالفرائض فارفضوها (ح/٢٧٩) .

(١٨٢) آداب في صلاة الجماعة :

* وإذا قمتَ في صلاتك للنّاس ، فلا تكوننّ منفّراً ولا مضيّعاً ، فإنّ النّاس مَن به العلّة وله الحاجة . وقد سألتُ رسول الله (ص) حين وَجَّهَني إلى اليمن كيف أصلّي بهم ؟ فقال : « صلّ بهم كصلاة أضعفهم ، وكن بالمؤمنين رحيماً » (ر/٥٣) .

* وصَلّوا بهم صلاة أضعفهم ، ولا تكونوا مّتانين (ر/٥٢) .

(١٨٣) آداب في صلاة الجُمعة :

* ولا تسافر في يوم جُمُعةٍ حتّى تشهد الصّلاة إلاّ فاصِلاً في سبيل الله ، أو في أمرٍ تُعْذَر به ، وأطع الله في جميع أمورك ، فإنّ طاعة الله فاضلةٌ علىٰ ما سواها (ر/٥٢) .

(١٨٤) آداب في صلاة النّساء :

* معاشر النّاس ، إنّ النّساء نواقص الأيمان ، نواقص الحظوظ ، نواقص العقول : فأمّا

نقصان إيمانهنّ فقعودهنّ عن الصّلاة والصّيام في أيّام حيضهنّ (خ/٨٠).

(١٨٥) من آثارها الرّوحيّة:

* وإنّها لتحتّ الذّنوب حتّ الورق، وتُطْلِقُها إطلاق الرَّبَق، وشَبَّهَها رسول الله (ص) بالحَمّة تكون على باب الرّجل، فهو يغتسل منها في اليوم واللّيلة خمس مرّات، فما عسى أن يبقى عليه من الدّرَن؟ (ك/١٩٩).
* وإنّ أفضل ما توسّل به المتوسّلون إلى الله سبحانه وتعالىٰ ... وإقام الصّلاة فإنّها الملّة (خ/١١٠).
* الصّلاة قربان كلّ تقيّ (ح/١٣٦).
* ثمّ إنّ الزّكاة جُعِلَت مع الصّلاة قرباناً لأهل الأسلام (خ/١٩٩).

(١٨٦) من آثارها الخُلُقيّة:

* وعن ذلك ما حرس الله عباده المؤمنين بالصّلَوات والزّكَوات ومجاهدة الصّيام في الأيّام المفروضات، تسكيناً لأطرافهم، وتخشيعاً لأبصارهم، وتذليلاً لنفوسهم، وتخفيضاً لقلوبهم، وإذهاباً للخُيَلاء عنهم، ولِما في ذلك من تعفيرِ عِتاق الوجوه بالتّراب تواضعاً، والتصاق كرائم الجوارح بالأرض تصاغراً (خ/١٩٢).
* والصّلاة تنزيهاً عن الكِبْر (ح/٢٥٢).
* أنظروا إلى ما في هٰذه الأفعال من قَمْع نواجم الفخر، وقدع طوالع الكِبْر (خ/١٩٢).

٢) الصّـــوم:

(١٨٧) في أنّ الصّوم يجب أن يكون بشرطه وشروطه:

* كم من صائمٍ ليس له من صيامه إلاّ الجوع والظَّمَأ، وكم من قائمٍ ليس له من قيامه إلاّ السّهر والعناء، حبّذا نوم الأكياس وإفطارهم (ح/١٤٥).

(١٨٨) في صوم النّساء :

* إنّ النّساء نواقص الأيمان ، نواقص الحظوظ ، نواقص العقول ، فأمّا نقصان إيمانهنّ فقعودهنّ عن الصّلاة والصّيام في أيّام حيضهنّ (خ/١٨٠) .

(١٨٩) من آثاره الرّوحيّة والأخرويّة :

* إنّ أفضل ما توسّل به المتوسّلون إلى الله سبحانه وتعالىٰ ... وصوم شهر رمضان فإنّه جُنّة من العقاب (خ/١١٠) .

* ولكلّ شيء زكاة ، وزكاة البدن الصّيام (ح/١٣٦) .

* والصّيام ابتلاءاً لأخلاص الخلق (ح/٢٥٢) .

(١٩٠) من آثاره الخلقيّة :

* وعن ذلك ما حرس الله عباده المؤمنين بالصّلَوات والزّكوات ، ومجاهدة الصّيام في الأيّام المفروضات ، تسكيناً لأطرافهم ، وتخشيعاً لأبصارهم ، وتذليلاً لنفوسهم ، وتخفيضاً لقلوبهم ، وإذهاباً للخُيَلاء عنهم ، ولما في ذلك تعفيرعتاق الوجوه بالتّراب تواضعاً ، والتصاق كرائم الجوارح بالأرض تصاغراً ، ولحوق البطون بالمتون من الصّيام تذلّلاً (خ/١٩٢) .

٣) الحجّ :

(١٩١) في النّهي عن ترك زيارة البيت الحرام مدّة العمر:

* والله الله في بيت ربّكم ، لا تخلّوه ما بقيتم ، فإنّه إن تُرِك لم تُناظَروا (ر/٤٧) .

(١٩٢) في نهي أهل مكّة عن أخذ الأجرة ممّن يسكن بيوتهم :

* وَمُرْ أهل مكّة ألاّ يأخذوا من ساكنٍ أجراً ، فإنّ الله سبحانه يقول : « سواءً العاكف فيه والباد » فالعاكف : المقيم به ، والبادي : الّذي يَحُجّ إليه من غيرأهله (ر/٦٧) .

(١٩٣) في صفة الأضحية الّتي تذبح يوم النّحر:

* ومن تمام الأُضْحِيَة استشراف أُذُنِها، وسلامةُ عينها، فإذا سَلِمَتِ الأُذُن والعين سَلِمَتِ الأُضْحِيَة وتمّت، ولو كانت عضباء القَرْنِ تَجُرُّ رِجْلَها إلى المَنْسِك (ك/٥٢).

(١٩٤) من آثاره الرّوحيّة:

* وحجّ البيت واعتماره فإنّهما ينفيان الفقر و يرحضان الذّنب (خ/١١٠).

* ألا تَرَوْنَ أنّ الله سبحانه، اختبر الأوّلين من لَدُنْ آدم صلوات الله عليه، إلى الآخرين من هذا العالَم؛ بأحجارٍ لا تَضُرّ ولا تنفع، ولا تُبْصِرُ ولا تَسْمَع، فَجَعَلَها بيته الحرام «الّذي جعله للنّاس قياماً». ثمّ وَضَعَهُ بأوعر بقاع الأرض حَجَراً، وأقلّ نتائق الدّنيا مَدَراً، وأضيق بطون الأودية قُطْراً، بين جبالٍ خَشِنَةٍ، ورمالٍ دَمِثَةٍ، وعيونٍ وَشِلَةٍ، وقرىً منقطعةٍ؛ لا يزكو بها خُفٌّ، ولا حافِرٌ ولا ظِلْف. ثمّ أَمَرَ آدَمَ وَوَلَدَه أن يَثْنُوا أعطافَهم نَحْوَه، فصار مثابةً لِمُنْتَجَع أسفارهم، وغايةً لِمُلْقَى رِحالِهم، تهوي إليه ثِمار الأفئدة من مفاوز قِفارٍ سحيقةٍ، ومهاوي فِجاجٍ عميقة، وجزائر بحارٍ منقطعة، حتّى يهزّوا مناكِبَهُم ذُلُلاً يهلّلون لله حوله، و يَرْمُلُون على أقدامهم شُعْثاً غُبْراً له. قد نَبَذُوا السّرابيل وراء ظهورهم، وشَوَّهوا بإعفاء الشُّعُور محاسِنَ خَلْقِهِم، ابتلاءً عظيماً، وامتحاناً شديداً، واختباراً مبيناً، وتمحيصاً بليغاً، جَعَلَهُ الله سبباً لرحمته، وَوُصْلَةً إلى جنّته. ولو أراد سبحانه أن يضع بيته الحرام، ومشاعره العظام، بين جنّاتٍ وأنهار، وسهلٍ وقرار، جمّ الأشجار، دانيَ الثّمار، مُلْتَفَّ البُنَى، متّصل القُرى، بين بُرَّةٍ سمراء، وروضةٍ خضراء، وأريافٍ مُحْدِقَةٍ، وعِراصٍ مغدِقَةٍ، ورياضٍ ناضرة، وطرقٍ عامرة، لكان قد صَغُرَ قَدْرُ الجزاء على حَسَب ضَعْف البلاء. ولو كان الأساس المحمول عليها، والأحجارُ المرفوع بها، بين زُمُرُّدَةٍ خضراء، و ياقوتةٍ حمراء، ونورٍ وضياء، لخَفّف ذلك مصارعةَ الشكّ في الصّدور، ولَوَضَع مجاهدةَ إبليس عن القلوب، ولَنَفَى مُعْتَلَج الرَّيبِ من النّاس، ولكنّ الله يختبر عباده بأنواع الشّدائد، و يتعبّدُهم بأنواع المَجاهِد، و يبتليهم بضروب المكاره، إخراجاً للتكبّر من قلوبهم، وإسكاناً للتذلّل في نفوسهم، وليجعل ذلك أبواباً فُتُحاً إلى فضله، وأسباباً ذُلُلاً لعفوه (خ/١٩٢).

* واختـار من خلقه سُمّاعاً أجابوا إليه دعوته ، وصدّقوا كلمته ، ووقفوا مواقف أنبيائه ، وتشبّهوا بملائكته المطيفين بعرشه ، يَحْرِزُونَ الأرباح في متجر عبادته ، ويتبادرون عنده موعد مغفرته ، جعله سبحانه وتعالىٰ للأسلام علماً ، وللعائذين حَرَماً (خ/١) .

* والحجّ جهاد كلّ ضعيف (ح/١٣٦) .

(١٩٥) من آثاره الخلقيّة :

* ثمّ أمر آدم عليه السّلام وَوَلَدَه أن يَثْنوا أعطافَهم نحوه ... إخراجاً للتكبّر من قلوبهم ، وإسكاناً للتذلّل في نفوسهم .

* وجعله سبحانه علامةً لتواضعهم لعظمته ، واذعانهم لعزّته .

(١٩٦) من آثاره الأجتماعيّة :

* والحجّ تقويةً للدّين (ح/٢٥٢) .

* جَعَلَهُ سبحانه وتعالىٰ للأسلام عَلَماً (خ/١) .

* والله الله في بيت ربّكم ، لا تخلّوه ما بقيتم ، فإنّه إن تُرِكَ لَم تُناظَروا (ر/٤٧) .

(١٩٧) من آثاره الأقتصاديّة :

* وحجّ البيت واعتمارُه فإنّهما يَنْفيان الفقر(خ/١١٠) .

الباب السّادس : في التّقوى والمتّقين

الفصل الأ وّل : في أمور عامّة في التّقوى والمتّقين

الفصل الثّاني : في أمور تخلق عند الأنسان ملكة التّقوىٰ

الفصل الثّالث : آثار وفوائد التّقوى

أمور عامّة في التّقوى والمتّقين

(١٩٩) في التّرغيب بالتّقوىٰ والدّعوة إليها، وأنّها أهمّ خصّيصة للأنسان المؤمن، وهي الأصل لجميع القيم الأجتماعيّة، وهي ميزان التفّاضل بين النّاس :

* التّقىٰ رئيس الأخلاق (ح/٤١٠).
* ولا كَرَمَ كالتّقوىٰ (ح/١١٣).
* فإنّها خير ما تواصى العباد به (خ/١٧٣).
* وجعلها (يعني الله سبحانه وتعالىٰ للتّقوىٰ) منتهىٰ رضاه، وحاجَته من خَلقِهِ.
* لا تَضعوا من رفَعَتْه التّقوىٰ، ولا ترفعوا من رفَعَته الدّنيا (خ/١٩١).
* واعلم يابنيّ أنّ أحبّ ما أنت آخذٌ به إليَّ من وصيّتي تقوىٰ الله (من وصيته (ع) لولده الحسن (ع)) (ر/٣١).
* أين العقول ... والأبصار اللاّمحة إلى منار التّقوىٰ (خ/١٤٤).
* أوصيكم عباد الله، بتقوىٰ الله، فإنّها الزّمام والقوام، فتمسّكوا بوثائقها، واعتصموا بحقائقها (خ/١٩٥).
* أوصيكم عباد الله، بتقوىٰ الله، الّتي هي الزّاد و بها المعاذ، زادٌ مُبلغٌ، ومعاذ مُنجِح، دعا إليها أسمع داعٍ، ووعاها خير واعٍ، فأسمَعَ داعيها، وفاز واعيها (خ/١١٤).
* فمن أشْعَرَ التّقوىٰ قلبَه بَرَّز مَهَلُهُ، وفاز عملُهُ، فاهتبلوا هَبَلَها، واعملوا للجنّة عَمَلَها (خ/١٣٢).

* أيقظوا بها نومكم ، واقطعوا بها يومكم ، وأشعروها قلوبكم ، وارحَضوا بها ذنوبكم ، وداووا بها الأسقام ، و بادروا بها الحِمام (خ/١٩١) .

(٢٠٠) في الدّعوة إلى صيانة التّقوىٰ والأستعانة بها والأستعانة بالله عليها :

* وألِظّوا بجِدّكم عليها ... واعتِبروا بمن أضاعَها ، ولا يعتبِرَنّ بكم من أطاعها ، ألا فصونوها وتصوّنوا بها (خ/١٩١) .

* وأن تستعينوا عليها بالله ، وتستعينوا بها على الله (خ/١٩١) .

* ولا أتّقيَ إلاّ ما وَقَيْتَني (دعاء/٢١٥) .

* واعلم يابنيّ أنّ أحبّ ما أنت آخذٌ به ، إليّ من وصيّتي تقوى الله ... وابدأ قبل نظرك في ذلك بالأستعانة بإِلٰهك ، والرّغبة إليه في توفيقك (ر/٣١) .

(٢٠١) في أنّ التّقوىٰ طريقها أقوم الطُّرُق ، وهو واضح لمن أراد سلوكها ، وهي غير ممتنعة على النّاس :

* مسلكها واضح ، وسالكها رابح ، ومستودَعُها حافِظ ، لم تبرح عارضةً نفسها علىٰ الأمم الماضين منكم والغابرين ، لحاجتهم إليها غداً ، إذا أعاد الله ما أبدىٰ ، وأخذ ما أعطىٰ ، وسأل عمّا أسدىٰ (خ/١٩١) .

* فاتّقوا الله عباد الله تقيّة ذي لُبٍّ شَغَلَ التفكّر قلبَه ... وتنكّبَ المخالِجَ عن وضح السّبيل ، وسلك أقصد المسالك إلىٰ النهج المطلوب (خ/٨٣) .

* ... وسَلَكَ سبيلاً جَدَداً (خ/٨٧) .

* قد أحيا عقله ، وأمات نفسه ، حتّى دقّ جليله ، ولَطُفَ غليظه ، و بَرَقَ له لامعٌ كثير البرق ، فأبان له الطّريق ، وسلك به السّبيل ، وتدافعته الأ بواب إلى باب السّلامة (ك/٢٢٠) .

(٢٠٢) في تعريف المتّقين :

* فالمتّقون هم : أهل الفضائل (خ/١٩٣) .

(٢٠٣) هل المتّقون كثرة أم قلّة ؟

* فما أقلّ من قبلها ، وحملها حقّ حملها ! أولئك الأقلّون عدداً ، وهم أهل صفة الله سبحانه ، إذ يقول : « وقليلٌ من عبادي الشّكور » (خ/١٩١) .

(٢٠٤) في أنّ التّقوىٰ يجب أن تكون في جميع الأمور وفي جميع الأوقات ، ولكن مالا يُدْرَك كلّه لا يُترك جُلّهُ :

* فاتّقِ الله فيما لديك (ر/٣٠) .
* إتّقِ الله في كلّ صباحٍ ومساء (ر/٥٦) .
* إتّقِ الله بعضَ التُّقىٰ وإن قلّ ، واجعل بينك و بين الله ستراً وإن رقّ (ح/٢٤٢) .
* اتّقوا الله في عباده و بلاده ، فإنّكم مسؤولون حتّى عن البقاع والبهائم (خ/١٦٧) .
* فعليكم بهذه الخلائق فالزموها وتنافسوا فيها ، فإن لم تستطيعوها فاعلموا أنّ أخذ القليل خيرٌ من ترك الكثير (ح/٢٨٩) .

(٢٠٥) في أنّ العمل القليل مع التّقوىٰ كثير وإن كان قليلاً بحسابنا :

* لا يقلّ عملٌ مع التّقوىٰ ، وكيف يقلّ ما يُتَقَبّل (ح/٩٥) .

« في أمور تخلق عند الأنسان ملكة التّقوىٰ »

في أهمّ الأمور الّتي تقرّب من التّقوىٰ ، أو تخلق عند الأنسان «مَلَكَة التّقوىٰ» وهي : صفات المتّقين أيضاً «المجموعة الأولى» :

(٢٠٦) اجتناب الذّنوب باستمرار، ومخالفة النّفس الأمّارة بالسّوء :

* وأمَرَهُ أن يكسِرَ نفسَه من الشّهوات ، و يَزَعَها عند الجَمَحات ، فإنّ النّفس أمّارةٌ بالسّوء ، إلاّ ما رَحِمَ الله (ر/٥٣) .

* فاتّق الله في نفسِك (ر/٥٥) .

* فاتّقوا الله عباد الله تقيّة ذي لبٍّ شَغَلَ التفكّر قلبَه ... وظَلَفَ الزُّهدُ شهواتِهِ (خ/٨٣) .

* عبادَ الله ، إنّ من أحبّ عباد الله إليه عبداً أعانه الله علىٰ نفسه ، فاستشعر الحُزن ، وتجلبَب الخوف ... قد خَلَعَ سرابيل الشّهوات ، وتخلّى من الهموم ، إلاّ همّاً واحداً انفردَ به ، فخرج من صفة العَمىٰ ، ومشاركة أهل الهوىٰ (خ/٨٧) .

* قد ألزَمَ نفسَه العدل ، فكان أوّل عدلِهِ نفيُ الهوىٰ عن نفسِهِ (خ/٨٧) .

* قد أحيا عقله ، وأمات نفسه ، حتّى دقّ جليله ، ولَطُفَ غليظه (ك/٢٢٠) .

* فالمتّقون ... غضّوا أبصارهم عمّا حرّم الله عليهم (خ/١٩٣) .

* وأنفسُهُم عفيفةً ، صَبَروا أيّاماً قصيرة أعقبتهم راحة طويلة (خ/١٩٣) .

* فهم لأنفسهم متّهمون ، ومن أعمالهم مُشفِقون (خ/١٩٣) .

* فمن علامة أحدهم ... إن استصعَبَتْ عليه نفسُه فيما تكرَه لم يُعطِها سُؤْلَها فيما تُحِبّ (خ/١٩٣) .

* ولكن هيهات أن يغلبَني هواي (ر/٤٥) .

* كـان لي فيما مضى أخ في الله ... وكان إذا بَدَهَهُ أمران ينظرُ أيُّهما أقرب إلىٰ الهَوىٰ فيُخالِفُه (ح/٢٨٩).
* ما المجاهد الشّهيد في سبيل الله بأعظمَ أجراً ممّن قَدَرَ فعَفّ، لكادَ العفيف أن يكون مَلَكاً من الملائكة (ح/٤٧٤).
* أيّها النّاس، تَوَلَّوا من أنفسكم تأديبَها، واعدِلوا بها عن ضراوة عاداتها (ح/٣٥٩).
* وإنّما هي نفسي أرُوضُها بالتقوىٰ لتأتي آمنةً يوم الخوف الأكبر (ر/٤٥).
* إنّ أولياء الله هم ... أعداء ما سالَمَ النّاس، وسَلْمُ ما عادى النّاس (ح/٤٣٢).
* قدر الرّجل على قدر همّته، و.. وعفّته على قدر غيرته (ح/٤٧).
* ما زَنَىٰ غيورٌ قطّ (ح/٣٠٥).

(٢٠٧) معاداة الشّيطان واتّقاء مغرياته:

* أوصيكم بتقوى الله الّذي ... وحذّركم عدوّاً نَفَذَ في الصّدور خفيّاً، ونَفَثَ في الآذان نجيّاً، فأضَلَّ وأردىٰ، وَوَعَدَ فمَنّىٰ، وزَيَّنَ سَيّئات الجرائم، وهَوَّنَ موبقاتِ العظائم، حتّى إذا استدرَجَ قرينتَه، واستغلقَ رهينَتَه، أنكرَ ما زَيَّنَ، واستعظَمَ ما هَوَّن، وحذّر ما أمَّن (خ/٨٣).
* واتّقوا مدارج الشّيطان، ومهابط العُدوان (خ/١٥١).
* وأحمَد الله وأستعينه على مداحر الشّيطان ومزاجره، والأعتصام من حبائله ومخاتِله (خ/١٥١).
* فلا تجعَلَنَّ للشّيطان فيك نصيباً، ولا على نفسك سبيلاً (ر/١٧).
* وَمَن رَمىٰ به الشّيطان مرامِيَهُ، وضَرَبَ به تِيْهَهُ، فإنّ الشّاذّ من النّاس للشّيطان، كما أنّ الشاذّ من الغنم للذّئب (ك/١٢٧).
* ألا وإنّ الشّيطان قد جمع حِزبَهُ، واستجلَبَ خيلَهَ ورَجِلَه، وإنّ معي لبصيرتي (خ/١٠).

(٢٠٨) الأخلاص في طاعة الله والقيام بأوامره تعالىٰ بأفضل وجه :

* عباد الله ، إنّ من أحبّ عباد الله إليه عبداً ... قد أَخلَصَ لله فاستخلَصَه (خ/٨٧) .

* وليكن في خاصّةِ ما تُخْلِصُ به لله دينَك : إقامةُ فرائضِه الّتي هي له خاصّةً ، فأعطِ الله من بدنِك في ليلك ونهارِك ، وَوَفِّ ما تقربتَ به إلى الله من ذلك كاملاً غير مثلوم ولا منقوص ، بالغاً من بَدَنِك ما بَلَغ (ر/٥٣) .

* ثمّ أنّ الزّكاة جُعِلَت مع الصّلاة قُرباناً لأهل الأسلام ، فمن أعطاها طيّب النّفس بها ، فإنّها تُجعَل له كفّارة ، ومن النّار حِجازاً ووقاية (ك/١٩٩) .

* والصّيام ابتلاءً لأخلاص الخلق (ح/٢٥٢) .

* وأشهد ... شهادة من صدقت نيّتُه ، وصفت دخلته ، وخَلُصَ يقينُه (خ/١٧٨) .

* ونؤمن به إيماناً من رجاه موقناً ... وأخلص له موحّداً (خ/١٨٢) .

* ومن لم يختلف سرّه وعلانيته وفعله ومقالته فقد أدّى الأمانة وأخلص العبادة (ك/٢٦) .

* رحم الله أمْرَأً ... قَدَّم خالصاً ، وعمل صالحاً (خ/٧٦) .

* وكمال توحيده الأخلاص له ، وكمال الأخلاص له نفي الصّفات عنه (خ/١) .

* وأَخْلِص في المسألة لربّك ، فإنّ بيده العطاء والحِرمان (ر/٣١) .

(٢٠٩) عبادة الله تعالى وطاعته علىٰ أنّه أهل للعبادة والطّاعة وليس خوفاً من ناره أو طمعاً في جنّته فقط :

* عبادَ الله ، أوصيكم بتقوى الله فإنّها حقّ الله عليكم ، والموجبة علىٰ الله حقّكم (خ/١٩١) .

* فاتّقوا الله الّذي نَفَعَكم بموعظته ، ووعظكم برسالته ، وامتنّ عليكم بنِعْمَتِه ، فعبّدوا أنفسكم لعبادته ، واخرجوا إليه من حقّ طاعته (خ/١٩٨) .

* أوصيكم عباد الله بتقوى الله الّذي ضرب الأمثال ، ووقّت لكم الآجال ، وألبسكم الرّياش ، وأرفَغَ لكم المعاش ، وأحاط بكم الأحصاء ، وأرصد لكم الجزاء ، وآثركم بالنِّعَمِ السّوابغ ، والرِّفَدِ الرّوافغ ، وأنذركم بالحجج البوالِغ (خ/٨٣) .

* لو لم يتوعّد الله علىٰ معصيته، لكان يجب أن لا يُعصى شكراً لنعمته (ح/٢٩٠).

(٢١٠) العبادة اللّيليّة:

* طوبىٰ لنفسٍ أدّت إلى ربّها فرضَها، وعركت بجنبها بؤسها، وهجرت في اللّيل غمضها، حتى إذا غلب الكرىٰ عليها افترشت أرضها، وتوسّدت كفّها، في معشرٍ أسهر عيونهم خوف معادهم، وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم، وهمهمت بذكر ربهم شفاههم، وتقشّعت بطول استغفارهم ذنوبهم «أولئك حزب الله، ألا إنّ حزب الله هم المفلحون» (خ/٢١٧).

* «وسِيقَ الّذين اتّقوا ربّهم إلى الجنّة زُمَراً»... الّذين كانت أعمالهم في الدّنيا زاكية، وأعينهم باكية، وكان ليلهم في دنياهم نهاراً، تخشُّعاً واستغفاراً، وكان نهارهم ليلاً، توحُّشاً وانقطاعاً (خ/١٩٠).

* أيقظِوا بها نومَكم (التّقوى)، واقطَعوا بها يومكم (خ/١٩١).

* فاتّقوا الله عبادَ الله تقيّةَ ذي لُبٍّ شَغَلَ التفكّر قلبَه، وأنصبَ الخوفُ بَدَنَه، وأسهَرَ التهجّد غرار نومه (خ/٨٣).

* (المتّقون) ذُبُلُ الشِّفاه من الدّعاء، صُفْرُ الألوانِ من السَّهَر، علىٰ وجوهِهِم غَبَرَةُ الخاشعين، أولئك إخواني الذّاهبون (خ/١٢١).

* عباد الله، إنّ تقوى الله... وألزمت قلوبهم مخافته، حتى أسهرت لياليهم، وأظمَأت هواجرهم، فأخذوا الرّاحة بالنَّصَب، والرِّيَّ بالظَّمأ (خ/١١٤).

* وإنّي لمن قومٍ... عمّار اللّيل ومنار النّهار (خ/١٩٢).

* لقد رأيتُ أصحاب محمّد (ص)، فما أرى أحداً يشبههم منكم! لقد كانوا يُصْبِحون شُعْثاً غُبْراً، وقد باتوا سُجَّداً وقياماً، يُراوحون بين جباههم وخدودهم، و يقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم! كأنّ بين أعينهم رُكَبُ المِعْزَى من طول سجودهم (خ/٩٧).

* أسهروا عيونكم، وأضمروا بطونكم (خ/١٨٣).

* وكم من قائمٍ ليس له من قيامه إلاّ السّهر والعناء (ح/١٤٥).

* نومٌ علىٰ يقينٍ خير من صلاة في شكّ (ح/٩٧).

(٢١١) كثرة البكاء من خشية الله تعالىٰ ومحاسبة النّفس والتّضرّع والخشوع إليه في عبادته :

* إذا ذُكِرَ الله هَمَلَتْ أعينُهُم حتّى تَبُلَّ جُيوبَهُم ، ومادوا كما يميد الشَّجَر يوم الرّيح العاصف ، خوفاً من العقاب ، ورجاءً للثّواب (خ/٩٧) .

* رجالٌ غضَّ أبصارهم ذِكْرُ المَرجِع ، وأراقَ دموعَهُم خوفُ المَحشَر (خ/٣٢) .

* فلو مَثَّلْتَهم لعقلِك في مَقَاوِمِهم المحمودة ، ومجالسهم المشهودة ، وقد نشروا دواوين أعمالهم ، وفرغوا لمحاسبة أنفسهم علىٰ كلّ صغيرةٍ وكبيرةٍ أُمِرُوا بها فقصّروا عنها ، أو نُهُوا عنها ففرّطوا فيها ، وحَمَّلوا ثِقَلَ أوزارهم ظهُورَهُم ، فَضَعُفُوا عن الأستقلال بها ، فَنَشَجُوا نشيجاً ، وتجاوَبوا نحيباً ، يعجّون إلى ربّهم من مقام ندمٍ واعتراف ... أسارىٰ ذلّةٍ لِعَظَمَتِه ، جَرَحَ طولُ الأسى قلوبَهم ، وطول البكاء عيونَهُم (ك/٢٢٢) .

* لأرُوِّضَنَّ نفسي رياضةً ... ولأدَعَنَّ مُقلَتي كعين ماءٍ ، نَضَبَ مَعينُها ، مستفرغةً دموعَها (ر/٤٥) .

* فاتّقوا الله تقيّة من سَمِعَ فَخَشَع ، واقترف فاعترف (خ/٨٣) .

* فمن علامة أَحَدِهم (المتّقين) أنّك ترى له ... خشوعاً في عبادة (خ/١٩٣) .

(٢١٢) الوقوف عند الشّبهات :

* ولا وَرَعَ كالوقوف عند الشُّبْهَة (ح/١١٣) .

* فاتّقوا الله عباد الله تقيّةَ ذي لُبٍّ شَغَلَ التفكّر قلبَه ... وتنكَّبَ المخالج عن وضح السَّبيل ، وسَلَكَ أقصَدَ المسالك إلىٰ النّهج المطلوب ، ولم تَفْتِلْهُ فاتلات الغرور ، ولم تَعْمَ عليه مُشْتَبِهاتُ الأمور (خ/٨٣) .

* فما اشتبَهَ عليك عِلمُهُ فالفِظْهُ ، وما أيقنتَ بطيبِ وجوهِهِ فَنَلْ منه (ر/٤٥) .

* إنّ من صَرَّحَتْ له العِبَر عمّا بين يديه من المَثُلات ، حَجَزَتْهُ التّقوىٰ عن تقحّم الشُّبُهات (ك/١٦) .

* ومن تردَّدَ في الرَّيب وطِئَتْهُ سنابك الشّياطين (ح/٣١) .

* فلو أنّ الباطل خَلَصَ من مزاج الحقّ لم يَخْفَ على المُرتادين ، ولو أنّ الحقّ خلص

من لبس الباطل ، انقطعت عنه ألسنُ المعاندين ، ولكنْ يُؤْخَذ من هٰذا ضِغثٌ ، ومن هٰذا ضِغْثٌ ، فيُمزَجان ، فهنالك يستولي الشّيطان على أوليائه ، و ينجو « الّذين سَبَقَتْ لهم من الله الحُسنىٰ » (ك/٥٠) .

* (في وصف أخٍ له عليه السّلام في الله) : وكان إذا بَدَهَهُ أمران ، ينظر أَيُّهما أقربُ إلى الهَوىٰ فيُخالِفُه (ح/٢٨٩) .

* وإنّما سُمّيَتِ الشّبهة شُبهة ، لأنّها تشبه الحقّ ، أمّا أولياء الله فضياؤهم فيها اليقين ودليلهم سَمْتُ الهدىٰ ، وأمّا أعداء الله فدعاؤهم فيها الضّلال ودليلهم العَمىٰ (خ/٣٨) .

* وأمْسِكْ عن طريقٍ إذا خفتَ ضلالته ، فإنّ الكفّ عند حَيْرَة الضّلال خيرٌ من ركوب الأهوال (ر/٣١) .

* وليس طالب الدّين من خَبَط أو خلط ، والأمساك عن ذلك أمثل (ر/٣١) .

(٢١٣) ذكر الله تعالى ذكراً كثيراً ، والصّمت فيما عدا ذلك إلاّ لضرورة شرعيّة :

* أفيضوا في ذِكْرِ الله فإنّه أحسن الذّكْر ، وارغبوا فيما وعد المتّقين فإنّ وَعْدَهُ أصدَق الوعد (خ/١١٠) .

* فإنّي أوصيكَ بتقوى الله ــ أيْ بنيّ ــ ولزوم أمرِهِ ، وعمارةِ قلبكَ بذِكْره ، والأعتصام بحبله (ر/٣١) .

* فاتّقوا الله تقيّة من سمع فخشع ... وأوجَفَ الذّكْر بلسانه (خ/٨٣) .

* وإنّ للذّكْر لأَهْلاً أَخَذُوْهُ من الدّنيا بدلاً ، فلا تَشغَلْهُم تجارةٌ ولا بيعٌ عنه ، يَقْطَعون به أيّام الحياة ، و يهتفون بالزّواجر عن محارم الله في أسماع الغافلين (ك/٢٢٢) .

* فمن علامة أحدهم ... يُمسْي وهَمُّهُ الشّكر ، و يُصبِحُ وهَمّه الذّكر (خ/١٩٣) .

* في معشرٍ ... وهَمْهَمَتْ بذكر ربّهم شفاهُهُم ، وتَقَشَّعَت بطول استغفارهم ذنوبُهم (ر/٤٥) .

* (في وصف أخٍ له في الله) : وكان أكثر دهره صامتاً ، فإن قال بَذَّ القائلين ، ونَقَعَ غليل السّائلين ... وكان يقول ما يفعل ولا يقول مالا يفعل ، وكان إذا غُلِبَ على الكلام لم يُغلَب على السّكوت ، وكان على ما يسمع أحرصَ منه على أن يتكلّم (ح/٢٨٩) .

* والله ما أرى عبداً يتّقي تقوى تنفعُهُ حتّى يخزُنَ لسانَه (خ/١٧٦).
* فالمتّقون فيها هم أهل الفضائل: منطِقُهم الصّواب (خ/١٩٣).
* ومن كَثُرَ كلامُهُ كَثُرَ خطؤُهُ، ومَنْ كَثُرَ خطؤُهُ قَلَّ حياؤه، ومن قلّ حياؤه قلّ وَرَعُهُ، ومَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مات قَلْبُهُ، ومن ماتَ قلبُهُ دَخَلَ النّارَ (ح/٢٤٩).

(٢١٤) يجب أن تكون الآخرة هي الهمّ الرئيسي ولو كان في ذلك خراب الدّنيا:

* فقطّعوا علائق الدّنيا، واستظهروا بزاد التّقوىٰ (ك/٢٠٤).
* وإنّ للذِكر لأهلاً أخذوه من الدّنيا بدلاً، فلم تشغلهم تجارةٌ ولا بيعٌ عنه، فكأنّما قَطَعوا الدّنيا إلى الآخرة وهم فيها، فشاهدوا ما وراء ذلك، فكشفوا غطاء ذلك لأهل الدّنيا، حتّى كأنّهم يرون مالا يرى النّاس، و يسمعون مالا يسمعون (ك/٢٢٢).
* إنّ أولياء الله هم الّذين نظروا إلى باطن الدّنيا إذا نظر النّاس إلى ظاهرها، واشتغلوا بآجلها (ح/٤٣٢).
* فالمتّقون فيها هم أهل الفضائل ... أرادتهم الدّنيا فلم يريدوها، وأسَرَتهُم فَفَدوا أنفسهم منها (خ/١٩٣).
* وصَحِبُوا الدّنيا بأبدانٍ أرواحها معلّقةً بالمحلّ الأعلىٰ (ح/١٤٧).
* ولولا الأجل الّذي كَتَبَ الله عليهم لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم طرفة عين، شوقاً إلى الثّواب، وخوفاً من العقاب (خ/١٩٣).
* واعلموا أنّ ما نقص من الدّنيا وزاد في الآخرة خيرٌ ممّا نقص من الآخرة وزاد في الدّنيا (خ/١١٤).

(٢١٥) الصّبر عند الشّدائد، وفي طاعة الله تعالى:

* وإن ابتُلِيتُم فاصبروا، فإنّ «العاقبة للمتّقين» (ك/٩٨).
* فالمتّقون فيها هم أهل الفضائل ... نُزِّلَتْ أنفسُهُم منهم في البلاء كالّتي نُزِّلَت في الرّخاء ... صَبَرُوا أيّاماً قصيرة أعقبتهم راحة طويلة، تجارة مربحة يسّرها لهم رَبُّهم ... فمن علامة أحدهم ... وتجمُّلاً في فاقة، وصبراً في شدّة ... في الزّلازل وقور، وفي المكاره

صبور، وفي الرّخاء شكور... وإن بُغِيَ عليه صَبَرَ حتّى يكون الله هو الّذي ينتقم له (خ/١٩٣).

* وعَوّد نَفسَكَ التّصبر على المكروه، ونعم الخُلُقُ التصبّر في الحقّ (ر/٣١).

* واستَتِمُّوا نعمة الله عليكم بالصّبر على طاعة الله، والمحافظة على ما استحفظكم من كتابه (خ/١٧٣).

(٢١٦) ترك الأهتمام الكثير بالمأكل والمشرب:

* كان لي فيما مضى أخ في الله... وكان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يشتهي مالا يجد، ولا يُكْثِرُ إذا وَجَد (ح/٢٨٩).

* لأرُوِّضَنَّ نفسي رياضةً تَهِشُّ معها إلى القُرصِ إذا قَدَرْت عليه مطعوماً، وتَقنَعُ بالمِلْحِ مَأْدُوماً (ر/٤٥).

* فما خُلِقْتُ ليَشْغَلَني أكل الطيّبات، كالبهيمة المربوطة همُّها علفها، أو المُرسَلَة شُغُلُها تَقَمُّمُها تكترش من أعلافها، وتلهو عمّا يُراد بها (ر/٤٥).

* (الرّسول الأعظم (ص)): أهضم أهل الدّنيا كشحاً، وأخمصَهُم من الدّنيا بطناً (خ/١٦٠).

* (من علامات المتّقين): منزوراً أكْلُهُ (خ/١٩٣).

* ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه (ر/٤٥).

* ولكن هيهات أن يغلبني هواي و يقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة (ر/٤٥).

* وأجسادهم نحيفة، وحاجاتهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة (خ/١٩٣).

* فاتّق الله يابنَ حنيف، ولتكفك أقراصُك، ليكونَ من النّار خلاصُك (ر/٤٥).

* وإيّاك أن توجِفَ بك مطايا الطّمع، فتوردك مناهل الهلكة، وإن استطعت ألاّ يكون بينك و بين الله ذو نعمةٍ فافعل، فإنّك مُدركٌ قَسْمَك، وآخِذٌ سَهْمَكَ، وإنّ اليسير من الله سبحانه أعظم وأكرم من الكثير من خلقه، وإن كان كلٌّ منه (ر/٣١).

(٢١٧) عدم معصية الله في الخَلَوات وإصلاح السّريرة :

* أَمَرَه بتقوى الله في سرائر أمره وخفيّات عمله ، حيث لا شهيد غيره ، ولا وكيل دونه (ر/٢٦) .

* إتّقوا معاصي الله في الخَلَوات ، فإنّ الشاهد هو الحاكم (ح/٣٢٤) .

* طوبىٰ لمن ذلّ في نفسه ، وطاب كَسْبُهُ ، وصلحت سريرته (ح/١٢٣) .

* فاتّقوا الله تقيّة من سمع فخشع ... وأطاب سريرة (خ/٨٣) .

* مَن أصلح سريرته أصلح الله علانيته (ح/٤٢٣) .

* واحذَر كلّ عَمَلٍ يُعْمَلُ به في السّر ، و يُسْتَحىٰ منه في العلانية ، واحذر كلّ عملٍ إذا سُئِلَ عنه صاحِبُهُ أَنْكَرَهُ ، أو اعتَذَرَ منه (ر/٦٩) .

* ومَن لم يختلف سرّه وعلانيته وفعله ومقالته فقد أدّى الأمانة وأخلص العبادة (ر/٢٦) .

* ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم (خ/٢٠٣) .

* وأحذّرك أن تكون متمادياً في غرّة الأمنيّة مختلف العلانية والسّريرة (ر/١٠) .

* وإنّ الله سبحانه يدخل بصدق النيّة والسّريرة الصالحة من يشاء من عباده الجنّة (ح/٤٢) .

* اللّهم إنّي أعوذ بك من أن تحسّن في لامعة العيون علانيتي وتقبّح فيما أبطن لك سريرتي (ح/٢٧٦) .

* واجعل بينك و بين الله ستراً وإن رقّ (ح/٢٤٢) .

(٢١٨) الدّعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر ، والجهاد في سبيله تعالىٰ وقول الحقّ علىٰ كلّ حال :

* يذكّرون بأيّام الله ، ويخوّفون مقامه ، بمنزلة الأدلّة في الفلوات ، مَن أخذ بالقصد حمدوا إليه طريقه ، و بشّروهُ بالنّجاة ، ومن أخذ يميناً وشمالاً ذمّوا إليه الطّريق ، وحذّروه من الهلكة ، وكانوا كذلك مصابيح تلك الظّلمات ، وأدلّة تلك الشُّبُهات (خ/١٩٣) .

* و يهتفون بالزّواجر عن محارم الله في أسماع الغافلين و يأمرون بالقسط و يأتمرون به ، و ينهون عن المنكر و يتناهون عنه (خ/١٩٣) .

* إنّ أفضل ما توسّل به المتوسلون إلى الله سبحانه وتعالىٰ ... والجهاد في سبيله فإنّه ذروة الأسلام (خ/١١٠).

* أين القوم الّذين دُعوا إلى الأسلام فقبلوه، وقرأوا القرآن فأحكموه، وهُيِّجوا إلى الجهاد فولهوا وله اللّقاح إلى أولادها (خ/١٢٠).

* وجاهِدْ في الله حقّ جهاده، ولا تأخذك في الله لومة لائم، وخُضِ الغمرات للحقّ حيث كان (ر/٣١).

* فإنّ رأيي قتال المُحِلّين حتّى ألقى الله، لا يَزيدنُي كثرة النّاس حولي عزّة، ولا تفرّقهُم عنّي وحشة (ر/٣٦).

* ولَعَمري ما عليّ من قتال مَن خالف الحقّ وخابط الغيّ من إدهانٍ ولا إيهان (خ/٢٤).

* ما أعمال البرّ كلّها والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر إلاّ كنفثةٍ في بحرٍ لُجّيّ (ح/٣٦٦).

* إنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر لا يُقرّبان من أجل، ولا يُنقِصان من رزق، وأفضل من ذلك كلّه كلمة عدلٍ عند إمامٍ جائر (ح/٣٦٦).

* عباد الله إنّ من أحبّ عباد الله عبداً أعانه الله على نفسه، فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف، فزهر مصباح الهُدىٰ في قلبه ... وصارَ من مفاتيح أبواب الهُدىٰ ومغاليق أبواب الرّدىٰ (خ/٨٦).

* فإنّ الجهاد بابٌ من أبواب الجنّة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التّقوىٰ (ح/٢٧).

الفصل الثّالث

« آثار وفوائد التّقوىٰ »

« وهي من صفات المتّقين أيضاً » المجموعة الثّانية :

(٢١٩) الأثر الرّوحي والتّربوي :

* ذمّتي بما أقول رهينة ، وأنا به زعيم ، إنّ من صرّحت له العِبَر عمّا بين يديه من المَثُلات ، حَجَزَته التّقوىٰ عن تقحّم الشّبُهات ، ألا وإنّ التّقوىٰ مطايا ذُلُل ، حُمِلَ عليها أهلُها ، وأعُطُوا أزمّتها فأوردتهم الجنّة (ك/١٦) .

* عبادَ الله ، إنّ تقوىٰ الله حَمَت أولياء الله محارمَه ، وألزَمت قلوبُهُم مخافته (خ/١١٤) .

* إعلموا ، عباد الله ، أنّ التّقوىٰ دار حصنٍ عزيز ، والفجور دار حصنٍ ذليل ، لا يَمنع أهلَه ، ولا يحرز من لجأ إليه ، ألا و بالتّقوىٰ تُقطَع حُمَةُ الخطايا ، و باليقين تُدرَك الغاية القصوىٰ (خ/١٥٧) .

* فاعتصموا بتقوىٰ الله ، فإنّ لها حبلاً وثيقاً عُروته ، ومعقِلاً منيعاً ذِروتُه (خ/١٩٠) .

* فإنّ التّقوى في اليوم الحِرز والجُنّة ، وفي غدٍ الطّريق إلى الجنّة (خ/١٩١) .

* ... وعتقٌ من كلّ مَلَكَة ، ونجاةٌ من كلّ هَلَكَة ، بها ينجح الطّالب ، و ينجو الهارب ، وتُنال الرّغائب (خ/٢٣٠) .

* والوَرَعُ جُنّة (ح/٣) .

* وارحَضوا بها ذنوبكم (خ/١٩١) .

* وتقشّعت بطول استغفارهم ذنوبهم (ر/٤٥) .

* (في وصف المتّقين) : قدْ حفّت بهم الملائكة ، وتنزّلت عليهم السّكينة ، وفُتِحَت لهم أبواب السّماء (خ/١٩١) .

* إن كان في الغافلين كُتِبَ في الذّاكرين ، وإن كان في الذّاكرين لم يُكتَبِ من الغافلين (خ/١٩٣) .

* فإنّي أوصيك بتقوى الله ــ أي بنيّ ــ ولزوم أمره ... وأيُّ سببٍ أوثق من سببٍ بينك و بين الله إن أنت أخذت به (ر/٣١) .

(٢٢٠) الأثر الفكري والعقائدي :

* فإنّ تقوى الله ... و بَصَرُ عَمىٰ أفئدتكم ... وجلاء عشا أبصاركم (خ/١٩٨) .

* فخرج من صفة العَمىٰ ، ومشاركة أهل الهوىٰ ... قد أبصر طريقه ، وسلك سبيله ، وعرف مناره ، وقطع غماره ، واستمسك من العُرىٰ بأوثقها ، ومن الحِبال بأمتنها ، فهو من اليقين على مثل ضوء الشَّمس (خ/٨٧) .

* واعلموا « أنّه من يتّق الله يجعل له مخرجاً » من الفِتَن ، ونوراً من الظُّلَم (خ/١٨٣) .

* إنّ الله سبحانه وتعالىٰ جعل الذّكر جلاءً للقلوب ، تسمع به بعد الوَقْرَة ، وتُبصر به بعد العشوة ، وتنقادُ به بعد المعاندة ، وما برح الله ــ عزّت آلاؤه ــ في البرهة بعد البرهة ، وفي أزمان الفترات ، عبادٌ ناجاهم في فكرهم ، وكلّمهم في ذات عقولهم ، فاستصبحوا بنور يقظةٍ في الأ بصار والأسماع والأفئدة (ك/٢٢٢) .

* قد أحيا عقله ، وأمات نفسَه ، حتّى دقّ جليلُهُ ، ولَطُفَ غليظهُ ، و برق له لامعٌ كثير البرق ، فأبان له الطّريق ، وسلك به السّبيل ، وتدافعته الأ بواب إلى باب السّلامة ، ودار الأقامة ، وثبتت رجلاه بطمأنينةِ بدنِهِ في قرار الأمن والرّاحة ، بما استعمل قلبه ، وأرضى ربّه (ك/٢٢٠) .

* إتّقوا ظنون المؤمنين ، فإنّ الله تعالىٰ جعل الحقّ على ألسنتهم (ح/٣٠٩) .

(٢٢١) الأثر الصّحي على النّفس والجسد :

* عباد الله ، أوصيكم بتقوى الله ... وداووا بها الأسقام (خ/١٩١) .

* فإنّ تقوى الله دواء داء قلوبكم ... وشفاء مرض أجسادكم (خ/١٩٨) .

* ألا وإنّ من صحّة البَدَن تقوى القلب (ح/٣٨٨) .

* أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإنّها الزّمام والقوام ، فتمسّكوا بوثائقها ، واعتصموا بحقائقها ، تَؤُلْ بكم إلىٰ أكنان الدَّعَة (خ/١٩٥) .

(٢٢٢) الأثر الأقتصادي والحياتي :

* لا يَهْلِكُ على التّقوىٰ سِنخُ أصلٍ ، ولا يظمأ عليها زرعُ قومٍ (ك/١٦) .

* واعلموا عباد الله أنّ المتّقين ذهبوا بعاجل الدّنيا وآجل الآخرة ، فشاركوا أهل الدّنيا في دنياهم ، ولم يشاركوا أهل الدّنيا في آخرتهم ؛ سكنوا الدّنيا بأفضل ما سُكِنَتْ ، وأكلوها بأفضل ممّا أُكِلَت ، فحَظَوا من الدّنيا بما حَظِيَ به المُتْرَفون ، وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبّرون ، ثمّ انقلبوا عنها بالزّاد المُبْلِغ ، والمتجر الرّابح (ر/٢٧) .

* ولو أنّ السّماوات والأرضين كانتا على عبدٍ رَتْقاً ثمّ اتّقىٰ الله ، لجَعَل الله له منهما مخرجاً (ك/١٣٠) .

* فمن أشعر التّقوىٰ قلبه بَرَّزَ مَهَلُهُ ، وفاز عمله ، فاهتبلوا هَبَلَها ، واعملوا للجنّة عملها (خ/١٣٢) .

* أوصيكم عباد الله بتقوى الله ... تؤل بكم إلى أكنان الدَّعة ، وأوطان السَّعة (خ/١٩٥) .

* فإنّ تقوى الله مفتاح سداد ... بها ينجح الطالب ، و ينجو الهارب ، وتُنال الرّغائب (خ/٢٣٠) .

* أمَرَهُ بتقوى الله ... الّتي لا يَسْعَدُ أحدٌ إلاّ باتّباعها ، ولا يشقىٰ إلاّ مع جحودها وإضاعتها (ر/٥٣) .

* ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله له أمر دنياه (ح/٨٩) .

(٢٢٣) الأثر الأجتماعي :

* من أصلح ما بينه و بين الله ، أصلح الله ما بينه و بين النّاس (ح/٨٩) .

* فمن علامة أحدهم ... مكظوماً غيظه ، الخير منه مأمول ، والشرّ منه مأمون ... يعفو عمّن ظَلَمَه ، و يُعطي مَن حرمه ، و يصل مَن قَطَعَه ، بعيداً فُحْشُهُ ، ليّناً قولُه ، غائباً منكره ،

حاضراً معروفه ، مُقْبِلاً خيُره ، مُدبِراً شرّه ... لا يحيف علىٰ من يُبغِض ، ولا يأثم فيمن يُحِبّ ... ولا يُنابز بالألقاب ، ولا يُضارّ بالجار ، ولا يشمت بالمصائب ، ولا يدخل في الباطل ، ولا يخرج من الحقّ (خ/١٩٣) .

* نفسُه منه في عناء ، والنّاس منه في راحة ، أتعب نفسَه لآخرته ، وأراح النّاس من نفسه ، بُعْدُه عمّن تباعد عنه زهدٌ ونزاهة ، ودنوّه ممّن دنا فيه لينٌ ورحمة ، ليس تباعده بكبرٍ وعظمة ، ولا دنوّه بمكرٍ وخديعة (خ/١٩٣) .

* طوبىٰ لمن ... كان من نفسه في شُغُلٍ ، والنّاس منه في راحة (خ/١٧٦) .

(٢٢٤) الأثر السّياسي :

* أما والله إنّي ليمنعني من اللَّعِب ذكر الموت ، وإنّه ليمنعه من قول الحقّ نسيان الآخرة ، إنّه لم يبايع معاوية حتّى شرط أن يؤتيَه أتيّة ، و يرضخ له علىٰ ترك الدّين رضيخة (خ/٨٤) .

* والله ما معاوية بأدهىٰ منّي ، ولكنّه يغدِر و يفجر ، ولولا كراهية الغدر لكنت من إدهى النّاس (ك/٢٠٠) .

* واعلموا إنّي إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ، ولم أُصغِ إلى قول القائل وعتب العاتب (ك/٩٢) .

* ولو شئت لاهتديت الطّريق ، إلىٰ مُصَفّى هذا العسل ، ولباب هذا القمح ، ونسائج هذا القزّ ، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ، و يقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة ، ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القُرص ، ولا عهد له بالشّبع ، أَوَ أبيت مبطاناً وحولي بطونٌ غرثىٰ وأكبادٌ حرّى ، أَوْ أكون كما قال القائل :

وحَسْبُكَ داءً أن تبيتَ ببِطنةٍ ... وحولَك أكبادٌ تحنّ إلى القِدّ

أأقنع من نفسي بأن يُقال : أمير المؤمنين ، ولا أشاركهُم في مكاره الدّهر ، أو أكون أسوةً لهم في جشوبة العيش (ر/٤٥) .

* اللّهم إنّك تعلم أنّه لم يكن الّذي كان منّا منافسةً في سلطانٍ ، ولا التماس شيءٍ من فضول الحطام ، ولكن لِنَردُ المعالم من دينك ، ونُظْهِرَ الأصلاحَ في بلادك ، فيأمَنِ المظلومون

من عبادك ، وتُقام المعطَّلَة من حدودك (ك/١٣١) .

* أمّا الأمرة البَرّة ، فيعمل فيها التقيّ ، وأمّا الأمرة الفاجرة فيتمتّع فيها الشّقيّ ، إلى أن تنقطع مدّته ، وتدركه منيّته (خ/٤٠) .

(٢٢٥) الأثر الأخروي :

* « وسيق الّذين اتّقوا ربّهم زُمَراً » قد أُمِنَ العَذاب ، وانقطع العتاب ، وزُحزحوا عن النّار ، واطمأنّت بهم الدّار ، ورَضُوا المثوى والقرار ، الّذين كانت أعمالهم في الدّنيا زاكية ، وأعينهم باكية وكان ليلهم في دنياهم نهاراً ، تخشّعاً واستغفاراً ، وكان نهارهم ليلاً ، توحّشاً وانقطاعاً ، فجعل الله لهم الجنّة مآباً ، والجزاء ثواباً ، « وكانوا أحقّ بها وأهلها » في مُلكٍ دائم ، ونعيمٍ قائم (خ/١٩٠) .

* واعلموا عباد الله أنّ المتّقين ذهبوا بعاجل الدّنيا وآجل الآخرة ، فشاركوا أهل الدّنيا في دنياهم ، ولم يُشارِكْهُم أهل الدّنيا في آخرتهم ، سكنوا الدّنيا بأفضل ما سُكِنَتْ ، وأكلوها بأفضل ما أُكِلَت ، فحَظَوا من الدّنيا بما حَظِيَ به المُتْرَفُون ، وأَخَذُوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبّرون ، ثمّ انقلبوا عنها بالزّاد المبلّغ ، والمتجر الرّابح (ر/٢٧) .

* (وقد رجع عليه السلام من صفّين ، فأشرف على القبور بظاهر الكوفة ثم التفت إلى أصحابه فقال) : أَمَا لو أُذِنَ لهم في الكلام لأخبروكم أنّ « خير الزّاد التّقوى » (ح/١٣٠) .

* صَبَروا أيّاماً قصيرة أعقبتهم راحة طويلة ، تجارة مربحة يسّرها لهم ربُّهم ، أرادتهم الدّنيا فلم يريدوها (خ/١٩٣) .

* أوصيكم عباد الله بتقوى الله فإنّها خير ما تواصى العباد به ، وخير عواقب الأمور عند الله (خ/١٧٣) .

* أوصيكم عباد الله بتقوى الله الّتي هي الزّاد وبها المعاذ : زادٌ مُبلغٌ ومعادٌ مُنجح (خ/١١٤) .

* فإنّ تقوى الله ... وأمنُ فَزَع جأشِكم ، وضياء سواد ظُلمتكم (خ/١٩٨) .

الباب السّابع : في الخوف والرّجاء

« الخوف والرّجاء »

(٢٢٦) في معنى الخوف والرّجاء وأهميّتهما :

* الأيمان علىٰ أربع دعائم : على الصّبر ، واليقين ، والعدل ، والجهاد ، والصّبر منها على أربع شُعَب : على الشّوق ، والشَّفَق ، والزّهد ، والترقّب ، فمن اشتاق إلى الجنّة سَلاَ عن الشّهوات ، ومَن أشفق من النّار اجتنب المحرّمات ، ومَن زهد في الدّنيا استهان بالمصيبات ، ومن أرتقب الموت سارع إلى الخيرات (ح/٣١) .

* اللّهم ...

وقد رجوتك دليلاً على ذَخائر الرّحمة ، وكنوز المغفرة .

* شُغِلَ من الجنّة والنّار أمامه : ساعٍ سريعٌ نجا ، وطالبٌ بطيء رجا ، ومقصّرٌ في النّار هَوَى (ك/١٦) .

* اللّهم ... وكُنْتَ الرّجاء للمبتئس (خ/١١٥) .

* الحمد لله غير مقنوطٍ من رحمته ... ولا مأيوسٍ من مغفرته (خ/٤٥) .

* واعلم أنّ الّذي بيده خزائن السّمٰوات والأرض ... ولم يناقشك بالجريمة ، ولم يُؤْيِسْكَ من الرّحمة (ر/٣١) .

* ولو تعلمون ما أعلم ممّا طُوِيَ عنكم غيبُه ، إذاً لخرجتم إلىٰ الصُّعُدات تبكون على أعمالكم ، وتلتدمون على أنفسكم . ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا خالِفَ عليها ، ولَهَمَّت كلَّ امرىءٍ منكم نفسه ، لا يلتفت إلى غيرها ؛ ولكنّكم نسيتم ما ذُكِّرتُم ، وأَمِنْتُم ما حُذِّرتم ، فتاه عنكم رأيكم ، وتشتّت عليكم أمركم (خ/١١٦) .

(٢٢٧) يجب الأعتدال بين الخوف والرّجاء، وعدم طغيان جانبٍ علىٰ آخر:

* وإن استطعتم أن يشتدّ خوفكم من الله، وأن يحسن ظنّكم به، فاجمعوا بينهما، فإنّ العبد إنّما يكون حسن ظنّه بربّه علىٰ قدر خوفه من ربّه، وإنّ أحسن النّاس ظنّاً بالله أشدّهم خوفاً لله (ر/٢٧).

* الفقيه كلّ الفقيه من لم يقنّط النّاس من رحمة الله، ولم يؤيسهم من رَوْح الله (ح/٩٠).

* لا تأمننّ على خير هٰذه الأمّة عذاب الله لقوله تعالىٰ: «فلا يأمن مكر الله إلّا القوم الخاسرون». ولا تيأسنّ لشرّ هٰذه الأمّة من رَوْح الله لقوله سبحانه: «لا ييأس من روح الله إلاّ القوم الكافرون» (ح/٣٧٧).

* (الملائكة) لم يستعظموا ما مضىٰ من أعمالهم، ولو استعظموا ذٰلك لنسخ الرّجاء منهم شفقات وَجَلِهم (خ/٩١).

* هو الّذي اشتدّت نقمته علىٰ أعدائه في سعة رحمته، واتّسعت رحمته لأوليائه في شدّة نقمته (خ/٩٠).

(٢٢٨) في أنّ الرّجاء يجب أن يتبيّن في العمل:

* لا تكن ممّن يرجو الآخرة بغير العمل ... يقول في الدّنيا بقول الزّاهدين، و يعمل فيها بعمل الرّاغبين ... و يرجو لنفسه بأكثر من عمله (ك/١٤٧).

* يدّعي بزعمه أنّه يرجو الله، كَذَبَ والعظيم! ما بالُه لا يتبيّن رجاؤه في عمله؟ فكلّ مَن رَجا عُرِفَ رجاؤه في عمله (خ/١٦٠).

* وابتذل نفسك فيما افترض الله عليك راجياً ثوابه، ومتخوّفاً عقابه (ر/٥٩).

* أترجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين، وأنت عنده من المستكبرين (ر/٢١).

(٢٢٩) الرّاجي يجب أن لا يرجو غير الله تعالىٰ، والخائف يجب أن لا يخاف سواه سبحانه:

* وكلّ رجاءٍ ــ إلاّ رجاء الله تعالى ــ فإنّه مدخول، وكلّ خوفٍ محقَّقٌ، إلّا خوفَ الله فإنّه معلول. يرجو الله في الكبير، و يرجو العباد في الصّغير. فيُعْطي العبدَ مالا يُعطِي الرّبّ!

فما بال الله جلّ ثناؤه يُقَصَّرُ به عمّا يُصْنَع به لعباده ؟ أتخاف أن تكون في رجائك له كاذباً ؟ أو تكونَ لا تراه للرّجاء مَوْضِعاً ؟ وكذلك إن هو خاف عبداً من عبيده . أعطاه من خوفه مالا يُعْطي ربّه . فَجَعَلَ خوفَه من العباد نقداً ، وخوفَه من خالقه ضِماراً وَوَعْداً . وكذلك مَن عَظُمَت الدّنيا في عينه ، وكَبُرَ موقعها من قلبه ، آثرَها على الله تعالى ، فانقطع إليها ، وصار عبداً لها (خ/١٦٠) .

* (الملائكة) ولم تجاوز رغباتهم ما عنده إلى ما عند غيره (خ/٩١) .

* (الملائكة) قد اتّخذوا ذا العرش ذخيرةً ليوم فاقتهم ، و يَمَّموه عند انقطاع الخلق إلى المخلوقين برغبتهم (خ/٩١) .

* لا تكن ممّن ... ويخشى الخلق في غير ربّه ، ولا يخشى ربّه في خلقه (ك/١٤٧) .

* (المتّقون) لا يرون مرجوّاً فوق ما يرجون ، ولا مخوفاً فوق ما يخافون (ح/٤٣٢) .

* اللّهمّ ... إن تُؤَمَّل فخير مأمول ، وإن ترج فخير مرجوّ (خ/٩١) .

(٢٣٠) في أنّ أكثر النّاس إيماناً أكثرهم خشيةً من الله تعالى ، وأعظمهم رجاءً له سبحانه :

* فاتّقوا الله عباد الله تقيّة ذي لبٍّ شغل التّفكّر قلبه ، وأنصب الخوف بدنه ، وأسهر التّهجّد غرار نومه ، وأظمأ الرّجاء هواجر يومه ... وقدّم الخوف لأمانه ، وراقب في يومه غده ، ونظر قُدُماً أمامه (خ/٨٣) .

* إنّ تقوى الله حمت أولياء الله محارمه ، وألزمت قلوبهم مخافته (خ/١١٤) .

* (أصحاب رسول الله) إذا ذكر الله هملت أعينهم ... خوفاً من العقاب ، ورجاءً للثّواب (خ/٩٧) .

* الحمد لله ... ونؤمن به إيمان من رجاه موقناً ، وأناب إليه مؤمناً ، وخَنَعَ له مذعِناً ، وأخلَصَ لَهُ موحّداً ، وعَظَّمَهُ ممجّداً ، ولاذ به راغباً مجتهداً (خ/١٨٢) .

* (المتّقون) لولا الأجل الّذي كُتِبَ عليهم لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم طرفة عينٍ ، شوقاً إلى الثّواب ، وخوفاً من العقاب ... فهم والجنّة كمن قد رآها فهم فيها منعَّمون ، وهم والنّار كمن قد رآها ، فهم فيها معذَّبون ... فإذا مرّوا بآيةٍ فيها تشويق ، ركنوا إليها طمعاً ، وتطلّعت نفوسهم إليها شوقاً ، وظنّوا أنّها نُصْبَ أعينهم . وإذا مرّوا بآيةٍ فيها

تخـو يف ، أصغَوا إليها مسامع قلوبهم ، وظنّوا أنّ زفير جهنّم وشهيقها في أصول آذانهم ، فهم حانون علىٰ أوساطهم ، مفترشون لجباههم وأكفّهم ورُكَبِهِمْ ، وأطراف أقدامهم ، يطلبون إلى الله تـعالـىٰ في فكاك رقابهم ... قد بَرَاهُمُ الخوفُ بَرْيَ القِداح ، ينظر إليهم النّاظر فيحسبهم مَـرْضَـىٰ ، وما بالقوم من مَرَض ، و يقول : لقد خولطوا ! ولقد خالَطَهُمْ أمرٌ عظيم ! لا يرضون مـن أعـمـالهـم الـقـلـيـل ، ولا يـسـتـكـثـرون الـكثير. فهم لأنفسهم متّهمون ، ومن أعمالهم مشفقون ... فمن علامة أحدهم ... يعمل الأعمال الصّالحة وهوعلىٰ وجل ... يبيت حَذِراً و يُصْبِحُ فَرِحاً ، حَذِراً لِما حُذِّرَ من الغفلة ، وفَرِحاً لما أصاب من الفضل والرّحمة (خ/١٩٣) .

البابُ الثّامن : في التّوبة وغفران الذّنوب

« التّوبة وغفران الذّنوب »

(٢٣١) في ضرورة الأسراع إلى التّوبة ، وأنّ التّسويف أكبر عائق في طريقها :

* وأنّك طريد الموت الّذي لا ينجو منه هاربه ، ولا يفوته طالبه ، ولا بدّ أنّه مدركه ، فكن منه علىٰ حذر أن يدركك وأنت علىٰ حالٍ سيّئة ، قد كنت تحدّث نفسك بالتّوبة ، فيحول بينك وبين ذٰلك ، فإذا أنت قد أهلكت نفسك (ر/٣١) .

* لا تكن ممّن يرجو الآخرة بغير العمل ، ويرجّي التوبة بطول الأمل ... إن عَرَضَتْ له شهوةٌ أسلف المعصية ، وسوَّفَ التّوبة (ح/١٥٠) .

* وإنّ غائباً يحدوه الجديدان : الليل والنّهار ، لَحرِيٌّ بسرعة الأوبة ... فاتّقىٰ عبدٌ ربَّه ، نصح نفسه ، وقدّم توبته ، وغلب شهوته ، فإنّ أجله مستورٌ عنه ، وأمله خادعٌ له ، والشّيطان مُوَكَّلٌ به ، يُزَيِّن له المعصية ليركبها ، ويمنّيه التّوبة ليسوّفها (خ/٦٤) .

* الآن عباد الله والخِناق مُهْمَل ، والرّوح مُرْسَل ، في فَيْنَةِ الأرشاد ، وراحة الأجساد ، وباحة الأحتشاد ، ومَهَلِ البقيّة ، وأُنُفِ المشيّة ، وإنظار التّوبة ، وانفساح الحَوْبة ، قبل الضَّنك والمَضيق ، والرَّوع والزُّهوق ، وقبل قدوم الغائب المنتظر ، وإخْذَة العزيز المقتَدِر (خ/٨٣) .

* اعملوا ، رحمكم الله ، على أعلام بيّنة ، فالطّريق نهجٌ يدعو إلى دار السَّلام ، وأنتم في دار مستعتَب علىٰ مَهَلٍ وفَراغ ؛ والصُّحُف منشورة ، والأقلام جارية ، والأبدان صحيحة ، والألسن مطلقة ، والتّوبة مسموعة ، والأعمال مقبولة (خ/٩٤) .

* وإنّما هَلَكَ من كان قبلكم بطول آمالهم وتغيّب آجالهم ، حتّى نزل بهم الموعود الّذي تُرَدّ عنه المعذرة ، وتُرْفَعُ عنه التّوبة ، وتَحُلُّ معه القارعة والنّقمة (خ/١٤٧) .

* فبادِروا المَعَاد ، وسابقوا الآجال ، فإنّ النّاس يوشِكُ أن ينقطعَ بهم الأمل ، و يرهقَهم الأجل ، و يُسَدَّ عنهم باب التّوبة (خ/١٨٣) .

* فطُوبىٰ لذي قلبٍ سليم ، أطاع من يهديه ، وتجنّبَ مَن يُرْديه ، وأصاب سبيل السّلامة ببصر من بَصَّرَه ، وطاعة هادٍ أَمَرَه ، و بادَرَ الهُدَىٰ قبل أن تُغْلَقَ أبوابه ، وتُقْطَعَ أسبابُه ، واستفتَحَ التّوبة ، وأماط الحوبة ، فقد أقيم على الطّريق ، وهُدِيَ نهج السَّبيل (خ/٢١٤) .

* فاعملوا وأنتم في نَفَس البقاء ، والصُّحُف منشورة ، والتّوبة مبسوطة ، والمُدْبِر يُدعَىٰ ، والمُسيء يُرجىٰ ، قبل أن يخمد العمل ، و ينقطع المَهَل ، و ينقضي الأجل ، و يُسَدَّ باب التّوبة ، وتصعد الملائكة (خ/٢٣٧) .

* ولا خير في الدّنيا إلّا لِرَجُلَينْ : رجلٍ أذنبَ ذنوباً فهويتداركها بالتّوبة ، ورجل يسارع في الخيرات (ح/٩٤) .

* ألا وإنّ اليوم المضمار ، وغداً السِّباق ، والسَّبَقَة الجنّة ، والغاية النّار ؛ أَفلا تائبٌ من خطيئته قبل منيّته (خ/٢٨) .

* فَرَحِمَ الله أمرَأً استقبل توبته ، واستقال خطيئته ، و بادر منيَّته (خ/١٤٣) .

(٢٣٢) في أنّ باب التّوبة مفتوحٌ للعبد :

* ولم يمنعك (الله تعالى) إن أسَأْتَ من التّوبة ، ولم يعاجِلْكَ بالنّقمة ، ولم يعيّرك بالأنابة ، ولم يفضحك حيث الفضيحة بك أولىٰ ، ولم يشدِّد عليك في قبول الأنابة ، ولم يناقشك بالجريمة ، ولم يؤيسك من الرّحمة ... وفتح لك باب المتاب ، و باب الأستعتاب (ر/٣١) .

* فاعملوا والعمل يُرْفَع ، والتّوبة تنفع ، والدّعاء يُسْمَع (خ/٢٣٠) .

* مَن أُعْطِيَ أربعاً لم يُحْرَم أربعاً : مَن أُعْطِيَ الدّعاء لم يُحْرَم الأجابة ، ومَن أُعْطِيَ التّوبة لم يحرم القبول ، ومَن أُعْطِيَ الأستغفار لَم يُحْرَم المغفرة ، ومَن أُعْطِيَ الشّكر لم يُحْرَم الزّيادة (ح/١٣٥) .

* ولا شفيع أنجح من التّوبة (ح/٣٧١) .

* ما كان الله ليفتح علىٰ عبدٍ باب الشّكر و يُغْلِق عنه بابَ الزّيادة ، ولا ليفتح لعبدٍ باب الدّعاء و يغلق عنه باب الأجابة ، ولا ليفتح لعبدٍ باب التّوبة و يغلق عنه باب المغفرة (ح/٤٣٥) .

طرق أخرى لغفران الذّنوب ـ غير التّوبة ـ :

(٢٣٣) الأستغفار وشرائطه :

* عجبتُ لمن يَقْنَط ومعه الأستغفار (ح/٨٧) .
* ومَن أُعْطِيَ الأستغفار لم يُحْرَم المغفرة (ح/١٣٥) .
* وتَقَشّعَت بطول استغفارهم ذنوبهم ، « أولٰئك حزب الله ، ألا إنّ حزب الله هم المفلحون » (ر/٤٥) .
* وقد جعل الله سبحانه الأستغفار سبباً لدرور الرّزق ورحمة الخلق ، فقال سبحانه : « استغفروا ربّكم إنّه كان غفّاراً . يرسل السّماء عليكم مدراراً . و يُمْدِدْكم بأموالٍ و بنين ويجعل لكم جنّاتٍ ويجعل لكم أنهاراً » (خ/١٤٣) .
* ليس الخير أن يكثر مالك و ولدك ، ولكنّ الخير أن يكثر علمك ، وأن يعظم حلمك ، وأن تباهي النّاس بعبادة ربّك ؛ فإن أحسنتَ حمدتَ الله ، وإن أسأتَ استغفرتَ الله (ح/٩٤) .
* كان في الأرض أمانان من عذاب الله ، وقد رُفِعَ أحدهما ، فدونكم الآخر فتمسّكوا به : أمّا الأمان الّذي رُفِعَ فهو رسول الله (ص) وأمّا الأمان الباقي فالأستغفار . قال الله تعالى : «وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم ، وما كان الله معذّبهم وهم يستغفرون » (ح/٨٨) .
* (المؤمنون) وكان ليلهم في دنياهم نهاراً ، تخشّعاً واستغفاراً (خ/١٩٠) .
* (وقال عليه السّلام لقائل قال بحضرته : « استغفر الله ») : ثكلتك أمّك ، أتدري ما الأستغفار ؟ الأستغفار درجة العلّيّين ، وهو اسمٌ واقعٌ على ستّة معانٍ : أوّلُها النّدَم علىٰ ما مضى ، والثّاني العزم على ترك العود إليه أبداً ، والثّالث أن تؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم ، حتّى تلقى الله أملس ليس عليك تَبِعَة ، والرّابع أن تَعْمِدَ إلى كلّ فريضةٍ عليك ضيّعتَها فتؤدّي حقّها ، والخامس أن تَعْمِدَ إلىٰ اللّحم الّذي نبت علىٰ السُّحت فتذيبُه بالأحزان ،

حتّى تُلْصِقَ الجلدَ بالعظم ، و ينشأ بينها لحمٌ جديد ، والسّادس أن تُذيق الجسم ألم الطّاعة كما أذقْتَه حلاوة المعصية ، فعند ذٰلك تقول : استغفر الله (ح/٤١٧) .

(٢٣٤) المواظبة على العبادات وإقامة الفرائض :

* تعاهَدوا أمر الصّلاة ، وحافظوا عليها ، واستكثروا منها ، وتقرّبوا بها ... وإنّها لَتَحِتّ الذّنوب حتّ الورق ، وتُطْلِقُها إطلاقَ الرَّبَق ، وشبَّهَهَا رسول الله (ص) بالحَمَّة تكون علىٰ باب الرّجل ، فهو يغتسل منها في اليوم واللّيلة خمس مرات ، فما عَسَىٰ أن يَبْقَىٰ عليه من الدَّرَن (خ/١٩٩) .

* ثمَّ أنّ الزّكاة جُعِلَت مع الصّلاة قرباناً لأهل الأسلام ، فمن أعطاها طيّب النّفس بها ، فإنّها تُجْعَل له كفّارة ، ومن النّار حجازاً ووقاية (خ/١٩٩) .

* وحجّ البيت واعتمارُه فإنّهما ينفيان الفقر ، و يرحضان الذّنب (خ/١١٠) .

* ما أهمّني ذنبٌ أُمْهِلْتُ بعده حتّى أُصَلّي ركعتين وأسأل الله العافية (ح/٢٩٩) .

(٢٣٥) النّزوع عن الذّنب :

* بل جَعَلَ نزوعك عن الذّنب حَسَنَةً ، وحَسَبَ سيّئتك واحدة ، وحَسَبَ حَسَنَتَك عشراً (ر/٣١) .

* ومن خاصمه الله أدحض حجّته ، وكان لله حرباً حتّى ينزع أو يتوب (ر/٥٣) .

* واعلموا أنّه ما من طاعة الله شيء إلّا يأتي في كُرْه ، وما من معصية الله شيء إلّا يأتي في شهوة ، فرحم الله أمْرأً نزع عن شهوته ، وقَمَعَ هَوَىٰ نفسه (خ/١٧٦) .

(٢٣٦) البكاء على الخطيئة :

* وطوبىٰ لمن لزم بيته ، وأكل قوته ، واشتغل بطاعة ربّه ، « و بكىٰ على خطيئته » (خ/١٧٦) .

* ولو تعلمون ما أعلم ممّا طُوِيَ عنكم غيبه ، إذاً لخرجتم إلى الصّعدات تبكون علىٰ أعمالكم ، وتلتدمون علىٰ أنفسكم (خ/١١٦) .

* (أهل الذكر) جَرَحَ طول الأَسَىٰ قلوبَهم ، وطول البكاء عيونهم (ك/٢٢٢) .
* أين القوم الّذين دُعُوا إلى الأسلام فقبلوه ... مُرْهُ العيون من البكاء (خ/١٢١) .
* (المتّقون) كانت أعمالهم في الدّنيا زاكية ، وأعينهم باكية (خ/١٩٠) .

(٢٣٧) فِعل الخَيْرات :
* وصـدَقَةُ السّرّ فإنّها تكفّر الخطيئة ؛ وصـدَقة العلانية فإنّها تدفع ميتة السّوء (خ/١١٠) .
* من كفّارات الذّنوب العظام إغاثة الملهوف ، والتّنفيس عن المكروب (ح/٢٣) .

(٢٣٨) الجــهاد :
* أمّا بعد فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة (خ/٢٧) .
* إنّ أفـضـل ما توسّل به المتوسّلون إلى الله سبحانه وتعالىٰ الأيمان به و برسوله والجهاد في سبيله (خ/١١٠) .

(٢٣٩) المــرض :
* وقـال لبـعض أصحابه في علّةٍ اعتلّها : جَعَلَ الله ما كان من شكواك حطّاً لسّيئاتك ، فإنّ المرض لا أجر فيه ، ولكنّه يحطّ السّيّئات ، ويحتّها حتّ الأ وراق (ح/٤٢) .
* وكلّما كانت البلوىٰ ، والأختبار أعظم، كانت المثوبة والجزاء أجزل (خ/١٩٢) .

(٢٤٠) التّحميد له سبحانه ، والثّناء عليه ورجاؤه والدّعاء له وطلب المغفرة منه :
* اللّهـم ولـكـلّ مُـثْـنٍ عـلـىٰ مَـن أثْنَىٰ عليه مثوبةً من جزاء ، أوعارفةً من عطاء ، وقد رجوتك دليلاً على ذخائر الرّحمة وكنوز المغفرة (خ/٩١) .

(٢٤١) في أنّ التّوبة ترفع الذّنوب جميعاً كبيرها وصغيرها :
* ألا وإنّ الـظـّـلـم ثلا ثة : فظلمٌ لا يُغْفَر ، وظلمٌ لا يترك ، وظلمٌ مغفورٌ لا يُطـْلَب . فأمّا

الظّـلم الّذي لا يغفر فالشّرك بالله ، قال الله تعالى : « إنّ الله لا يغفر أن يُشْرَك به » . وأمّا الظّـلم الّذي يُغْفَر فظلم العبد نفسَه عند بعض الهَنات . وأمّا الظّلم الّذي لا يُتْرَك فظلم العباد بعضِهم بعضاً ؛ القِصاص هناك شديد ، ليس هو جَرْحاً بالمُدَىٰ ، ولا ضرباً بالسيّاط ، ولكنّه ما يُسْتَصْغَر ذٰلك معه (خ/١٧٦) .

* إنّ من عزائم الله في الذّكر الحكيم ، الّتي عليها يثيب و يعاقب ، ولها يرضى و يسخَط ؛ أنّه لا ينفع عبداً ــ وإن أجهد نفسه ، وأخلص فعله ــ أن يخرج من الدّنيا ، لاقياً ربّه بخصلةٍ من هذه الخصال لم يتُب منها :أن يشرك بالله فيما افترض عليه من عبادته ، أو يشفي غيظه بهلاك نفس ، أو يَعُرَّ بأمرٍ فَعَلَه غيرُهُ ، أو يستنجح حاجةً إلى النّاس بإظهار بدعةٍ في دينه ، أَوْ يلقى النّاس بوجهين ، أو يمشي فيهم بلسانين (خ/١٥٣) .

* ومَن ظَلَمَ عبادَ الله كان الله خصمه دون عباده ، ومَن خاصَمَهُ الله أدحض حُجَّتَه ، وكان لله حرباً حتّى ينزع أو يتوب (ر/٥٣) .

(٢٤٢) في الأسباب الّتي تعظم بها الصّغائر :

* ولا تَأْمَنْ علىٰ نفسك صغيرمعصيته ، فلعلّك معذَّب عليه (ك/١٤٠) .
* أشدّ الذّنوب ما استخفّ به صاحبُهُ (ح/٤٧٧) .
* أشدّ الذّنوب ما استهان به صاحبُه (ح/٣٤٨) .
* سيّئة تسوؤك خيرٌ عند الله من حسنةٍ تُعْجِبُك (ح/٤٦) .
* لا تكن ممّن ... يستعظم من معصية غيره ما يستقلّ أكثر منه من نفسه (ح/١٥٠) .

الباب التّاسع : في الدّعاء والأدعية المأثورة عنه (ع)

في أمور عامة عن الدّعاء
« الدّعاء ، وبعض الأدعية المأثورة عنه(ع) »

(٢٤٣) في فضيلة الدّعاء ، وأنّه سبحانه قد تكفّل بالأجابة لمن يدعوه :

* واعلم أنّ الّذي بيده خزائن السَّمٰوات والأرض قد أَذِنَ لك في الدّعاء ، وتكفّل لك بالأجابة ، وأَمَرَكَ أن تسأله ليعطيك ، وتسترحمه ليرحمك ، ولم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه ، ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه ... ولم يؤيسك من الرّحمة ... وفتح لك باب المتاب ، وباب الأستعتاب ؛ فإذا نادَيْتَهُ سَمِعَ نِداك ، وإذا ناجيتَه عَلِمَ نجواك ، فأفضيتَ إليه بحاجتك ، وأبثثتَه ذاتَ نفسك ، وشكوتَ إليه همومك ، واستكشفتَه كروبك ، واستعنتَه على أمورِك ، وسألتَه من خزائن رحمته مالا يقدر علىٰ إعطائه غيرُه ، من زيادة الأعمار ، وصحّة الأبدان ، وسعة الأرزاق . ثمّ جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أَذِنَ لك فيه من مسألته (ر/٣١) .

* فاستفتحوه واستنجحوه ، واطلبوا إليه واستمنحوه ، فما قَطَعَكُم عنه حجاب ، ولا أُغْلِقَ عنكم دونه باب ، وإنّه لبكلّ مكان ، وفي كلّ حينٍ وأوان ، ومع كلّ إنسٍ وجانّ ؛ لا يثلمه العطاء ، ولا يَنْقُصُهُ الحِباء ، ولا يستنفده سائل ، ولا يستقصيه نائل ، ولا يلويه شخصٌ عن شخص ، ولا يلهيه صوتٌ عن صوت ، ولا تحجُزُه هبةٌ عن سلب ، ولا يشغله غضبٌ عن رحمة ، ولا تولهُهُ رحمةٌ عن عقاب ، ولا يُجِنّه البطون عن الظّهور ، ولا يقطعه الظّهور عن البطون (خ/١٩٥) .

* (أهل الذّكر) لكلّ باب رغبةٍ إلى الله منهم يدٌ قارعة ، يسألون من لا تضيق لديه

المنادح ، ولا يخيب عليه الرّاغبون (ك/٢٢٢) .

* مَن أُعْطِيَ أربعاً لم يُحْرَم أربَعاً : مَن أُعْطِيَ الدّعاء لَم يُحْرَم الأجابة (ح/١٣٥) .

* هو الّذي اشتدّت نقمته على أعدائه في سعة رحمته ، واتَّسَعَتْ رحمته لأ وليائه في شدّة نقمته ... من تَوَكَّلَ عليه كفاه ، ومن سَأَلَه أعطاه ، ومَن أقرضَه قضاه (خ/٩٠) .

* ولو وهب ما تنفَّسَت عنه معادن الجبال ، وضحكت عنه أصداف البحار ، من فلزّ اللُّجَين والعِقْيان ، ونُثارة الدرّ وحصيد المرجان ، ما أثَّرَ ذٰلك في جوده ، ولا أنْفَدَ سَعَةَ ما عنده ، ولكان عنده من ذخائر الأنعام مالا تُنْفِدُه مطالب الأنام ، لأنّه الجواد الّذي لا يغيضُهُ سؤال السّائلين ، ولا يُبْخِلُهُ إلحاحُ الملحّين (خ/٩١) .

* والحمد لله ... ولا يَشْغَلُه سائل ، ولا يَنْقُصُه نائل (خ/١٨٢) .

* فإنّ الله سميع دعوة المضطَهَدين (ر/٥٣) .

* الحمد لله ... ونَهَجَ سبيل الرّاغبين إليه ، والطّالبين ما لديه (خ/٩١) .

* ما كان الله ... ولا ليفتح علىٰ عبدٍ باب الدّعاء ، و يُغلق عنه بابَ الأجابة (ح/٤٣٥) .

* وادفعوا أمواج البلاء بالدّعاء (ح/١٤٦) .

من آداب الدّعاء وشروطه :

(٢٤٤) ١ ــ في وقت الدّعاء ومكانه :

* فمتى شِئتَ استفتحتَ بالدّعاء أبواب نعمته ، واستمطرتَ شآبيب رحمته (ر/٣١) .

* فاستفتحوه واستنجحوه ، واطلبوا إليه واستمنحوه ، فما قطعكم عنه حجاب ، ولا أُغلِقَ عنكم دونه باب ، وإنّه لبكلّ مكان ، وفي كلّ حينٍ وأوان ، ومع كلّ إنسٍ وجانّ ، لا يثلمه العطاء ، ولا ينقصه الحباء ، ولا يستنفده سائل ، ولا يستقصيه نائل ، ولا يلوِ به شخصٌ عن شخص ، ولا يلهيه صوتٌ عن صوت ، ولا تحجزه هبةٌ عن سلب ، ولا يشغله غضبٌ عن رحمةٍ ، ولا تولهه رحمةٌ عن عقاب ، ولا يجنّه البطون عن الظّهور ، ولا يقطعه الظّهور عن البطون . قَرُبَ فَنَأىٰ ، وعلا فَدَنا ، وظهر فَبَطَن ، و بطن فعلن ، ودان ولم يُدَن (خ/١٩٥) .

* (عن نوف البكالي ، قال : رأيت أمير المؤمنين(ع) ذات ليلة ، وقد خرج من فراشه ،

فنظر في النجوم، فقال لي: يانوف، أراقدٌ أنت أم رامق؟ فقلت: بل رامق؛ قال:) يانوف، طوبىٰ للزّاهدين... أولئك قومٌ اتخذوا... والدّعاء دثاراً... يانوف، إنّ داود (ع) قام في مثل هٰذه السّاعة من اللّيل فقال: إنّها لساعةٌ لا يدعو فيها عبدٌ إلّا استجيب له، إلّا أن يكون عشّاراً، أو عريفاً، أو شرطيّاً، أو صاحب عَرْطَبَة (ح/١٠٤).

(٢٤٥) ٢ ــ في وجوب تيقّن الدّاعي من الأجابة، وأن يحسن الظنّ بالله سبحانه عند عدم الأجابة أو تأخّرها:

* فلا يقنطنّك إبطاء إجابته، فإنّ العطيّة علىٰ قدر النيّة. وربّما أُخِّرَتْ عنك الأجابة، ليكون ذٰلك أعظم لأجر السّائل، وأجزل لعطاء الآمل. وربّما سألتَ الشّيء فلا تؤتاه، وأوتيتَ خيراً منه عاجلاً أو آجلاً، أو صُرِفَ عنك لما هو خيرٌ لك، فَلَرُبَّ أمرٍ قد طلبتَه فيه هلاك دينك لو أوتيتَه (ر/٣١).
* الحمد لله... ونؤمن به إيمان من رجاه موقناً، وأناب إليه مؤمناً (خ/١٨٢).
* اللّهم... ندعوك حين قَنَطَ الأنام (خ/١١٥).

(٢٤٦) ٣ ــ افتتاح الدّعاء بذكر الله تعالىٰ والثّناء عليه والصّلاة علىٰ النبيّ (ص) وآله:

* الحمد لله الّذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره وسبباً للمزيد من فضله (خ/١٥٧).
* إذا كانت لك إلى الله سبحانه حاجةٌ فابدأ بمسألة الصّلاة على رسوله (ص) ثمّ سل حاجتك؛ فإنّ الله أكرم من أن يُسْأل حاجَتَيْن، فيقضي إحداهُما ويمنع الأُخْرىٰ (ح/٣٦١).

(٢٤٧) ٤ ــ في إخلاص السّريرة عند الدّعاء، ووجوب التوكّل عليه سبحانه وحده في تحقيق الرّغبات، وتنفيذ الطّلبات:

* وألجىء نفسك في أمورك كلّها إلى إلٰهك، فإنّك تلجئُها إلى كهف حريز، ومانع عزيز. وأخلص في المسألة لربّك فإنّ بيده العطاء والحرمان (ر/٣١).
* أوصيكم بخمسٍ لو ضربتم إليها آباط الأبل لكانت لذٰلك أهلاً: لا يرجونّ أحدٌ

منكم إلّا ربّه (ح/٨٢).

* وكلّ رجاء ـ إلّا رجاء الله تعالىٰ ـ فإنّه مدخول، وكلّ خوفٍ محقّق إلّا خوف الله فإنّه معلول. يرجو الله في الكبير، و يرجو العباد في الصّغير، فيعطي العبد مالا يعطي الربّ! (خ/١٦٠).

* فإنّ في الله خَلَفاً من غيره، وليس من الله خَلَفٌ في غيره (ر/٢٧).

* اللّهم ... و بي فاقةٌ لا يجبر مسكنتها إلّا فضلك، ولا ينعش خلّتها إلّا منّك وجودك، فهب لنا في هٰذا المقام رضاك، وأَغْنِنَا عن مدّ الأ يدي إلىٰ سواك، «إنّك علىٰ كل شيءٍ قدير» (خ/٩١).

* (أولياء الله) لا يرون مرجوّاً فوق ما يرجون، ولا مخوفاً فوق ما يخافون (ح/٤٣٢).

* اللّهم أنت أهل الوصف الجميل، والتّعداد الكثير، إن تؤمّل فخير مأمول، وإن تُرْجَ فخير مرجوّ (خ/٩١).

(٢٤٨) ٥ ـ في النّدم والبكاء والخشوع والتذلّل والأعتراف بالذّنب قبل السّؤال:

* (أهل الذّكر) وحمّلوا ثِقَلَ أوزارهم ظهورهم، فَضَعُفُوا عن الأستقلال بها، فنشجوا نشيجاً، وتجاوبوا نحيباً، يعجّون إلى ربّهم من مقام ندمٍ واعتراف ... يتنسّمون بدعائه روح التّجاوز. رهائن فاقةٍ إلىٰ فضله، وأسارى ذلّةٍ لعظمته، جرح طول الأَسىٰ قلوبَهم، وطول البكاء عيونَهم، لكلّ باب رغبةٍ إلى الله منهم يدٌ قارعة (ك/٢٢٢).

* (المتّقون) ذُبُلُ الشّفاه من الدُّعاء، صُفْرُ الألوان من السَّهَر، علىٰ وجوههم غَبَرَةُ الخاشعين (خ/١٢١).

(٢٤٩) ٦ ـ الدّعاء في الشّدّة والرّخاء:

* ما المُبْتَلَىٰ الّذي قد اشتدّ به البلاء، بأحوج إلى الدّعاء من المعافَى الّذي لا يأمن البلاء! (ح/٣٠٢).

* لا تكن ممّن ... إن إصابه بلاء دعا مضطرّاً، وإن ناله رخاءٌ أعرض مغترّاً (ح/١٥٠).

(٢٥٠) ٧ ـ أن يكون الدّاعي من المطيعين لله تعالى المؤتمرين بأوامره، المنتهين عن نواهيه :

* النّاس في الدّنيا عاملان : عامل ... وعامل عمل في الدّنيا لما بعدها ... فأصبح وجيهاً عند الله ، لا يسأل الله حاجةً فيمنعه (ح/٢٦٩).

* فاجعلوا طاعة الله شعاراً ... وشفيعاً لدرك طلبتكم (خ/١٩٨).

* لا تتركوا الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر فيُوَلّى عليكم شراركم ، ثمّ تدعون فلا يُسْتَجاب لكم (ر/٤٧).

* لا تكن ممّن ... يقصّر إذا عمل ، و يبالغ إذا سأل (ح/١٥٠).

* أترجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين ، وأنت عنده من المستكبرين (ر/٢١).

* يدّعي بزعمه أنّه يرجو الله ، كذب والعظيم ! ما باله لا يتبيّن رجاؤه في عمله ؟ فكلّ مَنْ رجا عُرِفَ رجاؤه في عمله (خ/١٦٠).

(٢٥١) ٨ ـ فيما يُسْأَلُ الله تعالى عند الدّعاء :

* فَلَرُبَّ أمرٍ قد طلبتَه فيه هلاك دينك لو أُوتِيْتَه ، فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله ، و يُنْفَى عنك و باله ، فالمال لا يبقَى لك ولا تبقى له (ر/٣١).

* اجعلوا ما افترض الله عليكم من طلبكم ، واسألوه من أداء حقّه ما سألكم (خ/١١٣).

(٢٥٢) في أنّ أصحاب الجنّة لا تُرَدّ لهم دعوة ، وأصحاب النّار لا تسمع منهم دعوة :

* واعلموا عباد الله ، أنّ المتّقين ذهبوا بعاجل الدّنيا وآجل الآخرة ... في آخرتهم لا تُرَدُّ لهم دعوة ، ولا ينقص لهم نصيب من لذّة ... فاحذروا ناراً قعرها بعيد ، وحرّها شديد ، وعذابها جديد ؛ دارٌ ليس فيها رحمة ، ولا تُسْمَعُ فيها دعوة ، ولا تُفَرَّج فيها كُرْبَة (ر/٢٧).

(٢٥٣) بعض الأدعية المأثورة عن أمير المؤمنين عليه السّلام :

تُكتَب الأدعية الواردة فيما يلي من النّصوص :

نسأل الله منازل الشهداء (خ/٢٣) .

اللّهم انّي قد مللتهم (خ/٢٥).

اللّهم داحي المدحوّات (خ/٧٢).

اللّهم اغفر لي (ك /٧٨).

اللّهم أنت أهل الوصف الجميل (خ/٩١).

اللّهم اقسم له(ص) مقسماً (خ/١٠٦).

نسأل الله سبحانه (خ/ ٦٤).

أسأل الله تعالىٰ (ر/ ٣٥).

اللّهم قد انصاحت جبالنا (خ/١١٥).

اللّهم إنّا خرجنا (خ/١٤٣).

فإن ردّوا الحقّ (خ/١٢٤).

استعمَلَنا الله وإيّاكم (خ/١٩٠).

اللّهم ربّ السقف المرفوع (ك /١٧١).

اللّهم إنّي استعديك على قريش (خ/١٧٢).

اللّهم لا تؤاخذني (خ/١٩٣).

اللّم احقن دماءنا الكلام (ك /٢٠٦).

اللّهم أيّما عبدٍ من عبادك الخطبه (خ/٢١٢).

اللّهم إنّي أعوذ بك أن أفتقر (ك / ٢١٥).

اللّهم صن وجهي باليسار (ك /٢٢٥).

اللّهم إنّك آنس الآنسين لأ وليائك (ك /٢٢٧).

اللّهم إليك أفضت القلوب (عا/ ١٥).

أسأله (سبحانه) خير القضاء (ر/٣١).

أسأل الله بسعة رحمته (ر/٥٣).

اللّهم إنّي أعوذ بك (ح/٢٧٦).

اللّهم إنّك أعلم بي من نفسي (ح/١٠٠).

اللّهم اسقنا ذُلُلَ السّحاب (ح/٤٧٢).

الباب العاشر: في الزّهد

« الـزّهـد »

(٢٥٤) ما هو الزّهد ؟ وما هي علامات وخصائص الزّاهدين ؟

* الزّهد كلّه بين كلمتين : قال سبحانه : « لكيلا تأسوا علىٰ ما فاتكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم » ، ومن لم يأسَ على الماضي ، ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزّهد بطرفيه (ح/٤٣٩) .

* إنّ الزّاهدين في الدّنيا تبكي قلوبهم وإن ضحكوا ، و يشتدّ حزنهم وإن فَرِحوا ، و يكثر مقتهم أنفسَهم وإن اغتبطوا بما رُزِقُوا (خ/١١٣) .

* أمّا بعد ، فإنّ المرء قد يسرّه دَرْكُ ما لم يكن ليفوتُه ، و يسوؤه فوت مالم يكن لِيُدْرِكَه ، فليكن سرورك بما نلتَ من آخرتك ، وليكن أَسَفُك علىٰ ما فاتك منها ، وما نِلْتَ من دنياك فلا تكثر به فَرَحاً ، وما فاتك منها فلا تأسَ عليه جَزَعاً (ر/٢٢) .

* كانوا قوماً من أهل الدّنيا وليسوا من أهلها ، فكانوا فيها كمن ليس منها ، عَمِلُوا فيها بما يُبصرون ، و بادَروا فيها ما يحذرون ، تُقَلَّبُ أبدانهم بين ظهرانيَ أهل الآخرة ، و يرون أهل الدّنيا يعظّمون موت أجسادهم وهم أشدّ إعظاماً لموت قلوب أحيائهم (خ/٢٣٠) .

* طوبىٰ للزّاهدين في الدّنيا ، الرّاغبين في الآخرة ، أولٰئك قومٌ اتّخذوا الأرض بساطاً ، وترابها فراشاً ، وماءها طيباً ، والقرآن شعاراً ، والدّعاء دثاراً ، ثمّ قَرَضوا الدّنيا قرضاً على منهاج المسيح (ح/١٠٤) .

* (المتّقين) فمن علامة أحدهم ... قرّة عينه فيما لا يزوُل ، وزهادته فيما لا يبقىٰ (خ/١٩٣) .

(٢٥٥) الزّاهدون المزيّفون :

* والنّاس على أربعة أصناف ... ومنهم مَن أبْعَدَهُ عن طَلَبِ المُلْك ضُؤولة نفسه ، وانقطاع سببه ، فَقَصَرَتْهُ الحال على حاله ، فتحلّى باسم القناعة ، وتزيّن بلباس أهل الزّهادة ، ولَيْسَ من ذلك في مراحٍ ومغدًى (خ/٣٢) .

* لا تكن ممّن ... يقول في الدّنيا بقول الزّاهدين ، و يعمل فيها بعمل الرّاغبين (ح/١٥٠) .

* ومنهم مَن يطلب الدّنيا بعمل الآخرة ، ولا يطلب الآخرة بعمل الدّنيا ، قد طامَنَ من شخصه ، وقارَبَ من خَطْوِه ، وشَمَّرَ من ثوبه ، وزَخْرَفَ من نفسه للأمانة ، واتَّخَذَ ستر الله ذريعةً إلى المعصية (خ/٣٢) .

(٢٥٦) أفضل أنواع الزّهد :

* أفضل الزُّهد إخفاء الزُّهد (ح/٢٨) .

(٢٥٧) كيف يكون الأنسان المؤمن زاهداً ؟

* الزّهادة : قِصَرُ الأمل ، والشّكر عند النّعَم ، والوَرَعُ عند المحارم (خ/٧٩) .

(٢٥٨) ١ ــ قِصَرُ الأمل :

* أيّها النّاس ، إنّ أخوف ما أخاف عليكم إثنان : اتّباع الهَوى ، وطول الأمل ... وأمّا طول الأمل فيُنسي الآخرة (ك/٤٢) .

* فأزمِعوا عباد الله الرّحيل عن هٰذه الدّار المقدور على أهلها الزّوال ؛ ولا يغلبنّكم فيها الأمل ، ولا يطولَنّ عليكم فيها الأمد (خ/٥٢) .

* فلا يغرّنّكم ما أصبح فيه أهل الغرور ، فإنّما هو ظلّ ممدود إلى أجل معدود (خ/٦٤) .

* أيّها النّاس ، انظروا إلى الدّنيا نظر الزّاهدين فيها ، الصّادفين عنها ، فإنّها والله عمّا قليلٍ تُزيل الثّاويَ السّاكن ، وتفجَع المُتْرَف الآمن ... رَحِمَ الله امْرَءاً تفكّر فأعتبر ، واعتبر فأبصر ، فكأنّ ما هو كائنٌ من الدّنيا عن قليلٍ لم يكن ، وكأنّ ما هو كائن من الآخرة عمّا قليلٍ لم يَزَلْ ، وكلّ معدودٍ منقضٍ ، وكلّ متوقَّعٍ آت ، وكلّ آتٍ قريبٌ دانٍ (خ/١٠٣) .

* فإنّها (الدّنيا) عند ذوي العقول كَفَيء الظّل ، بينا تراه سابغاً حتّى قلص ، وزائداً حتّى نقص (خ/٦٣) .

* (المتّقي) تراه قريباً أمله ، قليلاً زَلَلُه (خ/١٩٣) .

* فالله الله عباد الله ! فإنّ الدّنيا ماضيةٌ بكم على سَنَنٍ ، وأنتم والسّاعة في قَرَن . وكأنّها قد جاءت بأشراطها ، وأزِفَتْ بأفراطها ، ووقفت بكم على صراطها ، وكأنّها قد أشرفت بزلازلها ، وأناخت بكلاكلها ، وانصرمت الدّنيا بأهلها ، وأخرجتهم من حضنها ، فكانت كيومٍ مضى ، أو شهرٍ انقضى ، وصار جديدها رثّاً ، وسمينها غثّاً (خ/١٩٠) .

* رو يداً يُسْفِر الظّلام ، كأن قد وردت الأظعان ؛ يوشك مَنْ أَسْرَعَ أن يلحق ! واعلم يابنيّ أنّ من كانت مطيّته اللّيل والنّهار ، فإنّه يسار به وإن كان واقفاً ، و يقطع المسافة وإن كان مقيماً وادعاً (ر/٣١) .

* يادنيا يادنيا ... قد طلّقتك ثلاثاً لا رجعة فيها ! فعيشكِ قصير ، وخطرُكِ يسير ، وأَمَلُكِ حقير (ح/٧٧) .

* لا تكن ممّن يرجو الآخرة بغير العمل ، و يرجّي التّوبة بطول الأمل (ح/١٥٠) .

* واعلموا أنّ الأمل يسهي العقل ، و ينسي الذّكر ، فاكذبوا الأمل فإنّه غرور ، وصاحبه مغرور (خ/٨٦) .

* إنّما المرء في الدّنيا غرضٌ تنتضل فيه المنايا ، ونهبٌ تبادره المصائب ؛ ومع كلّ جُرعةٍ شَرَق ، وفي كلّ أكلةٍ غَصَصَ ، ولا ينال العبدُ نعمةً إلّا بفراق أخرى ، ولا يستقبل يوماً من عمره إلا بفراق آخر من أجله . فنحن أعوان المنون ، وأنفسنا نُصْبَ الحتوف ؛ فمن أين نرجو البقاء وهٰذا الليل والنّهار لم يرفعا من شيء شَرَفاً ، إلّا أسرعا الكرّة في هدم ما بَنَيا ، وتفريق ما جَمَعا ؟! (ح/١٩١) .

* فاحذروا الدّنيا فإنّها غدّارةٌ غرّارة خدوع ، معطيةٌ مَنوع ، مُلبِسَةٌ نَزوع ، لا يدوم رخاؤها ، ولا ينقضي عناؤها ، ولا يَرْكُدُ بلاؤها (خ/٢٣٠) .

* وإنّ أهل الدّنيا كَرَكْبٍ بيناهم حَلّوا إذ صاح بهم سائِقُهُم فارتَحَلُوا (ح/٤١٥) .

* فإنّ غداً من اليوم قريب . ما أسرع السّاعات في اليوم ، وأسرعَ الأيّام في الشّهر ، وأسرع الشّهور في السّنة ، وأسرعَ السّنين في العُمُر ! (خ/١٨٨) .

* مَن أطال الأمل ، أساء العمل (ح/٣٦) .

* وإنّما هلك من كان قبلكم بطول آمالهم وتَغَيُّب آجالهم ، حتّى نزل بهم الموعود الّذي تُرَدّ عنه المعذرة ، وتَرْفَعُ عنه التّوبة ، وتَحُلُّ مَعَهُ القارِعَةُ والنِّقْمة (خ/١٤٧) .

* وسابقوا الآجال ، فإنّ النّاس يُوشِكُ أن ينقطع بهم الأمل ، و يَرْهَقُهُم الأجل ، و يَسُدّ عنهم بابُ التّوبة (خ/١٨٣) .

* (أولياء الله) واستَقْرَبُوا الأَجَل ، فبادَرُوا العمل ، وكذَّبوا الأمل ، فلاحَظوا الأجل (خ/١١٤) .

* يادنيا ... والله لو كنتِ شخصاً مرئيّاً ، وقالَباً حسّيّاً ، لأَقَمْتُ عليكِ حدودَ الله في عبادٍ غَرَرتِهِم بالأماني ، وأممٍ ألقيتِهِم في المهاوي (ر/٤١) .

* أمّا بعد فإنّي أحذّركم الدّنيا ، فإنّها حُلْوَةٌ خَضِرَة ، حُفَّت بالشَّهوات ، وتحبَّبَت بالعاجلة ، وراقت بالقليل ، وتحلّت بالآمال ، وتزيّنت بالغرور . لا تدوم حَبْرَتُها ، ولا تُؤْمَنُ فجعتُها (خ/١١) .

(٢٥٩) ٢ ـ الشّكر عند النِّعَم :

* لو لم يتوعّد الله علىٰ معصيته ، لكان يجب ألّا يُعْصى شكراً لِنِعَمِهِ (ح/٢٩٠) .

* وإذا أنتَ هُدِيْتَ لقصدك ، فكن أخشع ما تكون لربّك (ر/٣١) .

* وأكثر أن تنظر إلى من فُضِّلْتَ عليه ، فإنّ ذلك من أبواب الشّكر (ر/٦٩) .

* إذا وَصَلَتْ إليكم أطراف النِّعَم ، فلا تنفّروا أقصاها بقلّة الشّكر (ح/١٣) .

* إنّ للهِ في كلّ نعمةٍ حقّاً ، فمن أدّاه زاده منها ، ومن قَصَّرَ فيه خاطر بزوال نقمته (ح/٢٤٤) .

* ولا تأمن على نفسك صغير معصية ... وليكن الشّكر شاغلاً له علىٰ معافاته ممّا ابتُلِيَ به غيرُه (ك/١٤٠) .

* (المتقي) يمسي وهمّه الشّكر ، و يصبح وهمّه الذّكر (خ/١٩٣) .

* وإنّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار (ح/٢٣٧) .

* إذا قدرت على عدوّك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه (ح/١١) .

* ولا تَنْسَوا عند النّعم شكركم (ك/٨١).
* (المتّقي) وفي المكاره صبور، وفي الرّخاء شكور (خ/١٩٣).
* (المؤمن) شكور صبور مغمور بفكرته (ح/٣٣٣).
* اضرب بطَرْفِك حيث شئتَ من النّاس، فهل تبصر إلّا فقيراً يكابد فقراً، أو غنيّاً بدّل نعمة الله كفراً (خ/١٢٩).
* نسأل الله سبحانه أن يجعلنا وإيّاكم ممّن لا تبطره نعمة (خ/٦٤).
* فاتّقوا سكرات النّعمة واحذروا بوائق النّقمة (خ/١٥١).
* أوصيكم أيّها النّاس بتقوى الله وكثرة حمده على آلائه إليكم، ونعمائه عليكم، وبلائه لديكم، فكم خصّكم بنعمة، وتدارككم برحمة! (خ/١٨٨).

(٢٦٠) ٣ ـ الوَرَع عند المحارم:

* الزّهادة قصر الأمل، والشّكر عند النّعم، والورع عند المحارم، فإن عَزَبَ ذلك عنكم فلا يغلب الحرام صبركم (خ/٧٩).
* رحم الله امرَأً نَزَعَ عن شهوته، وقَمَعَ هوى نفسه، فإنّ هٰذه النّفس أبعد شيء منزِعاً، وإنّها لا تزال تنزع إلى معصيةٍ في هوىً (خ/١٧٦).
* واستتمّوا نِعَمَ الله عليكم بالصّبر على طاعته، والمجانبة لمعصيته (خ/١٨٨).
* فَأَخَذَ امرؤ من نفسه لنفسه... امرؤ ألجم نفسَه بلجامها، وزمّها بزمامها، فأمسكها بلجامها عن معاصي الله، وقادها بزمامها إلى طاعة الله (خ/٢٣٧).
* إحذر أن يراك الله عند معصيته، و يفقدك عند طاعته، فتكون من الخاسرين، وإذا قويتَ فاقوَ على طاعة الله، وإذا ضَعُفْتَ فاضعُف عن معصية الله (ح/٣٨٣).
* واتّقوا مدارج الشّيطان، ومهابط العدوان (خ/١٥١).
* تَرْكُ الذّنب أهون من طَلَبِ المعونة (ح/١٧٠).
* فكن منه (سبحانه) على حذرٍ أن يُدْرِكَكَ وأنتَ على حالٍ سيّئةٍ، قد كنتَ تُحَدِّثُ نفسَك منها بالتّوبة، فيحول بينك و بين ذلك، فإذا أنت قد أهلكتَ نفسك (ر/٣١).
* والوَرَعُ جُنّة (ح/٣).

* ولا معقل أحْسَنُ من الوَرَع (ح/٣٧١) .
* ولا وَرَعَ كالوقوف عند الشُّبهة (ح/١١٣) .
* ألا وإنّكم لا تقدرون على ذلك ، ولكن أعينوني بورعٍ واجتهاد ، وعفّةٍ وسَداد (ر/٤٥) .
* يـادنـيـا ... ومَن ازوَرَّ عن حبائلك وُفِّق ، والسّالمُ منك لا يُبالي إن ضاقَ به مُناخُه ، والدّنيا عنده كيومٍ حانَ انسلاخُه (ر/٤٥) .
* كـان لي فـيـمـا مضى أخٌ في الله ... وكان إذا بَدَهَهُ أمران ينظر أيّهما أقرب إلى الهوى فيُخالِفُه (ح/٢٨٩) .
* إنّ أولـياء الله هم الّذين نَظَرُوا إلى باطن الدّنيا إذا نظر النّاس إلى ظاهرها ، واشتغلوا بآجلـهـا إذا اشـتـغل النّاس بعاجلها ، فأماتوا منها ما خَشَوا أن يُمِيْتَهم ، وتركوا ما عَلِموا أنّه سيتركهم (ح/٤٣٢) .
* ولا زُهْدَ كالزّهد في الحرام (ح/١١٣) .
* فـاملِك هواك ، وشحَّ بنفسك عمّا لا يحلّ لك ، فإنّ الشُّحَ بالنّفس الأنصاف منها فيما أحبّت أو كرهت (ر/٥٣) .
* فاتّقوا عباد الله تقيّة ذي لبٍّ شغل التفكّر قلبه ... وظَلَفَ الزّهد شهواته (خ/٨٣) .

(٢٦١) الزّهـد والرّهبنـة :

(دخـل عـلـيـه السّلام على العلاء بن زياد الحارثي بالبصرة ــ وهو من أصحابه ــ يعوده ، فلمّا رأى سعة داره قال) :

* ما كنتَ تصنعُ بسِعَةِ هٰذه الدّار في الدّنيا ، وأنتَ إليها في الآخرة كنتَ أحوج ؟ و بَلىٰ إن شئـتَ بـلـغـتَ بها الآخرة : تَقْري فيها الضَّيف ، وتَصِلُ فيها الرَّحِم ، وتُطْلِعُ منها الحقوق مطالِعَها ، فإذاً أنت قد بلغت بها الآخرة .

(فـقـال لـه الـعـلاء : يـاأمير المؤمنين ، أشكو إليك أخي عاصم بن زياد ، قال : وماله ؟ قال : لبس العباءة وتخلّىٰ عن الدّنيا . قال : عَلَيَّ به . فلما جاء قال) :

يـاعُـدَيّ نفسه ! لقد استهام بك الخبيث ! أما رَحِمْتَ أهلَك وَوَلَدَك ! أترى الله أحلّ لك الطيّبات ، وهويكره أن تأخذَها ! أنت أهونُ على الله من ذلك !

(قال : يأمير المؤمنين ، هٰذا أنتَ في خشونة ملبسك ، وجشوبة مأكلك !) قال :
ويحك ، إنّي لستُ كأنت ، إنّ الله تعالىٰ فَرَضَ على أئمّة العدل أن يقدّروا أنفسهم بضَعَفَةِ النّاس ، كيلا يتبيّغ بالفقير فقره (ك/٢٠٩).

الآثار الأيجابيّة للزّهد :

(٢٦٢) ١ ـ آثار اقتصاديّة :

* والزّهد ثروة (ح/٤).

* واعلموا عباد الله أنّ المتّقين ذَهَبُوا بعاجل الدّنيا وآجل الآخرة ، فشاركوا أهل الدّنيا في دنياهم ، ولم يُشارِكْهُم أهل الدّنيا في آخرتهم ؛ سكنوا الدّنيا بأفضل ما سُكِنَت ، وأكلوها بأفضل ما أُكِلَت ، فَحَظُوا من الدّنيا بما حَظِيَ به المُتْرَفون ، وأخذوا منها ما أَخَذَهُ الجبابرة المتكبّرون ؛ ثمّ انقلبوا عنها بالزّاد المبلّغ ، والمَتجَرَ الرّابح ، أصابوا لذّة زُهدِ الدّنيا في دنياهم ، وتيقّنوا أنّهم جيران الله غداً في آخرتهم ، لا تُرَدّ لهم دعوة ، ولا ينقُصُ لهم نصيبٌ من لذّة (ر/٢٧).

* فمن طلب الدّنيا طلبه الموت حتّى يخرجه منها ؛ ومَن طلب الآخرة طلبته الدّنيا حتّى يستوفي رزقه منها (ح/٤٣١).

(٢٦٣) ٢ ـ آثار نفسيّة :

* ومن زهد في الدّنيا استهان بالمصيبات (ح/٣١).

* إنّما مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدّنيا كَمَثَلِ قومٍ سَفْرٍ نَبا بهم منزلٌ جديبٌ ، فأمّوا منزلاً خصيباً وجناباً مَريعاً ، فاحتَمَلُوا وعثاء الطّريق ، وفراق الصّديق ، وخشونة السَّفَر ، وجشوبة المطعم ، ليأتوا سَعَةَ دارهم ، ومنزل قرارهم ، فليس يجدون لشيء من ذلك ألماً ، ولا يَرَوْنَ نفقةً فيه مغرماً ، ولا شيء أحبُّ إليهم ممّا قرّبهم من منزلهم ، وأدناهم من محلّتهم . ومَثَلُ مَنِ اغترّ بها كَمَثَل قومٍ كانوا بمنزلٍ خصيبٍ ، فنَبا بهم إلى منزلٍ جديب ، فليس شيء أكْرَهَ إليهم ولا أفظع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه ، إلىٰ ما يهجمون عليه ، و يصيرون إليه (ر/٣١).

* يادنيا ... والسّالِمُ منك لا يُبالي إن ضاقَ به مناخُه ، والدّنيا عنده كيومٍ حان

انسلاخه (ر/٤١).

* مَن أصبح على الدّنيا حزيناً فقد أصبح لقضاء الله ساخطاً. ومن لَهِجَ قلبُه بحبّ الدّنيا التاطَ قلبُه منها بثلاث: همٍّ لا يُغِبُّه، وحرصٍ لا يتركُه، وأملٍ لا يدركُه (ح/٢٢٨).

* يا أيّها النّاس، متاع الدّنيا حُطَامٌ مُوبِىء فتجنّبوا مرعاه: قُلْعَتُها أحظى من طُمأنينتِها، وبُلْغَتُها أزكى من ثروتها؛ حُكِمَ على مُكْثِرٍ منها بالفاقة، وأعينَ مَن غَنِيَ عنها بالرّاحة؛ مَن راقَه زِبرجُها أعقبت ناظرَيْهِ كَمَهاً، ومَن استشعَرَ الشّغَفَ بها مَلأَت ضميرَه أشجاناً لهنّ رَقْصٌ على سويداء قلبه: همٌّ يشغلُهُ، وغمٌّ يَحْزُنُهُ، كذلك حتّى يُؤخَذَ بكَظَمِه فيُلْقى بالفضاء منقطِعاً أبْهَراهُ (ح/٣٦٧).

* (المتقين): أصابوا لذّة زهد الدّنيا في دنياهم (ر/٢٧).

* ومَن اقتصر على بُلْغَة الكفاف فقد انتظم الرّاحة، وتبوّأ خفض الدّعة، والرّغبة مفتاح النّصَب، ومطيّة التّعَب (ح/٣٧١).

(٢٦٤) ٣ ـ آثار فكريّة:

* ازهد في الدّنيا يبصّرك الله عوراتها، ولا تغفل فلستَ بمغفولٍ عنك (ح/٣٩١).

* وإنّما الدّنيا منتهى بَصَر الأعمى، لا يُبصر ممّا وراءها شيئاً، والبصير ينفُذُها بَصَرُه، ويعلم أنّ الدّار وراءها، فالبصير منها شاخصٌ، والأعمى إليها شاخص، والبصير منها متزوّدٌ، والأعمى لها متزوّد (خ/١٣٣).

* إنّ أولياء الله هم الّذين نظروا إلى باطن الدّنيا إذا نظر النّاس إلى ظاهرها، واشتغلوا بآجلها إذا اشتغل النّاس بعاجلها (ح/٤٣٢).

* أنا كابُّ الدّنيا لوجهها، وقادِرُها بقَدْرها، وناظِرُها بعينها (خ/١٢٨).

(٢٦٥) ٣ ـ آثار روحيّة وأخرويّة:

* وإنّ للذّكر لأهلاً أخذوه من الدّنيا بَدَلاً، فلم تَشْغَلْهُم تجارةٌ ولا بيعٌ عنه، فكأنّما قطعوا الدّنيا إلى الآخرة وهم فيها، فشاهَدوا ما وراء ذلك، فكشفوا غطاء ذلك لأهل الدّنيا، حتّى كأنّهم يرون مالا يرى النّاس، ويسمعون مالا يسمعون (ك/٢٢٢).

* من هوان الدّنيا على الله أنّه لا يُعصىٰ إلّا فيها ، ولا يُنال ما عنده إلّا بتركها (ح/٣٨٥) .

* ولبئس المتجر إن ترى الدّنيا لنفسك ثمناً ، وممّا لك عند الله عوضاً (خ/٣٢) .

* واعلموا أن ما نقص من الدّنيا وزاد في الآخرة خيرٌ ممّا نقص في الآخرة وزاد في الدّنيا ؛ فكم من منقوصٍ رابح ، ومزيدٍ خاسر ... فَذَروا ما قلّ لما كَثُر ، وما ضاقَ لما اتَّسع (خ/١١٤) .

(٢٦٦) ٥ ــ آثار خُلُقيّة :

* وإيّاك أن تغترّ بما ترىٰ من إخلاد أهل الدّنيا إليها ، وتكالبهم عليها ، فقد نبّأك الله عنها ، ونَعَتْ هي لك عن نفسها ، وتكشّفت لك عن مساو يها ، فإنّما أهلها كلابٌ عاو يةٌ ، وسباعٌ ضاريةٌ ، يهرّ بعضُها على بعضٍ ، و يأكل عزيُزها ذليلَها ، و يقهر كبيرُها صغيَرها (ر/٣١) .

* والنّاس فيها (الدّنيا) رجلان : رجلٌ باع فيها نفسَهُ فأو بقَها ، ورجلٌ ابتاع نفسَه فأعتَقَها (ح/١٣٣) .

* وتعاديتم في كسب الأموال (خ/١٣٣) .

* يادنيا اعزُبي عنّي ! فو الله لا أذِلّ لكِ فتستذلّيني ، ولا أسلس لكِ فتقوديني (ر/٤١) .

* زُهدُك في راغبٍ فيك نُقصانُ حظّ ، ورغبتُك في زاهدٍ فيك ذُلّ نفس (ح/٤٥١) .

(٢٦٧) ٦ ــ آثار سياسيّة :

* ولو شئتُ لاهتديتُ الطّريق ، إلىٰ مُصَفّىٰ هٰذا العَسَل ، ولُباب هٰذا القمح ، ونسائج هٰذا القزّ ، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ، و يقودَني جشعي إلى تخيّر الأطعمة ، ولعلّ بالحجاز أو اليمامة مَن لا طَمَعَ له في القرص ، ولا عهد له بالشّبع ــ أوَ أبيتُ مبطاناً وحولي بطونٌ غَرثىٰ ، وأكبادٌ حرّىٰ ، أو أكون كما قال القائل :

وحسْبُكَ داءاً أن تَبيْتَ ببطنةٍ

وَحَــوْلَــكَ أكــبــادٌ تحــنّ إلى الــقِــدِّ (ر/٤٥) .

* (لـمّـا عـزمـوا علىٰ بيعة عثمان) : لقد علمتم أنّي أحقّ النّاس بها من غيري ؛ ووالله لأُسلِمَنّ ما سَلِمَت أمور المسلمين ؛ ولم يكن فيها جورٌ إلّا عليّ خاصّةً ، التماساً لأجر ذٰلك وفضله ، وزُهداً فيما تنافستموه من زُخْرُفه وزِبْرِجه (خ/٧٤) .

الباب الحادي عشر: في الموعظة والإعتبار

« المــوعظـة »

(٢٦٨) في أهميّة الموعظة :

* الايمان على أربع دعائم : على الصّبر ، واليقين ، والعدل ، والجهاد ... واليقين منها على أربع شُعَب : علىٰ تبصرة الفطنة ، وتأوّل الحكمة ، وموعظة العِبرة ، وسنّة الأوّلين ، فمن تَبَصَّرَ في الفطنة تبيّنت له الحكمة ، ومن تبيّنت له الحكمة عرف العِبرة ، ومَن عرف العبرة فكأنّما كان في الأوّلين (ح/٣١) .
* الفكر مرآة صافية ، والاعتبار منذرٌ ناصح (ح/٣٦٥) .
* ومَن كان له من نفسه واعظ ، كان عليه من الله حافظ (ح/٨٩) .
* أَحْيِ قلبك بالموعظة (ر/٣١) .
* أيّها النّاس ، استصبحوا من شعلة مصباحٍ واعظٍ مُتَّعِظ (خ/١٠٥) .
* ولو اعتبرتَ بما مَضَىٰ ، حفَظت ما بقي (ر/٤٩) .
* إنّ مَن صَرَّحت له العِبَر عمّا بين يديه من المَثُلات ، حجزته التّقوى عن تقحّم الشُّبُهات (خ/١٦) .
* والسّعيد مَن وُعِظَ بغيره (خ/٨٦) .
* مَن حَذَّرَك كمن بشّرك (ح/٥٩) .

(٢٦٩) في كيفيّة الموعظة :

* إنّ للقلوب شهوةً وإقبالاً وإدباراً . فأتوها من قِبَلِ شهوتها وإقبالها ، فإنّ القلب إذا أُكْرِهَ عَمِيَ (ح/١٩٣) .

(٢٧٠) أدوات الأنسان في الأتّعاظ ، والدّعوة إلى الاتّعاظ :

* ثـمّ مَـنَحَـهُ قـلبـاً حـافـظـاً ، ولـسـانـاً لافظاً ، و بَصَراً لاحظاً ، ليفهم معتبراً ، و يقصّر مزدجِراً (خ/٨٣) .

* فاستدركوا بقيّة أيّامكم ، واصبروا لها أنفسكم ، فإنّها قليل في كثير الأ يّام الّتي تكون منكم فيها الغفلة ، والتّشاغل عن الموعظة (خ/٨٦) .

* رحم الله امرءاً تفكّر فاعتبر ، واعتبر فأبصر ، فكأنّ ما هو كائن من الدّنيا عن قليل لم يكن ، وكأنّ ما هو كائن من الآخرة عمّا قليل لم يزل (خ/١٣٠) .

* فـاتّـقـوا الله تـقـيّـة مـن سَـمِـعَ فـخـشـع ... وعُـبِّـرَ فـاعـتَـبَـر ، وحُذِّر فأحتذى ، وأُرِيَ فرأى (خ/٨٣) .

* فـاتّـعظوا عباد الله بالعِبَرِ النّوافع ، واعتبروا بالآي السّواطع ، وازدجروا بالنُّذُر البوالغ ، وانتفعوا بالذّكر والمواعظ (خ/٨٥) .

* فاتّعظوا بالعِبَر ، واعتبروا بالغِيَر ، وانتفعِوا بالنُّذُر (خ/١٥٧) .

* فـلـيـنتفع امرؤٌ بنفسه ، فإنّما البصير مَن سَمِعَ فتفكّر ، ونظر فأبصر ، وانتفع بالعِبَر ، ثمّ سلك جَدَداً واضحاً يتجنّب فيه الصّرعة في المهاوي ، والضّلال في المغاوي (خ/١٥٣) .

* ألا إنّ أسـمـع الأسـمـاع مـا وَعَـى الـتـذكير وقَبِلَه ، أيّها النّاس ، أسْتَصْبِحُوا من شعلة مصباحٍ واعظ متّعظ ، وامتاحوا من صفو عينٍ قد رُوِّقَت من الكَدَر (خ/١٠٥) .

(٢٧١) في أنّ كلّ إنسان قد كاشفته العظات وصادفته العبر بما يكفيه لأنْ يتّعظ :

* انـتـفِـعوا ببيان الله ، واتّعظوا بمواعظ الله ، واقبلوا نصيحة الله ، فإنّ الله قد أعذر إليكم بالجليّة ، واتّخذ عليكم الحجّة ، و بيّنَ لكم مَحابّة من الأعمال ومكارهه منها ، لتتّبعوا هٰذه ، وتجتنبوا هٰذه (خ/١٧٦) .

* فـقـد جَرَّبتم الأمور وضَرَّستموها ، ووُعِظْتُم بمن كان قبلكم ، وضُرِبَت الأمثال لكم ، ودُعِـيـتُـم إلى الأمـر الـواضـح ، فـلا يُـصَـمُّ عـن ذلـك إلاّ أصمّ ، ولا يَـعْـمَـىٰ عـن ذلـك إلاّ أعْمَىٰ (خ/١٧٦) .

* ما أكثر العِبَر وأقلّ الاعتبار (ح/٢٩٧) .

* ولقد بُصِّرْتم إن أبْصَرتم ، وأُسْمِعْتُم إن سَمِعْتُم ، وهُدِيْتم إن اهتدَيْتم ، و بحقٍّ أقول لكم : لقد جاهرتكم العِبَر ، وزُجِرْتُم بما فيه مُزْدَجَر (ك/٢٠) .

* وفي دون ما استقبلتم من عَتْبٍ ، وما استدبرتم من خطبٍ مُعْتَبَر ! (خ/٨٨) .

أصناف النّاس في قبول الموعظة :

(٢٧٢) ١ ـ الّذين لا يتّعظون إلاّ إذا آلَمَتْهُمُ الموعظة :

* ولا تكوننّ ممّن لا تنفعه العظة ، إلاّ إذا بالغت في إيلامه ؛ فإنّ العاقل يتّعظ بالآداب ، والبهائم لا تتّعظ إلاّ بالضّرب (ر/٣١) .

* فأحميتُ له (عقيل) حديدة ، ثمّ أدنيتُها من جسمه ليعتبر بها ، فضجّ ضجيج ذي دَنَفٍ من ألمها ، وكادَ أن يحترق من ميسمها ، فقلت له : ثكلتك الثّواكل ، ياعقيل ! أتئنّ من حديدة أحماها إنسانها لِلَعِبِه ، وتجرّني إلى نارٍ سَجَرَها جبّارها لغَضِبه ! أتئنّ من الأَذَى ، ولا أئِنُّ من لَظًى ؟! (ك/٢٢٤) .

(٢٧٣) ٢ ـ الّذين لا يتّعظون أبداً ، وأسباب ذلك :

* اضرب بطرفك حيث شئتَ من النّاس ، فهل تبصر إلاّ فقيراً يكابد فقراً ... أو متمرّداً كأنّ بأذنه عن سمع المواعظ وقراً (خ/١٢٩) .

* (لأصحابه) وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرّقون عنها ، وأحثّكم على جهاد أهل البغي ، فما آتي على آخر قولي حتّى أراكم متفرّقين أيادي سبأ ، ترجعون إلى مجالسكم ، وتتخادعون عن مواعظكم ، أقوّمكم غُدْوَةً ، وترجعون إليّ عشيّةً ، كظهر الحَنِيّة ، عجز المقوِّم ، وأعْضَلَ المقوَّم (خ/٩٧) .

* أيّها النّاس ، إنّي قد بثثت لكم المواعظ الّتي وَعَظَ الأنبياء بها أُمَمَهم ، وأدّيتُ إليكم ما أدّت الأوصياء إلى مَن بعدهم ، وأدّبتكم بسوطي فلم تستقيموا ، وحَدَوتُكم بالزّواجر فلم تستوسقوا (خ/١٨٢) .

* أقبلَوا علىٰ جيفةٍ قد افتَضَحوا بأكلها ، واصطلحوا علىٰ حبّها ، ومَن عَشِقَ شيئاً أعشى بصره ، وأمْرَضَ قلبه ، فهو ينظر بعينٍ غير صحيحة ، و يسمع بأذن غير سميعة ... لا ينزجر

من الله بزاجر، ولا يتّعظ منه بواعظ (خ/١٠٩).

* بينكم و بين الموعظة حجابٌ من الغيْرة (ح/٢٨٢).

* ومَن لم ينفعه الله بالبلاء والتّجارب، لم ينتفع بشيءٍ من العظة (خ/١٧٦).

(٢٧٤) الذين تنفع معهم الموعظة، و يتّعظون بكل ما حولهم:

* (عندما وصف عليه السّلام المتّقين لأحد أصحابه «همام»، صعق هذا الأخير صعقةً كانت نفسه فيها، فقال عليه السّلام):

أما والله لقد كنتُ أخافُها عليه. (ثمّ قال): أهكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها؟ (خ/١٩٣).

* والله لا أكون كمستمع اللّدم، يسمع النّاعي، ويحضر الباكي ثمّ لا يعتبر (ك/١٤٨).

* وإنّما ينظر المؤمن إلى الدّنيا بعين الاعتبار، و يقتات منها ببطن الاضطرار، و يسمع فيها بأذن المقت والابغاض (ح/٣٦٧).

بِمَ يتّعظ الانسان؟

(٢٧٥) ١ ــ الاتّعاظ بتقلّبات الدّنيا ومكرها وغدرها:

* أحْيِ قلبك بالموعظة... و بصّره فجائع الدّنيا، وحذّرهُ صولة الدّهر، وفُحْشَ تقلُّب اللّيالي والأيّام، واعرض عليه أخبار الماضين، وذكّره بما أصاب مَن كان قبلك من الأوّلين، وسر في ديارهم وآثارهم، فانظر فيما فَعَلُوا وعمّا انتقلوا، وأين حَلّوا ونزلوا، فإنّك تجدهم قد انتقلوا عن الأحبّة، وحلّوا ديار الغربة، وكأنّك عن قليلٍ قد صِرتَ كأحدهم (ر/٣١).

* يابنيّ إنّي قد أنبأتُك عن الدّنيا وحالها، وزوالها وانتقالها... لتعتبر بها (ر/٣١).

* ثمّ أنّ الدّنيا دار فناء وعناء، وغِيَر، وعِبَر... ومن عِبَرِها: أنّ المرء يُشْرِف على أمله فيقتطعه حضور أجله، فلا أملٌ يُدرَك، ولا مُؤَمَّلٌ يترك (خ/١١٤).

* ما الدّنيا غَرّتك، ولكن بها اغتررتَ، ولقد كاشفتك العظات، وآذَنَتْكَ على سواء، وَلَهِيَ بما تَعِدُكَ من نزول البلاء بجسمك، والنّقص في قوّتك، أصدق وأوفى من أن تَكْذِبك، أو تغرُّك، وَلَرُبَّ ناصحٍ لها عندك مُتَّهِم، وصادقٍ من خبرها مُكَذَّب، ولئن تعرّفتَها في الدّيار

الخاوية ، والرّبوع الخالية ، لتجدنَّها من حُسْنِ تذكيرك ، و بلاغ موعظتك ، بمحلّة الشّفيق عليك ، والشّحيح بك (ك/٢٢٣) .

* وَوَصَفَ لكم الدّنيا وانقطاعها ، وزوالها وانتقالها ، ... فغضّوا عنكم ــ عباد الله ــ غمومها وأشغالها ، لما قد أيقنتم به من فراقها وتصرّف حالاتها ، فاحذروها حذر الشّفيق النّاصح والمجدّ الكادح (خ/١٦١) .

(٢٧٦) ٢ ــ الاتّعاظ بالموت والفناء :

* أنا بالأمس صاحبكم ، وأنا اليوم عبرة لكم ... وستُعقبَون منّي جثّةً خلاءً ، ساكنةً بعد حَراك ، وصامتةً بعد نطق ؛ ليعظكم هدوّي وخفوت أطراقي ، وسكون أطرافي ، فإنّه أوعظ للمعتبرين من المنطق البليغ ، والقول المسموع (ك/١٤٩) .

* واتّعِظوا فيها بالّذين ... حُمِلُوا إلى قبورهم فلا يُدْعَوْنَ رُكْباناً ، وأُنْزِلُوا الأجداث فلا يُدْعَوْنَ ضيفاناً (خ/١١١) .

* (وتبع جنازة فسمع رجلاً يضحك ، فقال) :

كأنّ الموت فيها علىٰ غيرنا كُتِب ، وكأنّ الحقّ فيها على غيرنا وَجَب ، وكأنّ الّذي نَرَى من الأموات سَفْرٌ عمّا قليلٍ إلينا راجعون ! نبوّئهم أجداثهم ، ونأكل تراثهم ، كأنّا مخلّدون بعدهم ! ثمّ قد نسينا كلّ واعظٍ وواعظة ، ورُمينا بكلّ فادحٍ وجائحة !! (ح/١٢٢) .

* واعتبروا بما قد رأيتم من مصارع القرون قبلكم (خ/١٦١) .

* واتّعظوا بمن كان قبلكم ، قبل أن يتّعظ بكم مَن بَعْدَكم (خ/٣٢) .

* أوَ لَيْسَ لكم في آثار الأوّلين مُزْدَجر ، وفي آبائكم الماضين تبصرةً ومعتَبر ، إن كنتم تعقلون (خ/٩٩) .

* اذكروا انقطاع اللّذّات و بقاء التّبعات (ح/٤٣٣) .

* وأوصيكم بذكر الموت وإقلال الغفلة عنه ... فكفىٰ واعظاً بموتىٰ عاينتموهم (خ/١٨٨) .

* فاعتبروا بنزولكم منازل من كان قبلكم ، وانقطاعكم عن أوصل أخوانكم ! (ك/١١٧) .

* وخَلَّفَ لكم (سبحانه) عِبَراً من آثار الماضين قبلكم، من مستَمْتَع خَلاقِهم، ومستَفْتَح خَناقِهم؛ أرْهَقَتْهُمُ المنايا دون الآمال، وشَذَّبَهُمْ عنها تَخَرُّمُ الآجال، لم يَمْهَدوا في سلامة الأبدان، ولم يعتبروا في أُنُفِ الأوان (خ/٨٣).

* (قاله بعد تلاوته: «ألهاكم التكاثر. حتّى زرتم المقابر»)... أفبمصارع آبائهم يفخرون! أم بعديد الهلكَىٰ يتكاثرون!... ولأنْ يكونوا عِبَراً، أحقّ من أن يكونوا مُفْتَخراً،... وَلَئِنْ عَمِيَتْ آثارُهُمْ، وانقطعت أخبارهم، لقد رجعت فيهم أبْصارُ العِبَر، وسَمِعَتْ عنهم آذان العقول، وتكلَّموا من غير جهات النّطق (ك/٢٢١).

* و بادِروا الموت وغَمَراتِهِ، وأمْهَدُوا له قبل حلوله، وأعِدّوا له قبل نزوله: فإنّ الغاية القيامة؛ وكَفَىٰ بذلك واعِظاً لِمَنْ عَقَل، ومُعْتَبَراً لمن جَهِلَ! وقبل بلوغ الغاية ما تعلمون من ضيق الأرماس، وشِدَّة الأبلاس، وهَوِلِ المُطَّلِع، وروعات الفَزَع، واختلاف الأضلاع، واستكاك الأسماع، وظلمة اللّحْد، وخيفة الوعد، وغمّ الضّريح، ورَدْمِ الصّفيح (خ/١٩٠).

(٢٧٧) ٣ ــ الاتّعاظ بمصير المستكبرين وأعداء الله تعالىٰ، والمنحرفين عن تعاليمه:

* فاعتبروا بما أصاب الأمم المستكبرين من قبلكم من بأس الله وصولاته، ووقائعه ومَثُلاته، واتَّعِظُوا بمثاوي خدودهم، ومصارع جنوبهم (خ/١٩٢).

* وإنّ لكم في القرون السّالفة لَعِبْرَةً! أين العمالقة وأبناء العمالقة! أين الفراعنة وأبناء الفراعنة! أين أصحاب مدائن الرّسّ الّذين قَتَلُوا النبيّين، وأطفأوا سُنَنَ المُرْسَلين، وأحْيَوْا سُنَنَ الجبّارين! أين الّذين ساروا بالجيوش، وهَزَمُوا بالألوف، وعَسْكَرُوا العساكر، ومَدَّنوا المدائن! (خ/١٨٢).

* واتّعظوا فيها بالّذين قالوا: «مَن أشَدّ منّا قوّةً» حُمِلُوا إلىٰ قبورِهم فلا يُدْعَوْنَ رُكْباناً، وأُنْزِلُوا الأجداث فلا يُدْعَوْنَ ضِيْفاناً (خ/١١١).

* فاعتَبِرُوا بما كان من فعل الله بإبليس إذ أحْبَطَ عَمَلَهُ الطّويل، وجُهْدَه الجهيد، وكان قد عَبَدَ الله ستّةَ آلاف سنة، لا يُدرَى أمِن سِنِي الدُّنيا أم من سِنِي الآخرة، عن كِبْرِ ساعةٍ واحدة. فَمَن ذا بعد إبليس يَسْلَمُ على الله بمثل معصيته؟ كلاّ، ما كان الله سبحانه ليُدْخِلَ الجنّةَ بَشَراً بأمرٍ أخرجَ به منها مَلَكاً. إنّ حُكْمَه في أهل السّماء وأهل الأرضِ

لَوَاحِدٌ ، وما بين الله و بين أحدٍ من خلقه هوادةٌ في إباحةِ حمًى حَرَّمَهُ على العالمين (خ/١٩٢) .

* وإنّ عندكم الأمثال من بأس الله وقوارعِهِ ، وأيّامه و وقائعه ، فلا تستبطئوا وعيدَهُ جهلاً بأخذه ، وتهاوُناً ببطشه ، و يأساً من بأسه (خ/١٩٢) .

* واحذَروا ما نَزَلَ بالأمم قبلكم من المَثُلات بسوء الأفعال ، وذميم الأعمال . فتذكّروا في الخير والشّر أحوالهم ، واحذَروا أن تكونوا أمثالهم (خ/١٩٢) .

* (الماضين من المؤمنين) فانظروا كيف كانوا حيث كانت الأملاء مجتمعة ، والأهواء مؤتَلِفَة ، والقلوب معتدلة ، والأيدي مترادفة ، والسّيوف متناصرة ، والبصائر نافذة ، والعزائم واحدة . ألم يكونوا أرباباً في أقطار الأرَضين ، وملوكاً على رقاب العالمين ! فانظروا إلى ما صاروا إليه في آخر أمورهم ، حين وَقَعَت الفُرْقَة ، وتشتّتِ الألفة ، واختلفت الكلمة والأفئدة ، وتشعّبوا مختلفين ، وتفرّقوا متحاربين ، قد خَلَعَ الله عنهم لباس كرامته ، وسَلَبَهُمْ غضارةَ نعمته ، و بقي قَصَصُ أخبارهم فيكم عِبَراً للمعتبرين (خ/١٩٢) .

(٢٧٨) ٤ ـ الاتّعاظ بمصير المستضعَفين الّذين سَلَكُوا طريق الله تعالىٰ :

* وتَدَبّروا أحوال الماضين من المؤمنين قبلكم ، كيف كانوا في حال التّمحيص والبلاء ، ألم يكونوا أثقل الخلائق أعباءً ، وأجْهَدَ العباد بلاءً ، وأضيقَ أهل الدّنيا حالاً . اتّخذتهم الفراعنةُ عبيداً فَساموهم سوء العذاب ، وجَرَّعوهم المُرار ، فلم تبرح الحال بهم في ذُلّ الهَلَكَة ، وقَهْرِ الغَلَبَة ، لا يجدون حيلةً في امتناعٍ ، ولا سبيلاً إلى دفاع . حتّى إذا رأى الله سبحانه جِدَّ الصّبر منهم على الأذَى في محبّته ، والأحتمال للمكروه من خوفه ، جعل لهم من مضايق البلاء فَرَجاً ، فَأبْدَلَهُمُ العزَّ مكان الذّلّ ، والأمن مكان الخوف ، فصاروا ملوكاً حكّاماً ، وأئمّةً أعلاماً ، وقد بلغت الكرامة من الله لهم ما لم تذهب الآمال إليه بهم (خ/١٩٢) .

* فاعتبروا بحال وَلَدِ اسماعيل و بني إسحاق و بني إسرائيل عليهم السّلام . فما أشدّ اعتدال الأحوال ، وأقرب اشتباه الأمثال ! تأمّلوا أمرهم في حال تشتّتهم وتَفَرُّقِهِم ، ليالي كانت الأكاسرة والقياصرة أرباباً لهم ، يحتازونهم عن ريف الآفاق ، و بَحْرِ العراق ، وخُضْرَةَ الدّنيا ، إلى منابت الشّيح ، ومَهَافي الرّيح ، ونَكَدِ المعاش ، فتركوهم عالةً مساكين

إخوانَ دَبَرٍ وَوَبَرٍ ، أَذَلّ الأمم داراً ، وأَجْدَبَهُم قَراراً ، لا يأوون إلىٰ جناح دعوةٍ يعتصمون بها ، ولا إلىٰ ظِلّ ألفةٍ يعتمدون علىٰ عزها . فالأحوال مُضْطَرِبَة ، والأيدي مختلفة ، والكثرة متفرّقة ، في بلاء أزْلٍ ، وأطباق جهلٍ ! من بناتٍ موؤودة ، وأصنامٍ معبودة ، وأرحامٍ مقطوعة ، وغاراتٍ مشنونة . فانظروا إلى مواقع نِعَمِ الله عليهم حين بَعَثَ إليهم رسولاً ، فَعَقَدَ بملّته طاعتهم ، وجمع علىٰ دعوته أُلْفَتَهُم : كيف نَشَرَتِ النّعمة عليهم جناح كرامتها ، وأسالت لهم جداول نعيمها ، والتفّت المِلّة بهم في عوائد بَرَكَتِها ، فأصبحوا في نعمتها غَرِقين ، وفي خضرة عَيْشِها فَكِهِين . قد تربّعت الأمور بهم ، في ظلّ سلطانٍ قاهرٍ ، وآوَتْهُمُ الحال إلىٰ كَنَفِ عزٍّ غالب ، وتعطفت الأمور عليهم في ذُرَىٰ مُلْكٍ ثابت . فهم حكّامٌ عَلَىٰ العالمين ، وملوكٌ في أطراف الأَرَضين . يملكون الأمور على من كان يملكها عليهم ، ويمضون الأحكام فيمن كان يُمْضيها فيهم ! لا تُغْمَزُ لهم قناة ، ولا تُقْرَعُ لهم صَفاة ! ... فإنّ الله سبحانه قد امتنّ علىٰ جماعة هٰذه الأمّة فيما عَقَدَ بينهم من حبل هٰذه الأُلْفَة الّتي ينتقلون في ظِلّها ، ويأوون إلىٰ كَنَفِها ، بنعمةٍ لا يعرفُ أحدٌ من المخلوقين لها قيمةً ، لأنّها أرجح من كلّ ثمن ، وأجلّ من كلّ خَطَر (خ/١٩٢) .

(٢٧٩) أفضل الوعّاظ :

* فاتّقوا الله الّذي نَفَعَكُم بموعظته ، ووعظكم برسالته (خ/١٩٨) .

* وإنّ الله سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هٰذا القرآن ، فإنّه حبل الله المتين ، وسببه الأمين ، وفيه ربيع القلب ، وينابيع العلم ، وما للقلب جلاءٌ غيرُه ، مع أنّه قد ذهب المتذكّرون ، وبقي النّاسون أو المتناسون (خ/١٧٦) .

* (الرّسول (ص)) أرسله بحجّةٍ كافية ، وموعظة شافية ، ودعوة متلافية (خ/١٦١) .

* إنّه ليس على الامام إلاّ ما حُمِّلَ من أمر ربّه : الأبلاغ في الموعظة ، والاجتهاد في النّصيحة (خ/١٠٥) .

(٢٨٠) من شروط الواعظ الجيّد :

* واعلموا أنّ من لم يُعَن علىٰ نفسه حتّى يكون له منها واعظٌ وزاجر ، لم يكن له من

غيرها لا زاجرٌ ولا واعظ (خ/٩٠).

* مَن نَصَبَ نفسه للنّاس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبُه بسيرته قبل تأديبه بلسانه؛ ومعلّم نفسه ومؤدّبها أحقّ بالأجلال من معلّم النّاس ومؤدّبهم (ح/٧٣).

* لا تكن ممّن ... يصف العبرة ولا يعتبر، و يبالغ في الموعظة ولا يتّعظ؛ فهو بالقول مدلّ، ومن العمل مقلّ ... يُرْشِدُ غيره، و يغوي نفسه (ح/١٥٠).

* الدّاعي بلا عمل، كالرّامي بلا وتر (ح/٣٣٧).

* أيّها النّاس، استصبِحوا من شعلة مصباح واعظٍ متّعظ (خ/١٠٥).

* إنّ كلام الحكماء إذا كان صواباً كان دواءً، وإذا كان خطاءً كان داءً (ح/٢٦٥).

الباب الثّاني عشر: في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر

« الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر »

(٢٨١) في وجوب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر وأهمّيّتهما وفضيلتهما :

* فرض الله الأمر بالمعروف مصلحةً للعوامّ ، والنّهي عن المنكر ردعاً للسّفهاء (ح/٢٤٤) .

* ما أعمال البرّ كلُّها والجهادُ في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر إلّا كنَفْثَةٍ في بحرٍ لُجّيّ (ح/٣٦٦) .

* فمن أمر بالمعروف شدّ ظهور المؤمنين ، ومن نهىٰ عن المنكر أرغم أنوف المنافقين (ح/٣٠) .

* إنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر لخُلُقان من خُلُق الله سبحانه ، وإنّهما لا يقرّبان من أجلٍ ، ولا ينقصان من رزق (خ/١٥٥) .

* والجهاد ... على أربع شعب : على الأمر بالمعروف ، والنّهي عن المنكر ، والصّدق في المواطن ، وشَنَآن الفاسقين (ح/٣٠) .

(٢٨٢) في العوامل الّتي تساعد علىٰ قلب مفهومَيْ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر:

* فياعجباً ، ومالي لا أعجب ! من خَطَأ هٰذه الفِرَق علىٰ اختلاف حُجَجها في دينها ، لا يقتصّون أثر نبيّ ، ولا يقتدون بعمل وصيّ ، ولا يؤمنون بغيب ، ولا يعفّون عن عَيب ، يعملون في الشُّبُهات ، و يسيرون في الشَّهَوات ؛ المعروف فيهم ما عَرَفوا ، والمُنْكَر عندهم ما أنكروا ، مفزعُهُم في المعضلات إلىٰ أنفسهم ، وتعو يلُهم في المهمّات علىٰ آرائهم ، كأنّ كلّ امرِىءٍ منهم إمامُ نفسه ، قد أخذ منها ــ فيما يرىٰ ــ بُعرَىً ثِقاتٍ ، وأسبابٍ محكمات (خ/٨٨) .

* وإنّه سيأتي عليكم من بعدي زمانٌ ليس فيه شيءٌ أخفىٰ من الحقّ ، ولا أظهر من الباطل ، ولا أكثر من الكَذِب علىٰ الله ورسوله ، وليس عند أهل ذلك الزّمان سلعةٌ أبْوَرَ من الكتاب إذا تُلِيَ حقّ تلاوته ، ولا أنفقَ منه إذا حُرِّف عن مواضعه ؛ ولا في البلاد شيءٌ انكرَ من المعروف ، ولا أعرفَ من المنكر(خ/١٤٧) .

* إلىٰ الله أشكو من مَعْشرٍ يعيشون جُهّالاً ، ويموتون ضُلاّلاً ، ليس فيهم سلعةٌ أبور من الكتاب إذا تُلِيَ حقّ تلاوته ، ولا سلعةٌ أنْفَقُ بيعاً ولا أغلىٰ ثمناً من الكتاب إذا حُرِّفَ عن مواضعِهِ ، ولا عندهم أنكر من المعروف ، ولا أعرفُ من المنكر(ك/١٧) .

(٢٨٣) في النتائج السلبيّة لترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

* فمن لم يعرف بقلبه معروفاً ، ولم يُنكِر منكراً ، قُلِبَ فجُعِلَ أعلاه أسفلَه ، وأسفلَه أعلاه (ح/٣٦٧) .

* فإنّ الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين أيديكم إلّا لتركهم الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر ، فلعن الله السّفهاء لركوب المعاصي ، والعلماء لترك التّناهي (خ/٢٣٤) .

* لا تتركوا الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر فيُوَلّى عليكم شِراركم ، ثمّ تدعون فلا يُستجاب لكم (ر/٤٧) .

* « ظَهَر الفساد » ، فلا منكِرٌ مغيِّرٌ ، ولا زاجرٌ مزدجرٌ ، أفَبهٰذا تريدون أن تجاوروا الله في دار قُدسِه ، وتكونوا أعزّ أوليائه عنده ؟ هيهات ! لا يُخْدَع الله عن جنّته ، ولا تُنال مرضاته إلّا بطاعته (خ/١٢٩) .

* ... وإنّما عَقَرَ ناقةَ ثمودَ رجلٌ واحد فعمّهم الله بالعذاب لمّا عمّوه بالرِّضىٰ (ك/٢٠١) .

* الرّاضي بفعل قومٍ كالدّاخل فيه معهم ، وعلى كلّ داخلٍ في باطلٍ إثمان : إثم العمل به ، وإثم الرّضى به (ح/١٥٤) .

* لا يترك النّاس شيئاً من أمر دينهم لا ستصلاح دنياهم إلّا فتح الله عليهم ما هو أضرّ منه (ح/١٠٦) .

* أيّها النّاس ، لو لم تتخاذلوا عن نصر الحقّ ، ولم تَهِنوا عن توهين الباطل ، لم يطمع

فيكم من ليس مثلكم ، ولم يقوَ من قَوِي عليكم (خ/١٦٦) .

(٢٨٤) في وسائل الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر:

* فمنهم المنكِر للمنكر بيده ولسانه وقلبه ، فذلك المُستَكمل لخصال الخير(خ/١٠٤) .
* (لمالك الأشتر) : أمره بتقوى الله ... وأن ينصُرَ الله سبحانه بقلبه و يده ولسانه (ر/٥٣) .
* والله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله (وصية/٤٧) .
* وأفضل من ذلك كلّه كلمةُ عدلٍ عند إمامٍ جائر(ح/٣٦٦) .
* وأمر بالمعروف تكن من أهله ، وأنكِرِ المنكر بيدك ولسانك (وصية/٣١) .
* أيّها النّاس ، إنّه لا يستغني الرّجل ــ وإن كان ذا مالٍ ــ عن عترته ، ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم (خ/٢٣) .

(٢٨٥) في مراتب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وحدّ ذلك، وأيّها أفضل ؟

* إذا رأى أحدكم المنكَر، ولم يستطع أن يُنكِره بيده ولسانه ، وأنكرَهُ بقلبه ، وعلم الله صدق ذلك منه فقد أنكره (ر/٣١) .
* أيّها المؤمنون ، إنّه من رأى عدواناً يُعَمل به ومنكراً يُدعى إليه ، فأنكره بقلبه فقد سَلِمَ و برىء ، ومن أنكره بلسانه فقد أُجِرَ وهو أفضل من صاحبه ، ومن أنكره بالسّيف لتكون كلمةُ الله هي العليا وكلمة الظّالمين هي السّفلى ، فذلك الّذي أصاب سبيل الهُدى ، وقام على الطّريق ، ونوّر في قلبه اليقين (خ/٣٦٥) .
* فمنهم المُنكِر للمنكَر بيده ولسانه وقلبه ، فذلك المُسْتِكملُ لخصال الخير، ومنهم المُنكِر بلسانه وقلبه والتّارك بيده ، فذلك المتمسّك بخصلتَين من خصال الخير ومضيّعُ خصلةٍ ، ومنهم المُنكِرُ بقلبه والتّارك بلسانه و يده ، فذلك مضيّعٌ أشرف الخصلتَين من الثّلاث ومتمسّكٌ بواحدةٍ ومنهم تاركٌ لأنكار المنكر بقلبه ولسانه و يده فذلك ميّتُ الأحياء (خ/١٠٤) .
* وَأمُر بالمعروف تكن من أهله ، وأنكِر المنكر بيدك ولسانك و باين مَن فعلَه

بجُهدكَ (ر/٣١).

* أوّل ما تُغلَبون عليه من الجهاد؛ الجهاد بأيديكم، ثم بألسنتكم، ثم بقلوبكم (ح/٣٧٥).

(٢٨٦) يجب أن يأتمر الأنسان بالمعروف و ينهىٰ نفسه عن المنكر قبل أن يتحوّل إلى الآخرين:

* وانهوا غيركم عن المنكَر، وتَناهَوا عنه، فإنّما أُمِرتُم بالنَّهي بعد التّناهي (خ/١٠٤).

* وإنّ للذّكر لأهلاً أخذوه من الدّنيا بدلاً ... و يأمرون بالقسط و يأتمرون به، و ينهَوْنَ عن المنكر و يتناهون عنه (خ/٢٢٢).

* لعن الله الآمرين بالمعروف التّاركين له، والنّاهين عن المنكر العاملين به (خ/١٢٩).

* أيّها النّاس، إنّي والله، ما أحثّكم على طاعةٍ إلّا وأسبُقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصيةٍ إلّا وأتناهىٰ قبلكم عنها (خ/١٧٥).

* لا تكن ممّن ... ينهىٰ ولا ينتهي، و يأمر بما لا يأتي، يحبّ الصّالحين، ولا يعمل عملهم، ولايُبغض المذنبين، وهو أحدهم (ح/١٥٠).

* يرفع لي (رسول الله) في كلّ يومٍ من أخلاقه عَلَماً، و يأمرني بالأقتداء به (خ/١٩٢).

* من نصب نفسه للنّاس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلّم نفسه ومؤدّبُها أحقّ بالأجلال من مُعَلّم النّاس ومؤدِّبهم (ح/٧٣).

(٢٨٧) في أنّ الّذين لا يُنكِرون منكراً حَضَروه مع استطاعتهم وجب قتالُهم أو عقوبتهم:

* فو الله لو لم يُصيبوا من المسلمين إلّا رجلاً واحداً معتمدين لقتله، بلا جُرمٍ جرّه، لَحَلّ لي قتلُ ذلك الجيش كلّه، إذ حَضَروه فلم يُنكِروا، ولم يَدْفَعوا عنه بلسانٍ ولا بيد، دَع ما أنّهم قد قَتَلوا من المسلمين مثل العِدّة الّتي دخلوا بها عليهم (خ/١٧٢).

* ولي عليكم الطّاعة، وألاّ تنكصوا عَن دعوة، ولا تفرّطوا في صلاح، وأن تخوضوا الغمرات إلى الحقّ، فإن أنتم لم تستقيموا لي على ذلك لم يكن أحدٌ أهون عليّ ممّن أعوجّ منكم، ثم أُعظِم له العقوبة، ولا يجد عندي فيها رُخصة (ر/٥٠).

الباب الثّالث عشر: في الجهاد وفنّ الحرب والشّهادة

« في الجــهاد »

(٢٨٨) في تعريف الجهاد ، وأنّه إحدى دعائم الأيمان ، وأهم أركان الأسلام :

* هو لباس التّقوىٰ ، ودرع الله الحصينة ، وجُنّته الوثيقة (خ/٢٧) .

* إنّ أفضل ما توسّلَ به المتوسّلون إلى الله سبحانه وتعالى ؛ الأيمان به و برسوله ، والجهاد في سبيله ، فإنّه ذروة الأسلام (خ/١١٠) .

* الأيمان على أربع دعائم : علىٰ الصّبر واليقين والعدل والجهاد (ح/٣٠) .

* (إلى عمر بن ابي سلمة المخزومي) : فإنّك ممّن أستظهر به علىٰ جهاد العدوّ وإقامة عمود الدين (ر/٤٢) .

(٢٨٩) الجهاد على أربع شُعَب :

* والجهاد ... علىٰ أربع شُعَب :

علىٰ الأمر بالمعروف .

والنّهي عن المنكر .

والصّدق في المَواطن .

وشَنَآن الفاسقين ..

فمن أمر بالمعروف ، شدّ ظهور المؤمنين .

ومن نَهَىٰ عن المنكر ، أرغم أنوف الكافرين .

ومن صَدَقَ في المواطن ، قضىٰ ما عليه .

ومن شَنِيَء الفاسقين ، وغَضِبَ لله ، غَضِبَ الله له وأرضاه يوم القيامة (ح/٣٠) .

(٢٩٠) في أهمّيّة الجهاد وأهدافه في الأسلام :

* فرض الله ... الجهاد عزّاً للأسلام (ح/٢٤٤) .

* ... فإن أبَوْا أعطيتُهم حدّ السّيف ، وكفىٰ به شافياً من الباطل وناصراً للحقّ (خ/٢٢) .

* فقاتَلَ بمن أطاعه مَنْ عصاه يسوقُهم إلى منجاتهم ، و يبادر لهم السّاعة أن تنزل بهم (خ/١٠٣) .

* أيّها المؤمنون ، إنّه من رأى عدواناً يُعَمل به ، ومنكَراً يُدعىٰ إليه ... من أنكره بالسّيف لتكون كلمة الله هي العُليا ، وكلمة الظّالمين هي السُّفلىٰ فذلك الّذي أصاب سبيل الهُدى ، وقامَ على الطريق ، ونوّر في قلبه اليقين (ح/٣٦٥) .

* وهو لباسُ التّقوى ، ودرعُ الله الحصينة ، وجُنّته الوثيقة (خ/٢٧) .

(٢٩١) في الّذين يجب قتالهم في الأسلام :

* أرسَلَه علىٰ حين فترةٍ من الرُّسُل ... فجاهَدَ في الله المُدبِرين عنه ، والعادلين به (خ/١٣٣) .

* ألا وقد أمَرَني الله بقتال أهل البغي والنّكث والفساد في الأ رض : فأمّا النّاكثون فقد قاتلتُ ، وأمّا القاسطون فقد جاهدتُ ، وأمّا المارقةُ فقد دَوَّخْتُ (خ/٢٣٤) .

* ألا وإنّي أقاتل رجُلَيْن ؛ رجلاً ادّعىٰ ما ليس له ، وآخَر مَنَعَ الّذي عليه (خ/١٧٢) .

* فإنّ رأيي قتال المُحلّين حتّى ألقى الله ، لا يزيدني كثرة النّاس حولي عزّة ، ولا تفرّقهم عنّي وحشة (ر/٣٦) .

* فو الله لو لم يُصيبوا من المسلمين إلّا رجلاً واحداً معتمِدين لقتله بلا جرمٍ جَرَّه لَحَلّ لي قتل ذلك الجيش كُلّهِ ، إذ حضروه فلم يُنكِروا ولم يَدْفَعوا عنه بلسانٍ ولا بيد (خ/١٧١) .

* إنّما أصبحنا نُقاتِلُ إخوانَنا في الأسلام علىٰ ما دَخَلَ فيه من الزَّيْغ والأعوجاج والشُّبهة والتّأويل ، فإذا طمعنا في خصلةٍ يلمّ الله بها شَعَثَنا ، ونتدانىٰ بها إلى البقيّة فيما بيننا ، رغِبنا فيها ، وأمسكنا عمّا سواها (خ/١٢١) .

(٢٩٢) في أنّ منزلة المجاهد عند الله أعظم منزلة، وجزاءه أفضل الجزاء:

* إنّ أفضل ما توسَّلَ به المتوسّلون إلى الله: الأيمان بهِ وبرسوله، والجهاد في سبيله (خ/١١٠).
* فإنّ الجهاد بابٌ من أبواب الجنّة، فتحه الله لخاصّة أوليائه (خ/٢٧).
* وَمَنْ صَدَقَ في المواطن قضى ما عليه، ومَنْ شنىء الفاسقين وغضب لله غضب الله له وأرضاه يوم القيامة (ح/٣٠).
* ألا ومن أكَلَه الحقّ فإلىٰ الجنّة، ومن أكله الباطل فإلى النّار (ر/١٧).
* إنّ أكرم الموتِ القتل (خ/١٢٢).
* وأنا أسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته على إعطاء كلّ رغبةٍ أن ... يختم لي ولك بالسعادة والشّهادة إنّا إليه راجعون (ر/٥٣).

(٢٩٣) في المتخلّفين عن الجهاد، والفارّين منه، وعاقبتهم:

* فمن تَرَكَهُ رغبةً عنه ألبسه الله ثوبَ الذّلّ، وشَمَلَه البلاء، ودُيِّثَ بالصَّغار والقَماءَةَ، وضُرِبَ علىٰ قلبه بالأسهاب، وأُديلَ الحقّ منه بتضييع الجهاد، وسِيْمَ الخَسْفُ، ومُنِعَ النَّصف (خ/٢٧).
* أرضيتم بالحياة الدّنيا من الآخرة عِوَضاً ؟ و بالذّلّ من العِزّ خَلَفاً ؟ إذا دَعَوتُكم إلى جهادِ عدوّكم، دارت أعينكم كأنّكم من الموت في غمرةٍ، ومن الذّهول في سكرة (خ/٣٤).
* عاودوا الكَرّ، واستحيوا من الفَرّ، فإنّه عارٌ في الأعقاب، ونارٌ يوم الحساب (خ/٦٥).
* إنّ في الفِرار مَوْجَدَة الله سبحانه، والذُّلّ اللّازم، والعارَ الدّائم، وإنّ الفارّ غيرُ مزيدٍ في عمره، ولا مؤخَّرٌ عن يومٍ (خ/٢٧).
* فإذا كنتم من الحرّ والقرّ تفرّون، فأنتم ـــ والله ـــ من السّيف أفرّ، ياأشباهَ الرّجال ولا رجال، حلومُ الأطفال، وعقول ربّات الحِجال، لوَدِدْتُ أنّي لم أرَكُم، ولم أعرفكم معرفةً والله جرّت نَدَماً، وأعقَبَت سَدَماً ... قبحاً لكم وترحاً ... تُغْزَونَ ولا تَغزُون (خ/٢٧).
* فانْهَدْ بمن أطاعك إلىٰ مَن عصاك، واستغنِ بمن انقاد معك عمّن تقاعس عنك، فإنّ المتكارِه مغيبُه خيرٌ من مشهدِه، وقعوده أغنىٰ من نهوضه (ر/٤).

* فتواكَلْتم وتخاذلتُم حتّى شُنَّت عليكم الغارات ، ومُلِكَت عليكم الأ وطان (خ/٢٧) .

* فقُبحاً لكم وترحاً ، حين صرتم غرضاً يُرمىٰ ، يُغار عليكم ولا تُغيرون ، وتُغزَون ولا تغزُون ، و يُعصَى الله وتَرضَون ! فإذا أمرتُكم بالسَّير إليهم في أيام الحرّ قلتم : هٰذه حمّارة القيظ ، أمهِلْنا يُسبَّخ عنا الحرّ ، وإذا أمرتكم بالسَّير إليهم في الشّتاء قلتم : هٰذه صبّارة القرّ ، أمْهِلنا ينسلخْ عنّا البرد ؛ كلّ هذا فراراً من الحرّ والقرّ ؛ فإذا كنتم من الحرّ والقرّ تفرّون ؛ فأنتم والله من السّيف أفرّ (خ/٢٧) .

* ألا تَرَوْنَ إلى أطرافكم قد انتَقَصَت ، وإلىٰ أمصاركم قد افتُتِحَت ، وإلىٰ ممالككم تُزوى ، وإلىٰ بلادكم تُغزى ؟! انفروا ــ رحمكم الله ــ إلىٰ قتال عدوّكم ، ولا تثّاقلوا إلى الأ رض فتُقِرّوا بالخَسْفِ ، وتَبوؤوا بالذُّلّ ، و يكون نصيبُكم الأخَسّ (ر/٦٢) .

(٢٩٤) في عدم اللّجوء إلى الجهاد العسكري إلاّ عندما لا تنفع الأساليب الأخرى للوصول إلى الأهداف الأسلامية والصّلح واجب عندما يكون في فائدة الأسلام ولكن بحذرٍ كبير، وعلىٰ الجانب الأسلامي الألتزام بعهوده وعدم نقضه :

* ولا تدفَعَنَّ صُلحاً دعاك إليه عدوّك ، لله فيه رضىً ، فإنّ في الصُّلح دَعَةً لجنودك ، وراحةً من همومِك ، وأمناً لبلادِك ، ولكن الحَذَرَ كلّ الحَذَرَ من عدوّك بعد صلحه ، فإنّ العدوّ ربّما قارب ليتغفّل ، فخذ بالحزم ، واتّهِم في ذلك حسنَ الظّنّ (ر/٥٣) .

* وإن عَقَدتَ بينك و بين عدوٍّ لك عُقْدةً ، أو ألْبَسْتَهُ منك ذمّةً فَحُط عهدَك بالوفاء ، وارعَ ذِمَّتَك بالأمانة ، واجعل نفسك جُنّةً دون ما أعطيت ، فإنّهَ ليس من فرائض الله شيء ؛ النّاس أشدُّ عليه اجتماعاً ــ مع تفرّق أهوائهم وتشتّت آرائهم ــ من تعظيم الوفاء بالعهود ... فلا تغدرَنّ بذمّتك ، ولا تخيسَنَّ بعهدك ، ولاتختلَنّ عدوّك ، فإنّه لا يجترىء على الله إلاّ جاهل شقيّ (ر/٥٣) .

* فو الله ما دفعتُ الحربَ يوماً إلاّ وأنا أطمع أن تلحقَ بي طائفةٌ فتهتدي بي ، وتعشو إلىٰ ضوئي ، وذلك أحبُّ إليّ مِن أن أقتلَها علىٰ ضلالها (خ/٥٤) .

* فإنّ منهم من لم يُسْلِم حتّى رُضِخَت له على الأسلام الرّضائخ ، فلو لا ذلك ما أكثرتُ تأليبكم وتأنيبكم ، وجمعكم وتحريضكم (ر/٦٢) .

* إنّي لَراضٍ بحجّة الله عليهم وعلمِه فيهم ، فإن أبَوْا أعطيتُهم حدّ السّيف ، وكفىٰ به شافياً من الباطل وناصراً للحقّ(خ/٢٢) .
* ولا يحملنّكم شَنَآنُهم على قتالهم قبل دعائهم والأعذار إليهم (ر/١٢) .
* خَيِّرْهُ بين حربٍ مُجْلِيَة ، أو سلمٍ مُخزِية ، فإن اختار الحرب فانبذ إليه ، وإن اختار السِّلْمَ فخذ بيعتَه (ر/٨) .
* (عن طلحة والزّبير) : لقد استثبتُهُما قبل القتال ، واستأنيتُ بهما أمام الوِقاع (خ/١٣٧) .
* ولقد ضربتُ أنفَ هذا الأمر وعينه ، وقلّبت ظهره و بطنه ، فلم أرَ لي فيه إلاّ القتال أو الكفر بما جاء به محمّدٌ(ص) (ك/٤٣) .

(٢٩٥) في أنّ الأمداد الغيبي أهمّ مستلزمات الجهاد العسكري :

* إنّ هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرةٍ ولا بقلّة ، وهو دين الله الّذي أظهره ، وجندُه الّذي أعدّه وأمدّه ، حتّى بلغ ما بلغ ، وطلع حيث طلع ، ونحن علىٰ موعودٍ من الله ، والله منجزٌ وعدَه ، وناصرٌ جنده ... فإنّا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ، وإنّما كنّا نقاتل بالنّصر والمعونة (ك/١٤٦) .
* قد كنتُ وما أهَدَّد بالحرب ، ولا أرهَبُ بالضّرب ، وأنا علىٰ ما قد وَعَدَني ربّي من النّصر(خ/١٨٣) .
* ولا تحرّكوا بأيديكم وسيوفكم في هوى ألسنتكم ، ولا تستعجلوا بما لم يعجّله الله لكم (خ/١٩٠) .
* ... فلمّا رأى الله صِدقَنا أنزل بعدوّنا الكبتَ ، وأنزل علينا النّصر(ك/٥٦) .
* أعِرِ الله جمجمتك ... واعلم أنّ النّصر من عند الله سبحانه (خ/١١) .
* ونافِحوا بالظُّبىٰ وصِلوا السّيوف بالخُطىٰ ، واعلموا أنكم بعين الله (خ/٦٥) .
* فصَمْداً صَمْداً حتى ينجلي لكم عمود الحقّ « وأنتم الأعلون ، والله معكم ، ولن يَتِرَكم أعمالكم » (ك/٦٦) .

(٢٩٦) في أنّ الصّدق في المواطن، والأخلاص في النّيّة من أهم مستلزمات الجهاد في الاسلام:

* ولا تحرّكوا بأيديكم وسيوفكم في هوى ألسنتكم، ولا تستعجلوا بما لم يعجّله الله لكم، فإنّه من مات منكم على فراشه وهو علىٰ معرفة حقّ ربه وحقّ رسوله وأهل بيته مات شهيداً، ووقع أجره على الله، واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله، وقامت النّيّة مقام إصلا ته لسيفه (خ/١٩٠).

* فانفذوا علىٰ بصائركم، ولتصدُق نيّاتكم في جهاد عدوّكم (خ/١٩٧).

* فصمداً صمداً حتّى ينجلي لكم عمود الحقّ (ك/٦٦).

* أصبحتُ والله لا أصدّق قولكم، ولا أطمع في نصركم، ولا أُوْعِدُ العدوّ بكم (خ/٢٩).

* ياأهل الكوفة ... لا أحرار صدقٍ عند اللّقاء، ولا إخوان ثقةٍ عند البلاء، تَرِبَتْ أيديكم، ياأشباه الأ بل غاب عنها رعاتُها، كلّما جُمِعَت من جانبٍ تفرّقت من آخر، والله لكأنّي بكم فيما إخالُكُم: أن لوحمس الوغىٰ، وحَمِيَ الضِّراب، قد انفرجتم عن ابن ابي طالب انفراج المرأة عن قُبُلِها (خ/٩٧).

* أفٍّ لكم! لقد لقيتُ منكم بَرْحاً يوماً أناديكم و يوماً أناجيكم، فلا أحرارُ صدقٍ عند النّداء، ولا إخوان ثقةٍ عند النّجاء (ك/١٢٥).

* ولقد كنّا مع رسول الله (ص) نقتلُ آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا: ما يزيدنا ذلك إلاّ إيماناً وتسليماً، ومُضِيّاً على اللّقَم، وصبراً علىٰ مضَضِ الألم، وجِدّاً في جهاد العدوّ... فلّما رأى الله صِدقَنا أنزل بعدوّنا الكبتَ، وأنزل علينا النّصر (ك/٥٦).

* وطائفةٌ عَضّوا علىٰ أسيافهم، فضاربوا بها حتّى لقوا الله صادقين (ك/٢١٨).

* قد فُتِحَ باب الحرب بينكم و بين أهل القبلة، ولا يحمل هذا العَلَم إلاّ أهل البَصَر والصّبر والعلم بمواقع الحقّ (خ/١٧٣).

* (عن الرسول الأعظم): جاهَدَ في الله أعداءهَ غير واهنٍ ولا مُعَذِّر (خ/١١٥).

* جاهِد في الله حقّ جهاده، ولا تأخُذْكَ في الله لومَة لائم (ر/٣١).

* واستشعِروا الصّبر فإنّه أدعىٰ إلى النّصر (خ/٢٦).

* والجهاد على أربع شُعَب : ... والصّدق في المواطن ... ومَن صَدَق في المَواطن قَضى ما عليه (ح/٣١) .

* وكان عليه السّلام يقول إذا لقي العدوّ محارباً :

اللّهم إليك أفْضَتِ القلوب ، ومُدَّت الأعناق ، وشَخَصَتِ الأبصار ، ونُقِلَتِ الأقدام ، وأُنْضِيَتِ الأبدان (دعاء/١٥) .

* (لولده الحَسَن عليه السلام) : وأنكر المنكر بيدك ولسانك ، وباين من فَعَلَهُ بجهدك ، وجاهد في الله حقّ جهاده ، ولا تأخذك في الله لومة لائم ، وخُضِ الغمرات للّحق حيث كان ... وعوّد نفسك التّصبر على المكروه ، ونِعْمَ الخُلُق التصبّر في الحقّ (وصية/٣١) .

* ولَعَمْري ما عَلَيَّ من قتال مَن خالفَ الحقّ وخابط الغيّ من إذهان ولا إيهان (خ/٢٤) .

(٢٩٧) من مستلزمات الجهاد أيضاً : بُغضُ الفاسقين ، والغضب لله تعالىٰ :

* والجهاد على أربع شعب : ... وشنآن الفاسقين ... ومن شنىء الفاسقين ، وغَضِبَ لله ، غَضِبَ الله له وأرضاه يوم القيامة (ح/٣٠) .

* وكان عليه السّلام يقول إذا لقي العدوّ محارباً :

... اللّهم قد صَرَّح مكنون الشَّنَآن ، وجاشت مراجل الأضغان (دعاء/١٥) .

* ولا يَحْمِلَنّكم شَنَآنُهم علىٰ قتالهم ، قبل دُعٰائِهم والأعذار إليهم (وصية/١٢) .

* (إلى أهل مصر) : من عبد الله عليٍّ أمير المؤمنين ، إلى القوم الّذين غَضِبوا لله حين عُصِيَ في أرضه ، وذُهِبَ بحقّه ، فَضَرَبَ الجورُ سُرادِقَهُ علىٰ البرّ والفاجر ، والمقيم والظّاعن ، فلا معروفَ يُستراح إليه ، ولا منكر يُتَناهىٰ عنه (ك/٣٨) .

* وقد تَرَونَ عهود الله منقوضةً فلا تغضبون ! (خ/١٠٦) .

* مَن أحَدَّ سِنانَ الغضب لله ، قَوِيَ علىٰ قتل أشدّاء الباطل (ح/١٧٤) .

* (لولده الحسن عليهما السّلام) : وأنكِرِ المنكر بيدك ولسانك ، وباين مَن فَعَلَه بجُهدك (وصية/٣١) .

* لا تكن ممّن ... يحبّ الصالحين ولا يعمل عملهم ، ويبغض المذنبين وهو أحدهم (ك/١٤٧) .

* (رسول الله) : وعَلِمَ أنّ الله سبحانه أبغض شيئاً فأبغضه ، وحقّر شيئاً فحقّره ، وصغّر شيئاً فصغّره ، ولو لم يكن فينا إلاّ حُبُّنا ما أبغض الله ورسولُه ، وتعظيمُنا ما صغّر اللهُ ورسولُه ، لكفىٰ به شِقاقاً لله ، ومُحادّةً عن أمر الله (خ/١٦٠) .

* إنّ حزننا عليه (محمد بن ابي بكر) علىٰ قدر سرورهم به إلّا أنّهم نقصوا بغيضاً ، ونقصنا حبيباً (ح/٣٢٥) .

* (في ذمّ العاصين من أصحابه) : فو الله لئن جاء يومي ــ وَلَيَأتيَنّي ــ لَيُفَرِّقَنّ بيني وبينكم ، وأنا لصحبتكم قالٍ ، وبكم غير كثير... لله أنتم أما دينٌ يجمعكم ! ولا حميّة تشحذكم (خ/١٨٠) .

* لَبِئْسَ ــ لَعَمْرُ الله ــ سُعرُ نار الحَرب أنتم ! تُكادون ولا تكيدون ، وتُنْتَقَصُ أطرافُكُم فلا تمتعضون (خ/٣٤) .

* فقُبحاً لكم وتَرَحاً ، حين صرتم غرضاً يُرمىٰ ، يُغارُ عليكم ولا تغيرون ، وتُغْزَون ولا تَغزون ، و يُعصى الله وتَرْضَوْن (خ/٢٧) .

* ما تنتظرون بنصركم ربّكم ؟ أما دينٌ يجمعكم ، ولا حميّة تحمشكم (خ/٣٩) .

« في فنّ الحــرب »
في فنون الحرب في الاسلام وآدابها

(٢٩٨) في الإعداد العسكري الكافي :

* فخُذُوا للحرب أُهْبَتَها ، وأعدّوا لها عُدَّتَها ، فقد شَبَّ لَظاها ، وعلا سناها (خ/٢٦) .

(٢٩٩) في أنّ الجيش الأسلامي لا يبدأ بقتال ، ولا يقاتل إلاّ من شنّ الحرب على الأسلام والمسلمين :

* لا تدعُوَنّ إلى مبارزة ، وإن دُعيتَ إليها فأَجِب ، فإنّ الدّاعيَ باغٍ ، والباغي مصروع (ح/٢٢٥) .

* لا تقاتِلَنّ إلاّ من قاتلك (ر/١٢) .

* لا تقاتلوهم حتّى يبدؤوكم ، فإنّكم بحمد الله على حُجّة ، وترككم إيّاهم حتّى يبدؤوكم حُجّةٌ أخرى لكم عليهم (وصية/١٤) .

(٣٠٠) في كيفيّة مسير الجيش الأسلامي :

* وسِرِ البَرْدَيْن ، وغوِّر بالنّاس ، ورفِّه في السَّير ، ولا تَسِرْ أوّل اللّيل ، فإنّ الله جَعَلَه سَكَناً ، وقَدّرَه مُقاماً لا ظَعناً ، فأرِح فيه بَدَنَك ، وروّح ظهرك ، فإذا وقفتَ حين ينبطح السَّحَر ، أو حين ينفجر الفَجْر ، فَسِرْ علىٰ بركة الله (وصية/١٢) .

* وإيّاكم والتفرّقُ، فإذا نزلتم فانزلوا جميعاً، وإذا ارتحلتم فارتحلوا جميعاً (ر/١١).
* فقدّموا الدّارع، وأخِرّوا الحاسر (خ/١٢٤).
* فإذا نزلتم بعدوٍّ، أو نزل بكم، فليكن معسكركم في قُبُلِ الأشراف، أو سِفاح الجِبال، أو أثناء النّهار، كيما يكون لكم رِدءاً، ودُونكم مَرَدّاً (ر/١١).

(٣٠١) كيف يقف الجيش الأسلامي أمام الجيش المعادي؟ وأين ينزل؟

* فإذا لقيتَ العَدُوّ فقِف من أصحابك وَسَطاً، ولا تَدْنُ من القوم دُنُوّ مَنْ يُريد أن يُنشِبَ الحربَ، ولا تَباعَدْ عنهم تباعُدَ من يَهابُ البأس (ر/١٢).

(٣٠٢) في بعض الفنون الحربيّة عند الهجوم علىٰ العدوّ والألتحام معه:

* وعَضّوا على الأضراس، فإنّه أنبىٰ للسيوف عن الهام (خ/١٢٤).
* عضّوا على الجهاد بنواجِذِكم (خ/١٢١).
* عَضَّ علىٰ ناجِذِك، أعِرِ الله جمجمتك، تِدْ في الأرض قدمَك، إرم ببصرِك أقصى القوم وغُضَّ بَصَرك، واعلم أنّ النّصر من عند الله سبحانه (خ/١١).
* وَصِلُوا السّيوف بالخُطا، واعلموا أنكم بعين الله (خ/٦٥).
* أعطوا السّيوف حقوقَها، ووطّنوا للجُنُوب مصارعَها، واذمُرُوا أنفسَكم علىٰ الطّعن الدَّعسي، والضّرب الطّلحفىٰ، وأميتوا الأصوات، فإنّه أطردُ للفَشَل (ر/١٦).
* إلتَوُوا في أطراف الرّماح، فإنّه أمْوَرُ للأسِنَّة، وغُضّوا الأبصار فإنّه أربَط للجأش، وأسكن للقلوب (خ/١٢٤).
* وأكمِلُوا الّلأمَة، وقلقِلوا السّيوفَ في أغمادها قبل سَلّها، والْحَظُوا الخَزْر، واطعَنوا الشَّزْر، ونافِحُوا بالظُّبى (خ/٦٥).
* ولتكن مقاتلتكم من وجهٍ واحدٍ أو اثنين (ر/١١).
* فشُدّوا عُقَدَ المآزِر، واطوُوا فضولَ الخواصر (ك/٢٤١).

(٣٠٣) في كتمان السّرّ في الحرب وأهميّة المباغتة للعدو:

* ألا وإنّ لكم عندي أن لا أحتجز دونكم سرّاً إلّا في حرب ، ولا أطوي دونكم أمراً إلّا في حكم (ر/٥٠).
* اغزوهم قبل أن يغزوكم ، فو الله ما غُزِي قومٌ قطّ في عقر دارهم إلاّ ذلوا (خ/٢٧).

(٣٠٤) في أهميّة المراصد والعيون والأستطلاعات الأمنيّة في الحرب :

* واجعلوا لكم رقباء في صياصي الجبال ، ومناكب الهضاب ، لئلاّ يأتيكم العدوّ من مكانٍ أو مخافةٍ أو أمن ، واعلموا أنّ مقدّمة القوم عيونهم ، وعيون المقدّمة طلائعهم (ر/١١).

(٣٠٥) في أنّ المحاربين يجب أن لا يناموا :

* إنّ أخا الحرب الأ رق ، ومن نام لم يُنَم عنه (ر/٦٢).
* ينام الرّجل على الثّكل ، ولا ينام علىٰ الحرب (ح/٣٠٧).
* أما بعد ، فقد بعثتُ إليكم عبداً من عباد الله ، لا ينام أيّام الخوف (ك/٣٨).
* ما أنقضَ النّوم لعزائم اليوم ! وأمحىٰ الظُّلم لتذاكير الهِمَم ! (ك/٢٤١).
* وإذا غَشِيَكُمُ اللّيل فاجعلوا الرّماح كِفَةً ، ولا تذوقوا النّوم إلّا غِراراً أو مضمضة (وصية/١١).

(٣٠٦) في أنّ الرّاية يجب أن لا تُعطىٰ إلاّ للشّجعان :

* ورايتَكم فلا تميلوها ولا تُخِلّوها ، ولا تجعلوها إلاّ بأيدي شجعانكم والمانعين الذِّمار منكم ، فإنّ الصّابرين علىٰ نزول الحقائق هم الّذين يحُفّون براياتهم ، و يكتنفونها حفافَيْها ، ووراءها ، وأمامها ، لا يتأخّرون عنها فيسلموها ، ولا يتقدّمون عليها فيُفردوها (ك/١٢٤).

(٣٠٧) في آداب المحاربين المسلمين وكيفيّة تعاملهم مع جيش العدوّ وأهل دولته :

* فإذا كانت الهزيمة بإذن الله ، فلا تقتلوا مُدبِراً ، ولا تُصيبوا مُعْوِراً ، ولا تُجهِزوا علىٰ

جريح ، ولا تهيجوا النّساء بأذىً ، وإن شَتَمْنَ أعراضكم ، وسَبَبْنَ أُمَراءكم ، فإنّهن ضعيفات القُوى ، والأنفس والعقول ، إن كنا لَنُؤمَرُ بالكف عنهنّ وإنّهنّ لَمشركات (ر/١٤) .

* ولا تَمَسُّنَّ مالَ أحدٍ من النّاسِ مُصَلٍّ ولا معاهدٍ إلّا أن تجدوا فرساً أو سلاحاً يُعدى به علىٰ أهل الأسلام ، فإنّه لا ينبغي للمسلم أن يَدَعَ ذلك في أيدي أعداء الأسلام فيكون شوكةً عليه (ر/٥١) .

* رفعت السَّيفَ عن مُدبِرِكم (ر/٢٩) .

(٣٠٨) في وجوب عدم التّبذير بالقيادة العليا للمسلمين عند الغزوات :

* (إلى عمر بن الخطّاب) فكن قُطباً ، واستدر الرَّحىٰ بالعَرَب ، وأَصْلِهم دونَك نارَ الحرب ، فإنّك إن شخصتَ من هٰذه الأرض ، انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها ، حتّى يكون ما تَدَعُ وراءك من العورات أهمَّ إليك ممّا بين يديك ، إنّ الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولوا : هذا أصل العَرَب فإذا اقتطعتموه استرحتم ، فيكون ذلك أشدَّ لكَلَبِهم عليك ، وطمعهم فيك (خ/١٤٦) .

* جمع عليه السّلام النّاس حَضَّهُم على الجهاد فسكتوا مليّاً ، فقال عليه السّلام : ما بالكم أمخرَسون أنتم ؟ فقال قومٌ منهم : ياأمير المؤمنين ، إن سرتَ سرنا معك .. فقال (ع) : ما بالكم ! لا سُدِّدتم لرشد ، ولا هُدِيتم لقصد ! أفي مثل هٰذا ينبغي لي أن أخرج ؟ وإنّما يخرج في مثل هٰذا رجلٌ ممّن أرضاه من شجعانكم وذوي بأسِكم ، ولا ينبغي لي أن أدَعَ الجندَ والمصر وبيت المال وجباية الأرض ، والقضاء بين المسلمين ، والنّظر في حقوق المطالبين ، ثمّ أخرج في كتيبةٍ أتبع أخرى ، أتقلقلُ تَقَلْقُلَ القِدْحِ في الجفير الفارغ ، وإنّما أنا قطب الرّحى ، تدور عليّ وأنا بمكاني ، فإذا فارَقْتُهُ استحار مدارها ، واضطرب ثِفالُها : هذ لعَمْرُ الله الرأي السّوء (ك/١١٩) .

(٣٠٩) المقاتلون المسلمون (أهميّتهم ورعايتهم ورعاية عوائلهم) :

* فالجنود بإذن الله حصونُ الرّعيّة وزينُ الولاة ، وعزّ الدّين وسُبُلُ الأمن ، وليس تقو

الرعيّة إلّا بهم (ر/٥٣).

* لا تدّخروا أنفسَكم نصيحةً ولا الجندَ حسنَ سيرة (ر/٥١).

* لا قِوامَ للجنود إلّا بما يُخرج الله لهم من الخراج الّذي يقوُوْنَ به على جهاد عدوّهم (ر/٥٣).

* إنّ كثرة الذّكر لحسن أفعالهم، تهزّ الشّجاع، وتحرّض النّاكل إن شاء الله تعالىٰ (ر/٥٣).

* ولْيكن آثر رؤوس جُنْدِك عندك، مَن واساهم في معونته، وأفضَلَ عليهم مِن جِدَته بما يَسَعُهُم و يَسَعُ مَن وراءهم مِن خُلُوف أهليهم، حتّى يكون هَمُّهُم همّاً واحداً في جهاد العدوّ (ر/٥٣).

(٣١٠) في مَن هم الّذين تُعزى إليهم المناصب القياديّة في الجيش الأسلامي؟ وما هي أهمّ وظائفهم؟

* فَوَلّ من جنودِك أنصَحَهم في نفسِك لله ولرسوله ولأمامك، وأنقاهم جيباً، وأفضَلَهم حِلماً، ممّن يُبطِيء عن الغَضَب، و يستريح إلى الغدر، و يرأف بالعفاء، و ينبوعلى الأقو ياء، ممّن لا يثيره العُنف، ولا يقعُدُ به الضَّعف (ر/٥٣).

* ليكن آثَرَ رؤوس جُندِك عندَك مَن واساهم في معونته، وأفضَلَ عليهم من جِدَته، بما يَسَعُهُم و يَسَعُ مَن وراءهم من خُلوفِ أهليهم (ر/٥٣).

* وقد أَمَّرتُ عليكما وعلىٰ مَن في حيّزكُما مالكَ بنَ الحارثِ الأشتَر، فاسمعا له وأطيعا، واجعلاه دِرعاً ومِجَناً، فإنّه مِمّن لا يُخافُ وَهْنُهُ ولا سَقْطَتُهُ ولا بُطْؤه عمّا الأسراع إليه أحزم، ولا إسراعه إلى ما البُطء عنه أمثَل (ر/١٣).

* أمّا بعد فقد بعثتُ إليكم عبداً من عباد الله، لا ينام أيّام الخوف، ولا يَنْكَلُ عن الأعداء ساعات الرّوع، أشدّ علىٰ الفجّار من حريق النّار، وهومالك بن الحارث أخو مَذحِج، فاسمعوا له وأطيعوا أمره فيما طابق الحقّ، فإنّه سيفٌ من سيوف الله، لا كليل الظُّبَّة، ولا نابي الضّريبة: فإن أمَرَكم أن تنفروا فانفروا، وإن أمَرَكم أن تُقيموا فأقيموا، فإنّه لا يُقْدِمُ ولا يُحجِم، ولا يُؤخِر ولايقدّم إلّا عن أمري؛ وقد آثرتُكم به علىٰ نفسي لنصيحته

لكم ، وشدّة شكيمته على عدوّكم (ر/٣٨) .

(٣١١) في أنّ الثّقة التامّة بين القائد العسكري والجنود ضروريّة لغرض طاعته :

* أوّه علىٰ إخواني الّذين تَلَوُا القرآن فأحكموه ... دُعوا إلى الجهاد فأجابوا ، و وَثِقوا بالقائد فاتّبعوه (خ/١٨٢) .

(٣١٢) في وجوب ، وضرورة إطاعة القائد العسكري للوصول إلى الأهداف العسكريّة المطلوبة :

* وأفسَدتُم عليَّ رأيي بالعصيان والخذلان (خ/٢٧) .
* ولي عليكم الطّاعة ، وألاّ تنكصوا عن دعوة ، ولا تفرّطوا في صَلاح ، وأن تخوضوا الغمرات إلىٰ الحقّ (ر/٥٠) .
* فإنْ أَمَرَكم (مالك بن الحارث) أن تنفروا فانفروا ، وإن أمَرَكم أن تقيموا فأقيموا (ر/٣٨) .
* منيتُ بمن لا يطيع إذا أمرت ، ولا يجيب إذا دعوت (خ/٣٩) .
* أيّتها الفرقة التي إذا أمرتُ لم تطع ، وإذا دعوت لم تجب (خ/١٨٠) .
* وأمّا حقي عليكم فالوفاء بالبيعة ، والنّصيحة في المشهد والمغيب ، والأجابة حين أدعوكم ، والطّاعة حين آمركم (خ/٣٤) .

« الشّهادة في سبيل الله تعالىٰ »

(٣١٣) في أنّ الشّهادة في سبيل الله أكرم الموت ، والمسلم الحقيقي هو الّذي يرجو الشهادة ويتسابق عليها :

* إنّ أكرم الموت القتل ، والّذي نفس ابن ابيطالبٍ بيده ، لألْفُ ضربةٍ بالسَّيف أهون عليَّ من ميتةٍ على الفراش في غير طاعة الله (خ/١٢٢) .

* اللّهم ... ربّ الجبال الرّواسي الّتي جعلتَها للأرض أوتاداً وللخلق اعتماداً ، إن أظهرتنا على عدوّنا فجنّبنا البغي ، وسدّدنا للحقّ ، وإن أظهرتهم علينا فارزقنا الشّهادة ، واعصمنا من الفتنة (خ/١٧٠) .

* وأنا أسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته علىٰ إعطاء كل رغبةٍ أن ... يختم لي ولك بالسّعادة والشّهادة إنّا إليه راجعون (ر/٥٣) .

* ... فقلتُ يارسول الله ، أوَ ليسَ قد قُلتَ لي يومَ أُحُدٍ حيث استُشهِدَ مَنِ استُشهِدَ من المسلمين وحيزَت عنّي الشهادة ، فشُقَّ ذلك عليّ فقلتَ لي :

« أبشِرْ فإنّ الشّهادةَ من ورائك » ؟ فقال لي :

« إنّ ذلك لكذلك فكيف صبرُك إذن ؟ » فقلت :

يارسول الله ، ليس هٰذا من مواطن الصّبر ، ولكن من مواطن البشرى والشّكر (خ/١٥٥) .

* أمّا قولُكم : أكلّ ذلك كراهية الموت ؟ فَوَالله ما أبالي ؛ دخلتُ إلى الموت أو خَرَجَ الموتُ إليّ (خ/٥٥) .

* فإن أقُل يقولوا : حَرَص علىٰ المُلك ، وإن أسكُت يقولوا : جَزِع من الموت ! هيهات بعد اللّتَيّا والّتي ! والله لأ بنُ أبي طالبٍ آنَسُ بالموتِ من الطّفل بثدْيْ أمّه (خ/٥) .

* والله ما فاجَأني من الموتِ واردٌ كرهتُهُ ، ولا طالعٌ أنكرتُه ، وما كنتُ إلاّ كقاربٍ ورد ، وطالبٍ وجد ؛ « وما عند الله خيرٌ للأ برار » (ر/٢٣) .

* (إلى معاوية) : وأنا مُرقِلٌ نحوك في جحفلٍ من المهاجرين والأنصار ، والتّابعين لهم بإحسانٍ ، شديدٍ زِحامهُمُ ، ساطعٍ قَتامُهم ، متسر بلينَ سرابيلَ الموت ؛ أَحَبُّ اللّقاء إليهم لقاءُ ربّهم (ر/٢٨) .

* وأمّا نحن فأبذَلُ لِما في أيدينا ، وأسمحُ عند الموت بنفوسِنا (ح/١٠٢) .

* ... ومَوتاتُ الدّنيا أهونُ عَلَيَّ من موتاتِ الآخرة (خ/٥٤) .

* (في وصف المتّقين) : أرادتهم الدّنيا فلم يريدوها ، وأسَرتْهم فَفَدَوْا أنفسَهم منها (خ/١٩٣) .

(٣١٤) في أنّ المتمسّكين بالدّنيا وبهارجها ، يخشون الشّهادة ، ويتهرّبون منها :

* أرَضيتم بالحياة الدّنيا من الآخرة عوضاً ، وبالذلّ من العزّ خَلَفاً ؟ إذا دعوتُكم إلى جهاد عدوّكم ، دارت أعينُكم ، كأنّكم من الموت في غمرة ، ومن الذّهول في سكرة (خ/٣٤) .

* ياأسرى الرّغبة أقصروا ، فإنّ المعرّج على الدّنيا ، لا يُروعّه منها إلاّ صريف أنياب الحِدْثان (ح/٣٥٩) .

* ألا حرٌّ يَدَعُ هٰذه اللُّماظة لأهلها ؟ إنّه ليس لأنفسكم ثمن إلاّ الجنّة فلا تبيعوها إلاّ بها (ح/٤٥٦) .

(٣١٥) في منزلة الهاربين من الشّهادة عند الله تعالىٰ وعاقبتهم :

* واستحيوا من الفرّ ، فإنّه عارٌ في الأعقاب ، ونارٌ يوم الحساب (خ/٦٦) .

* العار وراءكم ، والجنّة أمامكم (ك/١٧١) .

* إنّ في الفرار موجدة الله سبحانه ، والذلّ اللازم ، والعار الدّائم ، وإنّ الفارّ غير مزيدٍ في عمره ولا مؤخَّرٌ عن يومه (خ/٢٧) .

* وأيم الله لئن فررتم من سيف العاجلة ، لا تسلموا من سيف الآخرة (خ/١٢٤) .

(٣١٦) في منزلة عشّاق الشّهادة عند الله تعالىٰ وعاقبتهم :

* فإنّ الجهاد بابٌ من أبواب الجنّة ، فتحه الله لخاصّة أوليائه (خ/٢٧) .
* الجنّة تحت أطراف العوالي (ك/١٢٤) .
* أين المانع للذّمار ، والغائر عند نزول الحقائق من أهل الحِفاظ ، العارُ وراءكم والجنّة أمامكم (ك/١٧١) .
* نسأل الله منازل الشّهداء ، ومعايشة السّعداء ، ومرافقة الأنبياء (خ/٢٣) .
* ومن شنىء الفاسقين ، وغضب لله ، غضب الله له وأرضاه يوم القيامة (ح/٣١) .
* ألا ومن أكله الحقّ فإلىٰ الجنّة (ر/١٧) .
* ما خيرٌ بخيرٍ بعده النّار ، وما شرٌّ بشرٍ بعده الجنّة (ح/٣٨٧) .
* ألا حرٌّ يَدَعُ هٰذه اللّماظة لأهلها ؟ إنّه ليس لأنفسكم ثمنٌ إلاّ الجنّة ، فلا تبيعوها إلاّ بها (ح/٤٥٦) .

(٣١٧) في أنّ الشّهادة منحة إلٰهية ، لا يهبها الله سبحانه لأيٍّ كان ، وإنّما لمن يستحقّها :

* ... فقُتِلَ عبيدة ابن الحارث يوم بدر ، وقُتِلَ حمزة يوم أُحُد ، وقُتِلَ جعفرٌ يوم مُؤتة ، وأراد من لَو شئتُ ذكرتُ اسمه مثل الّذي ارادوا من الشّهادة ، ولكن آجالهم عُجِّلَتْ ومنيّته أُخِّرت (ر/٩) .
* ... فإنّ الجهاد بابٌ من أبواب الجنّة ، فتحه الله لخاصّة أوليائه ، وهو لباس التّقوىٰ (خ/٢٧) .
* ... فقلتُ : يارسول الله ، أو ليس قد قلتَ لي يومَ أُحُدٍ حيث استُشهِدَ مَن استُشهد من المسلمين ، وحيزت عنّي الشّهادة ، فشقّ ذلك عَلَيّ فقلت لي :
«أبشِرْ فإنّ الشّهادة من ورائك ؟» فقال لي : «إنّ ذٰلك لكذٰلك فكيف صبرك إذن ؟» فقلت : يارسول الله ، ليس هذا من مواطن الصّبر ، ولكن من مواطن البشرىٰ والشّكر (خ/١٥٥) .
* ... يُجاهِدُهم في الله قومٌ أذلّةٌ عند المتكبّرين ، في الأرض مجهولون ، وفي السّماء معروفون (خ/١٠١) .

(٣١٨) في أنّ الشّهداء درجات عند الله تعالى، وليسوا في درجة واحدة :

* أنّ قوماً استُشهِدُوا في سبيل الله من المهاجرين والأنصار ولكلٍّ فضلٌ، حتّى إذا استُشهِدَ شهيدُنا قيلَ : سيّد الشّهداء، وخصّه رسولُ الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه (ر/٢٨).

(٣١٩) في أنّ الشّهادة أقوىٰ سلاح للأنتصار على الأعداء، ومن لم يَخفَظ الموت وُهِبَت له الحياة :

* فالنّجاة للمقتحم، والهَلَكَة للمتلوّم (ك/١٢٣).
* فالموت في حياتكم مقهورين، والحياة في موتكم قاهرين (خ/٥١).
* ولقد كان الرّجل منّا والآخر من عدوّنا، يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان أنفُسَهما، أيّهما يسقي صاحبه كأسَ المنون، فمرّة لنا من عدوّنا، ومرّةً لعدوّنا منّا، فلما رأى الله صدقَنا أنزل بعدوّنا الكبت، وأنزل علينا النّصر، حتّى استقرّ الأسلام مُلقياً جِرانه، ومتبوّئاً أوطانه (ك/٥٦).
* فاتّقوا الله عباد الله، وفِرّوا إلى الله من الله، وامضوا في الّذي نهجه لكم، وقوموا بما عصبه بكم، فَعِليٌّ ضامنٌ لَفلْجِكم آجلاً، إن لم تُمنَحُوه عاجلاً (خ/٢٤).
* بقيّة السّيف أبْقَىٰ عدداً، وأكثر وَلَداً (ح/٨٤).

(٣٢٠) في الّذين يحظون بمنزلة الشّهداء عند الله تعالىٰ، ولو لم يُقتَلوا في سبيله :

* إلزموا الأرض، واصبروا علىٰ البلاء، ولا تحرّكوا بأيديكم وسيوفكم في هوىٰ ألسنتكم، ولا تستعجلوا بما لم يعجّله الله لكم، فإنّه من مات منكم علىٰ فراشه، وهو على معرفة حقّ ربّه وحقّ رسوله وأهل بيته، مات شهيداً، ووقع أجره على الله، واستوجب ثواب ما نوىٰ من صالح عمله، وقامت النيّة مقام إصلاته لسيفه، فإنّ لكلّ شيء مدّةً وأجلاً (خ/١٩٠).
* ما المجاهد الشّهيد في سبيل الله بأعظم أجراً ممّن قدر فعفّ، لكاد العفيف أن يكون مَلكاً من الملائكة (ح/٤٧٤).

الباب الرّابع عشر: الحاكم الإسلامي وخصائصه

« الحاكم الاسلامي وخصائصه »

(٣٢١) في ضرورة وجود الحاكم ووظائفه الرئيسيّة في الدّولة الأسلاميّة :

* في الخوارج لمّا سمع قولهم : « لا حكم إلّا لله » قال عليه السّلام :

كلمة حقٍّ يُراد بها باطل ! نعم إنّه لا حكم إلّا لله ، ولكن هؤلاء يقولون : لا إمْرَةَ إلّا لله ، وإنّه لا بدّ للنّاس من أميرٍ برٍّ أو فاجر يعمل في إمرته المؤمن ، و يستمتع فيها الكافر ، و يُبَلّغ الله فيها الأجل ، و يُجْمَعُ به الفَيء ، و يُقاتَل به العدوّ ، وتَأْمَنُ به السُّبُل ، و يُؤْخَذُ به للضّعيف من القوي ؛ حتّى يستريح برٌّ ، و يُسْتَرَاح من فاجر (ك/٤٠) .

* هٰذا ما أمر به عبد الله عليّ أمير المؤمنين ، مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه ، حين ولاّه مصر : جباية خراجها ، وجهاد عدوّها ، واستصلاح أهلها ، وعِمارة بلادها (ر/٥٣) .

* إنّه ليس على الإمام إلّا ما حُمِّلَ من أمر ربّه : الإبلاغ في الموعظة ، والاجتهاد في النّصيحة ، والإحياء للسُّنّة ، وإقامة الحدود علىٰ مستحقّيها ، وإصدار السُّهمان علىٰ أهلها (خ/١٠٥) .

* ولا ينبغي لي أن أدَعَ الجُنْدَ والمصر و بيت المال وجباية الأرض والقضاء بين المسلمين ، والنّظر في حقوق المطالبين (ك/١١٩) .

* فأمّا حقّكم عليّ فالنّصيحة لكم ، وتوفير فيئكم عليكم ، وتعليمكم كيلا تجهلوا ، وتأديبكم كيما تعلموا (خ/٣٤) .

* صواب الرّأي بالدّول : يقبل بإقبالها ، و يذهب بذهابها (ح/٣٣٩) .

من أهمّ خصائص الحاكم النّموذجي في الإسلام

(٣٢٢) ١ ـ أن يشعر بأن الحكم أمانة لديه وتكليف إلٰهي له وليس منحة أو ملكاً شخصياً :

* (إلىٰ أشعث بن قيس عامل أذربيجان) : وإنّ عملك ليس لك بطُعمة ولكنّه في عنقك أمانة ، وأنت مسترعىً لمن فوقك ، ليس لك أن تفتات في رعيّة (ر/٥) .

* اللّهم إنّك تعلم أنّه لم يكن الّذي كان منّا منافسةً في سلطان ، ولا التماسَ شيء من فضول الحُطام ، ولكن لنرد المعالم من دينك ، ونظهر الإصلاح في بلادك ، فيأمن المظلومون من عبادك ، وتقام المعطّلَة من حدودك (ك/١٣١) .

* قال عبد الله بن عبّاس ـ رضي الله عنه ـ : دخلتُ علىٰ أمير المؤمنين عليه السّلام بذي قار وهو يخصف نعله ، فقال لي : ما قيمة هٰذه النّعل ؟ فقلت : لا قيمة لها ! فقال عليه السّلام : والله لَهِيَ أحبّ إليّ من إمرتكم ، إلاّ أن أقيم حقّاً ، أو أدفع باطلاً (خ/٣٣) .

* دعوني والتمسوا غيري ، فإنّا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان ، لا تقوم له القلوب ، ولا تثبت عليه العقول ... واعلموا أنّي إن أجبتُكُم ركبت بكم ما أعلم (ك/٩٢) .

(٣٢٣) أن لا يستغني عن نصح ومشاورة وتعاون الرعيّة معه في حكمه ، ولا يكرههم علىٰ أعمالٍ وواجباتٍ فوق طاقتهم :

* ولكن من واجب حقوق الله على العباد : النّصيحة بمبلغ جهدهم ، والتّعاون على إقامة الحقّ بينهم ، وليس امرؤ ـ وإن عظمت في الحقّ منزلته ، وتقدّمت في الدّين فضيلته ـ بفوق أن يُعان علىٰ ما حمّله ،الله من حقّه ، ولا امرؤٌ ـ وإن صغرته النفوس واقتحمته العيون ـ بدون أن يعين علىٰ ذلك أو يعان عليه (خ/٢١٤) .

* فعليكم بالتّناصح في ذلك ، وحُسن التّعاون عليه ، فليس أحدٌ ـ وإن اشتدّ علىٰ رضى الله حِرْصُه ، وطال في العمل اجتهاده ـ ببالغٍ حقيقة ما الله سبحانه أهله من الطّاعة له (خ/٢١٤) .

* أيّها النّاس ، أعينوني على أنفسكم ، وأيم الله لأنصفنّ المظلوم من ظالمه ، ولأقودنّ

الظّالم بخزامته ، حتّى أورده منهل الحقّ وإن كان كارهاً (خ/١٣٦) .

* وأمّا حقّي عليكم : فالوفاء بالبيعة ، والنّصيحة في المشهد والمغيب (خ/٣٤) .

* ولا يرغب عنهم تفضُّلاً بالإمارة عليهم ، فإنّهم الأخوان في الدّين ، والأعوان على استخراج الحقوق (ر/٢٦) .

* ولا تظنّوا بي استثقالاً في حقٍّ قيل لي ، ولا التماس إعظامٍ لنفسي ، فإنّه مَن استثقل الحقّ أن يقال له أو العدل أن يُعرَض عليه ، كان العمل بهما أثقل عليه ، فلا تكفّوا عن مقالةٍ بحقّ ، أو مشورة بعدل ، فإنّي لستُ في نفسي بفوق أن أخطىء ، ولا آمن ذلك من فعلي (خ/٢١٤) .

* واعلم أنّه ليس شيء بأدعىٰ إلى حسن ظنّ راعٍ برعيّته من إحسانه إليهم ، وتخفيفه المؤونات عنهم ، وترك استكراهه إيّاهم علىٰ ما ليس له قِبَلهم ، فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظّنّ و يقطع نصباً طو يلاً (ر/٥٣) .

* ولا تُدْخِلَنّ في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ، و يَعِدُك الفقر ، ولا جباناً يُضْعِفُك عن الأمور ، ولا حريصاً يُزَيّن لك الشَّرَه بالجور ، فإنّ البُخل والجبن والحِرصَ غرائز شتّى يجمعها سوء الظّنّ بالله (ر/٥٣) .

* وأكثر مدارسة العلماء ، ومناقشة الحكماء ، في تثبيت ما صَلَحَ عليه أَمْرُ بلادك ، وإقامة ما استقام به النّاس قَبْلَك (ر/٥٣) .

(٣٢٤) مسائل عامّة في المشاورة :

* مَن استبدّ برأيه هلك ، ومن شاور الرّجال شاركها في عقولها (ح/١٦١) .

* الخِلاف يهدم الرّأي (ح/٢١٥) .

* إذا ازدحم الجواب خفي الصّواب (ح/٢٤٣) .

* رأي الشّيخ أحبّ إليّ من جَلَد الغلام (ح/٨٦) .

* ولا ظهير كالمشاوَرَة (ح/٥٤) .

* ولا مظاهَرَة أوثق من المشاورة (ح/١١٣) .

* والاستشارة عين الهداية ، ومن خاطر استغنىٰ برأيه (ح/٢١١) .

* وإيّاك ومشاورة النّساء ، فإنّ رأيهنّ إلىٰ أفن (ر/٣١) .
* من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ (ح/١٧٣) .

(٣٢٥) ٣ ـ أن يحافظ على بقاء الودّ بينه وبين رعيّته ، وأن لا يحتجب عنهم لتتم المصارحة في الأعمال بين الطّرفين وتزول الشّكوك فيما بينهم :

* وقد علمتم أنّه لا ينبغي أن يكون الوالي علىٰ الفروج والدّماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين ؛ البخيل ... ولا الجاهل ... ولا الجافي فيقطعهم بجفائه (خ/١٢٩) .
* وأشعر قلبك الرّحمة للرّعيّة والمحبّة لهم واللّطف بهم ، ولا تكوننّ عليهم سَبُعاً ضارياً تغتنم أُكُلَهم ؛ فإنّهم صنفان : إمّا أخ لك في الدّين أو نظيرٌ لك في الخلق ، يفرط منهم الزّلل ، وتعرض لهم العلل ، و يؤتىٰ علىٰ أيديهم في العمد والخطأ ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الّذي تحبّ أن يعطيك الله من عفوه وصفحه (ر/٥٣) .
* فلا تطولنّ احتجابك عن رعيّتك ، فإنّ احتجاب الولاة عن الرّعيّة شعبة من الضيّق ، وقلّة علمٍ بالأمور ، والأحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير و يعظم الصّغير ، و يقبح الحسن ويحسن القبيح ، و يشاب الحقّ بالباطل ، وإنّما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه النّاس به من الأمور ، وليست على الحقّ سِمات تعرف بها ضروب الصّدق من الكذب (ر/٥٣) .
* وإن ظنّت الرّعية بك حيفاً فأصحر لهم بعذرك ، وأعدل عنك ظنونهم بإصحارك ، فإنّ في ذلك رياضة منك لنفسك ، ورفقاً برعيّتك ، وإعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم علىٰ الحقّ (ر/٥٣) .
* ألا وإنّ لكم عندي ألاّ أحتجز دونكم سرّاً إلاّ في حرب ، ولا أطوي دونكم أمراً إلاّ في حكم (ر/٥٠) .
* ولا يكن لك إلى النّاسِ سفيرٌ إلاّ لسانُك ، ولا حاجبٌ إلاّ وجهُك ، ولا تحجُبَنّ ذا حاجةٍ عن لقائك بها ، فإنّها إن ذِيْدَت عن أبوابك في أوّل وِرْدِها ، لم تُحْمَدْ فيما بعد علىٰ قضائها (ر/٦٧) .
* وأَمَرَه ألاّ يَجْبَهَهُم ولا يَعْضَهَهُمْ ، ولا يرغب عنهم تفضّلاً بالأمارة عليهم ، فإنّهم

الأخوان في الدّين (ر/٢٦).

* فاخفِض لهم جناحك، وألِنْ لهم جانبك، وابسط لهم وجهك، وآسِ بينهم في اللّحظة والنّظرة، حتّى لا يطمع العظماء في حيفك لهم، ولا ييأس الضّعفاء من عدلك عليهم (ر/٢٧).

* وآسِ بينهم في اللّحظة والنّظرة، والأشارة والتّحيّة (ر/٤٦).

* أمّا بعد، فإنّ حقّاً على الوالي ألّا يغيّره على رعيّته فضلٌ ناله، ولا طَوْلٌ خُصَّ به، وأن يزيده ما قَسَمَ الله له من نِعَمِه دُنُوّاً من عباده، وعطفاً على إخوانه (ر/٥٠).

* وإنّما يُستَدَلّ على الصّالحين بما يَجري الله لهم على ألسُنِ عباده (ر/٥٣).

* وليكن أبعد رعيّتك منك، وأشنأهم عندك، أطْلَبُهُم لمعائب النّاس، فإنّ في النّاس عيوباً، الوالي أحقّ مَن سَتَرَهَا، فلا تكشِفَنَّ عمّا غاب عنك منها، فإنّما عليك تطهير ما ظهر لك، والله يحكم على ما غاب عنك، فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تُحِبّ ستره من رعيّتك، أطْلِق عن النّاس عقدة كلّ حقدٍ، واقطع عنك سبب كلّ وترٍ، وتغابَ عن كلّ مالا يضح لك، ولا تعجَلَنّ إلى تصديق ساعٍ، فإنّ السّاعي غاشٌّ، وإن تَشَبَّهَ بالنّاصحين (ر/٥٣).

* واجعل لذوي الحاجات منك قِسْماً تُفَرِّغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عامّاً فتتواضع فيه لله الّذي خلقك، وتُقْعِدَ عنهم جُنْدَك وأعوانَك من أحراسِك وشُرَطِك، حتّى يُكَلّمُك متكلّمُهُم غير مُتَتَعْتِع، فإنّي سمعت رسول الله (ص) يقول في غير موطن: «لَن تُقَدَّسَ أمّةٌ لا يُؤخَذُ للضّعيف فيها حقّه من القويّ غير متعتع» ثمّ احْتَمِلِ الخُرْقَ منهم، والعِيَّ، ونَحِّ عنهم الضّيق والأنَف يبسُطُ الله عليك بذلك أكنافَ رحمته، و يوجب لك ثواب طاعته (ر/٥٣).

* وإنّ أفضل قرّة عين الولاة استقامة العدل في البلاد، وظهور مودّة الرّعيّة، وإنّه لا تظهر مودّتهم إلّا بسلامة صدورهم، ولا تصحّ نصيحتهم إلاّ بحيطتهم على ولاة الأمور، وقلّة استثقال دُوَلِهِم، وترك استبطاء إنقطاع مدّتهم، فافسح في آمالهم، و واصِلْ في حُسْن الثّناء عليهم، وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم (ر/٥٣).

* آلة الرياسة سعة الصّدر (ح/١٧٦).

(٣٢٦) ٤ ــ أن لا يدخل العُجبُ والكبر في نفسه ، وأن لا يحبّ الاطراء والاستماع إلى الثّناء من رعيّته عند قيامه بوظائفه :

* وإنّ من أسخف حالات الولاة عند صالح النّاس أن يظنّ بهم حبّ الفخر ، و يوضع أمرهم على الكبر ، وقد كرهت أن يكون جال في ظنّكم أنّي أحبّ الاطراء واستماع الثّناء ، ولستُ ــ بحمد الله ــ كذلك . ولو كنت أحبّ أن يقال ذلك ، لتركتُه انحطاطاً لله سبحانه عن تناول ما هو أحقّ به من العظمة والكبرياء ، وربّما استحلى النّاس الثّناء بعد البلاء ، فلا تثنوا عليّ بجميل بلاء ، لأخراجي نفسي إلى الله وإليكم من التّقيّة في حقوق لم أفرغ بعد من أدائها ، وفرائض لا بدّ من إمضائها ، فلا تكلّموني بما تُكَلَّمُ به الجبابرة ، ولا تتحفّظوا فيَّ بما يتحفّظ به عند أهل البادرة ، ولا تخالطوني بالمصانعة (خ/٢١٤) .

* أمّا بعد ، فإنّ حقاً على الوالي ألاّ يغيّره على رعيّته فضلٌ ناله ، ولا طَوْلٌ خُصَّ به ، وأن يزيده ما قسم الله له من نِعَمِه دُنُوّاً من عباده ، وعطفاً على إخوانه) .

* (وأقبل حرب يمشي معه ، وهوعليه السّلام راكب ، فقال عليه السّلام) : ارجع ، فإنَّ مَشي مثلك مع مثلي فتنة للوالي ، ومذلّة للمؤمن (ح/٣٢٢) .

* إيّاكَ ومساماة الله في عظمته ، والتشبه به في جبروته ، فإنّ الله يذلّ كلّ جبار و يهين كلّ مختال . . .

وإيّاك والأعجاب بنفسك ، والثّقة بما يُعْجِبُكَ منها ، وحُبَّ الاطراء ، فإنّ ذلك من أوثق فُرَص الشّيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين (ر/٥٣) .

* وَالْصَقْ بأهل الورع والصّدق ؛ ثمّ رُضْهُمْ على ألاّ يُطروك ولا يجحوك بباطلٍ لم تَفْعَلْهُ ، فإنّ كثرة الأطراء تُحْدِثُ الزّهو، وتُدْني من العزّة (ر/٥٣) .

(٣٢٧) ٥ ــ أن لا يستأثر بشيء من أموال المسلمين لنفسه ، وأن يحيا حياته الخاصّة كضَعَفَة النّاس ، وأن لا يسخط العامة برضى الخاصّة والقربىٰ في ذلك :

* إيّاك والاستئثار بما النّاس فيه أسوة ، والتّغابي عمّا تعنى به مما قد وضح للعيون ، فإنّه مأخوذ منك لغيرك ، وعمّا قليل تنكشف عنك أغطية الأمور، و ينتصف منك للمظلوم (ر/٥١) .

* أنصف الله وأنصف النّاس من نفسك ومن خاصّة أهلك ومن لك فيه هوىً من رعيّتك ، فإنّك إلاّ تفعل تظلم ، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ، وَمَنْ خاصمه الله أدحض حجّته ، وكان لله حرباً حتّى ينزع أو يتوب ، وليس شيء أدعىٰ إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم ، فإنّ الله سميع دعوة المضطهدين ، وهو للظّالمين بالمرصاد ، وليكن أحبّ الأمور إليك أوسطها في الحقّ ، وأعمّها في العدل ، وأجمعها لرضا الرّعيّة ، فإنّ سخط العامّة يجحف برضا الخاصّة ، وإنّ سخط الخاصّة يغتفر مع رضا العامّة ، وليس أحد من الرّعيّة أثقل على الوالي مؤونة في الرّخاء وأقلّ معونة له في البلاء ، وأكره للأنصاف ، وأسْألُ بالألحاف ، وأقلّ شكراً عند الاعطاء ، وأبطأ عذراً عند المنع ، وأضعف صبراً عند ملمّات الدّهر من أهل الخاصّة ، وإنّما عماد الدّين وجماع المسلمين والعدّة للأعداء العامّة من الأمّة ، فليكن صغوك لهم ، وميلك معهم (ر/٥١) .

* قال : ياأمير المؤمنين ، هٰذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك !

قال : ويحك ، إنّي لستُ كأنتَ ، إنّ الله تعالىٰ فَرَضَ علىٰ أئمّة العدل أن يقدّروا أنفسهم بضعفة النّاس ، كيلا يتبيّغ بالفقير فقره ! (ك/٢٠٩) .

* هيهات أن يغلبني هواي ، و يقودني جَشَعي إلى تخيّر الأطعمة ، ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ، ولا عهد له بالشّبع أَوَ أبيت مبطاناً وحولي بطونٌ غرثىٰ وأكبادٌ حَرّى ، أو أكون كما قال القائل :

وَحَسْبُكَ داءً أن تبيتَ ببطنةٍ ... وحولَكَ أكبادٌ تحنّ إلىٰ القِدِّ !

أأقنع من نفسي بأن يُقال : هٰذا أمير المؤمنين ، ولا أشاركهم في مكاره الدّهر ، أو أكون أسوةً لهم في جشوبة العيش (ر/٤٥) .

* ألا وإنّ إعطاء المال في غير حقّه تبذيرٌ وإسراف ، وهو يرفعُ صاحبَه في الدّنيا و يَضَعُهُ في الآخرة ، و يُكرِمُه في النّاس و يهينه عند الله ، ولم يَضَع امرُؤٌ ماله في غير حقّه ولا عند غير أهله إلاّ حَرَمَهُ الله شكرهم ، وكان لغيره وُدُّهُمْ ، فإن زلّت به النّعل يوماً فاحتاج إلى معونتهم فَشَرّ خليل وألأم خدين ! (ك/١٢٦) .

* ولا تُسْخِطِ الله برضى أحدٍ من خَلْقِهِ ، فإنّ في الله خَلَفاً من غيره ، وليَسَ من الله خَلفٌ في غيره (ر/٢٧) .

* فاملِك هواك ، وشُحَّ بنفسك عمّا لا يحلّ لك ، فإنّ الشُحّ بالنّفس الأنصاف منها فيما أحبّت أو كَرِهَت (ر/٥٣) .

* (إلى بعض عماله) : أمّا بعد ، فقد بلغني عنك أمر ، إن كنتَ فَعَلْتَه فقد أسخطتَ ربّك ، وعصيتَ إمامك ، وأخزيتَ أمانتك : بَلَغَني أنّك جَرَّدتَ الأرض ، فأخذتَ ما تحتَ قدميك ، وأكَلْتَ ما تحت يديك ، فارفع إليّ حسابك ، واعلم أنّ حساب الله أعظم من حساب النّاس والسّلام (ر/٤٠) .

* (إلى مصقلة بن هبيرة الشّيباني ، وهو عامله على أردشيرخُرّة) : بلغني عنك أمرٌ إن كنت فعلته فقد اسخطت إلٰهك ، وعصيتَ إمامك : إنّك تقسم فَيء المسلمين الّذي حازته رِماحُهم وخيولهم ، وأريقَت عليه دماؤهم ، فيمن اعتامك من أعراب قومك ، فو الّذي فلق الحبّة ، و بَرَأ النَّسَمَة ، لئن كان ذٰلك حقاً لَتَجِدَنّ لك عليّ هواناً ، ولَتَخِفَّنّ عندي ميزاناً ، فلا تَستَهِنْ بحقّ ربّك ، ولا تُصْلِح دُنياك بمحق دينك ، فتكون من الأخسرين أعمالاً . ألا وإنّ حقّ مَن قِبَلَكَ وقِبَلَنا من المسلمين في قسمة هٰذا الفَيء سواء : يَرِدون عندي عليه ، و يَصْدُرون عنه (ر/٤٣) .

* ثمّ إنّ للوالي خاصّة و بِطانة ، فيهم استئثارٌ وتطاول ، وقلّة إنصاف في معاملة ، فاحسم مادّة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال ، ولا تَقْطَعَنَّ لأحدٍ من حاشيتك وحامّتك قطيعةً ، ولا يَطْمَعَنَّ منك في اعتقاد عقدة ، تَضُرُّ بمن يليها من النّاس ، في شربٍ أو عملٍ مُشْتَرَكٍ ، يحملون مؤونته علىٰ غيرهم ، فيكون مَهْنَأ ذٰلك لهم دونك ، وعَيْبُهُ عليك في الدّنيا والآخرة (ر/٥٣) .

(٣٢٨) أن يكون مطيعاً لله ولرسوله ، عالماً بالقرآن والسّنة النبويّة عاملاً بهما ، وأن لا يحيد عنهما في حكمه قيد شعرة ، وأن يكون ذا تجربة في الحكم :

* أيها النّاس ، إنّ أحقّ النّاس بهذا الأمر أقواهم عليه ، وأعلمهم بأمر الله فيه (خ/١٧٣) .

* فلمّا أفضت إليّ نظرتُ إلى كتاب الله وما وضع لنا ، وأَمَرَنا بالحكم به فاتّبعتُه ، وما استنّ النّبيّ (ص) فاقتديتُهُ ... وأمّا ما ذكرتما من أمر الأسوة ، فإنّ ذلك أمرٌ لم أحكم أنا فيه برأيي ، ولا وَلِيتُهُ هوىً منّي ، بل وجدتُ أنا وأنتما ما جاء به رسول الله (ص) قد فُرِغ منه (ك/٢٠٥) .

* وقد علمتم أنّه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدّماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل ... ولا الجاهل فيُضِلُّهم بجهله ، ولا الجافي ... ولا الحائف للدّول ... ولا المرتشي في الحكم ... ولا المعَطِل للسُّنّة فيُهلِك الأمّة (ك/١٣١) .

* (مخاطباً عثمان بن عفّان) : فاعلم أنّ أفضل عبٰاد الله عند الله إمام عادلٌ هُدِيَ وهَدى فأقام سُنَّةً معلومة ، وأمات بدعةً مجهولة ، وإنّ السُّنَن لنيّرة ، لها أعلام ، وإنّ البِدَع لَظاهرة ، لها أعلام ، وإنّ شرّ النّاس عند الله إمامٌ جائر ضَلّ وضُلّ به ، فأمات سُنَّةً مأخوذة ، وأحيا بدعةً متروكة (ك/١٦٤) .

* (إلى الحارث الهمذاني) : وتَمَسّك بحبل القرآن واستنِصحُه ، وأَحِلّ حلاله ، وحَرِّم حرامه (ر/٦٩) .

* إنّه ليس على الامام إلاّ ما حمل من أمر ربه ... والأحياء للسُنَّة (خ/١٠٣) .

* والواجب عليك أن تتذكّر ما مضى لمن تقدّمك من حكومةٍ عادلة ، أو سُنّةٍ فاضلة ، أو أثرٍ عن نبيّنا (ص) أو فريضةٍ في كتاب الله ، فتقتدي بما شاهدتَ ممّا عملنا به فيها (ر/٥٣) .

* ولا تَنْقُض سُنّةً صالحةً عمل بها صدور هذه الأمّة ، واجتمعت بها الأُلْفَة ، وصَلَحتْ عليها الرّعيّة ، ولا تُحْدِثَنَّ سُنّةً تَضُرُّ بشيء من ماضي تلك السُنَن ، فيكون الأجر لمن سَنّها ، والوِزْرُ عليك بما نقضتَ فيها (ر/٥٣) .

* أمَرَه بتقوى الله ، وإيثار طاعته ، واتّباع ما أمر به في كتابه : من فرائضه وسُنَنِه ، الّتي لا يَسْعَدُ أحدٌ إلاّ باتّباعها ، ولا يَشْقىٰ إلاّ مع جُحودها وإضاعتها (ر/٥٣) .

* وَارْدُدْ إلى الله ورسوله ما يُضْلِعُك من الخطوب ، و يَشْتَبهُ عليكَ من الأمور؛ فقد قال الله تعالىٰ لقومٍ أَحَبَّ إرشادَهُمْ : « يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم ، فإن تنازَعْتُم في شيءٍ فَرُدُّوهُ إلىٰ الله والرّسول » فالرَّدّ إلى الله : الأخذ بمُحْكم كتابه ، والرَّدّ إلى الرّسول : الأخذُ بسنّته الجامعة غير المفرِّقة (ر/٥٣) .

* الايمان على أربع دعائم : علىٰ الصّبر واليقين والعدل والجهاد ... والعدل منها على أربع شُعَب : علىٰ غائص الفهم ، وغَوْر العلم ، وزُهرة الحكم ، ورساخة الحِلْم فمن فَهِمَ عَلِمَ غَوْرَ العلم ، ومَن عَلِمَ غور العلم صَدَرَ عن شرائع الحكم ، ومَن حَلِمَ لم يفرّط في أمره ، وعاش في النّاس حميداً (ح/٣١) .

* لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق (ح/١٦٥).
* ثمّ انظر في أمور عمّالك ... وتَوَخَّ منهم أهل التّجربة والحياء (ر/٥٣).

(٣٢٩) ٧ ــ أن يكون عادلاً وأن لا يحيد عن إحقاق الحقّ وإن كرثه، ولا تأخذه في ذلك لومة لائم:

* لا يقيم أمر الله سبحانه إلاّ من لا يصانع ولا يضارع ولا يتّبع المطامع (ح/١١٠).
* وليكن أحبّ الأمور إليك أوسطها في الحقّ، وأعمّها في العدل (ر/٥١).
* فالحقّ أوسع الأشياء في التّواصف، وأضيقها في التّناصف، لا يجري لأحدٍ إلاّ جرى عليه، ولا يجري عليه إلاّ جرى له، ولو كان لأحدٍ أن يجري له ولا يجري عليه لكان ذلك خالصاً لله سبحانه دون خلقه لقدرته على عباده ،ولعدله في كلّ ما جرت عليه صروف قصائه (خ/٢١٤).
* الذّليل عندي عزيز حتّى آخذ الحقّ له، والقويّ عندي ضعيف حتّى آخذ الحقّ منه (ك/٣٧).
* وأيم الله، لأبْقُرَنَّ الباطل حتّى أُخْرِجَ الحقّ من خاصرته! (خ/١٠٤).
* إنّ أفضل النّاس عند الله من كان العمل بالحقّ أحبَّ إليه ــ وإن نقصه وكرثه ــ من الباطل وإن جرَّ إليه فائدة وزادة (ك/١٢٥).
* وألْزِم الحقّ مَن لَزِمَهُ من القريب والبعيد، وكن في ذلك صابراً محتسباً، واقعاً ذلك من قرابتك وخاصّتك حيث وقع، وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه، فإنّ مغبّة ذلك محمودة (ر/٥٣).

* (إلى بعض عماله): فاتّق الله واردد إلى هؤلاء القوم أموالهم، فإنّك إن لم تفعل ثمّ أمكنني الله منك لأُعذِرَنّ إلى الله فيك، ... ووالله لو أنّ الحسن والحسين فعلا مثل الّذي فعلْتَ، ما كانت لهما عندي هوادة، ولا ظَفِرا منّي بإرادة، حتّى آخذ الحقّ منهما، وأزيح الباطل عن مظلمتهما (ر/٤١).
* أمّا بعد، فإنّ الوالي إذا اختلف هواه مَنَعَهُ ذلك كثيراً من العدل، فليكن أمْرُ النّاس عندك في الحقّ سواءً، فإنّه ليس في الجور عِوَضٌ عن العدل (ر/٥٩).

* والله لو وجدتُه قد تُزُوّج به النّساء ، ومُلِكَ به الإماء ، لَرَدَدْتُه ؛ فإنّ في العدل سعة ، ومن ضاق عليه العدل ، فالجور عليه أضيق ! (ك/١٥) .

(٣٣٠) أحاديث أخرى للامام عليه السّلام عامّة في العدل والظّلم والجور:

* ولا تَظْلِمْ كما لا تحبّ أن تُظْلَم (ر/٣١) .
* وظلم الضّعيف أفحش الظّلم (ر/٣١) .
* للظّالم البادي غداً بكفّه عضّة (ح/١٨٦) .
* بئس الزّاد إلى المعاد ، العدوان على العباد (ح/٢٢١) .
* يوم المظلوم على الظّالم أشدّ من يوم الظّالم علىٰ المظلوم (ح/٢٤١) .
* يوم العدل على الظّالم أشدّ من يوم الجور على المظلوم (ح/٣٤١) .
* للظّالم من الرّجال ثلاث علامات : يظلم مَن فوقه بالمعصية ، ومَن دونه بالغَلَبَة ، و يظاهِرِ القومَ الظَّلَمَة (ح/٣٥٠) .
* ولا ترخّصوا لأنفسكم ، فتذهب بكم الرُّخَص مذاهبَ الظَّلَمَة (خ/٨٦) .
* ألا وإنّ الظّلم ثلاثةً : فظلمٌ لا يُغْتَفَر ، وظلمٌ لا يُتْرَك ، وظلمٌ مغفورٌ لا يُطْلَب . فأمّا الظلّم الّذي لا يُغْفَر فالشّرك بالله ، قال تعالىٰ : « إنّ الله لا يغفر أن يشرك به » . وأمّا الظّلم الّذي يُغْفَر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات . وأمّا الظّلم الّذي لا يُتْرَك فظلم العباد بعضهم بعضاً . القصاص هناك شديد ؛ ليس هو جرحاً بالمُدى ، ولا ضرباً بالسّياط ، ولكنّه ما يُسْتَصْغَر ذلك معه (خ/١٧٦) .
* وسُئِل عليه السّلام : أيّهما أفضل : العدل أو الجود ؟ فقال عليه السّلام : العدل يضع الأمور مواضِعَها ، والجود يخرجها من جهتها . العدل سائس عامٌ ، والجود عارض خاص . فالعدل أشرفهما وأفضلهما (ح/٢٣٧) .
* والعدل منها (دعائم الأيمان) علىٰ أربع شعب : علىٰ غائص الفهم ، وغور العلم ، وزهرة الحكم ، ورساخة الحِلْم : فمن فهم علم غور العلم ، ومن علم غور العلم صدرعن شرائع الحكم ، ومن حلم لم يفرّط في أمره وعاش في النّاس حميداً (ح/٣٠) .
* ليس من العدل القضاء على الثّقة بالظّنّ (ح/٢٢٠) .

* ولا يكبرنّ عليك ظلم من ظلمك ، فإنّه يَسْعَىٰ في مضرّته ونفعك . وليس جزاء من سرّك أن تسوءه (ر/٣١) .

* ومَن سلّ سيف البغي قُتِلَ به (ح/٣٤٩) .

* و بالسّيرة العادلة يُقْهَر المناوىء (ح/٢٢٤) .

* وقال عليه السّلام في قوله تعالىٰ : « إنّ الله يأمر بالعدل والاحسان » العدل : الانصاف ، والاحسان : التفضّل (ح/٢٣١) .

(٣٣١) ٨ ـ أن يكن متروّياً في إصدار الأوامر والأحكام ، وحليماً هادىء النّفس ولا تضيق به الأمور ، ويضع كل شيء في موضعه :

* وإيّاك والعجلة بالأمور قبل أوانها ، أو التسقّط فيها عند إمكانها ، أو اللّجاجة فيها إذا تنكّرت ، أو الوهن عنها إذا استوضحت ، فضع كلّ أمر موضعه ، وأوْقِع كلّ أمرٍ موقعه (ر/٥٣) .

* اَملِك حميّة أنفك ، وسورة حدّك ، وسطوة يدك ، وغرب لسانك ، واحترس من كلّ ذلك بكفّ البادرة وتأخير السّطوة ، حتّى يسكن غضبُك فتملك الاختيار : ولن تُحْكُمَ ذلك من نفسك حتّى تُكْثِرَ همومك بذكر المعاد إلىٰ ربّك (ر/٥٣) .

* ولا تُسرِعَنَّ إلىٰ بادرةٍ وَجَدْتَ منها مندوحة (ر/٥٣) .

* أمّا بعد ، فإنّ دهاقين أهل بلدك شَكَوا منك غِلْظَةً وقسوة ، واحتقاراً وجَفوة ، ونظرتُ فلم أرَهُمْ أهلاً لأن يَدْنُوا لشِرْكهم ، ولا أن يُقْصَوا و يُجْفَوا ، لعهدهم ، فالبس لهم جلباباً من اللّين تشوبُهُ بطَرَفٍ من الشدّة ، وداوِل لهم بين القسوة والرّأفة ، وامزج لهم بين التّقريب والإدناء ، والإبعاد والإقصاء إن شاء الله (ر/١٩) .

* واخلِطِ الشّدّة بضغثٍ من اللّين ، وارفُق ما كان الرّفقُ أرْفَق ، واعتزم بالشدّة حين لا تُغني عنك إلاّ الشدّة (ر/٢٦) .

* الايمان على أربع دعائم ... والعدل منها على أربع شعب : على غائص الفهم ، وغَوْر العلم ، وزُهرة الحكم ، ورساخة العِلم ، فمن فهم علم غور العلم ، ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم ، ومن حلم لم يفرّط في أمره ، وعاش في النّاس حميداً (ح/٣١) .

(٣٣٢) ٩ ــ أن يحسن إلى رعيّته ويزيد من إحسانه إليهم كلّما أمكنه ذلك، ولا يمنّ عليهم بذلك أبداً:

* واعلم أنّه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظنّ راعٍ برعيّته من إحسانه إليهم ... فليكن منك في ذلك أمرٌ يجتمع لك به حسن الظّنّ ويقطع نصباً طويلاً، وإنّ أحقّ من حسن ظنّك به لمن حسن بلاؤك عنده، وإن أحقّ من ساء ظنّك لمن ساء بلاؤك عنده (ر/٥٣).

* وإيّاك والمنّ على رعيّتك بإحسانك، أو التزيّد فيما كان من فعلك، أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك، فإنّ المنّ يبطل الاحسان، والتزيّد يذهب بنور الحقّ، والخلف يوجب المقت (ر/٥٣).

* فما أسرع كفّ النّاس عن مسألتك إذا أَيِسُوا مِن بَذْلِك! مع أنّ أكثر حاجات النّاس إليك ممّا لا مؤونة فيه عليك؛ من شكاة مَظْلِمَة، أو طَلَب إنصافٍ في معاملة (ر/٥٣).

* ثمّ تفقّد من أمورهم ما يتفقّد الوالدان من وَلَدِهما، ولا يتفاقَمَنّ في نفسك شيءٌ قوّيتهم به، ولا تحْقِرَنّ لُطفاً تعاهدتهم به وإن قَلّ؛ فإنّه داعيةٌ لهم إلى بذل النّصيحة لك، وحسن الظنّ بك، ولا تَدَع تفقُّد لطيف أمورهم اتّكالاً على جسيمها، فإن لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به، وللجسيم موقعاً لايستغنون عنه (ر/٥٣).

* وأعطِ ما أعطيتَ هنيئاً، وامنع في إجمالٍ وإعذار! (ر/٥٣).

(٣٣٣) ١٠ ــ أن يهتمّ بكلّ صغيرةٍ وكبيرة في بلاده ويعطيها اهتمامه كاملاً، ورعايته كاملة:

* اتّقوا الله في عباده وبلاده، فإنّكم مسؤولون حتّى عن البقاع والبهائم (خ/١٦٧).

* وكلٌّ قد استُرعِيْتَ حقّه، فلا يشغلنّك عنهم بَطَر، فإنّك لا تُعْذَر بتضييعك التّافه، لإحكامك الكثير المهم، فلا تشخص همّك عنهم، ولا تصعّر خدّك لهم، وتفقّد أمور من لا يصل إليك منهم؛ ممّن تقتحمه العيون، وتحقّره الرّجال، ففرّغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتّواضع، فليرفع إليك أمورهم، ثمّ اعمل فيهم بالاعذار إلى الله يوم تلقاه ... وكلٌّ فأعذر إلى الله في تأدية حقّه إليه (ر/٥٣).

(٣٣٤) أن يكون ذا حياء :

• ثمّ انظر في أمور عمّالك . . . وتَوَخَّ منهم أهل التجربة والحياء (ر/٥٣) .

الباب الخامس عشر : الجانب الإقتصادي

الفصل الأوّل : في الخطوات الأخلاقيّة

الفصل الثّاني : في الخطوات القانونيّة

« الجانب الاقتصادي »

يعتمد الاسلام علىٰ الخطوات الأخلاقية إلى جانب الخطوات القانونيّة في جانبه الاقتصادي ، وهٰذا ما سار عليه الامام علي (ع) ، وعليه فقد رتّبنا خطواته في هٰذا المجال كما يلي :

١ ــ خطوات أخلاقية .

٢ ــ خطوات قانونيّة .

« الخطوات الأخلاقيّة »

ففيما يتعلّق بالخطوات الأخلاقية أكّد الامام عليه السلام علىٰ ما يلي :

(٣٣٥) ١ ـ التّحسيس بآلام الفقراء ، والحثّ علىٰ تقديم المعونة لهم :

* إضرب بطرفك حيث شئت من النّاس ، فهل تبصر الّا فقيراً يكابد فقراً ، أو غنيّاً بدّل نعمة الله كفراً ، أو بخيلاً اتّخذ البخل بحقّ الله وفراً . . . أفبهٰذا تريدون أن تجاوروا الله في دار قدسه ، وتكونوا أعزّ أوليائه عنده ؟ هيهات ! لا يُخدَع الله عن جنّته (خ/٢١٩) .

* هيهات أن يغلبني هواي و يقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة ، ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ، ولا عهد له بالشّبع ، أو أبيت مبطاناً وحولي بطونٌ غرثىٰ وأكبادٌ حرّىٰ ، أو أكون كما قال القائل :

وحسبك داءً أن تبيت ببطنةٍ وحولك أكبادٌ تحنّ إلى القدّ (ر/٤٥)

* فمن آتاه الله مالاً فليصل به القرابة ، وليحسن منه الضّيافة ، وليفكّ به الأسير والعاني ، وليعط منه الفقير والغارم ، وليصبر نفسه على الحقوق والنوّائب ابتغاء الثّواب ، فإنّ فوزاً بهٰذه الخصال شرف مكارم الدّنيا ، ودرك فضائل الآخرة إن شاء الله (ك/١٤٢) .

* وتطمع ـ وأنت متمرّغ في النّعيم تمنعه الضّعيف والأرملة ـ أن يوجب لك ثواب المتصدّقين ، وإنّما المرء مجزيّ بما أسلف ، وقادمٌ علىٰ ما قدّم (ر/٢١) .

* ألا لا يعدلنّ أحدكم عن القرابة يرى بها الخصاصة أن يسدّها بالّذي لا يزيده إن أمسكه ، ولا ينقصه إن أهلكه (خ/٢٣) .

* وإذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك إلىٰ يوم القيامة فيوافيك به غداً حيث تحتاج إليه ، فاغتنمه وحمّله إيّاه ، وأكثر من تزو يده وأنت قادرٌ عليه ، فلعلّك تطلبه فلا

تجده (ر/٣١).

* لا تستحِ من إعطاء القليل، فإنّ الحرمان أقلّ منه (ح/٦٧).

(٣٣٦) ٢ ــ الحثّ على الزّهد بالحياة الدّنيا، والاهتمام بالآخرة:

* والزّهد ثروة (ح/٤).

* ألا فما يصنع بالدّنيا مَن خُلِقَ للآخرة! وما يصنع بالمال مَن عمّا قليلٍ يُسْلَبُه، و يبقىٰ عليه تبعتُهُ وحسابُه (خ/١٥٧).

* (للعلاء بن زياد الحارثيّ وقد رأى سعة داره):

ما كنتَ تصنع بسعة هٰذه الدّار في الدّنيا، وأنت إليها في الآخرة كنتَ أحوج؟ بلىٰ إن شئت بلغت بها الآخرة؛ تقري فيها الضّيف، وتصل فيها الرّحم، وتطلع منها الحقوق مطالعها، فإذا أنت قد بلغت بها الآخرة (ك/٢٠٩).

* أيّها النّاس، انظروا إلى الدّنيا نظر الزّاهدين فيها، الصّادفين عنها؛ فإنّها والله عمّا قليل تزيل الثّاويَ السّاكن، وتفجع المُتْرَف الآمن؛ لا يرجع ما تولّى منها فأدبر، ولا يُدرَى ما هو آتٍ منها فيُنتَظَر... فلا يغرّنّكم كثرة ما يعجبكم فيها لقلّة ما يصحبكم منها (خ/١٠٣).

* وما نِلْتَ من دنياك فلا تُكْثِر به فَرَحاً، وما فاتك منها فلا تأسَ عليه جزعاً، وليكن همّك فيما بعد الموت (ر/٢٢).

* عباد الله أوصيكم بالرّفض لهٰذه الدّنيا التّاركة لكم وإن لم تحبّوا تركها، والمبلية لأجسامكم. وإن كنتم تحبّون تجديدها، فإنّما مثلكم ومثلها كسَفْرٍ سلكوا سبيلاً فكأنّهم قد قطعوه، وأمّوا عَلَماً فكأنّهم قد بلغوه... فلا تنافَسُوا في عزّ الدّنيا وفخرها، ولا تعجبوا بزينتها ونعيمها، ولا تجزعوا من ضرّائها و بؤسها، فإنّ عزّها وفخرها إلى انقطاع، وإنّ زينتها ونعيمها إلى زوال، وضرّآئها و بؤسها إلىٰ نفاد (خ/٩٧).

* النّاس في الدّنيا عاملان: عامل في الدّنيا للدّنيا، قد شغلته دنياه عن آخرته، يخشى علىٰ من يخلّفه الفقر، و يأمنه علىٰ نفسه، فيفني عمره في منفعة غيره، وعامل عمل في الدّنيا لما بعدها، فجاءه الّذي له من الدّنيا بغير عمل، فأحرز الحظّين معاً، وملك الدّارين جميعاً،

فأصبح وجيهاً عند الله ، لا يسأل الله حاجة فيمنعه (ح/٢٦٩) .

* واعلموا أنّ المتّقين ذهبوا بعاجل الدّنيا وآجل الآخرة فشاركوا أهل الدّنيا في دنياهم ، ولم يشاركهم أهل الدّنيا في آخرتهم ، سكنوا الدّنيا بأفضل ما سُكِنَت ، وأكلوها بأفضل ما اُكِلَتْ ، فحظوا من الدّنيا بما حَظِيَ به المترفون ، وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبّرون ؛ ثمّ انقلبوا عنها بالزّاد المبلّغ ، والمتجر الرّابح (ر/٢٧) .

* فمن طلب الدّنيا طلبه الموت حتّى يخرجَه منها ؛ ومن طَلَبَ الآخرة طلبته الدّنيا حتّى يستوفي رزقه منها (ح/٤٣١) .

* واعلموا أنّ ما نقص من الدّنيا وزاد في الآخرة خيرٌ ممّا نقص من الآخرة وزاد في الدّنيا ؛ فكم من منقوصٍ رابح ، ومزيدٍ خاسر ، ... فذروا ما قلّ لما كثر ، وما ضاق لما اتّسع (خ/١١٤) .

(٣٣٧) ٣ ــ التّأكيد علىٰ مفهوم التّخويل المالي للأنسان من قبل الله ، وأنّ الأنسان كلّما زاد ماله كبرت مسؤولياته ، وكثرت تبعاته ، وإن الأنفاق يزيد المال ولا ينقصه :

* إنّ لله عباداً يختصّهم الله بالنّعَم لمنافع العباد ، فيقرّها في أيديهم ما بذلوها ؛ فإذا منعوها نزعها منهم ، ثمّ حوّلها إلىٰ غيرهم (ح/٤٢٥) .

* وَقَدَّرَ الأرزاقَ فكَثَّرَها وقَلَّلَها ، وقَسَّمَها علىٰ الضّيق والسّعَة فعدل فيها ليبتلي من أراد بميسورها ومعسورها ، وليختبر بذلك الشّكر والصّبر من غنيّها وفقيرها (خ/٩١) .

* فلا أموال بذلتموها للّذي رَزَقَها (خ/١١٧) .

* فإنّه لم تَعْظُم نعمةَ الله علىٰ أحدٍ إلاّ ازداد حقّ الله عليه عِظَماً (خ/٢١٦) .

* إنّ لله في كلّ نعمةٍ حقّاً ، فمن أدّاه زاده منها ، ومَن قَصَّرَ فيه خاطر بزوال نعمته (ح/٢٢٤) .

* ياجابر ، مَن كثرت نعم الله عليه ، كثرت حوائج النّاس إليه (ح/٣٧٢) .

* يابن آدم إذا رأيت ربّك سبحانه يتابع عليك نِعَمَهُ وأنت تعصيه فاحذره (ح/٢٥) .

* ورُبَّ منعمٍ عليه مستدرَجٌ بالنُّعمىٰ (ح/٢٧٣) .

* فلا تعتبروا الرّضى والسُّخط بالمال والولد جهلاً بمواقع الفتنة ، والاختبار في موضع

الغنىٰ والاقتدار، فقد قال سبحانه وتعالى : « أيحسبون أنّ ما نمدّهم به من مالٍ و بنين نسارع لهم في الخيرات ؟

* إذا أملقتم فتاجروا الله بالصّدقة (ح/٢٥٨).
* استنزلوا الرّزق بالصّدقة (ح/١٣٧).
* من أيْقَنَ بالخَلَف جاد بالعطيّة (ح/١٣٨).
* ما كان الله ليفتح علىٰ عبدٍ باب الشّكر، و يغلق عنه باب الزّيادة (ح/٤٣٥).
* تنزل المعونة على قدر المؤونة (ح/١٣٩).
* مَن يُعْطِ باليد القصيرة يُعْطَ باليد الطّويلة (ح/٢٣٢).
* يابن آدم ما كسبتَ فوق قوتك، فأنت فيه خازنٌ لغيرك (ح/١٩٢).
* الصّدقة دواءٌ مُنْجِح (ح/٧).
* إنّ المسكينَ رسولُ الله، فمن منعه فقد منع الله، ومَن أعطاه فقد أعْطَىٰ الله (ح/٣٠٤).
* لا تسأل عمّا لا يكون، ففي الّذي قد كان لك شغل (ح/٣٦٤).

(٣٣٨) ٤ ـ التأكيد علىٰ القناعة والرّضا بالكفاف وعدم التذلّل للآخرين في طلب الرّزق، بل الاعتماد على النّفس والتوكّل على الله :

* ما أقبح الخضوع عند الحاجة، والجفاء عند الغنىٰ ... وإن كنت جازعاً علىٰ ما تَفَلّتَ من يديك، فاجزع على كلّ ما لم يصل إليك (ر/٣١).
* المنيّة ولا الدّنيّة، والتقلّل ولا التوسّل (ح/٣٩٦).
* وإيّاك أن توجف بك مطايا الطّمع، فتوردك مناهل الهلكة، وإن استطعت ألاّ يكون بينك و بين الله ذو نعمة فافعل، فإنّك مُدرِك قَسَمَك، وآخذٌ سهمك، وإنّ اليسير من الله سبحانه أعظم وأكرم من الكثير من خلقه وإن كان كلّ منه (ر/٣١).
* خذ من الدّنيا ما أتاك، وتولّ عمّا تولّىٰ عنك، فإن أنت لم تفعل فأجمل في الطّلب (ح/٢٩٣).
* اللّهم صُنْ وجهي باليسار، ولا تبذُل جاهي بالاقتار، فأسترزق طالبي رزقك، واستعطف شرار خلقك، وأبتلي بحمد من أعطاني، وافتتن بذمّ من منعني، وأنت من وراء

ذلك كلّه وليّ الأعطاء والمنع ، إنّك على كل شيء قدير(دعاء/٢٢٣) .

* يابن آدم ، لا تحمل همّ يومك الّذي لم يأتِكَ على يومك الّذي قد أتاك ، فإنّه إن يك من عُمرُك يأتِ الله فيه برزقك (ح/٢٦٧) .

* ومَن رَضِيَ برزق الله لم يحزن على ما فاته ... ومن أكثر من ذكر الموت رضي من الدّنيا باليسير(ح/٣٤٩) .

* وليس للعاقل أن يكون شاخصاً إلاّ في ثلاث : مرمّةٍ لمعاش ، أو خطوةٍ في معاد ، أو لذّةٍ في غير محرم (ح/٣٩٠) .

* إنّ الطمع مُوْرِدٌ غير مُصْدِر، وضامنٌ غير وفيّ ، وربّما شَرِقَ شارب الماء قبل ريّه ؛ وكلّما عظم قدر الشّيء والمتَنافَس فيه عظمت الرزيّة لفقده ، والأماني تُعمي أعين البصائر، والحظّ يأتي من لا يأتيه (ح/٢٧٥) .

* ولن يسبقك إلى رزقك طالب ، ولن يغلبك عليه غالب ، ولن يُبطِيء عنك ما قد قُدِّر لك (ح/٣٧٩) .

* طوبى لمن ذكر المعاد ، وعمل للحساب ، وقنع بالكفاف ، ورضي عن الله (ح/٤٤) .

* لا تكن ممّن ... إن أعطي منها (الدّنيا) لم يشبع ، وإن مُنِعَ منها لم يقنع (ح/١٥٠) .

* كفى بالقناعة ملكاً (ح/٢٢٩) .

* كلّ مقتَصَرٍ عليه كافٍ (ح/٣٩٥) .

* ولا كنز أغنى من القناعة ، ولا مال أذهب للفاقة من الرّضا بالقوت ، ومن أقتصر على بلغة الكفاف فقد أنتظم الرّاحة ، وتبوّأ خفض الدّعة (ح/٣٧١) .

* عزّ المؤمن غناه عن النّاس ، والقناعة مال لا ينفد (ح/٥٧) .

* ولا تسألوا فيها (الدّنيا) فوق الكفاف (خ/٤٥) .

* قال في تفسير « فلنحيينّه حياة طيّبة » هي : القناعة (ح/٢٢٩) .

* زهدك في راغب فيك نقصان حظّ ، ورغبتك في زاهد فيك ذلّ نفس (ح/٤٥١) .

* أزرى بنفسه من استشعر الطّمع ، ورضي بالذلّ من كشف عن ضرّه (ح/٢) .

* فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها (ح/٦٦) .

* الطّامع في وثاق الذلّ (ح/٢٢٦) .

* الطّمع رقّ مؤبّد (ح/١٨٠).

* ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله! وأحسن منه تِيهُ الفقراء على الأغنياء اتكالاً على الله (ح/٤٠٦).

* مرارة اليأس خير من الطلب الى الناس (خ/٢٧٠).

* ماء وجهك جامد يقطره السّؤال، فانظر عندمن تقطره (ح/٣٤٦).

* الغنى الأكبر، اليأس عمّا في أيدي النّاس (ح/٣٤٢).

* أمّا بعد، فإنّ الأمر ينزل من السّماء إلى الأرض كقطرات المطر إلى كلّ نفسٍ بما قُسِمَ لها من زيادة أو نقصان، فإن رأى أحدكم لأخيه غفيرةً في أهلٍ أو مال أو نفسٍ فلا تكونَنّ له فتنة؛ فإنّ المرء المسلم ما لم يغش دناءة تظهر فيخشع لها إذا ذُكِرَت، و يُغرىٰ بها لئام النّاس، كان كالفالِج الياسر الّذي ينتظر أوّل فوزةٍ من قداحِه توجبُ له المغنم، و يُرْفَعُ بها عنه المَغْرَم. وكذلك المرء المسلم البريء من الخيانة ينتظر من الله إحدى الحسنيين: إمّا داعيَ الله فما عند الله خيرٌ له، وإمّا رزق الله فإذا هو ذو أهلٍ ومال، ومعه دينه وحَسَبُه (خ/٢٣).

* ومَن أكثر من ذكر الموت رَضِيَ من الدّنيا باليسير (ح/٣٤٩).

* ومن أتىٰ غنيّاً فتواضع له لغناه، ذهب ثلثا دينه (ح/٢٢٨).

* ونِعْمَ القرين الرِّضىٰ (ح/٤).

* إنّ أولياء الله هم الّذين نظروا إلى باطن الدّنيا إذا نظر النّاس إلىٰ ظاهرها ... وتركوا منها ما عَلِمُوا أنّه سيتركهم، ورأوا استكثار غيرهم منها استقلالاً، ودَرَكَهُم لها فوتاً (ح/٤٣٢).

(٣٣٩) ٥ ــ التّأكيد علىٰ أنّ للمؤمن اهتماماته الكبرىٰ الّتي هي غير المال واللّهوث وراءه:

* فلتكن مسألتك فيما يبقىٰ لك جماله، و يُنفىٰ عنك و باله؛ فالمال لا يبقىٰ لك ولا تبقىٰ له (ر/٣١).

* (عن الصّلاة): وقد عرف حقّها رجالٌ من المؤمنين، الّذين لا تشغلهم عنها زينة

متاع ، ولا قرّة عينٍ من ولدٍ ولا مال (خ/١٩٩) .

* الغِنىٰ والفقر بعد العرض على الله (ح/٤٥٢) .

* أشرف الغنىٰ ترك المنىٰ (ح/٣٤) .

* المال مادّة الشّهوات (ح/٥٨) .

* إنّ أغنىٰ الغنىٰ العقل ، وأكبر الفقر الحُمْق (ح/٣٨) .

* لا مال أعود من العقل (ح/١١٣) .

* لا غنى كالعقل ، ولا فقر كالجهل (ح/٥٤) .

* ياكميل ، العلم خيرمن المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والمال تنقصه النّفقة ، والعلم يزكوعلى الأنفاق ، وصنيع المال يزول بزواله ... والعلم حاكم والمال محكوم عليه ياكميل ، هلك خزّان الأموال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدّهر(ح/١٤٧) .

* أنا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الفجّار(ح/٣١٦) .

* ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ، ولكنّ الخير أن يكثر علمك ، وأن يعظم حلمك (ح/٩٤) .

* إنّ أخسر النّاس صفقة وأخيبهم سعياً رجلٌ أخلق بدنه في طلب ماله ، ولم تساعده المقادير على إرادته ، فخرج من الدّنيا بحسرته ، وقدم على الآخرة بتبعته (ح/٤٣٠) .

* ألا وإنّ اللّسان الصّالح يجعله الله تعالى للمرء في النّاس ، خيرٌ له من المال يورثه من لا يَحْمَدُه (ك/١٢٠) .

* ولا تجارة كالعملِ الصّالح ، ولا ربح كالثّواب (ح/١١٣) .

* ولبئس المتجر أن ترى الدّنيا لنفسك ثمناً ، وممّالك عند الله عوضاً (خ/٣٢) .

* وأنّ للذّكر لأهلاً أخذوه من الدّنيا بدلاً فلم تشغلهم تجارة ولا بيع عنه (خ/٢٢٢) .

* فو الله لو حننتم حنين الوُلَّه العِجال ، ودعوتم بهديل الحَمام ، وجأرتم جُؤار متبتّلي الرُّهبان ، وخرجتم إلى الله من الأموال والأولاد ، التماس القربة إليه في ارتفاع درجةٍ عنده ، أوغفران سيّئةٍ أحصتها كتبه ، وحفظتها رسله ، لكان قليلاً فيما أرجو لكم من ثوابه ، وأخاف عليكم من عقابه (خ/٥٢) .

* ولو تعلمون ما أعلم ممّا طُوِيَ عنكم غيبه ، إذاً لخرجتم إلى الصُّعدات ، تبكون علىٰ

أعمالكم ، وتلتدمون على أنفسكم ، ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا خالف عليها ، ولهمّت كلّ امرىءٍ منكم نفسه ، لا يلتفت إلى غيرها ، ولكنّكم نسيتم ما ذُكّرتم ، وأمنتم ما حُذِّرتُم ، فتاه عنكم رأيكم ، وتشتّت عليكم أمركم (خ/١١٦) .

* (ومن خبر ضرار بن حمزة الضّبائي عند دخوله على معاوية ومسألته له عن أمير المؤمنين ، وقال : فاشهد لقد رأيته في بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله ، وهو قائم في محرابه قابض علىٰ لحيته يتململ تململ السليم ، و يبكي بكاء الحزين ، و يقول) :

يادُنيا يادنيا ، إليكِ عنّي ، أبي تعرّضتِ ؟ أم إليّ تشوّقتِ ؟ لا حان حِيْنُكِ ! هيهات ! غُرّي غيري ، لا حاجة لي فيكِ ، قد طلّقتُكِ ثلاثاً لا رجعة فيها ! فعيشُكِ قصير ، وخَطَرُكِ يسير ، وأَمَلُكِ حقير ، آه من قلّة الزّاد ، وطول الطّريق ، و بعد السّفَر ، وعظيم المورد ! (ح/٧٧) .

* وما أصنع بفدك وغير فدك ، والنّفس مظانّها في غدٍ جَدَث ، تنقطع في ظلمته آثارُها وتغيب أخبارُها (ر/٤٥) .

(٣٤٠) ٦ ــ التّأكيد علىٰ ذمّ خزن المال ، وذمّ البخل ، والآثار السّلبية المترتّبة علىٰ من يهتّم بجمع المال ، أويبخل بماله ، ويخلّفه وراءه :

* ومن العناء أنّ المرء يجمع مالا يأكل ، و يبني مالا يسكن ، ثمّ يخرج إلى الله تعالى لا مالاً حمل ، ولا بناءً نَقَل ! (خ/١٩) .

* وقد رأيتَ من كان قبلك ممّن جمع المال ، وحَذِرَ الاقلال ، وأَمِنَ العواقب ــ طولَ أملٍ واستبعاد أَجَلٍ ــ كيف نزل به الموت فأزعجه عن وطنه ، وأخذه من مأمنه ، ... أما رأيتم الّذين يأملون بعيداً ، و يبنون مشيداً ، ويجمعون كثيراً ! كيف أصبحت بيوتهم قبوراً ، وما جَمَعوا بُوراً ؛ وصارت أموالهم للوارثين ، وأزواجهم لقومٍ آخرين ؛ لا في حسنةٍ يزيدون ، ولا من سَيئةٍ يستعتبون (خ/١٣٢) .

* وتعاديتم في كسب الأموال (خ/١٣٣) .

* وأصبحت مساكنهم أجداثاً ، وأموالهم ميراثاً (خ/٢٣٠) .

* هَلَكَ خُزّان الأموال وهم أحياء (ح/١٤٧) .

* يابْنَ آدم ، كن وَصِيَّ نفسك في مالك ، واعمل فيه ما تُؤْثِر أن يُعْمَلَ فيه من

بعدك (ح/٢٥٤) .

* لكلّ امرىء في ماله شريكان : الوارث والحوادث (ح/٣٣٥) .

* (المحتَضِر) : و يتذكّر أموالاً جمعها ... وأشرف على فراقها ، تبقى لمن وراءه ينعمون فيها ، و يتمتّعون بها ، فيكون المهنأ لغيره ، والعبء على ظهره (خ/١٠٩) .

* ياأهل الدّيار الموحشة ... أمّا الدّور فقد سُكِنَت ، وأمّا الأزواج فقد نُكِحَت ، وأمّا الأموال فقد قُسِمَت (ح/١٣٠) .

* واعلم أنّ أفضل المؤمنين أفضلهم تقدمةً من نفسه وأهله وماله ، فإنّك ما تقدّم من خيرٍ يبقى لك ذخره ، وما تؤخّره يكن لغيرك خيره (ر/٦٩) .

* (وقال لابنه الحسن عليهما السّلام) :

لا تُخَلِّفَنَّ وراءك شيئاً من الدّنيا ، فإنّك تخلّفه لأحد رجلين : إمّا رجلٌ عمل فيه بطاعة الله فَسَعِدَ بما شقيتَ به ، وإمّا رجلٌ عمل فيه بمعصية الله فشَقِيَ بما جمعت له ؛ فكنتَ عوناً له علىٰ معصيته ، وليس أحدُ هٰذَين حقيقاً أن تؤثره على نفسك .

أمّا بعد ، فإنّ الّذي في يدك من الدّنيا قد كان له أهلٌ قبلك ، وهو صائر إلىٰ أهلٍ بعدك ، وإنّما أنت جامعٌ لأحد رجلين : رجلٍ عمل فيما جمعته بطاعة الله فَسَعِدَ بما شقيتَ به ؛ أو رجلٍ عمل فيه بمعصية الله ، فشقيت بما جمعت له . وليس أحد هٰذَين أهلاً أن تؤثره علىٰ نفسك ، ولا أن تحمل له على ظهرك ، فارج لمن مضى رحمة الله ، ولمن بقي رزق الله (ح/٢١٦) .

(٣٤١) ٧ ــ التّأكيد على أن يكون طلب المال من الحلال وترك ما يُشْتَبَه به :

* إنّ أعظم الحسرات يوم القيامة حسرة رجلٍ كسبَ مالاً في غير طاعة الله ، فورثه رجل فأنفقه في طاعة الله سبحانه ، فدخل به الجنّة ، ودخل الأوّل به النّار (ح/٤٢٩) .

* فانظر ياشُرَيْح لا تكون ابتعتَ هٰذه الدّار من غير مالك ، أو نَقَدْتَ الثّمن من غير حلالك ! فإذا أنت قد خسرت دار الدّنيا ودار الآخرة ! (ر/٣) .

* العفاف زينة الفقر (ح/٦٨) .

* (المحتَضِر) : و يتذكّر أموالاً جَمَعَها ، أغمض في مطالبها ، وأَخَذَها من مصرَّحاتها

ومشتبهاتها ، قد لزمته تبعات جمعها ، وأشرف على فراقها ، تبقى لمن وراءه ينعمون فيها ، و يتمتّعون بها ، فيكون المهنأ لغيره ، والعبء على ظهره (خ/١٠٩) .

* فمن استطاع منكم أن يلقى الله تعالىٰ وهو نقيّ الرّاحة من دماء المسلمين وأموالهم ، سليم اللّسان من أعراضهم ، فليفعل (خ/١٧٦) .

* ولا تُدخْلِوا بطونكم لعق الحرام فإنّكم بِعين من حَرَّمَ عليكم المعصية (خ/١٥١) .

* الحجر الغصيب في الدّار رهنٌ علىٰ خرابها (ح/٢٤٠) .

* معاشر النّاس ، اتّقوا الله ، فكم من مؤمِّلٍ مالا يبلغه ، و بانٍ مالا يسكنه ، وجامِعٍ ما سوف يتركه ، ولعلّه من باطلٍ جَمَعه ، ومن حقٍّ منعه ، أصابه حراماً ، واحتمل به آثاماً ، فباء بوِزْرِهِ ، وقَدِم علىٰ ربّه ، آسفاً لاهفاً ، قد « خسر الدّنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين » (ح/٣٤٤) .

* والحِرفَةُ مع العفّة ، خيرٌ من الغِنَىٰ مع الفجور (خ/٢٧٠) .

(٣٤٢) ٨ ـ التّأكيد علىٰ أنّ من أهم أسباب الفقر هو استئثار الأغنياء بالمال وعدم إعطائهم المحرومين منه :

* إنّ الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء ، فما جاع فقيرٌ إلاّ بما مُتّع به غنيّ ، والله تعالىٰ سائلهم عن ذلك (ح/٣٢٨) .

(٣٤٣) ٩ ـ منع التّبذير والاسراف :

* كن سَمْحاً ، ولا تكن مبذّراً ، وكن مقدّراً ولا تكن مقتّراً (ح/٣٣) .

* فدع الأسراف مقتصداً (ر/٢١) .

* ألا وإنّ إعطاء المال في غير حقّه تبذير وإسراف (خ/١٢٦) .

* ما عال مَن اقتصد (ح/١٤٠) .

* لم يذهب من مالك ما وَعَظَك (ح/١٩٦) .

* وحفظ ما في يديك أحبّ إليّ من طلب ما في يدي غيرك (ر/٣١) .

(٣٤٤) ١٠ ـ حثّ الأغنياء على إقراض المحتاجين :

* واغتنم مَنْ استقرضك في حال غناك ، ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك (ر/٣١) .
* (الله تعالى) ولم يستقرضكم من قُلّ ... وَٱسْتَقْرَضَكُم وله خزائن السَّمٰوات والأرض (خ/١٨٣) .
* (الله تعالى) : ومن أقْرَضَهُ قَضاه (خ/٩٠) .

(٣٤٥) ١١ ـ الامام يؤكّد علىٰ أنّ الأسلام يمقت الثّراء الفاحش ، كما يمقت الفقر ، ولا يرضى إلاّ بالتّوازن الّذي فيه صلاح الدّنيا والآخرة :

* ما جاع فقير إلّا بما مُتّع به غنيّ (ح/٣٢٨) .
* وإذا بخل الغنيّ بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه (ر/٥٣) .
* المال مادّة الشهوات (ح/٥٨) .
* منهومان لا يشبعان : طالب علمٍ وطالب دنيا (ح/٤٥٧) .
* ومن لهج قلبه بحبّ الدّنيا التاط قلبه منها بثلاث : همٍّ لا يُغِبُّه ، وحرصٍ لا يتركُهُ ، وأملٍ لا يُدْرِكُه (ح/٢٢٨) .
* أمّا بعد ، فإنّ الدّنيا مشغلةٌ عن غيرها ، ولم يُصِب صاحبُها منها شيئاً إلاّ فتحت له حِرصاً عليها ، ولَهَجاً بها ، ولن يستغني صاحبها بما نال فيها عمّا لم يبلغه منها (ر/٤٩) .
* هلك خُزّان الأموال وهم أحياء (ح/١٤٧) .
* الفقر الموت الأكبر (ح/١٦٣) .
* وقال عليه السّلام لابنه محمّد بن الحنفيّة : يابنيّ ، إنّي أخاف عليك الفقر ، فاستعذ بالله منه ، فإنّ الفقر مَنْقَصَةٌ للدّين ، مَدْهَشَةٌ للعقل ، داعيةٌ للمقت (ح/٣١٩) .
* صواب الرّأي بالدُّوَل ، يقبل بإقبالها ، و يذهب بذهابها (ح/٣٣٩) .
* والفقر يُخرِس الفَطِنَ عن حجّته ، والمقلّ غريبٌ في بلدته (ح/٣) .
* الغنى في الغربة وطن ، والفقر في الوطن غربة (ح/٥٦) .
* إذا أقبَلَتِ الدّنيا علىٰ أحدٍ أعارته محاسن غيره ، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه (ح/٩) .

* عيبك مستور ما أسعدك جَدُّك (ح/٥١) .
* قلَة العيال أحد اليَسارَيْن (ح/١٤١) .

في الخطوات القانونيّة

في منابع بيت المال

(٣٤٦) ١ ــ الخراج، أهميّته، وإصلاحه :

* وتفقّد أمر الخراج بما يُصلح أهله، فإنّ في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلاّ بهم، لأنّ النّاس كلّهم عيال، على الخراج وأهله.

(٣٤٧) ثلاث نقاط لأصلاح الخَراج :

أ ــ يجب أن يكون الاهتمام بعمارة الأرض مقدّماً علىٰ الاهتمام باستجلاب الخراج :

* وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأنّ ذلك لا يُدرَك إلاّ بالعمارة؛ ومَن طلب الخراج بغير عمارة أخْرَبَ البلاد، وأهْلَكَ العباد، ولم يستقم أمره إلاّ قليلاً (ر/٥٣).

ب ــ يجب أن لا تنقل الدّولة من وطأة الخراج علىٰ أصحاب الأرض، وتخفيفه عندما تحدث بعض الطّوارىء :

* فان شَكَوا ثِقَلاً أو عِلَّةً، أو انقطاع شرب أو بالّة، أو إحالةَ أرض اغتمرها غَرَق، أو أجحف بها عطش، خَفَّفْتَ عنهم بما ترجو أن يَصْلُحَ به أمْرُهُمْ، ولا يَثْقُلَنَّ عليك شيء خَفَّفْتَ به المؤونة عنهم، فإنّه ذخرٌ يعودون به عليك في عمارة بلادك، وتزيين ولايتك، مع استجلابك حسن ثنائهم، وتبجّحك باستفاضة العدل فيهم، معتمداً فضل قوّتهم، بما

ذخرت عندهم من إجمامك لهم ، والثّقة منهم بما عوّدتَهم من عدلك عليهم ورفقك بهم . فربّما حَدَثَ من الأمور ما إذا عوّلتَ فيه عليهم من بعدُ احتملوه طيّبةً أنفسهم به ؛ فإنّ العُمران محتملٌ ما حَمَّلْتَه ، وإنّما يؤتىٰ خراب الأرض من إعواز أهلها ، وإنّما يُعْوِزُ أهلُها لأشراف أنفُس الولاة على الجمع ، وسوء ظنّهم بالبقاء ، وقلّة انتفاعهم بالعِبَر(ر/٥٣) .

* (وقال عليه السّلام لزياد بن أبيه وهو ينهاه عن زيادة الخراج) : استعمل العدل ، واحذر العسف والحيف . فإنّ العسف يعود بالجلاء ، والحيف يدعو إلى السّيف (ح/٤٧٦) .

ج ــ يجب الالتزام بالآداب الاسلامية عند استجلاب الخراج :

* (إلىٰ عمّاله على الخراج) :

ولا تُحْشِمُوا أحداً عن حاجته ، ولا تحبسوه عن طَلِبَتِه ، ولا تبيعُنّ للنّاس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف ، ولا دابّةً يعتملون عليها ، ولا عبداً ، ولا تضربُنّ أحداً سوطاً لمكان درهم ، ولا تَمَسُّنّ مال أحدٍ من النّاس ؛ مُصَلٍّ ولا معاهِد ، إلاّ أن تجدوا فرساً أو سلاحاً يُعْدَىٰ به علىٰ أهل الأسلام ، فإنّه لا ينبغي للمسلم أن يَدَعَ ذلك في أيدي أعداء الاسلام ، فيكون شوكةً عليهم (ر/٥١) .

(٣٤٨) ٢ ــ الزّكاة ، أهميّتها والحثّ عليها :

* ثمّ إنّ الزّكاة جُعِلَت مع الصّلاة قرباناً لأهل الاسلام ، فمن أعطاها طيّب النّفس بها ، فإنّها تُجْعَل له كفّارة ، ومن النّار حجازاً ووقاية . فلا يتبعنّها أحدٌ نفسه ، ولا يكثرنّ عليها لهفه ، فإنّ من أعطاها غير طيّب النّفس بها ، يرجو ما هو أفضل منها ، فهو جاهلٌ بالسّنّة ، مغبون الأجر ، ضالّ العمل ، طويل النّدم (خ/١٩٩) .

* إنّ أفضل ما توسّلَ به المتوسّلون إلى الله سبحانه وتعالىٰ : الايمان به و برسوله ... وإيتاء الزّكاة فإنّها فريضةٌ واجبة (خ/١١٠) .

* ومن ذلك ما حَرَسَ الله عباده المؤمنين بالصّلوات والزّكَوات ... تسكيناً لأطرافهم ، وتخشيعاً لأبصارهم ، وتخفيضاً لقلوبهم ... مع ما في الزّكاة من صرف ثمرات الأرض ، وغير ذلك من أهل المسكنة والفقر (خ/١٩٢) .

* حصّنوا أموالكم بالزّكاة (ح/١٤٦).
* والزّكاة تسبيباً للرّزق (ح/٢٥٢).
* (وقال عليه السّلام لغالب بن صعصعة أبي الفرزدق، في كلام دار بينهما): ما فعلت إبلك الكثيرة؟ قال: دغدغتها الحقوق ياأمير المؤمنين.

فقال عليه السّلام: ذلك أحْمَدُ سُبُلَها (ح/٤٤٦).
* يأتي على النّاس زمن عضوض، يعضّ الموسر فيه على ما في يده، لم يؤمر بذلك، قال الله سبحانه: «ولا تنسوا الفضل بينكم» (ح/٤٦٨).
* إنّ الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء. فما جاع فقير إلاّ بما مُتّعَ به غنيّ، والله تعالى سائلهم عن ذلك (ح/٣٢٨).

(٣٤٩) بعض الأحكام الخاصّة بالزّكاة:

* إنّ الرّجل إذا كان له الدّين الظّنون، يجب عليه أن يزكّيَهُ لما مضى إذا قبضه (ح/٦).
* ... أصِلَةٌ أم زكاةٌ أم صدقةٌ، فذلك محرّمٌ علينا أهل البيت (خ/٢٢٤).

(٣٥٠) في الآداب الّتي يجب أن يلتزمها آخذوا الزكاة أو (الصدقات):

* (إلى من يستعمله على الصّدقات): ولا تُرَوِّعَنّ مسلماً، ولا تجتازَنّ عليه كارهاً، ولا تأخُذَنّ منه أكثر من حقّ الله في ماله، فإذا قَدِمْتَ على الحيّ فأنزل بما ئهم من غير أن تخالط أبياتَهم، ثمّ امضِ إليهم بالسّكينة والوقار؛ حتّى تقوم بينهم فتسلّم عليهم، ولا تُخْدِج بالتّحيّة لهم، ثمّ تقول: عباد الله، أرسلني إليكم وليّ الله وخليفته، لآخذ منكم حقّ الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حقٍّ فتؤدّوه إلى وليّه؟ فإن قال قائل: لا، فلا تُراجِعْهُ، وإن أنْعَمَ لك مُنْعِم فانْطَلِقْ معه من غير أن تُخيِفَه أو تُوْعِدَه أو تَعْسِفَه أو تُرْهِقَه، فخذ ما أعطاك من ذهبٍ أو فِضّة، فإن كان له ماشية أو إبل فلا تَدْخُلْها إلاّ بإذنه، فإنّ أكثرها له، فإذا أتيْتَها فلا تدخلْ عليها دخولَ متسلّطٍ عليه ولا عنيفٍ به. ولا تُنَفِّرَنّ بهيمةً ولا تُفْزِعَنّها، ولا تسوءَنّ صاحِبها فيها، واصدَعِ المال صَدْعَيْن ثمّ خَيِّرْهُ، فإذا اختار فلا تَعْرِضَنّ لما اختاره، ثمّ اصدَعِ الباقي صَدْعَيْنِ، ثمّ خيّره، فإذا اختار فلا تَعْرِضَنّ لما اختاره، فلا

تزال كذلك حتّى يبقىٰ ما فيه وفاءٌ لحقّ الله في ماله ، فاقبض حقّ الله منه ، فإنِ اَسْتقالَكَ فأَقِلْهُ ، ثمّ اخلِطْهُما ثمّ اَصنَع مثل الّذي صنعتَ أوّلاً حتّى تأخذ حقّ الله في ماله ، ولا تأخُذَنّ عَوْداً ولا هَرِمَةً ولا مكسورةً ولا مهلوسةً ولا ذات عوارٍ ، ولا تأمَنَنّ عليها إلاّ مَنْ تَثِقُ بدِيْنهِ ، رافقاً بمال المسلمين حتّى يُوَصِّلَهُ إلى وليّهم فَيَقْسِمَهُ بينهم ، ولا توكّل بها إلا ناصحاً شفيقاً وأميناً حفيظاً ، غير مُعْنِف ولا مُجْحِف ، ولا مُلْغِب ولا مُتْعِب ، ثمّ احدُرْ إلينا ما اجتمع عندكَ نصِيرهُ حيث أمَرَ الله به ، فإذا أخذها أمينُك فأوعز إليه ألاّ يَحُولَ بين ناقةٍ و بين فصيلها ، ولا يَمْصُرَ لَبَنَها فَيَضُرَّ ذلك بولدها ؛ ولا يجهَدَنّها رُكوباً ، وَلْيَعْدِل بين صواحباتها في ذلك و بينها ، وَلْيُرَفِّه على اللاّغب ، وليستأنِ بالنَّقِب والظّالع ، وليوردها ما تمرّ به من الغُدُر ، ولا يعدل بها عن نبت الأرض إلى جوادّ الطّرق ، وليروّحها في السّاعات ، وليمهلها عند النّطاف والأعشاب ، حتّى تأتينا بإذن الله بُدّناً مُنْقِيات ، غير مُتْعَبات ولا مجهودات ، لنقسمها علىٰ كتاب الله وسنّة نبيّه صلّى الله عليه وآله (ر/٢٥) .

* (إلى بعض عماله وقد بَعَثَهُ على الصّدقة) :

وأمَرَه أن لا يَجْبَهَهُم ولا يعضههم ، ولا يرغب عنهم تفضُّلاً بالأمارة عليهم ، فإنّهم الاخوان في الدّين ، والأعوان علىٰ استخراج الحقوق (ر/٢٦) .

(٣٥١) ثانياً : في مصارف بيت المال :

* (كلّم به عبد الله بن زمعة ، وهو من شيعته ، وذلك أنّه قدم عليه في خلافته يطلب منه مالاً ، فقال عليه السّلام) :

إنّ هٰذا المال ليس لي ولا لك ، وإنّما هو فَيْءٌ للمسلمين ، وجَلْبُ أسيافهم ، فإن شركتَهم في حربهم ، كان لك مثل حَظّهم ، وإلاّ فَجَناةُ أيديهم لا تكون لغير أفواههم (ك/٢٣٢) .

* (بالنّسبة للولاة) : ثمّ أسْبِغ عليهم الأرزاق ، فإنّ ذلك قوّةٌ لهم علىٰ استصلاح أنفسهم ، وغِنىً لهم عن تناول ما تحت أيديهم ، وحُجّةٌ عليهم إن خالَفوا أمرك أو ثَلَمُوا أمانَتَك (ر/٥٣) .

* (بالنّسبة للقضاة) : وافسَحْ له في البذل ، ما يُزيل عِلّته ، وتقلّ معه حاجته إلى

النّاس (ر/٥٣).

* (بالنّسبة للجنود): لا قِوامَ للجنود إلّا بما يُخرِج الله لهم من الخراج الّذي يَقْوُوْنَ به علىٰ جهاد عدوّهم (ر/٥٣).

* وليكن آثر رؤوس جندك عندك، مَن واساهم في معونته، وأفضَلَ عليهم من جِدَته بما يَسَعُهُم و يَسَعُ مَن وراءهم من خُلُوفِ أهليهم، حتّى يكون هَمُّهُم همّاً واحداً في جهاد العدوّ (ر/٥٣).

* (إلىٰ قثم بن العبّاس، وهو عامله علىٰ مكّة):

وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلىٰ مَن قِبَلَك من ذوي العيال والمجاعة، مصيباً به مواضع الفاقة والخَلاّت، وما فضل عن ذلك فأحْمِلْهُ إلينا لِنَقْسِمَه فيمن قِبَلَنا (ر/٦٧).

* (إلى بعض عماله):

وإنّ لك في هٰذه الصَّدَقة نصيباً مفروضاً، وحقّاً معلوماً، وشركاء أهل مَسْكَنَة، وضُعَفاء ذوي فاقة، وإنّا موفّوك حقّك، فوفّهم حقوقهم، وإلّا تَفْعَل فإنّك من أكثر النّاس خصوماً يوم القيامة، و بُؤساً لمن خَصْمُهُ عند الله، الفقراء والمساكين والسّائلون والمدفوعون، والغارمون وابن السَّبيل! ومَن استهانَ بالأمانة، ورَتَعَ في الخيانة، ولم يُنَزِّه نفسه ودينَه عنها، فقد أحلّ بنفسه الذُّلّ والخزي في الدّنيا، وهو في الآخرة أذَلّ وأَخْزى، وإنّ أعظم الخيانة خيانة الأمّة، وأفظع الغِشّ غِشُّ الأئمَّة، والسّلام (ر/٢٦).

* ثمّ الله الله في الطّبقة السُّفلىٰ من الّذين لا حيلة لهم، من المساكين والمحتاجين وأهل البُؤْسَى والزَّمْنَى، فإنّ في هٰذه الطَّبَقَة قانِعاً ومُعْتَرّاً، واحفظ لله ما استَحْفَظَكَ من حقّه فيهم، واجعل لهم قِسْماً من بيت مالِك، وقِسْماً من غَلاّت صوافي الاسلام في كلّ بَلَد، فإنّ للأقصى منهم مثل الّذي للأدنىٰ، وكُلٌّ قد استُرعيتَ حقَّه ... فإنّ هٰؤلاء من بين الرّعيّة أحوج إلى الانصاف من غيرهم، وكلٌّ فَأَعْذِر إلىٰ الله في تأدية حقّه إليه، وتعهّد أهل اليُتْمِ وذوي الرِّقَّة في السّنّ ممّن لا حيلة له، ولا يَنْصِبُ للمسألة نفسَه (ر/٥٣).

في مبادىء عامّة يجب الألتزام بها عند الصّرف من بيت مال المسلمين :

(٣٥٢) ١ ــ اعتماد مبدأ التّسوية في العطاء :

* (إلى بعض عمّاله) :

ألَا وإنّ حقّ مَن قِبَلَكَ وقِبَلَنا من المسلمين ، في قسمة هذا الفيء سواء ؛ يردون عندي عليه ، و يصدرون عنه (ر/٤٣) .

* (قاله لطلحة والزّبير) :

وأمّا ما ذكرتما من أمر الأسوة ، فإنّ ذلك أمرٌ لم أحكم أنا فيه برأيي ، ولا وليتُهُ هَوىً منّي ، بل وجدت أنا وأنتما ما جاء به رسول الله (ص) قد فُرِغَ منه ، فلم أحتج إليكما فيما قد فرغ الله من قسمه ، وأمضى فيه حُكْمَه (ك/٢٠٥) .

(٣٥٣) ٢ ــ الحاكم وصيّ على بيت المال وليس مالكاً له ، فلا يحقّ له التصرّف به إلّا وفق الأسس الشّرعيّة ، وإلّا فهو خائن ، ويجب معاقبته :

* (إلىٰ مصقلة بن هبيرة الشّيباني ، وهو عامله علىٰ أردشير خرّه) :

بلغني عنك أمرٌ إن كنت فعلته فقد أسخطت إلٰهَكَ وعصيتَ إمامَك : انّك تقسم فَيْء المسلمين الّذي حازَتْهُ رماحهم وخيولهم ، وأريقت عليه دماؤهم ، فيمن اعتامك من أعراب قومك ، فو الّذي فلق الحبّة ، و برأ النَّسَمَة ، لئن كان ذلك حقّاً لَتَجِدَنّ لك عليّ هواناً ، ولَتَخِفَّنَّ عندي ميزاناً ، فلا تستهن بحقّ ربّك ، ولا تُصْلِح دنياك بمحق دينك ، فتكون من الأخسرين أعمالاً (ر/٤٣) .

* (إلى بعض عماله) :

فلّما أمكنتك الشِّدَّة في خيانة الأمّة أسرعتَ الكرّة ، وعاجلتَ الوثبة ، وأختطفتَ ما قدرتَ عليه من أموالهم المصونة لأ راملهم وأيتامهم اختطاف الذّئب الأزَلّ داميةَ المِعزى الكسيرة ، فحملته إلى الحجاز رحيبَ الصّدر بحَمْلِه ، غير متأثّم من أخذِهِ ، كأنّك ــ لا أباً لغيرك ــ حدرتَ إلىٰ أهلك تُراثَك من أبيك وأمّك ، فسبحان الله ! أما تؤمنُ بالمَعاد ؟ أوَ ما تخافُ نقِاشَ الحساب ؟.. كيف تُسِيْغُ شراباً وطعاماً ، وأنت تعلم أنّك تأكل حراماً ، وتشرب حراماً ، وتبتاع الاماء وتنكح النّساء من أموال اليتامىٰ والمساكين والمؤمنين

والمجاهدين ، الّذين أفاء الله عليهم هٰذه الأموال ، وأحرَزَ بهم هٰذه البلاد ! فاتّق الله واردد إلى هؤلاء القوم أموالهم ، فإنّك إن لم تفعل ثمّ أمكنني الله منك لأُعذِرَنّ إلى الله فيك ، ولأضربنّك بسيفي الّذي ما ضربتُ به أحداً إلّا دخل النّار ، ووالله لو أنّ الحسن والحسين فَعَلا مثل الّذي فعلتَ ، ما كانت لهما عندي هوادة ، ولا ظَفِرا منّي بإرادة ، حتّى آخذ الحقّ منهما ، وأزيح الباطل من مظلمتهما (ر/٤١) .

* (إلى زياد) : وإنّي أقسم بالله صادقاً ، لئن بَلَغَني أنّك خنتَ من فَيء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً ، لأَشُدَّنَّ عليك شدّةً تَدَعُكَ قليلَ الوَفْرِ ، ثقيلَ الظَّهرِ ، ضئيلَ الأمر ، والسّلام (ر/٢٠) .

* (إلى أشعث بن قيس عامل أذربيجان) :

وإنّ عملك ليس لك بطُعْمَة ، ولكنّه في عنقك أمانة ، وأنت مسترعًى لمن فوقك . ليس لك أن تفتات في رعيّة ، ولا تُخاطِر إلاّ بوثيقة ، وفي يديك مالٌ من مال الله عزّ وجلّ ، وأنت من خُزّانه حتّى تسلّمه إليّ ، ولَعَلّي ألاّ أكون شرّ وُلاتِكَ لك ، والسّلام (ر/٥) .

* (إلى بعض عمّاله) :

أمّا بعد ، فقد بلغني عنك أمرٌ ، إن كنتَ فعلته فقد أسخطت ربّك ، وعصيت إمامك ، وأخزيت أمانتك ، بلغني أنّك جرّدت الأرض فأخذتَ ما تحت قدميك ، وأكلت ما تحت يديك ، فارفع إليّ حسابك ، واعلم أنّ حساب الله أعظم من حساب النّاس ، والسّلام (ر/٤٠) .

* (لمّا عوتب عليه السّلام علىٰ التّسوية في العطاء) :

أتأمرونّي أن أطلب النّصر بالجور فيمن وُلّيت عليه ! والله لا أطور به ما سمر سمير ، وما أمّ نجمٌ في السّماء نجماً ! لو كان المال لي لسوّيت بينهم ، فكيف وإنّما المال مال الله ! ألا وإنّ إعطاء المال في غير حقّه تبذيرٌ وإسراف ، وهو يرفع صاحبه في الدّنيا ويضعه في الآخرة ، ويكرمه في النّاس ويهينه عند الله . ولم يضع امرؤ ماله في غير حقّه ولا عند غير أهله إلاّ حرمه الله شكرهم ، وكان لغيره ودّهم ، فإن زلّت به النّعل يوماً فاحتاج إلى معونتهم فشر خليل وألأم خدين (ك/١٢٦) .

(٣٥٤) في حكم المال المغصوب من بيت المال :

* (فيما ردّه علىٰ المسلمين من قطائع عثمان) :

والله لو وجدتُه قد تُزوِّج به النّساء ، ومُلِكَ به الاماء ؛ لرددته ، فإنّ في العدل سَعَة ، ومَن ضاق عليه العدل ، فالجور عليه أضيق ! (ك/١٥) .

في التجارة والصّناعة

(٣٥٥) في أهمّيّة التّجارة والصّناعة ، ووصاية الدّولة عليها ، ورقابتها ، ومحاسبتها :

* واعلم أنّ الرّعيّة طبقات لا يصلح بعضها إلّا ببعض ، ولا غِنًى ببعضها عن بعض ... ومنها التّجار وأهل الصّناعات ... ولا قوام لهم جميعاً إلاّ بالتجّار وذوي الصّناعات ، فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ، و يقيمونه من أسواقهم ، و يكفونهم من التّرفّق بأيديهم مالا يبلغه رفق غيرهم (ر/٥٣) .

* ثمّ استوصِ بالتّجار وذوي الصّناعات ، وأوْصِ بهم خيراً : المقيم منهم ، والمضطرب بماله ، والمترفّق ببدنه ، فإنّهم موادُّ المنافع ، وأسبابُ المَرافِق ، وجلاّبُها من المباعد والمطارح ؛ في برّك و بحرك ، وسهلك وجبلك ، وحيث لا يلتئم النّاس لمواضعها ، ولا يجترئون عليها . فإنّهم سلمٌ لا تُخاف بائقته ، وصُلْحٌ لا تُخْشَىٰ غائلتُه .

وتفقّد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك ، واعلم مع ذٰلك ؛ أنّ في كثيرٍ منهم ضيقاً فاحشاً ، وشُحّاً قبيحاً ، واحتكاراً للمنافع ، وتحكُّماً في البِياعات ، وذٰلك باب مضرّةٍ للعامّة ، وعيبٌ علىٰ الولاة ، فامنع من الأحتكار ، فإنّ رسول الله (ص) مَنَعَ منه ، وليكن البيع بيعاً سمحاً : بموازين عدلٍ ، وأسعارٍ لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع . فمن قارف حكرةً بعد نهيك إيّاه ، فنكّل به ، وعاقبه في غير أسراف (ر/٥٣) .

(٣٥٦) في أمورٍ عامّة تتعلّق بالتّجارة والصّناعة :

* من اتّجر بغير فقهٍ فقد ارتطم في الرّبا (ح/٤٤٧) .

* التّاجر مخاطر ، وربّ يسيرٍ أنمى من كثير... ولا تخاطر بشيء رجاء أكثر منه (خ/٢٧٢) .

* شارِكوا الّذي قد أقبل عليه الرّزق ، فإنّه أخلق للغِنَىٰ وأجدَر بإقبال الحظّ

عليه (ح/٢٣٠).

* ولا قائد كالتّوفيق (ح/١١٣).

* يأتي على النّاس زمانٌ عضوض ... تَنْهَدُ فيه الأشرار، وتُسْتَذَل الأخيار، و يبايع المضطرّون، وقد نَهَى رسول الله عن بَيْع المضطرّين (ح/٤٦٨).

* ليس بلدٌ بأحقّ من بلد، خير البلاد ما حملك (ح/٤٤٢).

* قال (ص): «ياعليّ، إنّ القوم سيُفْتَنون بأموالهم، ويمُنّون بدينهم على ربّهم، و يتمنّون رحمته، و يأمَنون سطوته، و يستحلّون حرامَه بالشّبهات الكاذبة، والأهواء السّاهية، فيستحلّون الخمر بالنّبيذ، والسُّحتَ بالهدّية، والرّبا بالبيع» (ك/١٥٦).

* ولا تُدْخِلُوا بطونكم لُعَقَ الحرام، فإنّكم بعين مَن حَرَّم عليكم المعصية، وسهّل لكم سُبُل الطّاعة (خ/١٥١).

* من كابد الأمور عطب، ومن اقتحم اللجّج غرق (ح/٣٤٩).

(٣٥٧) في الحثّ على العمل، واغتنام الفُرَص (ومسائل أخرى تتعلّق بالعمل):

* قدر الرّجل على قدر همّته (ح/٤٧).

* قد تكفَّلَ (سبحانه) لكم بالرّزق، وأُمِرْتُم بالعمل (خ/١١٤).

* ما أنقض النّوم لعزائم اليوم (ح/٢٣٩).

* فأسْعَ في كَدْحك، ولا تكن خازناً لغيرك (خ/٢٧٢).

* من طلب شيئاً ناله أو بعضه (ح/٣٨٦).

* مَن قَصَّرَ في العمل، ابْتُليَ بالهمّ (ح/١٢٧).

* وإيّاك والاتكال على المنى، فإنّها بضائع الموتى (ر/٣١).

* أضاعة الفرصة غُصَّة (ح/١١٨).

* والحرفة مع العفّة خيرٌ من الغنى مع الفجور (ر/٣١).

* بادر الفرصة قبل أن تكون غصّة (ح/٢٧٠).

* إذا هبتَ أمراً فقع فيه (ح/١٧٥).

* من الخَرق المعاجلة قبل الامكان، والأناة بعد الفرصة (ح/٣٦٣).

* قرنت الهيبة بالخيبة والفرصة تمرّ مرّ السّحاب، فانتهزوا فُرَصَ الخير (ح/٢٠).

الباب السّادس عشر: في الجهاد الأكبر أو «تهذيب النّفس»

تهذيب النّفس « الجهٰاد الأكبر »

(٣٥٨) في أنّ النّفس أمّارةٌ بالسّوء :

* فإنّ هٰذه النّفس أبعد شيءٍ مَنْزِعاً ، وإنّها لا تزال تَنْزِعُ إلىٰ معصيةٍ في هوىً (خ/٧٦) .

* (وقال عليه السّلام ، وقد مرّ بقتلىٰ الخوارج يوم النّهروان) :

بؤساً لكم ، لقد ضرّكم من غرّكم ، (فقيل له : مَن غَرَّهم ياأمير المؤمنين ؟) فقال : الشّيطان المُضِلّ ، والأنفس الأمّارة بالسّوء ، غرّتهم بالأماني ، وفَسَحَت لهم بالمعاصي ، ووعدتهم الاظهار ، فاقتحمت بهم النّار (ح/٣٢٣) .

* ونستعينُهُ (الله تعالى) علىٰ هٰذه النّفوس البِطاء عمّا أُمِرَت به ، السِّراع إلىٰ ما نُهِيَت عنه (خ/١١٤) .

* وأمَرَهُ أن يكسر نفسه من الشّهَوات ، و يَزَعَها عند الجَمَحات ، فإنّ النّفس أمّارةٌ بالسّوء ، إلّا ما رَحِمَ الله ... وتجتهد لنفسك في اتّباع ما عهدتُ إليك في عهدي هٰذا ، واستوثقتُ به من الحجّة لنفسي عليك ، لكيلا تكون لك علّة عند تسرّع نفسك إلى هواها (ر/٥٣) .

* فإنّي لستُ في نفسي بفوق أن أخطىء ، ولا آمَنُ ذلك من فعلي ، إلاّ أن يكفي الله من نفسي ما هو أمْلَكُ به منّي (خ/٢١٦) .

من أهم طرق تهذيب النّفس :

(٣٥٩) ١ ـ عدم الرّضى عنها ، واتّهامها دائماً وأبداً :

* واعلموا ـ عباد الله ـ أنّ المؤمن لا يُصْبح ولا يمسي إلاّ ونفسه ظَنون عنده ، فلا يزال

زارياً عليها ومستزيداً لها (خ/١٧٦) .

* (المتقون) قد بَرَاهُمُ الخوفُ بَرْيَ القِداح ، ينظر إليهم النّاظر فيحسبهم مرضى ، وما بالقوم من مرض ؛ و يقول : لقد خُولطوا ! ولقد خالطهم أمرٌ عظيم ! لا يرضَوْنَ من أعمالهم القليل ، ولا يستكثرون الكثير . فهم لأنفسهم متّهمون ، ومن أعمالهم مُشْفِقون ؛ إذا زُكّيَ أحدٌ منهم خافَ ممّا يقال له ، فيقول : أنا أعلم بنفسي من غيري ، وربّي أعلم بي مِنْ نفسي ! اللّهم لا تؤاخِذْني بما يقولون ، واجعلني أفضل ممّا يظنّون ، واغفر لي مالا يعلمون (خ/١٩٣) .

* فإنّي لستُ في نفسي بفَوْقِ أنْ أخطىء ، ولا آمَنُ ذلك من فعلي ، إلّا أن يكفي الله من نفسي ما هو أَمْلَكُ به منّي (خ/٢١٦) .

* ومَن رضي عن نفسه كثر السّاخطون عليه (ح/٦) .

* نعم القرين الرّضا (ح/٤) .

(٣٦٠) ٢ ــ محاسبتها دائماً وأبداً :

* عباد الله ، زِنوا أنفسكم من قبل أن توزنَوا ، وحاسِبوها من قبل أن تُحاسَبوا (خ/٩٠) .

* من حاسَبَ نَفْسَهُ رَبِح ، ومَن غَفَلَ عنها خَسِر ، ومن خاف أَمِن ، ومن اعتبر أبصر ، ومن أبصر فهم ، ومن فهم علم (ح/٢٠٨) .

* (أهل الذّكر) فلو مَثَّلْتَهُمْ لعقلِك في مقاومهم المحمودة ، ومجالسهم المشهودة ، وقد نَشَروا دواوين أعمالهم ، وفرغوا لمحاسبة أنفسهم علىٰ كلّ صغيرةٍ وكبيرة أُمِروا بها فقصّروا عنها ، أو نُهُوا عنها فَفَرَّطُوا فيها ، وحَمَّلوا ثِقَلَ أوزارِهم ظهورَهم ، فَضَعُفُوا عن الاستقلال بها ، فَنَشَجُوا نشيجاً ، وتجاوبوا نحيباً ، يَعِجّون إلىٰ ربّهم من مقام ندمٍ واعتراف ... جرح طول الأسَىٰ قلوبَهم ، وطول البكاء عيونَهم ... فحاسِب نفسك لنفسك ، فإنّ غيرها من الأنفُس لها حسيبٌ غيرُك (ك/٢٢٢) .

* طوبىٰ لمن ... كان من نفسه في شُغُل ، والنّاس منه في راحة (خ/١٧٦) .

* واعلموا أنّه من لم يُعَنْ علىٰ نفسه حتّى يكون له منها واعظ وزاجر ، لم يكن له من غيرها لا زاجر ولا واعظ (خ/٩٠) .

(٣٦١) ٣ ــ ترويضها على التّقوىٰ وعلىٰ أعمال البرّ وإكراهها على ذلك :

* أفضل الأعمال ما أكرهتَ نَفْسَكَ عليه (ح/٢٤٩) .

* وإنّما هي نفسي أرُوْضُها بالتّقوىٰ لتأتيَ آمنةً يوم الخوف الأكبر ، وتثبُتَ علىٰ جوانب المَزْلَق (ر/٤٥) .

* أسهِروا عيونكم ، وأضمِروا بطونكم ، واستعملوا أقدامكم ، وأنفِقوا أموالكم ، وخذوا من أجسادكم فجودوا بها علىٰ أنفسكم ، ولا تبخَلوا بها عنها (خ/١٨٣) .

* أيّها النّاس ، تَوَلّوا من أنفسكم تأديبَها (ح/٣٥٩) .

* إن لم تكن حليماً فتحلّم ، فإنّه قلّ من تشبَّهَ بقومٍ إلاّ أوشَكَ أن يكون منهم (ح/٢٠٧) .

* قد أحيا قَلْبَه ، وأمات نفسه ، حتّى دقّ جليله ، ولَطُفَ غليظه ، و بَرَقَ له لامعٌ كثير البرق ، فأبان له الطّريق وسلك به السّبيل ، وتدافعته الأبواب إلى باب السّلامة ، ودار الأقامة ، وثبتت رجلاه بطُمأنينة بدنه في قرار الأمن والرّاحة ، بما استعمل قلبه ، وأرضى ربّه (ك/٢٢٠) .

* وأيم الله ــ يميناً أستثني فيها بمشيئة الله ــ لأَروضَنَّ نفسي رياضةً تَهِشُّ معها إلىٰ القرص إذا قَدَرْت عليه مطعوماً ، وتقنع بالملح مأدوماً ؛ وَلأَدَعَنَّ مقلتي كعينِ ماء ، نَضَبَ معينها مستفرغةً دموعها (ر/٤٥) .

(٣٦٢) ٤ ــ تأديبها وعدم طاعتها فيما تحبّ أوتكره ، إلاّ بما يُرضي الله تعالىٰ :

* (المتّقي) إن استصعَبَت عليه نفسه فيما تكره ، لم يُعْطِها سُؤْلَها فيما تحبّ . . . نفسه منه في عناء ، والنّاس منه في راحة (خ/١٩٣) .

* فَرَحِمَ الله امَرءاً نزع عن شهوته ، وقَمَعَ هَوى نفسه (خ/١٧٦) .

* وأمَرَه أن يكسر نَفْسَهُ من الشّهوات ، و يَزَعَها عند الجَمَحات ، فإنّ النّفس أمّارةٌ بالسّوء ، إلاّ ما رَحِمَ الله (ر/٥٣) .

* امرُؤٌ خاف الله . . . امرُؤٌ ألْجَمَ نَفْسَه بلجامها ، وزَمَّها بزمامها ، فَأَمْسَكَها بلجامِها عن معاصي الله ، وقادَها بزمامها إلى طاعة الله (خ/٢٣٧) .

* ما المجاهد الشّهيد في سبيل الله بأعظم أجراً ممّن قَدَرَ فعَفَّ : لَكادَ العفيف أن يكون

مَلَكاً من الملائكة (ح/٤٧٤).

* فاحذروا، عباد الله، حَذَرَ الغالب لنفسه، المانع لشهوته (خ/١٦١).

* مَن كَرُمَت عليه نَفْسُهُ، هانت عليه شهواته (ح/٤٤٩).

* (الزّاهدون) و يكثر مَقْتُهُم أَنْفُسَهم وإن اغتبطوا بما رُزِقوا (خ/١١٣).

* (أهل الضّلال) مَفْزَعُهُم في المعضلات على أنفسهم ... وتعويلهم في المهمّات على آرائهم ... يعملون في الشّبهات، و يسيرون في الشّهوات (خ/٨٨).

* فاتّقىٰ عبدٌ ربَّه؛ نَصَحَ نَفْسَهُ، وقَدَّمَ توبته، وغَلَبَ شهوتَه (خ/٦٤).

* يامالك (وشُحَّ بنفسك عمّا لا يحلّ لك، فإنّ الشّحّ بالنّفس الانصاف منها فيما أحبّت أو كَرِهَت (ر/٥٣).

* واعلم أنّك إن لم تَرْدَعْ نَفْسَكَ عن كثيرٍ ممّا تحبّ، مخافة مكروهٍ؛ سَمَت بك الأهواء إلى كثيرٍ من الضَّرَر. فكن لنفسك مانعاً رادعاً، ولنَزْوَتِك عند الحفيظة واقِماً قامعاً (ر/٥٦).

* أيّها النّاس، تَوَلَّوا من أنفسكم تأديبَها، واْعدِلوا بها عن ضراوة عاداتها (ح/٣٥٩).

* عباد الله، إنّ من أحبّ عباد الله إليه عبداً أعانه الله علىٰ نفسه ... فقرّب على نفسه البعيد، وهوّن الشّديد... قد ألزم نفسه العدل، فكان أوّل عدله نفي الهوى عن نفسه (خ/٨٧).

* وأكرم نفسك عن كلّ دنيّةٍ، وإن ساقتك إلى الرّغائب، فإنّك لن تعتاض بما تبذُلُ من نفسك عِوَضاً (ر/٣١).

* طوبىٰ لمن ... فكان من نفسه في شُغُل، والنّاس منه في راحة (خ/١٧٦).

* إنّه ليس لأنفسكم ثمن إلّا الجنّة، فلا تبيعوها إلّا بها (ح/٤٥٦).

* إحصد الشّرّ من صدر غيرك، بقلعه من صدرك (ح/١٧٨).

(٣٦٣) ٥ ــ تعويدها المواظبة على الطّاعات والعبادات الواجبة، والرّفق بها في العبادات المستحبّة:

* فاجعلوا طاعة الله شعاراً دون دثاركم، ودخيلاً دون شعاركم، ولطيفاً بين أضلاعكم، وأميراً فوق أموركم ... فإنّ طاعة الله حِرْزٌ من متالف مُكْتَنِفَة، ومخاوف

متوقَّعَة ، وأُوار نيرانٍ مُوقَدَة (خ/١٩٨) .

* وعن ذلك ما حَرَسَ الله عباده المؤمنين بالصَّلَوات والزَّكَوات ، ومجاهَدَة الصّيام في الأيام المفروضات ، تسكيناً لأطرافهم ، وتخشيعاً لأبصارهم ، وتذليلاً لنفوسهم ، وتخفيضاً لقلوبهم ، وإذهاباً للخُيَلاء عنهم (خ/١٩٢) .

* عباد الله ، إنّ أنصح النّاس لنفسه أطوعهم لربّه ، وإنّ أغَشَّهم لنفسه أعصاهم لربّه ؛ والمغبون مَن غَبَنَ نفسه ، والمغبوط من سَلِمَ له دينُه (خ/٨٦) .

* فطُوبىٰ لذي قلبٍ سليم ، أطاع من يهديه ، وتجنّب من يرويه ، وأصاب سبيل السّلامة ببصر مَن بَصَّرَه ، وطاعة هادٍ أمره ... فقد أقيم على الطّريق ، وهُدِيَ نهج السّبيل (خ/٢١٤) .

* واستتمّوا نعمة الله عليكم بالصّبر على طاعته (خ/١٨٨) .

* وخادِعْ نَفْسَك في العبادة ، وارفُق بها ولا تقهرها ، وخذ عفوها ونشاطها ، إلاّ ما كان مكتوباً عليك من الفريضة ، فإنّه لا بدّ من قضائها وتعاهُدِها عند محلِّها (ر/٦٩) .

* والحجّ جهاد كلّ ضعيف (خ/١٣٦) .

(٣٦٤) ٦ ــ تجنيبها ما تكرهه من غيرها ، والقيام بما تحبّ أن يقدّمه لها غيرها :

* كفاك أدباً لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك (ح/٤١٢) .

* وكفى أدباً لنفسك تجنّبك ما كرهته لغيرك (ح/٣٦٥) .

* فاجتنب ما تنكر أمثاله (ر/٥٩) .

* لا تكن ممّن ... يستعظم من معصية غيره ما يستقلّ أكثر منه من نفسه ، ويستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة غيره ، فهو على النّاس طاعن ، ولنفسه مُداهِن ، ... يحكم على غيره لنفسه ، ولا يحكم عليها لغيره (ح/١٥٠) .

* يابنيّ اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك ، فأحبب لغيرك ما تحبّ لنفسك ، واكره له ما تكره لها ، ولا تَظْلِم كما لا تُحبّ أن تُظْلَم ، وأَحسِن كما تُحِبّ أن يُحْسَنَ إليك ، واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك ، وارض من النّاس بما ترضاه لهم من نفسك ... ولا تقل مالا تُحبّ أن يُقالُ لك (ر/٣١) .

* ومَن نَظَرَ في عيوب النّاس ، فأنكرها ، ثمّ رَضِيَها لنفسه ، فذلك الأحمق بعينه (ح/٣٤٩) .

* من نصب نفسه للنّاس إماماً ، فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره . وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه . ومعلّم نفسه ومؤدّبها أحقّ بالاجلال من معلّم النّاس ومؤدبّهم (ح/٧٣) .

* أكبر العيب أن تعيب ما فيك مثله (ح/٣٥٣) .

(٣٦٥) ٧ ـ استشعارها الخوف من الله تعالىٰ ، وما أعدّه ـ سبحانه ـ للمنحرفين عن جادة الصّواب :

* أمّا بعد ، فإنّ من لم يحذو ما هو صائرٌ إليه لم يُقَدّم لنفسه ما يُحرزُها (ر/٥١) .

* ولو تعلمون ما أعلم ممّا طُوِيَ عنكم غيبه ، إذاً لخرجتم إلىٰ الصُّعُدات تبكون علىٰ أعمالكم ، وتلتدمون علىٰ أنفسكم ، ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا خالِفَ عليها ، ولَهَمَّتْ كلّ امرىء منكم نفسه ، لا يلتفت إلى غيرها ؛ ولكنّكم نسيتم ما ذكّرتم ، وأمِنْتُم ما حُذِّرتم ، فتاه عنكم رأيُكُم وتَشَتَّتَ عليكم أمرُكم (خ/١١٦) .

* فمن اشتاق إلى الجنّة سَلا عن الشّهوات ، ومَن أشفق من النّار اجتنب المحرّمات (ح/٣١) .

* (المتّقون) وإذا مرّوا بآيةٍ فيها تخويف ، أصْغَوا إليها مسامع قلوبهم ، وظنّوا أنّ زفير جهنّم وشهيقها في أصول آذانهم ... قد براهم الخوف بَرْيَ القِداح ... فهم لأنفسهم مُتّهمون ، ومن أعمالهم مُشْفِقون (خ/١٩٣) .

(٣٦٦) صفات وممارسات تحول بين الأنسان وبين تهذيب نفسه :

* أقْبَلوا علىٰ جيفةٍ قد افتضحوا بأكلها ، واصطلحوا علىٰ حبّها ، ومَن عَشِقَ شيئاً أَغشى بَصَرَه ، وأَمْرَضَ قَلْبَه ، فهو ينظر بعينٍ غير صحيحة ، و يسمع بأُذُنٍ غير سميعة ، قد خرقت الشّهوات عقله ، وأماتت الدّنيا قلبه ، و ولهت عليها نفسه ، فهو عبدٌ لها . ولمن في يديه شيء منها ، حيثما زالت زال إليها ، وحيثما أقبلت أقبل عليها (خ/١٠٩) .

* مَن شغل نفسه بغير نفسه تحيّر في الظُّلُمات ، وارتبك في الهَلَكات ، ومَدَّت به شياطينه في طغيانه ، وزُيِّنَت له سَيّء أعماله (خ/١٥٧) .

* إنّ أخوف ما أخاف عليكم إثنان : اتّباع الهوى ، وطول الأمل ؛ فأمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ ، وأمّا طول الأمل فيُنسي الآخرة (ك/٤٢) .

* مَن كَرُمَت عليه نفسه هانت عليه شهواته (ح/٤٤٩) .

* وخف علىٰ نفسك الدّنيا الغرور ، ولا تأمنها على حال (ر/٥٦) .

(٣٦٧) من الآثار الايجابيّة لتهذيب النّفس :

* من كان له من نفسه واعظ ، كان عليه من الله حافظ (ح/٨٩) .

* واعلم أنّك إن لم تردع نفسك عن كثيرٍ ممّا تحبّ مخافة مكروه ؛ سَمَت بك الأهواء إلىٰ كثيرٍ من الضّرر (ر/٥٦) .

* والآداب حُلَلٌ مجدّدة (ح/٤) .

* إنّ من أحبّ عباد الله إليه عبداً أعانه الله علىٰ نفسه ، فاستشعر الحزن ، وتجلبب الخوف ؛ فَزَهر مصباح الهُدىٰ في قلبه ... نظر فأبصر ، وذكر فاستكثر ... فخرج من صفة العمى ، ومشاركة أهل الهوىٰ ، وصار من مفاتيح أبواب الهُدىٰ ، ومغاليق أبواب الرّدىٰ . قد أبصر طريقه ، وسلك سبيله ، وعرف مناره ، وقطع غماره ، واستمسك من العرى بأوثقها ، ومن الحبال بأمتنها ، مصباح ظلمات ، كشّاف عشوات ، مفتاح مبهمات ، دفّاع معضلات ، دليل فلوات ... فهو من معادن دينه وأوتاد أرضه (خ/٨٧) .

* (في وصف السّالك الطّريق إلى الله تعالى) قد أحيا عقله ، وأمات نفسه ... و برق له لامع كثيرٌ البرق ، فأبان له الطّريق ، وسلك به السّبيل (ك/٢٢٠) .

* والرّغبة مفتاح النَّصَب ، ومطيّة التّعب (ح/٣٧١) .

* والمغبون مَن غبن نفسه ، والمغبوط مَن سَلِمَ له دينه ، « والسّعيد مَن وُعِظَ بغيره » ، والشّقي مَن انخَدَعَ لهواه وغروره (خ/٨٦) .

* وأكرم نفسك عن كلّ دنيّة ، وإن ساقتك إلى الرّغائب ، فإنّك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً (ر/٣١) .

* من حاسَبَ نفسه ربح ، ومن غفل عنها خسر(ح/٢٠٨) .

* وإنّـمـا هي نفسي أَرُوْضُها بالتَّقَوٰى لتأتي آمنةً يوم الخوف الأكبر ، وتثبت على جوانب المنزلق (ر/٤٥) .

* أما والله إنّـي لـيـمـنعني من اللّعب ذكر الموت ، وإنّه (عمرو بن العاص) ليمنعه من قول الحقّ نسيان الآخرة (خ/٨٤) .

الباب السّابع عشر : في الأخلاق :

تمهيد : في الأخلاق وحسن الخُلُق

الفصل الأوّل : في اللّسان وآفاته

الفصل الثّاني : في الاحسان وأفعال البرّ

الفصل الثّالث : في الكرم والبخل

الفصل الرّابع : في الصّبر

الفصل الخامس : في الصّدق والكذب

الفصل السّادس : في الأمانة والخيانة

الفصل السّابع : في التّواضع والتّكبّر

الفصل الثّامن : في الغضب

الفصل التّاسع : في الحسد

الفصل العاشر : في العُجب

الفصل الحادي عشر : في عزّة المؤمن

الفصل الثاني عشر : في الحرص

الفصل الثّالث عشر : في الرّفق والخرق

الفصل الرّابع عشر : في حسن الظّنّ

الفصل الخامس عشر : في الحياء

(٣٦٨) تمهيد : في الأخلاق وحُسْنُ الخُلُق :

* وأكرم الحسب حسن الخُلُق (ح/٣٨) .
* ولا قرين كحسن الخُلُق (ح/١١٣) .
* كفى بالقناعة ملكاً ، و بحسن الخُلُق نعيماً (ح/٢٢٩) .
* والآداب حُلَلٌ مجدَّدة (ح/٤) .
* ولا ميراث كالأدب (ح/٥٤) .
* فليكن تعصّبكم لمكارم الخصال ، ومحامد الأفعال ، ومحاسن الأمور ، الّتي تفاضَلَتْ فيها المُجَداء والنُّجَداء . من بيوتات العرب و يعاسيب القبائل ، بالأخلاق الرّغيبة والأحلام العظيمة ، والأخطار الجليلة ، والآثار المحمودة (خ/١٩٢) .
* إذا كان في رجل خلّة رائقة فانتظروا أخواتها (ح/٤٤٥) .
* مقاربة النّاس في أخلاقهم أمن من غوائلهم (ح/٤٠١) .
* التُّقَىٰ رئيس الأخلاق (ح/٤١٠) .
* فاستر خلل خلقك بحلمك (ح/٤٢٤) .
* ونعم الخُلُق التصّبرّ في الحقّ (ر/٣١) .
* ولقد قرن الله به (رسول الله (ص)) ... أعظم ملكٍ من ملائكته ، يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم (خ/١٩٢) .
* وأريتكم كرائم الأخلاق من نفسي (خ/٨٧) .

« في اللّسان وآفاتـه »

(٣٦٩) اللّسان منحة آلهيّة عظيمة للانسان وهو من مميّزاته ، ومفتاح شخصيّته :

* أم هـذا الّـذي أنـشـأه في ظـلـمات الأ رحام ... ثمّ منحه قلباً حافظاً ، ولساناً لافظاً ، و بَصَراً لاحظاً ، ليفهم معتبراً ، و يقصّر مزدجراً (خ/٨٣) .

* المرء مخبوءٌ تحت لسانه (ح/١٤٨) .

* تكلّموا تُعْرَفوا (ح/٣٩٢) .

(٣٧٠) فضيلة الصّمت ومدحه ، ومضرّة الكلام وذمّه :

* بكثرة الصّمت تكون الهيبة (ح/٢٢٤) .

* الـكـلام في وثـاقـك ما لم تتكلّم به ؛ فإذا تكلّمت به صِرْتَ في وثاقه ، فأخْزُن لسانك كما تخزن ذَهَبَكَ وَوَرِقَك ، فَرُبَّ كلمةٍ سَلَبَتْ نعمة وجَلَبَتْ نقمة (ح/٣٨١) .

* وتلافيك ما فَرَطَ من صمتك أَيْسَرُ من إدراكك ما فات من منطقك (ر/٣١) .

* كـان لي فـيما مَضَىٰ أخ في الله ، ... وكان أكثر دهره صامتاً ، فإن قال بَذّ القائلين ، ونَـقَعَ غليل السّائلين ... وكان إذا غُلِبَ على الكلام لم يُغْلَب على السّكوت ، وكان علىٰ ما يسمع أحرص منه على أن يتكلّم (ح/٢٨٩) .

* اللّسان سَبُعٌ ، إن خُلِّيَ عنه عَقَرَ (ح/٦٠) .

* وهانت عليه نفسُهُ مَن أمَرَّ عليها لسانه (ح/٦٠) .

* ألا وإنّ اللّـسـان بَـضْعَةٌ من الانسان ، فلا يسعده القول إذا امتنع ، ولا يمهله النّطق إذا اتّسع (ك/٢٣٣) .

(٣٧١) في أنّ الشّيطان يتحدّث بلسان المنافق ، وأنّ روح القدس تجري على لسان المؤمن :

* اتّخذوا الشّيطان لأمرهم مِلاكاً ، واتّخذهم له أشراكاً ... فنظر بأعينهم ، ونطق بألسنتهم ... فِعْلَ مَن قد شَرِكَهُ الشّيطان في سُلطانه ، ونطق بالباطل علىٰ لسانه ! (خ/٧) .

* ولا تُطِيعُوا الأدعياء ... اتَّخَذَهم إبليس مطايا ضلال ، وجُنْداً بهم يصول علىٰ النّاس ، وتراجمةً ينطق على ألسنتهم ، استراقاً لعقولكم ، ودخولاً في عيونكم ، ونفثاً في أسماعكم (خ/١٩٢) .

* (بعد أن وَصَفَ (ع) المتّقين لهمام ، صعق همام صعقة كانت نفسه فيها فقال له قائل : فما بالك ياأمير المؤمنين ؟) فقال عليه السّلام : ويحك ، إنّ لكلّ أجلٍ وقتاً لا يعدوه ، وسَبَباً لا يتجاوزه ، فمهلاً ، لا تَعُدْ لمثلها ، فإنّما نَفَثَ الشّيطان علىٰ لسانك (خ/١٩٣) .

* وإنّ لسان المؤمن من وراء قلبه ، وإنّ قلب المنافق من وراء لسانه : لأنّ المؤمن إذا أراد أن يتكلّم بكلامٍ تَدَبَّره في نفسه ، فإن كان خيراً أبداه ، وإن كان شرّاً واراه ، وإنّ المنافق يتكلّم بما أتىٰ على لسانه لا يدري ماذا له ، وماذا عليه (خ/١٧٦) .

* ألا وإنّ الله سبحانه قد جعل للخير أهلاً ، وللحقّ دعائم ، وللطّاعة عِصَماً . وإنّ لكم عند كلّ طاعةٍ عوناً من الله سبحانه يقول على الألسنة ، و يثبّت الأفئدة . فيه كفاءٌ لمكتفٍ ، وشفاءٌ لمشتفٍ (خ/٢١٤) .

* اتّقوا ظنون المؤمنين ، فإنّ الله تعالىٰ جعل الحقّ على ألسنتهم (ح/٣٠٩) .

* فالمتّقون فيها هم أهل الفضائل : منطقهم الصّواب (خ/١٩٣) .

(٣٧٢) أمورٌ لا ينبغي فيها الصّمت بل أنّ في بعضها يكون الصّمت مُحَرَّماً :

* والله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله (ح/٤٢) .

* أوّل ما تُغْلَبون عليه من الجهاد : الجهاد بأيديكم ، ثمّ بألسنتكم ، ثمّ بقلوبكم (ح/٣٧٥) .

* أيّها المؤمنون ، إنّه مَن رَأى عدواناً يُعْمَلُ به ومنكراً يُدعىٰ إليه ، فأنكره بقلبه فقد سَلِمَ و بَرِىء ، ومَن أنكرَه بِلسانه فقد أُجِر ، وهو أفضل من صاحبه (ح/٣٧٣) .

* وأنْكِرِ المنكر بيدك ولسانُك (ر/٣١) .

* فمنهم المنكر للمنكَر بيده ولسانه وقلبه ، فذلك المستكمل لخصال الخير؛ ومنهم المنكر بلسانه وقلبه والتّارك بيده ، فذلك متمسّك بخصلتين من خصال الخير ومُضَيّع خصلة ؛ ومنهم المنكر بقلبه ، والتّارك بيده ولسانه ، فذلك الّذي ضَيّعَ أشرف الخصلتين من الثّلاث ، وتَمَسّكَ بواحدة ، ومنهم تارك لأنكار المنكر بلسانه وقلبه و يده ، فذلك ميّت الأحياء (ح/٣٧٣) .

* فوَالله لو لم يُصيبوا من المسلمين إلّا رجلاً واحداً معتمدين لقتله ، بلا جُرْمٍ جَرَّه ، لَحَلَّ لي قتل ذلك الجيش كلّه ، إذ حَضَروه فلم يُنكروا ، ولم يدفَعوا عنه بلسانٍ ولا بيدٍ . دَعْ ما أنّهم قد قَتَلُوا من المسلمين مثل العِدَّة الّتي دَخَلُوا بها عليهم ! (خ/١٧٢) .

* وأفضل من ذلك كلّه (أي : من الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر) كلمةُ عدلٍ عند إمامٍ جائر (ح/٣٧٤) .

* لا خير في الصّمت عن الحكم ؛ كما أنّه لا خير في القول بالجهل (ح/١٨٢) .

* وحثّكم (سبحانه) على الشّكر ، وافترض من ألسنتكم الذّكر (خ/١٨٣) .

* الايمان معرفةٌ بالقلب ، وإقرارٌ باللّسان ، وعملٌ بالأركان (ح/٢٢٧) .

* (المتّقي) وأسهر التّهجّد غرار نومه ، وأظمأ الرّجاء هواجر يَوْمِهِ ، وظلف الزّهد شهواته ، وأوجف الذّكر بلسانه (خ/٨٣) .

* رُبَّ قولٍ أَنْفَذُ من صَوْل (ح/٣٩٤) .

في آفات اللّسان

(٣٧٣) ١ ـ الكلام فيما لا يعني :

* واقصر رأيك على ما يعنيك (ر/٦٩) .

* ومَن عَلِمَ أنّ كلامه من عمله قلّ كلامه إلّا فيما يعنيه (ح/٣٤٩) .

(٣٧٤) ٢ ـ فضول الكلام :

* طوبى لمن ذلّ في نفسه ... وأنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من

لسانه (ح/١٢٣).

* لا تقل ما لا تعلم، بل لا تقل كلّ ما تعلم، فإنّ الله فَرَضَ علىٰ جوارحك كلّها فرائض يحتجّ بها عليك يوم القيامة (ح/٣٨٢).

* ولا تحدّث النّاس بكلّ ما سمعت به، فكفىٰ بذلك كذباً (ر/٦٩).

* اللّهم اغفر لي ما تقرّبت به إليك بلساني، ثم خالفه قلبي... اللهم اغفر لي رمزات الألحاظ، وسقطات الألفاظ (دعا/٧٨).

* ومَن كثر كلامه كثر خطؤه، ومن كثر خطؤوه قلّ حياؤه، ومَن قلّ حياؤه قلّ ورعه، ومَن قلّ وَرَعُهُ مات قلبه، ومن مات قلبه دَخَلَ النّار (ح/٣٤٩).

* مَن أكثر أهجر، ومن تفكّر أبصر (ر/٣١).

* إذا تمّ العقل نَقَصَ الكلام (ح/٧١).

* أيّها النّاس اتّقوا الله فما خلق امرؤ عبثاً فيلهو، ولا ترك سدىً فيلغو (ح/٣٧٠).

(٣٧٥) ٣ ـ الخوض في الباطل:

* اللّهم اغفر لي رَمَراتِ الألحاظ، وسقطات الألفاظ، وشهوات الجَنان، وهفوات اللّسان (دعا/٧٨).

* واحذَر منازل الغفلة والجفاء وقلّة الأعوان علىٰ طاعة الله (ر/٦٩).

(٣٧٦) ٤ ـ المراء والمجادلة والخصومة، واللّجاج:

* مَن ضَنَّ بعرضِهِ فَلْيَدَعِ المِراء (ح/٣٦٢).

* ولا تجعل عِرْضَك غَرَضاً لنبال القول (ر/٦٩).

* احمل نفسك من أخيك عند صَرْمِهِ على الصّلة... وعند شدّته علىٰ اللّين... حتّى كأنّك له عبد، وكأنّه ذو نعمةٍ عليك... ولِن لمن غالَظَك، فإنّه يوشك أن يلين لك (ر/٣١).

* وإيّاك أن تطمح بك مطيّة اللّجاج (ر/٣١).

* مَن بالَغَ في الخصومة أثِم، ومَن قَصَّرَ فيها ظلم، ولا يستطيع أن يتّقي الله مَن خاصَم (ح/٢٩٨).

* إنّ للخصومة قُحَماً (غ/٣).

* والشّك على أربع شُعَب : على التّماري ، والهَوْل ، والتردّد ، والاستسلام ؛ فمن جعل المِراء دَيْدَناً لم يُصبِحْ لَيْلُه (ح/٣١).

* من أسرع إلى النّاس بما يكرهون ، قالوا فيه بما لا يعلمون (ح/٣٥).

* اللّجاجة تسلّ الرأي (ح/١٧٩).

* المؤمن ... ليّن العريكة (ح/٣٣٣).

* الحِدَّة ضَرْبٌ من الجنون ، لأنّ صاحبها يَنْدَم ، فإن لم يَنْدَم فجنونه مُسْتَحْكِم (ح/٢٥٥).

* الخِلافُ يهدم الرّأي (ح/٢١٥).

* (يامالك) املك حميّة أنفك ، وسورة حدّك ، وسطوة يدك ، وغرب لسانك (ر/٥٣).

* (المتّقي) ليّناً قوله (خ/١٩٣).

* لا تجعلنّ ذَرَبَ لسانك على من أنطقك ، و بلاغة قولك على مَن سَدَّدك (ح/٤١١).

(٣٧٧) ٥ ــ الفحش والسبّ وبذاءة اللّسان واللّعن :

* (وقد سمع قوماً من أصحابه يسبّون أهل الشّام أيّام حربهم بصفّين) : إنّي أكره لكم أن تكونوا سَبّابين ، ولكن لو وصفتم أعمالهم ، وذكرتم حَالَهم ، كان أصوب في القول ، وأبلغ في العُذر ، وقلتم مكان سبّكم إيّاهم : اللّهم أحقن دماءنا ودماءهم ، وأصلح ذات بيننا و بينهم ، واهدهم من ضلالتهم ، حتّى يعرف الحقّ من جهله ، و يرعوي عن الغيّ والعدوان من لَهِجَ به (ك/٢٠٦).

* (المتّقي) بعيداً فحشه (خ/١٩٣).

* (أهل الفِتَن) فيتزايلون بالبغضاء ، و يتلاعنون عند اللّقاء (خ/١٥١).

(٣٧٨) ٦ ــ السّخرية والأستهزاء :

* أكبر العيب أن تعيب ما فيك مثله (ح/٣٥٣).

* ياعبد الله ، لا تعجل في عيب أحدٍ بذنبه ، فلعلّه مغفورٌ له ، ولا تأمن على نفسك صغير معصية ، فلعلّك معذَّبٌ عليه . فليكفف مَن عَلِمَ منكم عيبَ غيره لِمَا يعلم من عيب نفسه ،

وليكن الشّكر شاغِلاً له علىٰ معافاته ممّا ابتُلي به غيرُه (ك/١٤٠).

* اللّهم اغفر لي رَمَزات الألحاظ، وسقطات الألفاظ، وشهوات الجَنان، وهَفَوات اللّسان (دعا/٧٨).

* من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره (ح/٣٤٩).

* (المتقي) ولا يُنابز بالألقاب (خ/١٩٣).

(٣٧٩) ٧ ـ المزاح ومنه «الضّحك»:

* ما مَزَحَ امرؤٌ مزحةً إلاّ مجّ من عقله مجّة (ح/٤٥٠).

* إيّاك أن تذكر من الكلام ما يكون مُضْحِكاً، وإن حكيت ذلك عن غيرك (ر/٣١).

* (المتقي) وإن ضحك لم يَعْلُ صوتُهُ (خ/١٩٣).

* (وتَبِع جنازة فسمع رجلاً يضحك) فقال: كأن الموت فيها علىٰ غيرنا كُتِب، وكأنّ الحقّ فيها علىٰ غيرنا وجَب، وكأنّ الّذي نَرَى من الأموات سَفْرٌ عمّا قليلٍ إلينا راجعون! نبوّئهم أجداثهم، ونأكل تراثهم، كأنّا مخلّدون بعدهم! ثمّ قد نسينا كلّ واعظٍ وواعظة، ورُمينا بكلّ فادحٍ جائحةٍ!! (ح/١٢٢).

* إنّ الزّاهدين في الدّنيا تبكي قلوبهم وإن ضحكوا، و يشتدّ حزنهم وإن فرحوا (خ/١١٣).

(٣٨٠) ٨ ـ إفشاء السّرّ:

* صدر العاقل صندوق سرّه (ح/٦).

* من كتم سرّه كانت الخيرة بيده (ح/١٦٢).

* الظّفر بالحزم، والحزم بإجالة الرّأي، والرّأي بتحصين الأسرار(ح/٤٨).

* والمرء أحفظ لسرّه (ر/٣١).

(٣٨١) ٩ ـ كلام ذي اللّسانين:

* ثمّ إيّاكم وتهزيع الأخلاق وتصريفها، واجعلوا اللّسان واحداً، وليخزن الرّجل لسانه (خ/١٧٦).

* إنّ من عزائم الله في الذّكر الحكيم ، الّتي عليها يثيب و يعاقب ، ولها يرضى و يسخط ، أنّه لا ينفع عبداً ــ وإن أجهد نفسه ، وأخلص فعله ــ أن يخرج من الدّنيا ، لاقياً ربّه بخصلةٍ من هٰذه الخصال لم يتب منها ... أو يلقى النّاس بوجهين ، أو يمشي فيهم بلسانين (خ/١٥٣).

(٣٨٢) ١٠ ــ المدح ، والمدح أكثر من الأستحقاق :

* اللّهم وقد بسطتَ لي فيما لا أمدح به غيرك ، ولا أُثْني به علىٰ أحدٍ سواك ، ولا أوجّهه إلى معادن الخيبة ومواضع الرّيبة ، وعدلتَ بلساني عن مدائح الآدميّين ؛ والثّناء على المربوبين المخلوقين (خ/٩١).

* (فتنة بني أميّة) واستُعْمِلَتِ المودّة باللّسان ، وتشاجر النّاس بالقلوب (خ/١٠٨).

* (يامالك) وَٱلْصَقْ بأهل الورع والصّدق ؛ ثمّ رُضْهُمْ علىٰ ألاّ يطروك ولا يبجحوك بباطلٍ لم تفعله ، فإنّ كثرة الأطراء تُحْدِثُ الزّهو ، وتُدْني من العزّة (ر/٥٣).

* الثّناء بأكثر من الأستحقاق مَلَق ، والتّقصير عن الأستحقاق عِيٌّ أو حَسَد (ح/٣٤٧).

(٣٨٣) ١١ ــ الغفلة عن دقائق الخطأ في فحوىٰ الكلام :

* وإنّ لسان المؤمن من وراء قلبه ، وإنّ قلب المنافق من وراء لسانه : لأنّ المؤمن إذا أراد أن يتكلّم بكلامٍ تدبّره في نفسه ، فإن كان خيراً أبداه ، وإن كان شرّاً واراه . وإنّ المنافق يتكلّم بما أتىٰ علىٰ اسانه لا يدري ماذا له ، وماذا عليه . ولقد قال رسول الله (ص) : « لا يستقيم إيمانُ عبدٍ حتّى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتّى يستقيم لسانه » (خ/١٧٦).

* لسان العاقل وراء قلبه ، وقلب الأحمق وراء لسانه (ح/٤٠).

* قلب الأحمق في فيه ، ولسان العاقل في قلبه (ح/٤١).

(٣٨٤) ١٢ ــ السّؤال عن حقيقة صفات الله تعالىٰ :

* (وقد أتاه رجل فقال له : ياأمير المؤمنين ، صف لنا ربّنا مثلما نراه عياناً لنزداد له حباً ، و به معرفة فغضب عليه السّلام ونادى : الصّلاة جامعة ، فاجتمع النّاس حتّى غصّ

المسجد بأهله ، فصعد المنبر وهو مغضبٌ متغيّر اللّون ثم خطب) ، وكان مما قال عليه السّلام :

فانظر أيّها السّائل : فما دلّك القرآن عليه من صفته فائتمّ به واستِضيء بنور هدايته ، وما كلّفك الشّيطان علمه ممّا ليس في الكتاب عليك فرضه ، ولا في سنّة النّبيّ (ص) وأئمّة الهُدى أثره ؛ فَكِلْ عِلْمَهُ إلى الله سبحانه ، فإنّ ذلك مُنْتَهىٰ حقّ الله عليك . وأعلم أنّ الرّاسخين في العلم هم الّذين أغناهم عن اقتحام السُّدَد المضروبة دون الغيوب ، الأقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب ، فَمَدَحَ الله ــ تعالىٰ ــ اعترافَهم بالعجز عن تناول مالم يحيطوا به علماً ، وسَمّىٰ تركَهُمُ التّعمّق فيما لم يكلّفهم البحث عن كنهه رسوخاً ، فاقتصر علىٰ ذلك ، ولا تقدّر عظمة الله سبحانه علىٰ قدر عقلك فتكون من الهالكين (خ/٩١) .

(٣٨٥) ١٣ ــ الغيبة والنميّمة والسّعاية :

* فمن استطاع منكم أن يلقى الله تعالى وهو نقيّ الرّاحة من دماء المسلمين وأموالهم ، سليم اللّسان من أعراضهم فَلْيَفْعَل (خ/١٧٦) .
* الايمان أن ... وأن تتّقي الله في حديث غيرك (ح/٤٥٨) .
* أنّه لا ينفع عبداً ــ وإن أجهد نفسه ، وأخلص فعله ــ أن يخرج من الدّنيا ، لاقياً ربّه بخصلةٍ من هٰذه الخِصال لم يتُبْ منها ... أو يشفي غيظه بهلاك نفسٍ ، أو يَعُرَّ بأمرٍ فَعَلَهُ غيرَه (خ/١٥٣) .
* الغيبة جهد العاجز (ح/٤٦١) .
* (في النّهي عن غيبة النّاس) وإنّما ينبغي لأهل العصمة والمصنوع إليهم في السّلامة أن يرحموا أهل الذّنوب والمعصية ، و يكون الشّكر هو الغالب عليهم ، والحاجز لهم عنهم ، فكيف بالعائب الّذي عاب أخاه وعيّره ببلواه ! أما ذَكَرَ مَوْضِعَ سَتْرِ الله عليه من ذنوبه ممّا هو أعظم من الذّنب الّذي عابَه به ! وكيف يذمُّهُ بذنبٍ قد ركب مثله ! فإن لم يكن ركب ذلك الذّنب بعينه فقد عصى الله فيما سواه ، ممّا هو أعظم منه . وأَيْمُ الله لئن لم يكن عصاه في الكبير، وعصاه في الصّغير، لَجَرَاءته علىٰ عيب النّاس أكبر! ياعبدَ الله ، لا تعجل في

عيب أحدٍ بذنبه ، فلعلّه مغفورٌ له ، ولا تأمن على نفسك صغير معصيته ، فلعلّك معذّبٌ عليه . فليكفُفْ مَن عَلِمَ منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه ، وَلْيَكُن الشّكر شاغلاً له على معافاته ممّا ابتُلِيَ به غيره (ك/١٤٠) .

* (في النّهي عن سماع الغيبة) : مَن عَرَف من أخيه وثيقة دينٍ وسداد طريق ، فلا يسمعنَّ فيه أقاويل الرّجال . أما أنّه قد يرمي الرّامي ، وتخطىء السّهام ، ويحيل الكلام ، وباطل ذلك يبور ، والله سميع وشهيد . أما إنّه ليس بين الحقّ والباطل إلاّ أربع أصابع . (فسُئِلَ عليه السّلام ، عن معنى قوله هذا ، فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه ثم قال) : الباطل أن تقول سمعتُ ، والحقّ أن تقول رأيتُ ! (ك/١٤١) .

* ولا تعجلنّ إلى تصديق ساعٍ فإنّ السّاعي غاش ، وإن تشبّه بالنّاصحين (ر/٥٣) .

* أحسنوا في عقب غيركم تُحْفَظُوا في عَقِبكم (ح/٢٦٤) .

* من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره (ح/٣٤٩) .

* ياأيّها النّاس ، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب النّاس (خ/١٧٦) .

* وليكن أبعد رعيّتك منك ... أطلبهم لمعائب النّاس ، فإنّ في النّاس عيوباً الوالي أحقّ من سترها (ر/٥٣) .

* مَن أَسْرَعَ إلى النّاس بما يكرهون ، قالوا فيه بما لا يعلمون (ح/٣٥) .

* ألا وإنّ الظّلم ثلاثة : فظلمٌ لا يُغْفَر ، وظلمٌ لا يُتْرَك ، وظلم مغفورٌ لا يُطْلَب ... وأمّا الظّلم الّذي لا يُترَك فظلم العباد بعضِهم بعضاً ؛ القصاص هناك شديد ، ليس هو جَرْحاً بالمُدَى ، ولا ضرباً بالسّياط ، ولكنّه ما يُسْتَصغر ذلك معه (خ/١٧٦) .

الفصل الثّاني

« الاحسان وأفعال البرّ »

(٣٨٦) الدّعوة إلى الاحسان وأفعال البرّ والتّأكيد عليها ، ومن يعجز عن فعل الكثير منه فلا ينبغي أن يترك القليل :

* فاعل الخير خيرٌ منه ، وفاعل الشرّ شرّ منه (ح/٣٢) .
* فـإذا رأيتم خيراً فأعينوا عليه ، وإذا رأيتم شرّاً فاذهبوا عنه ، فإنّ رسول الله (ص) كان يقول : « يابن آدم ، اعمل الخير وَدَعِ الشرّ ، فإذا أنت جوادٌ قاصد » (خ/١٧٦) .
* عـبـاد الله ، انّـه لـيـس لمـا وعـد الله مـن الخير مـتـرك ، ولا فـيـمـا نَـهَـىٰ عنه من الشّرّ مَرْغَب (خ/١٥٧) .
* واعلم أنّ أفضل المؤمنين أفضلهم تقدمةً من نفسه وأهله وماله (ر/٦٩) .
* ومن ارتقب الخير سارع إلى الخيرات (ح/٣٠) .
* والفرصة تمرّ مرّ السّحاب ، فانتهزوا فُرَصَ الخير (ح/٢١) .
* إفعـلـوا الخير ولا تَحْقِروا منه شيئاً ، فإنّ صغيره كبير وقليله كثير ، ولا يقولّن أحدكم : إنّ أحداً أَوْلَىٰ بفعل الخير منّي ، فيكون والله كذلك (ح/٤٢٢) .
* وأَحْسِن كما تحبّ أن يُحْسَنَ إليك (ر/٣١) .
* ولا تكونَنَّ على الاساءة أقوى منك على الاحسان (ر/٣١) .
* لا تَسْتَحِ من إعطاء القليل ، فإنّ الحِرمان أقلّ منه (ح/٦٧) .
* لا يُزهِدَنّك في المعروف مَن لا يشكره لك ، فقد يشكرك عليه مَن لا يستمتع بشيء منه ، وقد تُدرك من شكر الشاكر أكثر مما أضاع الكافر ، « والله يحبّ المحسنين » (ح/٢٠٤) .

(٣٨٧) أهل الاحسان والبرّ:

* ألا وإنّ الله سبحانه قد جعل للخير أهلاً ، وللحقّ دعائم ، وللطّاعة عِصَماً (خ/٢١٤) .

* ولا يقولنّ أحدكم : إنّ أحداً أولى بفعل الخير منّي ، فيكون والله كذلك . إنّ للخير والشر أهلاً ، فمهما تركتموه منهما كفاكموه أهله (ح/٤٢٢) .

* عباد الله ، إنّ من أحبّ عباد الله إليه عبداً ... لا يَدَعُ للخير غايةً إلاّ أَمّها ، ولا مظنّةً إلاّ قَصَدَها (خ/٨٧) .

* (المتّقي) غائباً منكره ، حاضراً معروفه (خ/١٩٣) .

(٣٨٨) يجب أن لا يمنّ الانسان عند فعل الاحسان ، والأسلوب الأفضل للاحسان :

* وإيّاك والمنّ على رعيّتك بإحسانك ، فإنّ المنّ يبطل الاحسان (ر/٥٣) .

* إذا حُيّيت بتحيّةٍ فَحَيِّ بأحسنَ منها ، وإذا أُسْدِيَت إليك يدٌ فكافِئْها بما يُربي عليها ، والفضل مع ذلك للبادىء (ح/٦٢) .

* لا يستقيم قضاء الحوائج إلاّ بثلاث : باستصغارها لتَعْظُم ، وباستكتامها لتظهر ، وبتعجيلها لتهنؤ (ح/١٠١) .

(٣٨٩) الاحسان عند غير أهله :

* وليس لواضع المعروف في غير حقّه ، وعند غير أهله ، من الحظّ فيما أتى إلاّ محمدةُ اللّئام ، وثناء الأشرار (ك/١٤٢) .

* احذروا صولة الكريم إذا جاع ، واللئيم إذا شبع (ح/٤٩) .

(٣٩٠) آثار الاحسان في الدّنيا والآخرة :

* مَن كَثُرَت نعم الله عليه كثرت حوائج النّاس إليه ، فمن قام لله بما يجب فيها عرّضَها للدّوام والبقاء ، ومَن لم يقم فيها بما يجب عرّضها للزّوال والفناء (ح/٣٧٢) .

* وما قَدّمتَ اليوم تَقْدَم عليه غداً ، فأمْهِدْ لقَدَمِك ، وقَدّم ليومك (خ/١٥٣) .

* وليكن سرورُكَ بما قَدَّمتَ ، وأسفُك علىٰ ما خلَّفتَ ، وهَمُّك فيما بعد الموت (ر/٦٦) .

* إنّ المرء إذا هلك قال النّاس : ما ترك ؟ وقالت الملائكة : ما قدّم ؟ لله آباؤكم ! فقدّموا بعضاً يكن لكم قرضاً ، ولا تُخْلِفوا كُلًّا فيكون فرضاً عليكم (ك/٢٠٣) .

* وإنّ أحقّ مَن حَسُنَ ظنّك به لَمَنْ حَسُن بلاؤك عنده ، وإنّ أحقّ من ساء ظنّك به لَمَن ساء بلاؤك عنده (ر/٥٣) .

* و بالافضال تعظم الأقدار (ح/٢٢٤) .

* و باحتمال المُؤَن يجب السؤدد (ح/٢٢٤) .

* ولا حاجة لله فيمن ليس لله في ماله ونفسه نصيب (ح/١٢٧) .

* وأمْسِكْ من المال بقدر ضرورتك ، وقَدِّمِ الفضل ليوم حاجتك (ر/٢١) .

* فمن آتاه الله مالاً فليصل به القرابة ، وليحسن منه الضّيافة ، وليفكّ به الأسير والعاني ، وليعط منه الفقير والغارم ، وليصبر نفسه علىٰ الحقوق والنّوائب إبتغاء الثّواب ، فإنّ فوزاً بهٰذه الخصال شرف مكارم الدّنيا ، ودرك فضائل الآخرة ، إن شاء الله (ك/١٤٢) .

* مَن يُعْطِ باليد القصيرة ، يُعْطَ باليد الطّويلة (ح/٢٣٢) .

* إنَّ أفضل ما توسّل به المتوسّلون ... وصنائع المعروف فإنّها تقي مصارع الهوان (خ/١١٠) .

* لا يزهدنّك في المعروف مَن لا يشكره لك ، فقد يشكرك عليه من لا يستمتع بشيء منه ، وقد تُدرك من شكر الشّاكر أكثر ممّا أضاع الكافر ، « والله يحبّ المحسنين » (ح/٢٠٤) .

* ياجابر ، قوام الدّين والدّنيا بأربعة ... وجوادٍ لا يبخل بمعروفه ... وإذا بخل الغنيّ بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه ... ياجابر ، مَن كَثُرَت نِعَمُ الله عليه كثرت حوائج النّاس إليه ، فمن قام لله فيها بما يجب فيها عَرَّضَها للدّوام والبقاء ، ومَن لم يقم فيها بما يجب عرّضها للزّوال والفناء (ح/٣٧٢) .

* ولا خير في الدّنيا إلاّ لرجلين : رجل أذنب ذنوباً فهو يتداركها بالتّوبة ، ورجل يسارع في الخيرات (ح/٩٤) .

* عاتب أخاك بالاحسان إليه ، واردد شرّه بالانعام عليه (ح/١٥٨) .

* إنّه ليس بشّرٍ من الشر إلّا عقابه ، وليس شيء بخيرٍ من الخير إلاّ ثوابه (خ/١١٤) .

* (عباد الله الأخيار) باعوا قليلاً من الدنيا لا يبقى ، بكثيرٍ من الآخرة لا يفنى (خ/١٨٢) .

* يا كُمَيْلُ ، مُرْ أهلك أن يروحوا في كسب المكارم ، و يُدْلِجوا في حاجة مَن هو نائم . فوَ الّذي وَسِعَ سَمْعَهُ الأصوات ، ما مِن أحدٍ أَوْدَعَ قلباً سروراً إلّا وَخَلَقَ الله له من ذلك السّرور لُطفاً ، فإذا نزلت به نائبةٌ جَرَى إليها كالماء في انحداره حتّى يَطْرُدَها عنه كما تُطْرَدُ غريبة الأ بِل (ح/٢٥٧) .

* إنّ لله عباداً يختصّهم الله بالنِّعَم لمنافع العباد ، فيقرّها في أيديهم ما بَذَلوها ؛ فإذا منعوها نَزَعها منهم ، ثمّ حوّلها إلى غيرهم (ح/٤٢٥) .

* وصدقة السّرّ فإنّها تكفّر الخطيئة ، وصدقة العلانية فإنّها تدفع ميتة السّوء (خ/١١٠) .

* من كفّارات الذّنوب العِظام إغاثة الملهوف ، والتّنفيس عن المكروب (ح/٢٣) .

* مَن قَضَى حقّ من لا يقضي حقّه ، فقد عَبَدَه (ح/١٦٤) .

* أزجر المسيء بثواب المحسن (ح/١٧٧) .

« الكـرم والبـخل »
والسّخـاء والجـود

(٣٩١) في مضارّ البخل ، وأنّ البخل صفة ذميمة وأنّه الزّمام إلىٰ كل سّوء :

* البخل جامع لمساوىء العيوب ، وهو زمامٌ يقادُ به إلى كل سوء (ح/٣٧٨) .
* البخل عار (ح/٣) .
* في (عمرو بن العاص) : إنّه ليقول فيَكْذِبُ ، و يَعِدُ فيُخْلِف ، و يُسْأَلُ فَيَبْخَل ، و يسأل فَيُلْحِف (خ/٨٤) .
* (وقال عليه السّلام وقد مرّ بقذر علىٰ مزبلة) هٰذا ما بَخِلَ به الباخلون (ح/١٩٥) .
* (وروي في خبر آخر أنّه قال) : هٰذا ما كنتم تتنافسون فيه بالأمس !
* عجبت للبخيل ، يستعجل الفقر الّذي منه هرب ، و يفوته الغنىٰ الّذي إيّاه طلب ، فيعيش في الدّنيا عيش الفقراء ، ويحاسَب في الآخرة حسَاب الأغنياء (ح/٢١٦) .

(٣٩٢) في أهميّة الكرم والجود والدّافع إليهما ، والفرق بين الجود والعدل :

* قوام الدّين والدّنيا بأربعة ... وجوادٍ لا يبخل بمعروفه (ح/٣٧٢) .
* الكَرَم أعطف من الرَّحِم (ح/٢٤٧) .
* مَن أيقن بالخَلَف ، جاد بالعطيّة (ح/١٣٨) .
* الجود حارس الأعراض (ح/٢١١) .
* سُئِلَ عليه السّلام : أيّهما أفضل : العدل أو الجود ؟ فقال عليه السّلام : العدل يضع

الأمـور مـواضـعـهـا ، والجود يخرجها من جهتها . العدل سائس عام ، والجود عارض خاص . فالعدل أشرفهما وأفضلهما (ح/٤٣٧) .

(٣٩٣) في تعريف السّخاء :

* السّخاء ما كان ابتداءً ؛ فأمّا ما كان عن مسألةٍ فحياءٌ وتذمّم (ح/٥٣) .

(٣٩٤) الكرم من صفات الله تعالىٰ الحسنىٰ :

* الحـمـد لله الّذي لا يَـفِـرُهُ المـنـعُ والجـمـود ، ولا يُكديه الإعطاء والجود ، إذ كلّ معطٍ مـنـتـقـصٍ سواه ، وكـلّ مـانـعٍ مـذمـومٌ مـا خـلاه ؛ وهـو المـنّـان بفوائد النِّعَم ، وعوائد المزيد والـقِسَم ... وليس بما سُئِلَ بأجود منه بما لم يُسْأَل . ولو وَهَبَ ما تنفَّسَت عنه معادن الجبال ، وضـحـكـت عنه أصداف البحار ، من فِلزّ اللُّجَيْن والعِقيان ، ونُثارَة الدُّرّ وحصيد المرجان ، ما أثَّـرَ ذٰلك في جـوده ، ولا أنْـفَـدَ سَـعَـةَ مـا عـنـدَه ، ولكان عنده من ذخائر الأَنعام مالا تُنْفِدُه مـطـالـبُ الأنـام ، لأنّـه الجـواد الّـذي لا يـغـيـضـه سؤال السّـائـلين ، ولا يُـبـخِـلُـه إلحـاح المُلِحّين (خ/٩٠) .

* وسادَ العظماء بَجوده (ك/١٧٩) .
* أحمدُهُ علىٰ عواطف كَرَمِهِ ، وسوابغ نِعَمِهِ (خ/٨٣) .
* الحمد لله النّاشر في الخلق فَضْله ، والباسط فيهم بالجود يَدَه (خ/١٠٠) .

(٣٩٥) أشرف الكَرَم :

* من أشرف أعمال الكريم غفلتُه عمّا يعلم (ح/٢٢٢) .

(٣٩٦) أولىٰ النّاس بالكَرَم :

* أولىٰ النّاس بالكَرَم مَن عُرِفَت به الكِرام (ح/٤٣٦) .

من مضـارّ البـخل :

(٣٩٧) ١ ــ المضّار السّياسيّة :

* وقد علمتم أنّه لا ينبغي أن يكون الوالي علىٰ الفروج والدّماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيلُ ، فتكون في أموالهم نهمته (ك/١٣١) .

* ولا تُدْخِلَنَّ في مشورتك (يامالك) بخيلاً يَعْدِلُ بك عن الفضل ، و يَعِدُكَ الفقر ، ولا جباناً يُضْعِفُكَ عن الأمور ، ولا حريصاً يُزَيِّنُ لك الشَّرَهَ بالجَور ، فإنّ البخل والجبن والحِرصَ غرائز شتّى يجمعها سوء الظّنّ بالله (ر/٥٣) .

(٣٩٨) ٢ ــ المضارّ الاجتماعيّة :

* اضرب بطرفك حيث شئت من النّاس ، فهل تُبصر إلاّ فقيراً يُكابِدُ فقراً ، أو غنيّاً بَدَّلَ نعمة الله كفراً ، أو بخيلاً اتّخذ البخل بحقّ الله وَفراً (خ/١٢٩) .

* وإيّاك ومصادقة البخيل ، فإنّه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه (ح/٣٨) .

* وإذا بَخِلَ الغنيّ بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه (ر/٥٣) .

(٣٩٩) ٣ ــ المضّار الّتي تعود علىٰ البخيل نفسه :

* عجبتُ للبخيل يستعجل الفقر الّذي منه هَرِب ، و يفوته الغِنَىٰ الّذي إيّاه طَلَب ، فيعيش في الدّنيا عيش الفقراء ، ويحاسَب في الآخرة حساب الأغنياء (ح/١٢٦) .

(٤٠٠) البخل الممدوح :

* خيار خصال النّساء شرار خصال الرّجال : الزّهو ، والجبن ، والبخل ؛ فإذا كانت المرأة مزهوّةً لم تمكّن من نفسها ، وإذا كانت بخيلةً حَفِظَت مالها ومالَ بعلِها (ح/٢٣٤) .

« الصّـــبر »

(٤٠١) في أهمّيّة الصّبر ومنزلة الصّبر من الايمان وأنه إحدى دعائم الايمان وأنه من علائم المؤمنين والمتّقين ، وبيان شُعَبِ الصّبر:

* وعليكم بالصّبر ، فإنّ الصّبر من الايمان كالرّأس من الجسد ، ولا خير في جسدٍ لا رأس معه ، ولا في إيمانٍ لا صبر معه (ح/٨٢) .
* ولا إيمان كالحياء والصّبر (ح/١١٣) .
* الايمان على أربع دعائم : على الصّبر ، واليقين ، والعدل ، والجهاد ، والصّبر منها على أربع شُعَب : على الشّوق ، والشّفَق ، والزّهد ، والتّرَقُّب : فمن اشتاق إلى الجنّة سلا عن الشّهوات ؛ ومَن أشْفَقَ من النّار اجتنب المحرَّمات ؛ ومَن زَهِدَ في الدّنيا استهان بالمصيبات ، ومَن ارتَقَبَ الموت سارع إلى الخيرات (ح/٣١) .
* (المؤمن) شكورٌ صبور ، مغمور بفكرته (ح/٣٣٣) .
* (المتّقون) فمن علامة أحدهم أنّك ترى له قوّة في دين ... وصبراً في شدّة (خ/١٩٣) .
* (المتّقي) في الزّلازل وقور وفي المكاره صبور (خ/١٩٣) .
* (المتّقي) وإن بُغِيَ عليه صبر حتّى يكون الله هو الّذي ينتقم له (خ/١٩٣) .
* والصّبر شجاعة (ح/٤) .
* لا يُعْدَمُ الصّبور الظّفَر ، وإن طال به الزّمان (ح/١٥٣) .

(٤٠٢) في أنّ الصّبر نوعان :

* الصّبر صبران صبرٌ على ما تكره ، وصبرٌ عمّا تحبّ (ح/٥٥) .

(٤٠٣) في أنّ العجلة تورّط الانسان غالباً في الحرام والمضرّة :

* فلا يغلب الحرامُ صبرَكم (خ/٨١).
* فإنّ صبرك علىٰ ضيق أمرٍ ترجو انفراجه وفضل عاقبته ، خيرٌ من غدرٍ تخاف تبعته (ر/٥٣).
* والصّبر منها على أربع شُعَب : على الشّوق ، والشّفق ، والزّهد والتّرقّب ... ومن أشفَقَ من النّار اجتنب المحرّمات (ح/٣١).
* ياعبد الله لا تعجل في عيب أحدٍ بذنبه فلعلّه مغفورٌ له (خ/١٤٠).
* ولا تعجلوا في أمرٍ حتّى تتبيّنوا (خ/١٧٣).
* فكم من مستعجلٍ بما أن ادركه ودّ أنّه لم يدركه (خ/١٥٠).

(٤٠٤) في أنّ الصّبر ينفع في مواضع لا ينفع معها السّيف :

* فنظرتُ فإذا لَيْسَ لي معينٌ إلّا أهل بيتي ، فضننتُ بهم عن الموت ، وأغضيتُ على القذىٰ ، وشربتُ علىٰ الشّجا ، وصبرت علىٰ أخذ الكظم ، وعلىٰ أمرّ من العلقم (خ/٢٦).
* فرأيتُ أنّ الصّبر علىٰ هاتا أحجىٰ ، فصبرتُ وفي العين قذىً ، وفي الحلق شجاً ، أرى تراثي نهباً ، حتّى مضى الأوّل لسبيله ، فأدلىٰ بها إلى فلانٍ بعده ... فصبرتُ على طول المدّة (خ/٣).
* وصبرتُ من كظم الغيظ على أمرّ من العلقم ، وآلم للقلب من وَخز الشّفار (ك/٢١٧).
* وسأصبر ما لم أخف علىٰ جماعتكم (ح/١٦٩).

أهمّ مجالات الصّبر:

(٤٠٥) ١ ــ الصّبر في مواطن الحقّ ، والجهاد في سبيله تعالىٰ :

* فإنّ الصّابرين علىٰ نزول الحقائق ، هم الّذين يحفّون براياتهم ، و يكتنفونها : حفافيها ، ووراءها ، وأمامَها ، لا يتأخّرون عنها فيُسْلِموها ، ولا يتقدّمون عليها فيُفردُوها (ك/١٢٤).

* ونِعْمَ الخُلُق التصبّرَ في الحقّ (ر/٣١).
* ولا يحمل هذا العَلَمَ إلّا أهل البَصَر والصّبر والعلم بمواضع الحق (خ/١٧٣).
* الزموا الأرض، واصبروا على البلاء، ... ولا تستعجلوا بما لم يعجّله الله لكم (خ/١٩٠).
* لا يَعْدَم الصّبور الظّفَر، وإن طال به الزّمان (ح/١٥٣).
* واستشعروا الصّبر، فإنّه أدعىٰ إلى النّصر (خ/٢٦).
* فلقد كُنّا مع رسول الله (ص) وإنّ القتل ليَدُور علىٰ الآباء والأبناء والاخوان والقرابات، فما نزداد علىٰ كلّ مصيبةٍ وشدّةٍ إلّا إيماناً، ومُضِيّاً علىٰ الحقّ، وتسليماً للأمر، وصبراً على مضَضِ الجِراح (ك/١٢٢).
* ولقد كنّا مع رسول الله (ص) نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا: ما يزيدنا ذٰلك إلّا إيماناً وتسليماً، ومُضِيّاً علىٰ اللَّقَم، وصبراً على مضض الألم، وجِدّاً في جهاد العدوّ؛ ولقد كان الرّجل منّا والآخر من عدوّنا يتصاولان تصاوُلَ الفحلَيْن، يتخالسان أنفسهما: أيّهما يسقي صاحبه كأسَ المَنون، فمرّةً لنا من عدوّنا، ومرّةً لعدُوّنا منّا، فلما رأى الله صدقَنا أنزل بعدوّنا الكبت، وأنزل علينا النّصر (ك/٥٦).

(٤٠٦) ٢ ـ الصّبر على طاعة الله تعالىٰ وتنفيذ أوامره:

* واستتمّوا نعمة الله عليكم بالصّبر علىٰ طاعة الله والمحافظة علىٰ ما استحفظكم من كتابه (خ/١٧٣).
* وكان رسول الله (ص) نَصِباً بالصّلاة بعد التّبشير له بالجنّة، لقول الله سبحانه: «وَأْمُرْ أهلك بالصّلاة واصطبر عليها»، فكان يأمر بها أَهْلَهُ و يَصْبِرُ عليها نفسَه (ح/١٩٩).
* فمن آتاه الله مالاً فَلْيَصِلْ به القرابة، وَلْيَصْبِر نَفْسَهُ على الحقوق والنّوائب ابتغاء الثّواب (ك/١٤٢).

(٤٠٧) الصّبر علىٰ اختبارات الله تعالىٰ في الدّنيا:

* وتدبَّروا أحوالَ الماضين من المؤمنين قبلكم، كيف كانوا في حال التّمحيص

والبـلاء ، ألـم يكونوا أثقل الخلائق أعباءاً ، وأجهد العباد بلاءاً ، وأضيق أهْلِ الدّنيا حالاً ؛ اتّـخـذتهم الفراعنة عبيداً فساموهم سوءَ العَذاب ، وجَرَّعوهم المُرار ، فلم تَبْرَح الحال بهم في ذُلّ الـهَـلَـكَة وقَهْر الغَلَبَة ، لا يجدون حيلةً في امتناع ، ولا سبيلاً إلى دِفاع . حتّى إذا رأى الله سبحانه جِدّ الصّبر منهم على الأذى في محبّته ، والأحتمال للمكروه من خوفه ، جعل لهم من مضـايـق البـلاء فَـرَجـاً ، فـأبْدَلَهُمُ العزّ مكانَ الذّلّ ، والأمن مكانَ الخوف ، فصاروا ملوكاً حكّاماً ، وأئـمّـةً أعـلامـاً ، وقـد بَـلَـغَـتِ الـكـرامـة مـن الله لهـم مـا لم تذهب الآمال إليه بهم (خ/١٩٢) .

* وقَدّر الأرزاق فكثَّرَها وقَلَّلها ، وقَسَّمَها على الضِّيقِ والسَّعَة فَعَدَلَ فيها ليبتليَ مَن أرادَ بميسورها ومعسورِها ، وليختبر بذلك الشّكر والصّبر من غنيّها وفقيرها (خ/٩١) .

* صبروا أيّاماً قصيرة أعقبتهم راحة طويلة (خ/١٩٣) .

* و يقلقكم اليسير من الدّنيا يفوتكم ، حتّى يتبيّن ذلك في وجوهكم ، وقلّة صبركم عمّا زُوِيَ منها عنكم (خ/١١٣) .

* وإن ابْتُليتُم فاصبروا ، فإنّ « العاقبة للمتّقين » (خ/٩٨) .

* الـدّهـر يومان يومٌ لك و يوم عليك ، فإذا كان لك فلا تبطر ، وإذا كان عليك فاصبر ، فكلاهما سينحسر (ح/٣٩٦) .

* الـدّهـر يُـخْلِقُ الأبدان ، ويجدّد الآمال . و يقرّب المنيّة ، و يباعد الأمنيّة : مَن ظَفِرَ به نَصِبَ ، ومَن فاته تَعِب (ح/٧٢) .

* الهمّ نصف الهرم (ح/١٤٣) .

* أغْضِ على القَذَى والألم تَرْضَ أبداً (ح/٢١٣) .

* مَنْ أصبحَ على الدّنيا حزيناً فقد أصبح لقضاء الله ساخطاً ، ومَن أصبح يشكو مصيبةً نزلت به فقد أصبح يشكو ربّه (ح/٢٢٨) .

* عند تناهي الشّدّة تكون الفُرْجَة ، وعند تَضَايُق حَلَقِ البلاء يكون الرّخاء (ح/٣٥١) .

* مَن عظّم صغار المصائب ابتلاه الله بكبارها (ح/٤٤٨) .

(٤٠٨) ٤ ــ الصّبر علىٰ النّوائب والمصائب :

* (قال عليه السّلام ، وقد عزّى الأشعث بن قيس عن ابن له) :

يا أشعث ، إن تَحْزَن على ابنك فقد استحقّت منك ذلك الرَّحِم ، وإن تَصْبِر ففي الله من كلّ مصيبةٍ خَلَف .

يا أشعث ، إن صبرتَ جَرىٰ عليك القَدرَ وأنت مأجُور ، وإن جَزعت جرىٰ عليك القدر وأنت مأزور .

يا أشعث ، إبنك سرَّكَ وهو بلاءٌ وفتنة ، وحَزَنَك وهو ثوابٌ ورحمة (ح/٢٩١) .

* إذا لم يكن ما تريد فلا تُبَل ما كنت (ح/٦٩) .

* (وفي خبر آخر أنّه عليه السّلام قال للأشعث بن قيس معزّياً عن ابن له) : إن صبرتَ صَبْرَ الأكارم ، وإلاّ سلوتَ سُلُوّ البهائم (ح/٤١٤) .

* إمشِ بدائك ما مَشىٰ بك (ح/٢٧) .

* مَن صَبَرَ صبر الأحرار ، وإلاّ سلا سلوّ الأغمار (ح/٤١٣) .

* ينزل الصّبر علىٰ قَدْر المصيبة ، ومَن ضَرَبَ يَدَهُ علىٰ فَخِذِه عند مصيبته حَبطَ عمله (ح/١٤٤) .

* فلا يغلب الحرام صبركم (خ/٨١) .

* مَن لم يُنجِهِ الصّبر أهلكه الجَزَع (ح/١٨٩) .

* والصّبر يُناضل الحِدْثان ، والجزع من أعوان الزّمان (ح/٢١١) .

* (وقال عليه السّلام وهو يلي غسل رسول الله (ص) وتجهيزه) :

ولو لا أنّك أمرتَ بالصّبر ، ونهيتَ عن الجَزَع ، لأنفذنا عليك ماء الشّؤون ، ولكان الدّاء مماطلاً ، والكمد محالفاً ، وقلاّ لك (ك/٢٣٥) .

* وعوِّد نفسك التصبّر على المكروه ... اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصّبر وحسن اليقين (ر/٣١) .

(٤٠٩) ٥ ــ الصّبر في تطبيق أحكام الله تعالىٰ من قِبَل المسؤولين :

* فانصِفوا النّاس من أنفسكم ، واصبروا لحوائجهم ، فإنّكم خُزّان الرّعيّة ، ووكلاءِ

الأمّة ، وسفراء الأئمّة (ر/٥١) .

* وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلاّ بالاهتمام والاستعانة بالله ، وتوطين نفسه على لزوم الحقّ ، والصّبر عليه فيما خفّ عليه أو ثَقُل ... والحقّ كلّه ثقيل ، وقد يخفّفُه الله على أقوامٍ طَلَبُوا العاقبة فصبَّروا أنْفُسَهم ، وَوَثِقُوا بصدقِ موعود الله لهم .

وألْزِم الحقّ من لَزِمَه مِنَ القريب والبعيد ، وكُنْ في ذلك صابراً مُحْتَسِباً ، واقعاً ذلك من قرابتك وخاصّتك حيث وَقَع ، وابتَغِ عاقبتَه بما يَثْقُلُ عليك مِنْهُ ، فإنّ مغبّة ذلك محمودةً .

ولا يَدْعُوَنَّكَ ضيقُ أمرٍ ، لَزِمَك فيه عهد الله ، إلى طلب انفساخه بغير الحقّ ، فإنّ صبرك على ضيق أمرٍ ترجو انفراجه وفضل عاقبته خيرٌ من غَدْرٍ تخاف تَبِعَتَهُ (ر/٥٣) .

* (يامالك) ثمّ اختر للحكم بين النّاس أفضل رعيّتك في نفسك ... وأصبرهم على تكشّف الأمور (ر/٥٣) .

الفصل الخامس

« الصّدق والكذب »

(٤١٠) في أهميّة الصّدق ومضارّ الكذب ، وذمّ الكذب وأنّه من علامات المنافقين ، ومدح الصّدق وأنّه من علامات المؤمنين :

* أما وشـر القول الكذب (خ/٨٤) .
* جانبوا الكذب فإنّه مجانبٌ للأيمان (خ/٨٦) .
* الايمان أن تؤثر الصّدق حيث يضرّك على الكذب حيث ينفعك (ح/٤٥٨) .
* ورجل منافق مظهر للايمان ... يكذب على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم متعمداً ... وآخر رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله مبغضٌ للكذب خوفاً من الله (خ/٢١٠) .
* وإيّاك ومصادقة الكذّاب ، فإنّه كالسّراب يقرّب عليك البعيد ، و يبعّد عليك القريب (ح/٣٨) .
* الصّادق على شَفا منجاةٍ وكرامة ، والكاذب على شرف مَهْواةٍ ومَهانَة (خ/٨٦) .
* قَدْرُ الرّجل على قدر همّته ، وصِدقُه على قَدْر مروءته (ح/٤٧) .

(٤١١) الصّدق من صفات الله الحسنىٰ ، والقرآن أصدق الكتب السّماويّة :

* الحمد لله ... الّذي صَدَق في ميعاده ، وارتفع عن ظلم عباده (خ/١٨٥) .
* واستحقّوا منه (تعالىٰ) ما أعدّ لكم بالتّنجّز لصدق ميعاده (خ/٨٣) .
* بعث الله رسله ... فدعاهم بلسان الصّدق إلى سبيل الحقّ (خ/١٤٤) .

* واعلموا أنّ هذا القرآن هو النّاصح الّذي لا يَغُشّ ... والمحَدِّث الّذي لا يكذب (خ/١٧٦).

(٤١٢) في أنّ محمّداً (ص) هو الصّادق الأمين :

* فهو أمينُك المأمون، وخازنُ علمِك المخزون (خ/٧٢).
* أرسَلَهُ على حينِ فترةٍ من الرُّسُل ... فجاءَهم بتصديق الّذي بين يديه (خ/١٥٨).
* رسول الله أمينُ وحيِهِ (خ/١٨٣).
* وأشهد أنّ محمّداً عبدَه ورسوله الصفيّ، وأمينُهُ الرضـيّ (خ/١٨٥).
* فأدّى أميناً، ومَضى رشيداً (خ/١٠٠).

(٢١٣) في أنّ أهل بيت الرّسول (ص) هم الصّادقون المصدّقون أيضاً :

* فأين يُتاه بكم، وكيف تعمهون، و بينكم عترة نبيّكم ! وهم أزمّة الحقّ، وأعلامُ الدّين، وألسنةُ الصّدق (خ/٨٧).
* قد خاضوا بحار الفِتَن، وأَخَذُوا بالبِدَع دون السُّنَن، ونطق الضّالّون المكذّبون، نحن الشِّعار والأصحاب، والخَزَنَة والأبواب (خ/١٥٤).
* فيهم كرائم القرآن، وهم كنوز الرّحمٰن : إن نَطَقوا صَدَقُوا، وإن صَمَتوا لم يُسْبَقوا (خ/١٥٤).
* اللّهم بَلىٰ ! لا تخلو الأرض من قائمٍ لله بحُجَّة، إمّا ظاهراً مشهوراً، وإمّا خائفاً مغموراً، لَئلاّ تبطل حجج الله و بيّناته، وكم ذا وأين أولٰئك ؟ أولٰئك ــ والله ــ الأقلّون عدداً، والأعظمون عند الله قدراً ؛ يحفظ الله بهم حججه و بيّناتِه، حتّى يودعوها نُظَراءهم، و يزرعوها في قلوب أشباههم (ك/١٤٧).
* وإنّا لاُمَراءُ الكلام، وفينا تنشَّبَت عروقه، وعلينا تهدّلت غصونه (ك/٢٣٣).
* (الرسول (ص)) وما وجد لي كذبةً في قول، ولا خطلةً في عمل (خ/١٩٢).
* رضينا عن الله قضاءهَ، وسلّمنا لله أمره، أتَراني أكذبُ علىٰ رسول الله (ص) ؟ والله لأنا أوّل من صَدَّقه، فلا أكون أوّل من كَذَبَ عليه (خ/٣٧).

* ما كَذَبْتُ ولا كُذِبتُ ، ولا ضَلَلْتُ ولا ضُلَّ بي (ح/١٨٥) .
* ولقد بَلَغَني أنكم تقولون : عليٌّ يكذب ، قاتلكم الله تعالىٰ ! فَعَلىٰ مَن أكذب ؟ أعلى الله ؟ فأنا أوّل من آمن به ! أم علىٰ نبيّه ؟ فأنا أوّل من صَدَّقَه ! كلاّ والله ، لكنّها لهجةٌ غِبْتُم عنها ، ولم تكونوا من أهلها (خ/٧١) .
* فَوَ الّذي فَلَقَ الحبّة ، و بَرَأ النَّسَمَة ، إن الّذي أنبّئكم به عن النبيّ الأمّيّ (ص) ، ما كَذَبَ المبلِّغ ، ولا جَهِلَ السّامع (خ/١٠١) .

أقسام الكَذِب :

(٤١٤) ١ ــ الكذِب في القول :

* أما وشر القول الكذب إنّه (عمرو بن العاص) ليقول فيكذب (خ/٨٤) .
* (ذكر الملاحم) وتكذبون من غير إحراج (خ/١٨٧) .
* واعلموا رَحِمَكم الله أنّكم في زمانٍ القائل فيه بالحقّ قليل ، واللّسان عن الصّدق كليل (ك/٢٣٣) .

(٤١٥) ٢ ــ الكَذِب في إخلاص النيّة :

* أشهد أن لا إله إلاّ الله ... شهادة من صدقت نيّته وصفت دخلته (خ/١٧٨) .
* ونشهد أن لا إله إلاّ الله ... شهادة يوافق فيها السّرّ الأعلان والقلب اللّسان (خ/١٩٧) .
* ولو أنّ النّاس حين تنزل بهم النّقم ، وتزول عنهم النّعم ، فزعوا إلى ربّهم بصدق من نيّاتهم ... لردّ عليهم كلّ شارد (خ/١٧٨) .
* وإنّ سبحانه يُدْخِل بصدق النيّة والسّريرة الصّالحة من يشاء من عباده الجنّة (ح/٤٢) .

(٤١٦) ٣ ــ الكذب في العمل :

* (قاله لطلحة والزّبير) وإن كنتما بايعتماني كارهَين ، فقد جعلتما لي عليكما السّبيل

بإظهاركما الطّاعة ، وإسراركما المعصية (ر/٥٤) .

* ومن لم يختلف سرّه وعلانيته وفعله ومقالته فقد أدّى الأمانة وأخلص العبادة (ر/٢٦) .

* وأحذّرك أن تكون متمادياً في غرّة الأمنية مختلف العلانية والسّريرة (ر/١٠) .

* اللّهم إنّي أعوذ بك من أن تحسّن في لامعة العيون علانيتي وتقبّح فيما أبطن لك سريرتي (ح/٢٧٦) .

* واستُعْمِلَت المودّة باللّسان ، وتشاجَرَ النّاس بالقلوب (خ/١٠٨) .

* وأمَرَه ألاّ يعمل بشيءٍ من طاعة الله فيما ظهر فيخالف إلى غيره فيما أسَرّ (ر/٢٦) .

* (المتقي) يمزج الحلم بالعلم ، والقول بالعمل (خ/١٩٣) .

* لا تكن ممّن ... فهو بالقول مُدِلّ ومن العمل مقلّ (ح/١٥٠) .

* الدّاعي بلا عمل كالرّامي بلا وتر (ح/٣٣٧) .

* الأيمان أن ... وألاّ يكون في حديثك فضلٌ عن عملك (ح/٤٥٨) .

* يدّعي بزعمه أنّه يرجو الله ، كَذَبَ والعظيم ! ما بالُهُ لا يتبيَّن رجاؤه في عمله ؟ فكلّ مَن رَجا عُرِفَ رجاؤه في عمله (خ/١٦٠) .

* ولقد قال لي رسول الله (ص) : « إنّي لا أخاف علىٰ أمّتي مؤمناً ولا مُشركاً ؛ أمّا المؤمن فيمنَعُه الله بإيمانه ، وأمّا المشرك فيقمعُهُ الله بشركه . ولكنّي أخاف عليكم كلّ منافق الجنان ، عالِمِ اللّسان ، يقول ما تعرفون ، و يفعل ما تُنكِرون » (ر/٢٧) .

* ومَن علم أنّ كلامه من عمله قلّ كلامه (ح/٣٤٩) .

* واعملوا في غير رياء ولا سمعة فإنّه من يعمل لغير الله يكله الله لمن عمل له (خ/٢٣) .

من الكذب :

(٤١٧) ١ ــ اليمين الكاذبة :

* أَحْلِفوا الظّالم ــ إذا أردتم يمينه ــ بأنّه بريءٌ من حول الله وقوّته ؛ فإنّه إذا حلف بها كاذباً عُوجِلَ العقوبة . وإذا حلف بالله الّذي لا إلٰهَ إلاّ هو لَمْ يعاجَل . لأنّه قد وحّد الله تعالىٰ (ح/٢٥٣) .

(٤١٨) ٢ ــ خلف الوعد :

* وإيّاكَ والمنّ على رعيّتك ... أو أن تَعِدَهم فتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بخُلْفك ... والخُلْف يوجبُ المقتَ عند الله والنّاس . قال الله تعالىٰ : « كَبُرَ مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » (ر/٥٣) .

* المسؤول حرٌّ حتّى يعد (ح/٣٣٦) .

* (عمرو بن العاص) إنّه ليقول فيكذب ، و يعد فيُخْلِف (خ/٨٤) .

* أيّها النّاس ، إنّ الوفاء توأم الصّدق ، ولا أعلم جُنَّةً أوقىٰ منه (خ/٤١) .

* فحط عهدك بالوفاء وارعَ ذمّتك بالأمانة ... فلا تغدرنّ بذمّتك ، ولا تخيسنّ بعهدك ... فإنّه ليس من فرائض الله شيء النّاس أشدّ عليه اجتماعاً مع تفرّق أهوائهم وتشتّت آرائهم من عظيم الوفاء بالعهود (ر/٥٣) .

* اعتصموا بالذِّمَم في أوتادها (ح/١٥٥) .

* فتعصّبوا لخلال الحمد من الحفظ للجوار ، والوفاء بالذّمام (خ/١٩٢) .

* الوفاء لأهل الغدر غدرٌ عند الله ، والغدر بأهل الغدر وفاءٌ عند الله (ح/٢٥٩) .

في علاج رذيلة الكذب :

(٤١٩) ١ ــ اجتناب مجالسة الفسّاق والكاذبين ومجالسة الصّلحاء والصّادقين :

* وإيّاك ومصادقة الكذّاب ، فإنّه كالسَّراب : يقرّب عليك البعيد ، و يبعّد عليك القريب (ح/٣٨) .

* قارن أهل الخير تكن منهم ، و باين أهلَ الشرّ تَبِنْ عنهم (ر/٣١) .

* وَالْصَق بأهل الوَرَع والصّدق (ر/٥٣) .

* واحذر منازل الغفلة والجفاء وقلّة الأعوان علىٰ طاعة الله ... وإيّاك ومصاحبة الفُسّاق ، فإنّ الشرّ بالشرّ مُلْحَق (ر/٦٩) .

(٤٢٠) ٢ ــ التروّي والتثبّت من كل حقيقة قبل الأدلاء بها :

* ولا تحدّث النّاس بكلّ ما سمعت به ، فكفَى بذلك كذباً (ر/٦٩) .

* لا تقل مالا تعلم ، بل لا تقل كلّ ما تعلم ، فإنّ الله فرض على جوارحك كلّها فرائض يحتجّ بها عليك يوم القيامة (ح/٣٨٢) .
* الأيمان أن . . . وأن تتّقي الله في حديث غيرك (ح/٤٥٨) .

الفصل السّادس

« الأمانـة والخيانـة »

(٤٢١) الدّعوة إلى الأمانة، وأهميتها، والتّحذير من الخيانة وبيان بعض مضارّها:

* ومَـن اسـتهان بالأمانة، ورَتَعَ في الخيانة، ولم ينزّه نفسه ودينه عنها، فقد أحلّ بنفسه الذّل والخزي في الدّنيا، وهو في الآخرة أذلّ وأخزى (ر/٢٦).

* ثـمّ أداءَ الأمـانـة، فـقـد خـاب مـن لـيسَ من أهلها؛ إنّها عُرِضَـت علىٰ السّماوات المبـنـيّة، والأَرَضِين المدحوّة، والجبال ذات الطّول المنصوبة، فلا أطولَ ولا أعرض، ولا أعـلىٰ ولا أعظم منها. ولو امتنع شيءٌ بطولٍ أو عرضٍ أو قوّةٍ أو عِزٍّ لامْتَنَعْنَ؛ ولكن أَشْفَقْنَ من الـعـقـوبـة، وعَـقَـلْـنَ مـا جَـهِـلَ مَن هُوَ أضعف منهُنّ، وهو الانسان، « إنّه كان ظَلُوماً جهولاً » (خ/١٩٩).

* وإنّـي والله لأظـنّ أنّ هٰؤلاء القوم سيُدالون منكم باجتماعهم علىٰ باطلهم، وتفرّقكم عن حقّكم ... وبأدائهم الأمانة إلى صاحبهم وخيانتكم (خ/٢٥).

* وكذٰلك المرء المسلم البريء من الخيانة ينتظر من الله إحدى الحُسْنَيَيْن (خ/٢٣).

في أهمّ أنواع الأمانات:

(٤٢٢) ١ ـ الأمانة على الوحي والتّنزيل، ومَن هم الأمناء على ذلك:

* إنّ الله بَعَثَ محمّداً (ص) نذيراً للعالمين، وأميناً علىٰ التّنزيل (خ/٢٦).

* اللّهم ... وهو (رسول الله) أمينك المأمون وخازن علمك المخزون (خ/٧٢).

* فهو أمينك المأمون وشهيدك يوم الدّين (خ/١٠٦).

* أمين وحيه ، وخاتم رسله (خ/١٧٣) .
* أرْسَلَهُ بأمره صادعاً ، و بذكره ناطقاً ، فأدّى أميناً ، ومضى رشيداً (خ/١٠٠) .
* وأشهد أنّ محمّداً عبده ، ورسوله الصّفيّ ، وأمينه الرّضي (خ/١٨٥) .
* فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً ... من الشّجرة الّتي صَدَع منها أنبياءه وانتجب منها أمناءه (خ/٩٤) .
* (الملائكة) ومنهم أمناء على وحيه (خ/١) .
* (الملائكة) جعلهم الله فيما هنالك أهل الأمانة على وحيه (خ/٩١) .
* واصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم وعلى تبليغ الرّسالة أمانتهم (خ/١) .

(٤٢٣) ٢ ــ الأمانة على الحكم وأموال الرّعيّة ، ومنهجيّة الامام(ع) في اختيار المسؤولين الأمناء ، ومعاملة الخونة منهم :

* وإنّ أعظم الخيانة خيانة الأمّة ، وأفظع الغشّ غشّ الأئمّة (ر/٢٦) .
* (إلى عامله على الصّدقات) لا تأخذنّ عوداً ولا هرمةً ولا مكسورة ولا مهلوسة ولا ذات عوار ، ولا تأمننّ عليها إلاّ من تثق بدينه ... ولا توكّل بها إلاّ ناصحاً شفيقاً ، وأميناً حفيظاً (ر/٢٥) .
* (إلى عامله على البحرين ــ المخزومي ــ) : فلقد أحسنت الولاية ، وأدّيت الأمانة (ر/٤٢) .
* (إلى بعض عمّاله) : أمّا بعد ، فقد بَلَغَني عنك أمرٌ ، إن كنتَ فعلتَه فقد أسخطت ربّك ، وعصيتَ إمامك ، وأخزيتَ أمانتك ؛ بَلَغَني أنّك جرّدتَ الأرض فأخذتَ ما تحت قدميك ، وأكلتَ ما تحت يديك ، فارفع إليّ حسابك ، واعلم أنّ حسابَ الله أعظم من حساب النّاس والسّلام (ر/٤٠) .
* (إلى المنذر العبدي وقد خان في بعض ما ولاّه من أعماله) :

تعمر دنياك بخراب دينك ، وتصل عشيرتك بقطيعة دينك ، ولئن كان ما بَلَغَني عنك حقّاً ، لَجَمَلُ أهلك وشِسْعُ نعلك خيرٌ منك ، ومَن كان بصفتك فليس بأهل أن يُسَدَّ به

ثَغر... أو يُشْرَك في أمانة، أو يُؤمَن على جباية (ر/٧١).

* (إلى بعض عمّاله) أمّا بعد، فإنّي كنتُ قد أشركتُك في أمانتي، وجعلتُك شِعاري وبطانتي، ولم يكن رجلٌ من أهلي أوثق منك في نفسي لمُواساتي ومُوازَرَتي وأداء الأمانة إليّ؛ فلمّا رأيتَ الزّمان على ابن عمّك قد كَلِب، والعدوّ قد حَرِب، وأمانَةَ النّاس قد خَزِيَت، وهٰذه الأمّة قد فَنَكَتْ وشَغَرَت، قلبتَ لابن عمّك ظَهْرَ المِجَنّ ففارقتَه مع المُفارقين، وخَذَلتَه مع الخاذلين، وخُنْتَه مع الخائنين، فلا ابنَ عمّك آسَيْتَ، ولا الأمانة أدّيت (ر/٤١).

* (إلى أشعث بن قيس عامل أذربيجان) وإنّ عملك ليس لك بطُعْمَة، ولكنّه في عنقك أمانة، وأنتَ مسترعىً لمن فوقك، ليس لك أن تفتاتَ في رعيّة، ولا تُخاطِر إلّا بوثيقة، وفي يديك مالٌ من مال الله عزّ وجلّ، وأنتَ من خزّانه حتّى تسلّمه إليّ (ر/٥).

* ثمّ انظر في أمور عمّالك فاستعملهم اختباراً، ولا تولّهم محاباةً وأَثَرَةً، فإنّهم جِماعٌ من شُعَبِ الجور والخيانة. وتَوَخَّ منهم أهل التّجربة والحياء، من أهل البيوتات الصّالحة، والقَدَم في الاسلام المتقدّمة، فإنّهم أكرم أخلاقاً، وأَصَحُّ أعراضاً، وأَقَلّ في المطامع أشراقاً، وأَبْلَغُ في عواقب الأمور نَظَراً. ثمّ اسبغ عليهم الأرزاق، فإنّ ذلك قوّةٌ لهم على استصلاح أنفسهم، وغِنىً لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجةٌ عليهم إن خالفوا أمرك وثَلَمُوا أمانَتَك. ثمّ تفقّد أعمالهم، وأبعث العيون من أهل الصّدق وَالوفاء عليهم، فإنّ تعاهُدَك في السّرّ لأمورهم حَدْوَةً لهم علىٰ استعمال الأمانة، والرّفق بالرّعيّة. وتَحَفَّظ من الأعوان؛ فإن أحدٌ منهم بَسَطَ يَدَه إلى خيانةٍ اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك، اكتفيت بذلك شاهِداً، فبسطتَ عليه العقوبة في بدنه، وأخذتَه بما أصابَ من عمله. ثمّ نَصَبْتَهُ بمقام المذلّة، ووسَمْتَهُ بالخيانة، وقلّدته عار التّهمة (ر/٥٣).

* (الكتّاب) ثمّ لا يكن اختيارك إيّاهم علىٰ فراستك واستنامتك وحسن الظّنّ منك، فإنّ الرّجال يتعرّضون لفراسات الولاة بتصنّعهم وحسن خدمتهم، وليس وراء ذلك من النّصيحة والأمانة شيء. ولكن اختبرهم بما وُلّوا للصّالحين قبلك، فاعمد لأحسنهم كان في العامّة أثَراً، وأعرفهم بالأمانة وجهاً (ر/٥٣).

الفصل السّابع

« التّواضـع والتكبّـر »

(٤٢٤) أهميّة التّواضع والدّعوة إليه ، وذمّ التّكبرّ والتّحذير منه :

* ... لا حَسَبَ كالتّواضع ، ولا شرف كالعلم (ح/١١٣) .
* واتّخذوا التّواضع مَسْلَحَةً بينكم و بين عدوّكم إبليس وجنوده (خ/١٩٢) .
* و بالتّواضع تتمّ النّعمة (ح/٢٢٤) .
* والحِرْصُ والكِبْرُ والحَسَدُ دواعٍ إلى التقحّم في الذّنوب (ح/٣٧١) .
* واستعيذوا بالله من لواقح الكبر ، كما تستعيذونه من طوارق الدّهر (خ/١٩٢) .
* واعتمدوا وَضْعَ التذلّل علىٰ رؤوسكم ، وإلقاء التّعزّز تحت أقدامكم ، وخلع التّكبّر من أعناقكم (خ/١٩٢) .
* فالله الله في كبر الحميّة ، وفخر الجاهليّة ! فإنّه ملاقح الشّنَآن ، ومنافخ الشّيطان ، الّتي خَدَع بها الأمم الماضية ، والقرون الخالية ؛ حتّى أَعْنَقوا في حنادس جهالته ، ومهاوي ضلالته ، ذُلُلاً عن سياقه ، سُلُساً في قياده ، أمراً تشابهت القلوب فيه ، وتتابعت القرون عليه ، وكِبْراً تضايقت الصُّدور به (خ/١٩٢) .
* ضَع فخرك ، واحطط كِبْرَكَ ، واذكر قبرَك (ح/٣٩٨) .

(٤٢٥) التّواضُع المطلوب من المتّقين ، وأمثلة عليا لأعظم المتواضعين :

* (المتّقي) بعده عمّن تباعد عنه زهدٌ ونزاهة ، ودنوّه ممّن دنا منه لينٌ ورحمة ، ليس تباعده بكبرٍ وعَظَمَةٍ ، ولا دنوّه بمكرٍ وخديعة (خ/١٩٣) .
* (المتّقون) وملبسهم الاقتصاد ، ومشيهم التّواضع (خ/١٩٣) .

* ولقد كان(ص) يأكل على الأرض، ويجلس جلسة العبد، ويخصف بيده نَعْلَهُ، و يرقَعُ بيده ثوبه، و يركب الحمار العاري، و يُردِف خَلْفَه (خ/١٦٠).

* (الأنبياء والأولياء)... خَفَضُوا أجنحتهم للمؤمنين وكانوا قوماً مستضعفين (خ/١٩٢).

* وإنّي لمن قومٍ... لا يستكبرون ولا يَغْلُونَ، ولا يغلّون ولا يفسدون (خ/١٩٢).

(٤٢٦) تواضع مذموم، وتكبّر ممدوح:

* ومَن أتَىٰ غنيّاً فتواضَعَ له لغناه ذهب ثلثا دينه (ح/٢٢٨).

* ما أحسن تواضعَ الأغنياء للفقراء طَلَباً لما عند الله، وأحسن منه تِيْهُ الفقراء على الأغنياء اتكالاً على الله (ح/٤٠٦).

* خيار خصال النّساء شرار خصال الرّجال: الزّهو والجبن والبخل؛ فإذا كانت المرأة مزهوّةً لم تمكّن من نفسِها... (ح/٢٣٤).

(٤٢٧) الكبرياء من صفات الله تعالىٰ الّتي اختصّ بها دون خلقه، وحرّمها عليهم، وبيان العلّة في ذلك:

* الحمد لله الّذي لبس العزّ والكبرياء، واختارهما لنفسه دون خلقه، وجعلهما حِمىً وحَرَماً علىٰ غيره، واصطفاهما لجلاله، وجعل اللّعنة علىٰ مَن نازعه فيهما من عباده (خ/١٩٢).

* فلو رَخَّصَ الله في الكِبْر لأحدٍ من عباده لَرَخَّصَ فيه لخاصّة أنبيائه وأوليائه، ولكنّه سبحانه كَرَّه إليهم التّكابر، ورَضِيَ لهم التّواضع، فألصقوا بالأرض خدودهم، وعَفَّروا في التّراب وجوههم... ولو كانت الأنبياء أهل قوّةٍ لا تُرام، وعِزَّةٍ لا تُضام، ومُلْكٍ تُمَدُّ نحوه أعناق الرِّجال، وتُشَدّ إليه عُقَدُ الرِّحال، لكان ذلك أهْوَنَ عَلَىٰ الخلق في الأعتبار، وأَبْعَدَ لهم في الأستكبار، ولآمَنوا عن رهبةٍ قاهرةٍ لهم، أو رغبةٍ مائلةٍ بهم، فكانت النّيّات مشْتَرَكةً، والحَسَنات مُقْتَسَمَةً. ولكنّ الله سبحانه أراد أن يكون الأتّباعُ لِرُسُلِهِ، والتّصديق بكُتُبِهِ، والخشوع لوجهه، والاستكانة لأمره، والاستسلام لطاعته، أموراً له خاصّةً، لا

تشوبُها من غيرها شائبة . وكُلّما كانت البلوى والاختبار أعظم كانت المثوبة والجزاء أجزل (خ/١٩٢) .

(٤٢٨) في الّذين نازَعوا الله تعالى كبرياءَه، وأن إبليس كان أوّلهم في ذلك :

* « ... فسجد الملائكة كلّهم أجمعون . إلاّ إبليس » اعتَرَضَتْهُ الحميّة ، فافتخر علىٰ آدم بخَلْقه ، وتعصّب عليه لأصله . فعدوّ الله إمام المتعصّبين ، وسَلَفُ المستكبرين ، الّذي وَضَعَ أساس العصبيّة ، ونازَعَ الله رداء الجبريّة ، وادَّرَعَ لباس التّعزّز، وخَلَعَ قِناعَ التذلّل (خ/١٩٢) .

* ألا فالحَذَرَ الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم! الّذين تكبَّرُوا عن حَسَبِهِم ، وتَرَفَّعوا فوق نَسَبِهِم ، وألْقَوُا الهجينَةَ علىٰ ربّهم ، وجاحَدُوا الله علىٰ ما صَنَعَ بهم ، مكابرةً لقضائه ، ومغالبةً لآلائه ؛ فإنّهم قواعد أساس العصبيّة ، ودعائم أركان الفتنة ، وسيوف اعتزاء الجاهليّة (خ/١٩٢) .

في بواعث الكِبر:

(٤٢٩) ١ ـ الاعتزاز بالنّفس والاعجاب بها :

* (إبليس) وادَّرَعَ لباس التّعزّز، وَخَلَعَ قِناعَ التذلّل (خ/١٩٢) .
* (إبليس) وتَعَزَّزَ بخلقة النّار، واستَوْهَنَ خَلْقَ الصّلصال (خ/٦٥) .
* ولا تكونوا كالمتكبرّ علىٰ ابن أمّه (قابيل) من غير ما فضلٍ جَعَلَهُ الله فيه سوى ما ألحقت العظمة بنفسه من عداوة الحسَدَ (خ/١٩٢) .

(٤٣٠) ٢ ـ الفخر بالحسَب والنَّسَب :

* أمّا إبليس فَتَعَصَّبَ علىٰ آدم لأصله ، وطَعَنَ عليه في خلقته ، فقال : أنا ناريّ ، وأنت طيني (خ/١٩٢) .
* فالله الله في كبر الحميّة ، وفخر الجاهليّة ! فإنّه ملاقح الشَّنَآن ، ومنافخ الشّيطان الّتي خَدَعَ بها الأمم الماضية ، والقرون الخالية (خ/١٩٢) .

* ألاَ فالحَذَرَ الحَذَر من طاعة ساداتكم وكبرائكم ! الّذين تكبّروا عن حسبهم ، وترفّعوا فوق نَسَبِهِم (خ/١٩٢) .

* إلاّ إبليس ، اعترضته الحميّة ، فافتخر على آدم بخلقه ، وتَعَصَّبَ عليه لأصله . فعدُوّ الله إمام المتعصّبين ، وسَلَفُ المستكبرين (خ/١٩٢) .

(٤٣١) ٣ ــ الاغترار بكثرة المال والولد :

* وأمّا الأغنياء من مُتْرَفَة الأمم ، فتَعَصَّبوا لآثار مواقع النِّعَم ، فقالوا : « نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمُعَذَّبين » (خ/١٩٢) .

* مَن نال استطال (ح/٢١٦) .

(٤٣٢) ٤ ــ كثرة الإطراء :

* كثرة الإطراء تُحْدِث الزّهو، وتُدني من العزّة (ر/٥٣) .

* رُبَّ مفتونٍ بحسن القول فيه (ح/٤٦٢) .

في علاج التّكبّر:

(٤٣٣) ١ ــ تربية النّفس على أنّ التّواضع أشرف حسب ، وأعلى نَسَب ، وأنّ التّواضع من أهمّ نعم الله على عباده وبدونه تكون ناقصة :

* ولا حَسَبَ كالتّواضع ، ولا شَرَفَ كالعلم (ح/١١٣) .

* و بالتّواضع تتمّ النّعمة (ح/٢٢٤) .

* واكرم الحَسَب حُسْنُ الخُلُق (ح/٣٨) .

(٤٣٤) ٢ ــ عدم حبّ الاطراء واستماع الثّناء :

* والصَق بأهل الوَرَع والصّدق ؛ ثمّ رضهم عَلىٰ ألاّ يُطروك ولا يبجحوك بباطلٍ لم تفعله ، فإنّ كثرة الاطراء تحدث الزّهو، وتُدْني من العزّة (ر/٥٣) .

* (المتّقون) : إذا زُكِّيَ أحدٌ منهم خاف ممّا يُقالُ له ، فيقول : أنا أعلم بنفسي من غيري ، وربّي أعلم بي مِنْ بنفسي ! اللّهم لا تؤاخذني بما يقولون ، واجعلني أفضل ممّا يظنّون ، واغفر لي مالا يعلمون (خ/١٩٣) .

* (المؤمن) : يكره الرّفعة ، و يشنأ السّمعة (ح/٣٣٣) .

(٤٣٥) ٣ ــ مجانبة الفخر:

* ضَعْ فخرك ، واحطط كِبْرَكَ ، واذكر قبرَكَ (ح/٣٩٨) .

* فلا تنافَسوا في عزّ الدّنيا وفخرها ، ولا تعجبوا بزينتها ونعيمها ، ولا تجزعوا من ضرّائها و بؤسها ، فإنّ عزّها وفخرها إلى انقطاع ، وإنّ زينتها ونعيمها إلى زوال ، وضرّاءها و بؤسها إلى نفاد ، وكلّ مدّةٍ فيها إلىٰ انتهاء ، وكلّ حيٍّ فيها إلى فناء (خ/٩٩) .

* أم بماذا تغترّون ! وإنّما حظّ أحدكم من الأرض ذات الطّول والعرض ، قِيدُ قَدّهِ ، متعفّراً علىٰ خدّهِ ! (خ/٨٣) .

* واتّعظوا فيها بالّذين قالوا : « مَن أَشَدُّ منّا قوّةً » : حُمِلُوا إلى قبورهم فلا يُدْعَوْنَ رُكباناً ، وأُنزِلوا الأجداث فلا يُدْعَوْنَ ضِيفاناً (خ/١١١) .

* قاله بعد تلاوته : « ألهاكم التّكاثر ، حتّى زرتُمُ المقابر » ياله مراماً مأبعده ! وزَوْراً ماأغفله ! وخَطَراً ماأفظَعه ! لقد استَخْلَوا منهم أيّ مُدَّكر ، وتناوَشوهم من مكانٍ بعيد ! أفبمصارع آبائهم يفخرون ! أم بعديد الهَلْكىٰ يتكاثرون ! يرتجعون منهم أجساداً خَوَت ، وحركات سَكَنَتْ . ولأن يكونوا عِبَراً ، أحقّ من أن يكونوا مفتَخَراً ؛ ولأن يَهْبِطوا بهم جناب ذِلَّة ، أحجىٰ من أن يقوموا بهم مقام عزّة (ك/٢٢١) .

* وعجبتُ للمتكبرّ الّذي كان بالأمس نطفة ، و يكون غداً جيفة (ح/١٢٦) .

* مالابن آدم والفخر : أوّله نطفة ، وآخره جيفة ، ولا يرزق نفسه ، ولا يدفع حتفه (ح/٤٥٤) .

* مسكين ابن آدم : مكتوم الأجل ، مكنون العِلَل ، محفوظ العمل . تؤلمه البقّة ، وتقتله الشَّرَقَة ، وتُنْتِنُهُ العَرقَة (ح/٤١٩) .

(٤٣٦) ٤ ـ تعظيم الله تعالىٰ وتحقير كلّ ما سواه، والتّواضع له والاستسلام:

* وإنّه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعظّم، فإنّ رفعة الّذين يعلمون ما عظمته أن يتواضعوا له، وسلامة الّذين يعلمون ما قدرته أن يستسلموا له (خ/١٤٧).

* (المتّقون) عظم الخالق في أنفسهم فصَغُرَ ما دونه في أعينهم (خ/١٩٣).

* إنّ من حقّ مَن عظم جلال الله سبحانه في نفسه، وجلّ موضعه من قلبه أن يصغر عنده لعظم ذلك كلّ ما سواه... وقد كرهتُ أن يكون جال في ظنّكم أنّي أحبّ الإطراء، واستماع الثّناء؛ ولستُ ـ بحمد الله ـ كذلك، ولو كنت أحبُّ أن يُقال ذلك لتركتُهُ انحطاطاً لله سبحانه عن تناول ما هو أحقّ به من العظمة والكبرياء (خ/٢١٦).

* من عظمت الدّنيا في عينه وكبر موقعها من قلبه آثرها على الله تعالى (خ/١٦٠).

* كان لي فيما مضى أخٌ في الله، وكان يعظّمه في عيني صِغَرُ الدّنيا في عينه (ح/٢٨٩).

* (حج البيت الحرام) وجعله سبحانه علامةً لتواضعهم لعظمته واذعانهم لعزّته (خ/١).

* (أهل الذّكر) رهائن فاقةٍ إلىٰ فضله، وأسارى ذلّةٍ لعظمته (خ/٢٢٢).

* (يامالك) وإذا أحْدَثَ لك ما أنتَ فيه من سلطانك اُبَّهَةً أو مَخِيلَةً، فانظر إلىٰ عِظَمِ مُلْكِ الله فوقك، وقدرَتِهِ منك علىٰ مالا تقدر عليه من نفسك، فإنّ ذلك يطامِن إليك من طماحِك، و يكفّ عنك من غَرْبك، و يفيء إليك بما عَزَبَ عنك من عقلك! (ر/٥٣).

(٤٣٧) ٥ ـ المواظبة علىٰ العبادات والطّاعات الّتي تقوّي من مَلَكة التذلّل لله سبحانه وتعالىٰ وتُنميّها:

* وعن ذلك ما حَرَسَ الله عباده المؤمنين بالصّلَوات والزّكَوات، ومجاهدة الصّيام في الأيّام المفروضات، تسكيناً لأطرافهم، وتخشيعاً لأبصارهم، وتذليلاً لنفوسهم، وتخفيضاً لقلوبهم، وإذهاباً للخُيَلاء عنهم، ولِما في ذلك من تعفير عتاق الوجوه بالتّراب تواضُعاً، والتصاق كرائم الجوارح بالأرض تصاغراً، ولُحُوق البطون بالمتون من الصّيام تذلُّلاً... انظروا إلىٰ ما في هٰذه الأفعال من قمع نواجم الفخر، وقَدْع طوالع الكِبْر! (خ/١٩٢).

* والصّلاة تنزيهاً من الكبر (ح/٢٥٢).

* ألا تَرَوْنَ أنّ الله، سبحانه، اختبر الأوّلين من لَدُنْ آدم صلوات الله عليه، إلىٰ

الآخرين من هٰذا العالم ؛ بأحجارٍ لا تَضُرُّ ولا تَنْفَع ، ولا تُبصِر ولا تَسْمَع ، فَجَعَلَها بَيْتَهُ الحَرامَ « الّذي جعله للنّاس قياماً » . ثمّ وَضَعَهُ بأوعر بقاع الأرضِ حَجَراً ، وأقلّ نتائق الدّنيا مَدَراً ، وأَضْيَقِ بطون الأودية قُطْراً . بين جبالٍ خَشِنَةٍ ، ورمالٍ دَمِثَةٍ ، وعيونٍ وَشِلَةٍ ، وقُرىً منقطعةٍ ، لا يزكو بها خُفٌّ ، ولا حافِرٌ ولا ظِلْفٌ . ثمّ أَمَرَ آدَمَ عليه السّلام وَوَلَدَه أن يَثْنُوا أعطافَهم نحوه ، ... حتّىٰ يهزّوا مناكبهم ذُلُلاً يُهَلِّلون لله حوله ، و يَرْمُلُونَ علىٰ أقدامهم شُعْثاً غُبْراً له . قد نَبَذُوا السّرابيل وراء ظهورهم ، وشَوَّهوا بأعفاء الشُّعور محاسِنَ خَلْقِهِم ، ابتلاءً عظيماً ، وامتحاناً شديداً ، واختباراً مبيناً ، وتمحيصاً بليغاً ، جعله الله سبباً لرحمته ، ووُصْلَةً إلىٰ جنّته . ولو أراد ــ سبحانه ــ أن يَضَعَ بيته الحرام ، ومشاعره العظام ، بين جنّات وأنهار ، وسهلٍ وقرار ، جَمَّ الأشجار ، داني الثّمار ، مُلْتَفَّ البُنىٰ ، مُتَّصِلَ القُرى ، بين بُرَّةٍ سمراء ، وروضةٍ خضراء ، وأريافٍ مُحْدِقَةٍ ، وعِراصٍ مُغْدِقَةٍ ، ورياضٍ ناضرةٍ ، وطُرُقٍ عامرةٍ ، لكان قد صَغُرَ قَدْرُ الجَزاء علىٰ حَسَب ضَعْفِ البلاء . ولو كانَ الأساس المحمول عليها ، والأحجارُ المرفوعُ بها ، بين زُمُرُّدةٍ خضراء ، و ياقوتةٍ حمراء ، ونورٍ وضياء ، لَخَفَّفَ ذلك مصارعة الشّكّ في الصّدور ، وَلَوَضَعَ مجاهَدَةَ إبليس عن القلوب ، وَلَنَفَىٰ مُعْتَلَجَ الرَّيب من النّاس ، ولكنّ الله يختبر عبادَهُ بأنواع الشّدائد ، و يتعبّدهم بأنواع المَجاهد ، و يبتليهم بضروب المكاره ، إخراجاً للتكبّر من قلوبهم ، وإسكاناً للتذلّل في نفوسهم ، ولِيَجْعَلَ ذلك أبواباً فُتُحاً إلىٰ فضله ، وأسباباً ذُلُلاً لعفوه (خ/١٩٢) .

(٤٣٨) ٦ ــ أن لا يغترّ بما يقدّم من حسنات وطاعات مهما كثرت ، وأن يعتبرها قليلة جداً في حقّه سبحانه وتعالىٰ :

* (الملائكة) وإنّهم علىٰ مكانهم منك ، ومنزلتهم عندك ، واستجماع أهوائهم فيك ، وكثرة طاعتهم لك ، وقلّة غفلتهم عن أمرك ، لو عاينوا كنه ما خَفِيَ عليهم منك لحقّروا أعمالهم ، ولَزَرَوْا علىٰ أنفسهم ، ولَعَرَفوا أنّهم لم يعبدوك حقّ عبادتك ، ولم يطيعوك حقّ طاعتك (خ/١٠٩) .
* (المتقون) لا يرضون من أعمالهم القليل ، ولا يستكثرون الكثير(خ/١٩٣) .
* (الملائكة) ولا تركَتْ لهم استكانة الاجلال نصيباً في تعظيم حَسَناتهم ... لم

يستَعْظِمُوا ما مضى من أعمالهم ، ولو استعظَمُوا ذلك لَنَسَخَ الرّجاء منهم شفقاتِ وَجَلِهِم (خ/٩١) .

(٤٣٩) ٧ ـ النّظر في سوء عاقبة المتكبّرين الّذين سخط الله عليهم بسبب تكبّرهم :

* (إبليس) ألا ترون كيف صغّره الله بتكبّره ، ووضَعَهُ بترفّعه ، فجعله في الدّنيا مدحوراً ، وأعدّ له في الآخرة سعيراً ... فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس إذ أحبط عمله الطّويل ، وجهده الجهيد ، وكان قد عبد الله ستّة آلاف سنة ، لا يُدرىٰ أمن سني الدّنيا أم من سني الآخرة ، عن كبر ساعةٍ واحدة . فمن ذا بعد أبليس يسلم على الله بمثل معصيته ؟ كـلّا ، ما كان الله سبحانه ليُدْخِلَ الجنّة بشراً بأمرٍ أخرج منها مَلَكاً . إنّ حُكْمَه في أهل السّماء وأهل الأرض لواحد ، وما بين الله و بين أحدٍ من خلقه هوادةٌ (خ/١٩٢) .

* (الله) وجعل اللّعنة علىٰ من نازعه فيهما (العزّ والكبرياء) من عباده (خ/١٩٢) .

* فالله الله في عاجل البغي ، وآجل وخامة الظّلم ، وسوء عاقبة الكِبْر (خ/١٩٢) .

* ولا تكونوا كالمتكبّر على ابن أمّة (قابيل) ... الّذي أعقبه الله به النّدامة ، وألزمه آثام القاتلين إلى يوم القيامة (خ/١٩٢) .

* فاعتبروا بما أصاب الأمم المستكبرين من قبلكم من بأس الله وصولاته ووقائعه ومَثُلاته ، واتّعِظُوا بمثاوي خدودهم ومصارع جنوبهم (خ/١٩٢) .

* (إبليس) اعترته الحميّة ، وغَلَبَتْ عليه الشّقوة ، وتَعَزّز بخِلْقَةِ النّار ، واستوهَنَ خلق الصّلصال ، فأعطاه الله النَّظِرَة استحقاقاً للسُّخْطَة ، واستتماماً للبليّة ، وإنجازاً لِلْعِدَة ، فقال : « إنّك من المُنْظَرين . إلىٰ يوم الوقت المعلوم » (خ/١) .

* (يامالك) إياك ومساماة الله في عظمته ، والتّشبّه به في جبروته ، فإنّ الله يُذِلّ كلّ جبّار ، و يهين كلّ مُخْتال (ر/٥٣) .

* (الله تعالى) قاهِرُ مَن عازّه ، ومُدَمِّرُ مَن شاقّه (خ/٩٠) .

الفصل الثّامن

« الغــضب »

(٤٤٠) في التّحذير من الغضب وذمّه وأنّه من الشّيطان :

* واحذر الغضب ، فإنّه جندٌ عظيم من جنود إبليس (ر/٦٩) .

* وإيّاك والغضب ، فإنّه طِيَرَة من الشّيطان (ر/٧٦) .

* الحِدَّة ضربٌ من الجنون ، لأنّ صاحبها يندم ، فإن لم يندم فجنونه مستحكم (ح/٢٥٥) .

(٤٤١) القلب والغضب :

* لقد عُلِّقَ بنياط هٰذا الانسان بضعةٌ هي أعجب ما فيه ، وذٰلك : القلب ؛ وذٰلك أنّ له موادٌّ من الحكمة وأضداداً من خلافها ... وإن عَرَضَ له الغضب اشتدّ به الغيظ ، وإن أسعده الرّضى نسي التحفّظ ... فكلّ تقصيرٍ به مضرّ ، وكلّ إفراطٍ له مُفْسِد (ح/١٠٨) .

في علاج الغضب :

(٤٤٢) ١ ـ الحلم أو التحلّم :

* الحلم غطاء ساتر ، والعقل حسامٌ قاطع ، فاستر خلل خُلُقِك بحلمك ، وقاتل هواك بعقلك (ح/٤٢٤) .

* ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ، ولكنّ الخير أن يكثر علمك ، وأن يعظم حلمك (ح/٩٤) .

* والحلم فِدام السّفيه (ح/٢١١).
* أوّل عوض الحليم من حلمه أنّ النّاس أنصاره علىٰ الجاهل (ح/٢٠٦).
* و بالحلم عن السّفيه تكثر الأنصار عليه (ح/٢٢٤).
* الحلم عشيرة (ح/٢١٨).
* الحلم والأناة توأمان ينتجهما علوّ الهمّة (ح/٤٦٠).
* ولا عِزّ كالحلم (ح/٣١).
* إن لم تكن حليماً فتحلّم ؛ فإنّه قلّ من تشبّه بقومٍ إلّا أوشك أن يكون منهم (ح/٢٠٧).
* (المتقون) وأمّا النّهار فحُلَماء علماء ، أبرار أتقياء (ح/١٩٣).
* واحلم عند الغضب (ر/٦٩).
* (يامالك) فولّ لجنودك أنصحهم ... وأفضلهم حِلماً (ر/٥٣).
* الايمان على أربع دعائم ... والعدل منها على أربع شعب : على غائص الفهم وغور العلم وزهرة الحكم ورساخة الحلم ، ... ومن حلم لم يفرّط في أمره وعاش في النّاس حميداً (ح/٣١).

(٤٤٣) ٢ ــ العفــو:

* متى أشفي غيظي إذا غضبت ؟ أحين أعجز عن الانتقام فيُقال لي : لو صبرتَ ؟ أم حين أقدر عليه فيُقال لي : لو عفوتَ (ح/١٩٤).
* وتجاوز عند المقدرة ... واصفح مع الدّولة ، تكن لك العاقبة (ر/٦٩).
* (المتقي) : يعفو عمّن ظَلَمَه (خ/١٩٣).
* إذا قدرت علىٰ عدوّك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه (ح/١١).
* أولى النّاس بالعفو أقدرهم على العقوبة (ح/٥٢).
* (ممّا قاله قبل موته عليه السّلام) :

إن أبقَ فأنا وليّ دمي ، وإن أفْنَ فالفناء ميعادي ، وإن أعْفُ فالعفو لي قربة ، وهولكم حسنة ، فاعفوا : « ألا تحبّون أن يغفر الله لكم » (ك/٢٣).

* (وقد تكلّم عليه السّلام بكلام ، فقال رجل من الخوارج : « قاتله الله كافراً ما

أفـقهه » فوثب القوم ليقتلوه ، فقال عليه السّلام) : رو يداً ، إنّما هوسَبٌّ بسَبّ ، أو عفوٌ عن ذنب ! (ح/٤٢٠) .

* فاعطهم (الرّعية) من عفوك وصفحك مثل الّذي تحبّ وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه ... ولا غنىً بك عن عفوه ورحمته ... ولا تنـدمنّ علىٰ عفو(ر/٥٣) .

(٤٤٤) ٣ ـ تَجَرُّعُ الغَيْظ ، وَإحتمال الأَذَى :

* وتَجَرَّع الغيظ فإنّي لم أر جُرْعَةً أحلىٰ منها عاقبةً ، ولا ألذّ مغبّةً (ر/٣١) .
* واكظـم الغيـظ (ر/٦٩) .
* فتعصبّوا لخِلال الحمد ... والكظم للغيظ (خ/١٩٢) .
* أغضِ علىٰ القذى والألم تَرْضَ أبداً (ح/٢١٣) .
* والأحتمال قبر العيوب (ح/٦) .
* (يامالك) ثمّ احتمل الخُرقَ منهم والعِيّ (ر/٥٣) .
* (المتّقي) مكظوماً غيظه (خ/١٩٣) .
* وصبرتُ من كظم الغيظ على أمرّ من العلقم ، وآلم للقلب من وخز الشِّفار(ك/٢١٧) .
* فلا يكن أفضل ما نلت في نفسك من دنياك بلوغ لذّة ، أو شفاء غيظ (ر/٦٦) .
* فأغضيتُ على القذى ، وجرعت ريقي علىٰ الشّجا (خ/٢١٧) .
* احصد الشرّ من صدر غيرك بقلعه من صدرك (ح/١٧٨) .

(٤٤٥) ٤ ـ عدم التسّرع في ردّ الفعل عند الغضب :

* ولا تسرعنّ إلىٰ بادرةٍ وجدتَ منها مندوحة (ر/٥٣) .
* واحـترس مـن كلّ ذلك بكفّ البادرة ، وتأخير السّطوة ، حتّى يسكن غضبك فتملك الأختيار(ر/٥٣) .
* فولّ لجنودك ... ممّن يبطىء عند الغضب ... وممّن لا يثيره العنف (ر/٥٣) .
* ولا تتحفّظوا منّي بما يتحفّظ عند أهل البادرة (خ/٢١٦) .
* أخّر الشرّ فإنّك إذا شئت تعجّلته (خ/٢٧٢) .

(٤٤٦) ٥ ــ ذكر المعاد عند الغضب :

* إنّ من عزائم الله في الذّكر الحكيم ، الّتي عليها يثيب و يعاقب ، ولها يرضى و يسخط . أنّه لا ينفع عبداً ــ وإن أجهد نفسه ، وأخلص فعله ــ أن يخرج من الدّنيا ، لاقياً ربّه بخصلةٍ من هٰذه الخصال لم يتب منها : أن يشرك بالله فيما افترض عليه من عبادته ، أو يشفي غيظه بهلاك نفس (خ/١٥٣) .

* (يامالك) فاعطهم (الرّعيّة) من عفوك وصفحك مثل الّذي تحبّ وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه ... ولا غنى بك عن عفوه ورحمته (ر/٥٣) .

* واكظم الغيظ ، وتجاوز عند المقدرة ، واحلم عند الغضب ، واصفح مع الدّولة ، تكن لك العاقبة (ر/٦٩) .

* املك حميّة أنفك ، وسورة حدّك ، وسطوة يدك ، وغرب لسانك ، واحترس من كلّ ذلك بكفّ البادرة ، وتأخير السّطوة ، حتّى يسكن غضبك فتملك الاختيار ، ولن تحكم ذلك من نفسك حتّى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربّك (ر/٥٣) .

(٤٤٧) الغضب الممدوح وأهميّته :

* ياأبا ذر ، إنّك غضبت لله ، فارجُ من غضبتَ له ، إنّ القوم خافوك على دنياهم ، وخفتّهم على دينك (خ/١٣٠) .

* وقد ترون عهودَ الله منقوضة فلا تغضبون ؟! (خ/١٠٦) .

* ومَن شنِىء الفاسقين وغضب لله ، غضب الله وأرضاه يوم القيامة (ح/٣١) .

* من أحَدَّ سنانَ الغضب لله ، قوي علىٰ قتل أشدّاء الباطل (ح/١٧٤) .

* ما تنتظرون بنصركم ربَّكم ؟ أما دينٌ يجمعكم ، ولا حميَّةَ تحمشكم (خ/٣٩) .

* لله أنتم ؟ أما دينٌ يجمعكم ! ولا حميّة تشحذكم ! (خ/١٨٠) .

« الحَسَــد »

(٤٤٨) :

* صحّة الجَسَد ، من قلّة الحَسَد (ح/٢٥٦) .
* والحِرصُ والكبر والحَسَدُ دواعٍ إلىٰ التقحّم في الذّنوب (ح/٣٧١) .
* العجب لغفلة الحُسّاد ، عن سلامة الأجساد ! (ح/٢٢٥) .
* حَسَدُ الصّديق من سُقْم المودّة (ح/٢١٨) .
* عُجْبُ المرء بنفسه أَحَدُ حُسّاد عقله (ح/٢١٢) .
* ولا تكونوا كالمتكبرّ على ابن أمّه من غير ما فضلٍ جَعَلَهُ الله فيه سِوَى ما أَلْحَقَتِ العظمة بنفسه من عداوة الحَسَد ، وقَدَحَتِ الحميّة في قلبه من نار الغضب ، ونفخ الشّيطان في أنفه من ريح الكِبْر (خ/١٩٢) .
* فاتّقوا الله ولا تكونوا لِنِعَمِهِ عليكم أضداداً ، ولا لفضلِهِ عندكم حُسّاداً (خ/١٩٢) .
* ولا تَحاسَدوا ، فإنّ الحَسَد يأكل الايمان « كما تأكل النّار الحطب » (خ/٨٦) .
* الثّناء بأكثر من الاستحقاق مَلَقٌ ، والتّقصير عن الاستحقاق عِيٌّ أو حَسَد (ح/٣٤٧) .
* (أهل النّفاق) حَسَدَةُ الرَّخاء (خ/١٩٤) .
* (الملائكة) ولا تَوَلّاهم غِلّ التّحاسد (خ/٩١) .

« العُـــجْب »

(٤٤٩) في ذمّ العُجب وبيان أهمّ مضاره :

* واعلم أنّ الاعجاب ضِدُّ الصّواب ، وآفة الألباب (ر/٣١) .
* وإيّـاك والاعـجـاب بـنفسك ، والثّقة بما يُعْجِبُك منها ، وحبُّ الاطراء ، فإنّ ذلك من أوثَق فُرَصِ الشّيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين (ر/٥٣) .
* وأَوْحَشُ الوَحْشَةِ العُجْب (ح/٣٨) .
* ولا وَحْدَةَ أَوْحَشُ من العُجْب (ح/١١٣) .
* الاعجاب يمنع الازدياد (ح/١٦٧) .
* عُجْبُ المرء بنفسه أحد حسّاد عقلِهِ (ح/٢١٢) .
* ولا تكن ممّن ... يستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة غيره (ح/١٥٠) .
* (المتّقون) لا يرضون من أعمالهم القليل ، ولا يستكثرون الكثير (خ/١٩٣) .
* (الملائكة) لم يتولّهم الاعجاب ، فيستكثروا ما سلف منهم (خ/٩١) .
* ومَن رَضِيَ عن نفسه كَثُرَ السّاخط عليه (ح/٦) .
* سيّئة تسوؤك خيرٌ عند الله من حسنةٍ تعجبُك (ح/٤٦) .

« العزّة وعزّة المؤمن »

(٤٥٠) في أنّه تعالىٰ هو العزيز المطلق ، ولا ينافسه في عزّته شيء :

* الحمد لله الّذي لبس العزّ والكبرياء ، واختارهما لنفسه دون خلقه ، وجعلهما حِمىً وحرماً علىٰ غيره ، واصطفاهما لجلاله ، وجعل اللّعنة علىٰ مَن نازَعَهُ فيهما من عباده (خ/١٩٢) .
* الحمد لله ... وكلّ عزيزٍ غيره ذليل (خ/٦٥) .
* (الله سبحانه) قاهر من عازَّهُ ، ومدمّر مَن شاقَّهُ (خ/٩٠) .
* لم يولد سبحانه فيكون في العزّ مشاركاً (خ/١٨٢) .
* (الله سبحانه للدّنيا) ثمّ يعيدها بعد الفناء من غير حاجةٍ منه إليها ... ولا من ذلٍّ وضعةٍ إلى عزٍّ وقدرة (خ/١٨٦) .
* ولا تخطر ببال أولي الرّويّات خاطرة من تقدير جلال عزّته (خ/٩١) .
* الحمد لله ... والباطن بجلال عزّته عن فكر المتوهمّين (خ/٢١٣) .
* فلم يستنصركم من ذلّ ... استنصركم « وله جنود السّمٰوات والأرض وهو العزيز الحكيم » ... وإنّما أراد أن « يبلوكم أيّكم أحسن عملاً » (خ/١٨٣) .
* خضعت الأشياء له (سبحانه) ، وذلّت مستكينةً لعظمته (خ/١٨٦) .
* (حجّ البيت الحرام) جعله سبحانه علامةً لتواضعهم لعظمته ، وإذعانهم لعزّته (خ/١) .
* (الملائكة) يزدادون علىٰ طول الطّاعة بربّهم علماً ، وتزداد عزّة ربّهم في قلوبهم عِظَماً (خ/٩١) .

من دعائم عزّة المؤمن :

(٤٥١) ١ ــ الله سبحانه وتعالىٰ :

* (الله سبحانه) عزّ كلّ ذليل وقوّة كلّ ضعيف (خ/١٠٩).

(٤٥٢) ٢ ــ الرّسالة والرّسول والأمامة :

* (أهل الجاهليّة) فانظروا إلى مواقع نعم الله عليهم حين بعث إليهم رسولاً ... وآوَتْهُمُ الحال إلىٰ كنف عزٍّ غالب ، وتعطّفت الأمور عليهم في ذرى مُلْكٍ ثابت ، فهم حكّامٌ علىٰ العالمين ، وملوكٌ في أطراف الأرضين (خ/١٩٢).

* (الاسلام) أَذَلَّ الأديانَ بعزّته ، وَوَضَعَ المِلَل برفعه ، وأهان أعداءه بكرامته ... فهو عند الله ... عزيز السّلطان ، مُشْرِفُ المنار (خ/١٩٨).

* وقد توكّلَ الله لأهل هٰذا الدّين بإعزاز الحوزة ، وستر العورة (ك/١٣٤).

* (الرّسول (ص)) أعزَّ به الذلّة ، وأذلّ به العزّة (خ/٩٦).

* وفي أيدينا بعد فضل النبوّة الّتي أذللنا بها العزيز، ونعشنا بها الذّليل (ر/١٧).

* وأحطتُ بجهدي من ورائكم ، وأَعْتَقْتُكُم من رِبْقِ الذّلّ ، وحَلَقِ الضّيم (خ/١٥٩).

(٤٥٣) ٣ ــ القرآن الكريم :

* وكتاب الله بين أظهركم ؛ ناطقٌ لا يعيا لسانه ، و بيتٌ لا تُهْدَمُ أركانه ، وعزٌّ لا تُهْزَمُ أعوانه (خ/١٣٣).

* (القرآن) عزّاً لا تُهْزَم أنصاره ، وحقّاً لا تُخْذَل أعوانه ... جعله الله ريّاً لعطش العلماء ... ومعقلاً منيعاً ذروته ، وعزّاً لمن تولّاه (خ/١٩٨).

(٤٥٤) ٤ ــ التّقوى :

* أوصيكم عباد الله بتقوى الله ... تؤل بكم إلىٰ أكنان الدَّعَة ، وأوطان السّعة ، ومعاقل الحرز، ومنازل العزّ (خ/١٩٥).

* إعلموا عباد الله ؛ انّ التقوى دار حصنٍ عزيز ، والفجور دار حصنٍ ذليل ، لا يمنع أهله ، ولا يحرز من لجأ إليه (خ/١٥٧) .
* ولا عزّ أعزّ من التّقوى (ح/٣٧١) .

(٤٥٥) ٥ ـ الصّبر على البلاء :

* (أسلاف المؤمنين) حتّى إذا رأى الله سبحانه جدّ الصّبر منهم على الأذى في محبّته ، والاحتمال للمكروه من خوفه ، جعل لهم من مضايق البلاء فرجاً ، فأبدلهم العزّ مكان الذّلّ ، والأمن مكان الخوف ؛ فصاروا ملوكاً حكّاماً ، وأئمّةً أعلاماً ، وقد بلغت الكرامة من الله لهم ما لم تذهب الآمال إليه بهم (خ/١٩٢) .

(٤٥٦) ٦ ـ إباء الضّيم :

* لا يزيدني كثرة النّاس حولي عزّة ، ولا تفرّقهم عنّي وحشة ، ولا تحسبنّ ابن ابيك ـ ولو أسلمه النّاس ـ متضرّعاً متخشّعاً ، ولا مقرّاً للضّيم واهناً ، ولا سلس الزّمام للقائد ، ولا وطيء الظّهر للرّاكب المتقعّد (ر/٣٦) .

(٤٥٧) ٧ ـ أداء الحقوق :

* (الحقوق بين الوالي والرّعيّة) فجعلها نظاماً لألفتهم ، وعزّاً لدينهم ... فإذا أدّت الرّعيّة إلى الوالي حقّه ، وأدّى الوالي إليها حقّها عزّ الحقّ بينهم (خ/٢١٦) .

(٤٥٨) ٨ ـ الجهاد :

* فَرَضَ الله ... والجهادَ عزّاً للاسلام (ح/٢٥٢) .
* فإنّه ، جلّ اسمه ، قد تكفّل بنصر من نصره ، وإعزاز مَن أعزّه (ر/٥٣) .
* فالجنود بإذن الله ، حصون الرّعيّة ، وزين الولاة ، وعزّ الدّين (ر/٥٣) .

(٤٥٩) ٩ ــ الزّهد :

* زهدك في راغب فيك نقصان حظّ ، ورغبتك في زاهدٍ فيك ذلّ نفس (ح/٤٥١) .

(٤٦٠) ١٠ ــ التحلّي بالأخلاق الحميدة :

* ولا عِزَّ كالحلم (ح/١١٣) .
* المؤمن ... نفسه أصلب من الصّلد ، وهو أذلّ من العبد (ح/٣٣٣) .
* واعتمدوا وَضْعَ التذلّل على رؤوسكم ، وإلقاء التعزّز تحت أقدامكم (خ/١٩٢) .

(٤٦١) ١١ ــ الإتّحاد :

* والعرب اليوم ، وإن كانوا قليلاً ، فهم كثيرون بالإسلام ، عزيزون بالإجتماع (ك/١٤٦) .

(٤٦٢) أحاديث أخرى في الوحدة الأسلاميّة (الجماعة والفرقة ، والاختلاف والتّنازع) :

* والزموا السّواد الأعظم فإنّ يد الله مع الجماعة ، وإيّاكم والفرقة ، فإنّ الشّاذّ من النّاس للشّيطان ، كما أنّ الشّاذّ من الغنم للذّئب (خ/١٢٧) .
* والزموا ما عُقِدَ عليه حبل الجماعة ، و بُنِيَتْ عليه أركان الطّاعة (خ/١٤٩) .
* فإيّاكم والتلوّن في دين الله ، فإنّ جماعةً فيما تكرهون من الحق ، خير من فرقةٍ فيما تحبّون من الباطل ؛ وإنّ الله سبحانه لم يعط أحداً بفرقةٍ خيراً ممّن مضى ، ولا ممّن بقي (خ/١٧٦) .
* وعليكم بالتّواصل والتّباذل ، وإيّاكم والتّدابر والتّقاطع (ر/٤١) .
* فإنّ الله سبحانه قد امتنّ علىٰ جماعة هٰذه الأمّة ، فيما عقد بينهم من حبل هٰذه الألفة ، الّتي ينتقلون في ظلّها ، و يأوون إلىٰ كنفها . بنعمة لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمة ، لأنّها أرجح من كلّ ثمن ، وأجلّ من كلّ خطر (خ/١٩٢) .
* فانظروا كيف كانوا حيث كانت الأملاء مجتمعة ، والأهواء مؤتلفة ، والقلوب

معتدلة ، والأ يدي مترادفة ، والسّيوف متناصرة ، والبصائر نافذة ، والعزائم واحدة . ألم يكونوا أر باباً في أقطار الأ رضين ، وملوكاً على رقاب العالمين . فانظروا إلى ما صاروا اليه في آخر أمورهم ، حين وقعت الفرقة ، وتشتّتت الألفة ، واختلفت الكلمة والأفئدة ، وتشعبّوا مختلفين ، وتفرّقوا متحاز بين (خ/١٩٢) .

* وإنّما أنتم إخوان على دين الله ، ما فرّق بينكم إلاّ خبث السّرائر ، وسوء الضّمائر ، فلا توازرون ولا تناصحون ، ولا تباذلون ولا توادّون ... وما يمنع أحدكم أن يستقبل أخاه بما يخاف من عيبه ، إلاّ مخافة أن يستقبله بمثله (خ/١١٣) .

* من وصيّة له عليه السّلام للحسن والحسين عليهما السّلام :

أوصيكما وجميع وَلَدي وأهلي ومن بَلَغَهُ كتابي بتقوى الله ، ونَظْمِ أمركم ، وصلاح ذات بينكم ، فإنّي سمعت جدّكما (ص) يقول : « صلاح ذات البين أفضل من عامّة الصّلاة والصّيام » (ر/٤٧) .

* ما اختلفت دعوتان إلّا وكانت إحداهما ضلالة (ح/١٨٣) .

* (في وصف أهل القبور) بَلِيَت بينهم عُرَا التّعارف ، وانقطعت منهم أسباب الاخاء ، فكلّهم وحيد وهم جميع ، و بجانب الهَجْرِ وَهُمْ أخلاّء (ك/٢٢١) .

* وقال له بعض اليهود : ما دفنتم نبيّكم حتّى اختلفتم فيه ! فقال عليه السّلام له : إنّما اختلفنا عنه لا فيه ، ولكنّكم ما جفّت أرجلكم من البحر حتّى قلتم لنبيّكم : « اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، فقال : إنّكم قومٌ تجهلون » (ح/٣١٧) .

عوامل الذلّ :

(٤٦٣) ١ ــ حبّ الدّنيا ، والسّعي وراء بهرجها وزبرجها :

* فلا تنافسوا في عزّ الدّنيا وفخرها ... فإنّ عزّها وفخرها إلى انقطاع (خ/٩٩) .

* (الدّنيا) عزّها ذلّ ، وجدّها هزل (خ/١٩١) .

* (الدّنيا) عزيزها مغلوب ، وموفورها منكوب (خ/١١١) .

* (الدّنيا) فإنّما أهلها كلابٌ عاوية ، وسباعٌ ضارية ؛ يهرّ بعضها على بعض ، و يأكل عزيزها ذليلها (ر/٣١) .

* (يادنيا) ... أغربي عنّي، فوالله لا أذلّ لكِ فتستذلّيني، ولا أسلس لك فتقوديني (ر/٤٥).

* إشترى هٰذا المغترّ بالأمل ... هٰذه الدّار بالخروج من عزّ القناعة، والدّخول في الطّلب والضّراعة (ر/٣).

* (الدّنيا) كم من واثقٍ بها قد فجعته ... وذي أبّهةٍ قد جعلته حقيراً، وذي نخوةٍ قد ردّته ذليلاً (خ/١١١).

(٤٦٤) ٢ ـ الطّمع:

* الطّامع في وثاق الذلّ (ح/٢٢٦).
* أزْرى بنفسه من استشعر الطّمع (ح/٢).
* الطّمع رقٌّ مؤبّد (ح/١٨٠).
* (عيسى (ع)) لم تكن له زوجة تفتنه ... ولا طمع يذلّه (خ/١٦٠).
* (قلب الأنسان) فإن سنح له الرّجاء أذلّه الطمع (ح/١٠٨).

(٤٦٥) ٣ ـ تضييع الجهاد في سبيل الله، والتّخاذل عن نصرته، والفرار من الزّحف:

* فو الله ما غُزِيَ قومٌ قطّ في عقر دارهم إلّا ذلّوا (خ/٢٧).
* فمن تركه (الجهاد) رغبةً عنه ألبسه الله ثوب الذّلّ، وشمله البلاء (خ/٢٧).

* أفٍّ لكم، لقد سئمت عتابكم، أرضيتم بالحياة الدّنيا من الآخرة عِوَضاً، و بالذّلّ من العزّ خَلفاً (خ/٣٤).

* لا أباً لغيركم، ما تنتظرون بنصركم والجهاد علىٰ حقّكم؟ الموت أو الذّلّ لكم (خ/١٨٠).

* انفروا، رحمكم الله، إلىٰ قتال عدوّكم، ولا تثّاقلوا إلىٰ الأرض، فتقرّوا بالخسف، وتبوؤوا بالذّلّ (ر/٦٢).

* قد استطعموكم القتال فأقرّوا على مذلّة وتأخير محلّة (خ/٥١).
* إنّ في الفرار موجدة الله، والذّلّ اللّازم، والعار الباقي (خ/١٢٤).

(٤٦٦) ٤ ـ أصحاب النّفوس الضّعيفة :

* لا يمنع الضّيم الذّليل (خ/٢٩) .
* ما عزّت دعوة من دعاكم ، ولا استراح قلب من قاساكم (خ/٢٩) .
* ما أنتم بركنٍ يُمال بكم ، ولا زوافر عزٍّ يُفْتَقَر إليكم (خ/٣٤) .

(٤٦٧) ٥ ـ ارتكاب الموبقات والكبائر:

* والفجور دار حصنٍ ذليل ، لا يمنع أهله ، ولا يحرز من لجأ إليه (خ/١٥٧) .
* من استهان بالأمانة ، ورتع في الخيانة ، ولم ينزّه نفسه ودينَه عنها ، فقد أحلّ بنفسه الذّلّ والخزي في الدّنيا ، وهو في الآخرة أذلّ وأخزىٰ (ر/٢٦) .

(٤٦٨) ٦ ـ المروق من الدّين :

* (كلّم به الخوارج) أما أنّكم ستلقون بعدي ذلاًّ شاملاً ، وسيفاً قاطعاً (خ/٥٨) .

الفصل الثّاني عشر

« الحــرص »

(٤٦٩) في ذمّ الحرص وبيان بعض مضارّه وبواعثه :

* والحرص والكبر والحسد دواعٍ إلىٰ التقحّم في الذّنوب (ح/٣٧١) .
* ولا تـدخـلـنّ في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ... ولا حريصاً يزيّن لك الشَّرَة بالجور (ر/٥٣) .
* وإنّـمـا يُـؤتَىٰ خرابُ الأرض من إعواز أهلها ، وإنّما يعوز أهلها لإشراف أنفُس الولاة علىٰ الجمع (ر/٥٣) .
* هَلَكَ خزّان الأموال وهم أحياء (ح/١٤٧) .
* فإنّ البخل والجبن والحرص غرائز شَتَّىٰ يجمعها سوء الظّنّ بالله (ر/٥٣) .
* (قلب الانسان) وإن هاج به الطّمع أهلكه الحرص (ح/١٠٨) .
* أمّـا بـعـد ، فإنّ الدّنيا مَشْغَلَةٌ عن غيرها ، ولم يُصِب صاحبها منها شيئاً إلاّ فتحت له حرصاً عليها ، ولَهَجاً بها ، ولن يستغني صاحبها بما نال فيها عمّا لم يبلغه منها (ر/٤٩) .
* وقـد رأيـتَ مَن كان قبلك ممّن جمع المال وحَذِرَ الإقلال ، وأمِنَ العواقب ـــ طولَ أملٍ واستبعادَ أجل ـــ كيف نزل به الموت (خ/١٣٢) .
* ولـقـد دخـل مـوسى بن عمران ومعه أخوه هارون ـــ عليهما السّلام ـــ على فرعون ... فقال : ... فهلاّ أُلْقِيَ عليهما أساورةٌ من ذَهَب ؟ إعظاماً للذَّهَب وجمعه (خ/١٩٢) .
* ها إنّ هاهــنا لَعِلْماً جَمّاً (وأشار بيده إلى صدره) لو أصبت له حَمَلَةً ! بَلَىٰ أصبتُ لَقِناً ... أو مُغْرَماً بالجمع والإدّخار (ك/١٤٧) .

* ومن لهج قلبه بحبّ الدّنيا التاط قلبه منها بثلاث : همّ لا يغبّه وحرص لا يتركه وأمل لا يدركه (ح/٢٢٨) .

(٤٧٠) في علاج الحرص :

* وقد رأيتَ من كان قبلك ممّن جمع المال وحَذِرَ الاقلال ، وأمِنَ العواقب ... كيف نزل به الموت فأزعجه عن وطنه ... أما رأيتم الّذين يأملون بعيداً و يبنون مشيداً ، ويجمعون كثيراً ! كيف أصبحت بيوتهم قبوراً ، وما جَمَعُوا بُوراً ؛ وصارت أموالهم للوارثين ، وأزواجهم لقومٍ آخرين ، لا في حسنةٍ يزيدون ، ولا من سيّئةٍ يستعتبون (خ/١٣٢) .
* ومن العناء أنّ المرء يجمع مالا يأكل ، و يبني مالا يسكن ،ثمّ يخرج إلى الله تعالى لا مالاً حمل ، ولا بناءً نَقَل ! (خ/١١٤) .
* لكلّ امرىء في ماله شريكان : الوارث والحوادث (خ/٣٣٥) .
* معاشر النّاس ، اتّقوا الله ، فكم من مؤمّلٍ مالا يبلُغُه ، و بانٍ مالا يسكنُهُ ، وجامعٍ ماسوف يتركه ، ولعلّه من باطلٍ جَمَعَه ، ومن حقٍّ مَنَعَه ، أصابَه حراماً ، واحتمل به آثاماً ، فباء بوزره ، وقَدِمَ علىٰ ربّه ، آسفاً لاهفاً ، قد « خَسِرَ الدّنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين » (ح/٣٤٤) .
* فإنّك ما تقدّم من خيرٍ يبقى لك ذخره ، وما تؤخّره يكن لغيرك خيره (ر/٦٩) .
* إنّ أخسر النّاس صفقةً ، وأخيبهم سعياً ، رجلٌ أُخْلَقَ بَدَنَهُ في طلب ماله ، ولم تساعده المقادير علىٰ إرادته ، فخرج من الدّنيا بحسرته ، وقَدِم على الآخرة بتَبعَتِه (ح/٤٣٠) .
* يابن آدم ما كسبتَ فوقَ قُوتِك . فأنت فيه خازنٌ لغيرك (ح/١٩٢) .
* لا تُخَلِّفَنَّ وراءك شيئاً من الدّنيا ، فإنّك تخلّفه لأحد رَجُلَين : إمّا رجلٌ عَمِلَ فيه بطاعة الله فَسَعِدَ بما شقيتَ به ، أو رجلٍ عَمِلَ فيه بمعصية الله ، فَشَقِيْتَ بما جمعتَ له ؛ وليس أحد هٰذَيْنِ أهلاً أن تُؤْثِرَه علىٰ نفسك ، ولا أن تحملَ له على ظهرك ، فارجُ لمن مَضَىٰ رحمة الله ، ولِمَن بَقِيَ رزقُ الله (ح/٤١٦) .
* (المُحْتَضِر) يفكّر فيم أفْنَىٰ عمره ، وفيم أذهبَ دهره ! و يتذكّر أموالاً جَمَعَها ؛ أغمض في مطالبها ، وأخذها من مُصَرَّحاتها ومُشْتَبَهاتها ، قد لَزِمَتْهُ تبعات جَمْعَها ،

وأشرفَ على فراقها ، تبقى لمن وراءه ينعمون فيها ، و يتمتّعون بها ، فيكون المهنأ لغيره ، والعِبْء علىٰ ظهره ... فهو يَعَضُّ ندامةً علىٰ ما أصحر له عند الموت من أمره ... و يتمنّى أنّ الّذي كان يغبطه بها ويحسده عليها قد حازها دونه (خ/١٠٩).

* إنّ لله مَلَكاً ينادي في كلّ يومٍ : لِدُوا للموت ، واجمعوا للفناء ، وابنوا للخراب (ح/١٣٢).

* (الدّنيا) حُكِمَ علىٰ مُكْثِرٍ منها بالفاقة ، وأُعِيْنَ مَن غني عنها بالرّاحة (ح/٣٦٧).

* (الدّنيا) وجمعها ينفد ، ومُلْكها يُسْلَب (خ/١١٣).

* (الدّنيا) ومن استكثر منها استكثر ممّا يوبقه ، وزال عمّا قليل عنه (خ/١١١).

* (الدّنيا) مُلْكُها مسلوب ، وعزيزها مغلوب ، وموفورها منكوب ، وجارُها محروب ... أَفَهٰذِه تؤثرون ، أم إليها تطمئنّون ، أم عليها تحرصون ؟ (خ/١١١).

* ... ومن جمع المال على المال فأكثر، ومن بنى وشيّد ، وزخرف ونَجّد ، وادّخر واعتقد ، ونظر بزعمه للولد ، إشخاصهم جميعاً إلى موقف العرض والحساب ... « وخسر هنالك المبطلون » (ر/٣).

* إنّ أعظم الحسرات يوم القيامة حسرة رجلٍ كسب مالاً في غير طاعة الله ، فَوَرِثَه رجلٌ فأنفقه في طاعة الله سبحانه ، فَدَخَلَ به الجنّة ، ودخل الأ وّل به النّار (ح/٤٢٩).

(٤٧١) في الحرص الممدوح :

* وليس رجل ــ فأعلم ــ أحرص علىٰ جماعة أمّة محمد (ص) وأُلْفَتِها منيّ (ر/٧٨).

* (المتّقون) فمن علامة أحدهم انّك ترى له قوةً في دين ... وحرصاً في علم (خ/١٩٣).

* كان لي فيما مضى أخٌ في الله ... وكان علىٰ ما يسمع أحرص منه علىٰ أن يتكلّم (ح/٢٨٩).

* وليس أهل الشّام بأحرص على الدّنيا من أهل العراق على الآخرة (ر/١٧).

* فليس أحدٌ وإن اشتدّ على رضى الله حرصه ، وطال في العمل اجتهاده ببالغٍ حقيقة ماالله سبحانه أهله من الطّاعة له (خ/٢١٦).

« الرّفـق والخُـرْق »

(٤٧٢) في أهمّيّة الرّفق :

* ومن تلن حاشيته ، يستدم من قومه المودّة (خ/٢٣) .
* من لانَ عوده كثفت أغصانه (ح/٢١٤) .

(٤٧٣) من الموارد الّتي يجب فيها استخدام الرّفق :

* وخادِع نفسك في العبادة ، وارفق بها ولا تقهرها (ر/٦٩) .
* إحمل نفسك من أخيك عند صرمه على الصّلة ... وشدّته على اللّين (ر/٣١) .

(٤٧٤) قاعدة في الرّفق ، ومتى يكون الخرق رفقاً :

* إذا كان الرّفق خُرْقاً ، كان الخُرق رفقاً (ر/٣١) .

« حسن الظّنّ »

(٤٧٥) :

* ومَن ظنّ بك خيراً فصدّق ظنّه (ر/٣١).
* لا تكن ممّن ... تغلبه نفسه علىٰ ما يظنّ ، ولا يغلبها علىٰ ما يستيقن (ح/١٥٠).
* لا تظنّنّ بكلمةٍ خرجت من أحدٍ سوءاً ، وأنت تجد لها في الخير محتملاً (ح/٣٦٠).
* إذا استولىٰ الصّلاح علىٰ الزّمان وأهله ، ثمّ أساء رجل الظّنّ برجل لم تظهر منه حوبة فقد ظَلَم . وإذا استولىٰ الفساد على الزّمان وأهله ، فأحسن رجل الظّنّ برجل فقد غرّر (ح/١١٤).
* من وضع نفسه مواضع التّهمة ، فلا يلومنّ من أساء به الظّنّ (ح/١٥٩).
* ليس من العدل القضاء علىٰ الثّقة بالظّنّ (ح/٢٢٠).
* اتّقوا ظنون المؤمنين ، فإنّ الله تعالىٰ جعل الحقّ علىٰ ألسنتهم (ح/٣٠٩).
* وإنّما أنتم إخوان على دين الله ، ما فَرَّقَ بينكم إلاّ خبث السّرائر ، وسوء الضّمائر (خ/١١٣).
* لا خير في معينٍ مُهين ، ولا في صديقٍ ظنين (ر/٣١).
* رُبَّ ملومٍ لا ذنب له (ح/١٤).

« الحيــاء »

(٤٧٦) أهميّة الحياء ، وأنّه شعبة من الأيمان :

* من كساه الحياء ثوبه ، لم ير النّاس عيبه (ح/٢٢٣) .
* ومَن كثر خَطـَؤُهُ قلّ حياؤه ، ومَن قلّ حياؤه قلّ ورعه ، ومَن قلّ ورعه مات قلبه ، ومن مات قلبه دخل النّار (ح/٣٤٩) .
* ولا إيمان كالحياء والصّبر (ح/١١٣) .

(٤٧٧) بعض المواقف الّتي يجب فيها الحياء :

* واستحيوا من الفرّ ، فإنّه عارٌ في الأعقاب ، ونارٌ يوم الحساب (ك/٦٦) .
* إن في الفرار موجدة الله ، والذلّ اللازم ، والعار الباقي (خ/١٢٤) .
* العار وراءكم والجنّة أمامكم (خ/١٧١) .

(٤٧٨) الحياء من الوسائل الموصلة إلى التّقوىٰ :

* واحذر كل عملٍ يُعْمَل به في السّرّ ، و يُسْتَحىٰ منه في العلانية (ر/٦٩) .

(٤٧٩) مواقف يكون الحياء فيها مرفوضاً :

* ولا يستحينّ أحدٌ منكم إذا سُئِلَ عمّا لا يعلم ، أن يقول : لا أعلم ، ولا يستحينّ أحدٌ إذا لم يعلم الشّيء أن يتعلّمه (ح/٨٢) .

* لا تستح من إعطاء القليل، فإن الحرمان أقلّ منه (ح/٦٧).
* قُرِنَتِ الهيبة بالخيبة، والحياء بالحرمان، والفرصة تمرّ مرّ السّحاب، فانتهزوا فُرَصَ الخير (ح/٢١).

الباب الثّامن عشر: النّفاق والمنافقون

« النّـفاق والمنافـقون »

(٤٨١) شدّة خطورة النّفاق علىٰ الجامعة :

* ولـقـد قـال لي رسـول الله (ص) : « إنّـي لا أخـاف عـلىٰ أمّتي مؤمناً ولا مشركاً ؛ أمّا المؤمن فيمنعه الله بإيمانه ، وأمّا المشرك فيقمعه الله بشركه . ولكنّي أخاف عليكم كلّ منافق الجَنان ، عالِمِ اللّسان ، يقول ما تعرفون ، و يفعل ما تُنكرون » (ر/٢٧) .

(٤٨٢) في علامات المنافقين :

* وإنّ لـسان المؤمن من وراء قلبه ، وإنّ قلب المنافق من وراء لسانه : لأنّ المؤمن إذا أراد أن يـتـكـلّـم بـكلامٍ تدبَّرَه في نفسه ، فإن كان خيراً أبداه ، وإن كان شرّاً واراه . وإنّ المنافق يتكلّم بما أَتَىٰ على لسانه لا يدري ماذا له . وماذا عليه (خ/١٧٦) .

* وأحـذّركم أهلَ النّفاق ، فإنّهم الضّالّون المُضِلّون ، والزّالّون المُزِلّون ، يتلوّنون ألواناً ، و يـفـتـنّـون افـتـنـاناً . و يعمدونكم بكلّ عِماد ، و يرصدونكم بكلّ مرصاد . قلوبهم دو يّة ، وصِـفـاحُـهُـم نـقـيّة ؛ يمشون الخَفاء ، و يَدِبّون الضَّراء . وصفهم دواء ، وقولهم شِفاء ، وفعلهم الـدّاء الـعـيـاء ، حَسَدَةُ الرَّخاء ، ومؤكّدوا البلاء ، ومُقْنِطو الرّجاء . لهم بكلّ طريقٍ صريع ، وإلى كـلّ قـلـبٍ شـفـيع ، ولكلّ شجوٍ دموع . يتقارضون الثّناء ، و يتراقبون الجزاء : إن سَأَلُوا أَلْـحَـفـوا ، وإن عَـذَلـوا كَـشَفوا ، وإن حَكَموا أسرفوا . قد أعدّوا لكلّ حقٍّ باطلاً ، ولكلّ قائمٍ مـائـلاً ، ولـكـلّ حـيٍّ قاتلاً ، ولكلّ بابٍ مفتاحاً ، ولكلّ ليلٍ مصباحاً . يتوصّلون إلىٰ الطّمع باليأس ليقيموا به أسواقَهم ، و يُنْفِقُوا به أعلاقَهم . يقولون فيشبّهون ، و يصفون فيموّهون . قد

هَوَّنوا الطّريق ، وأَضْلَعُوا المَضيق ، فهم لُمَةُ الشَّيطان ، وحَمَةُ النّيران : « أولئك حزب الشّيطان ، ألا إنّ حزب الشيطان هم الخاسرون » (خ/١٩٤) .

* وإنّما أتاك بالحديث أربعة رجالٍ ليس لهم خامس : رجلٌ منافق مُظْهِرٌ للأيمان ، مُتَصَنِّعٌ بالاسلام ، لا يتأثّم ولا يتحرّج ، يكذِبُ علىٰ رسول الله (ص) متعمّداً ، فلو علم النّاس أنّه منافق كاذب لم يقبلوا منه ، ولم يصدّقوا قوله ، ولكنّهم قالوا : صاحب رسول الله (ص) رآه ، وسمع منه ، ولَقِفَ عنه ، فيأخذون بقوله ، وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك ، ووصفهم بما وصفهم به لك ، ثمّ بَقُوا بعده ، فتقرَّبوا إلى أئمّة الضّلالة ، والدّعاة إلىٰ النّار بالزُّور والبُهتان ، فولّوهم الأعمال ، وجعلوهم حكّاماً علىٰ رقاب النّاس ، فأكلوا بهم الدّنيا ، وإنّما النّاس مع الملوك والدّنيا ، إلّا من عصم الله (خ/١٩٤) .

(٤٨٣) في علاج النّفاق ، والتّحذير منه :

* واعلموا أنّه ليس علىٰ أحدٍ بعد القرآن من فاقة ، ولا لأحدٍ قبل القرآن من غِنىً ، فاستشفوه من أدوائكم ، واستعينوا به على لأْوائكم ، فإنّ فيه شفاءً من أكبر الدّاء : وهو الكفر والنّفاق ، والغيّ والضّلال ، فاسألوا الله به ، وتوجَّهوا إليه بحبّه ، ولا تسألوا به خلقه ، إنّه ما توجّه العباد إلى الله تعالىٰ بمثله (خ/١٧٦) .

* ثمّ إيّاكم وتهزيع الأخلاق وتصريفَها ، واجعلوا اللّسان واحداً (خ/١٧٦) .

(٤٨٤) عاقبة المنافق وخيمة جدّاً ، إذا لم يتب :

* إنّ من عزائم الله في الذّكر الحكيم ، الّتي عليها يثيب و يعاقب ، ولها يرضىٰ و يسخط ، أنّه لا ينفع عبداً ــ وإنْ أجهد نفسه ، وأخلص فعله ــ أن يخرج من الدّنيا ، لاقياً ربّه بخصلةٍ من هٰذه الخصال لم يتب منها : أن يشرك بالله فيما افترَضَ عليه من عبادته ، أو يشفي غيظَه بهلاك نفس ، أو يعرّ بأمرٍ فعله غيره ، أو يستنجح حاجةً إلىٰ النّاس بإظهار بدعةٍ في دينه ، أو يلقى النّاس بوجهين ، أو يمشي فيهم بلسانين ، اعقِل ذٰلك فإنّ المِثْلَ دليلٌ علىٰ شبهِهِ (خ/١٥٣) .

(٤٨٥) جواز أخذ الحكمة من المنافقين :

* خذ الحكمة أنّى كانت ، فإنّ الحكمة تكون في صدر المنافق فَتَلَجْلَج في صدره حتّى تخرج فتسكن إلىٰ صواحبها في صدر المؤمن (ح/٧٩) .

* الحكمة ضالّة المؤمن ، فَخُذِ الحكمة ولو من أهل النّفاق (ح/٨٠) .

(٤٨٦) المنافق لا يحبّ الامام (ع) أبداً :

* لو ضربتُ خيشوم المؤمن بسيفي هٰذا علىٰ أن يُبغضني ما أبْغَضَني ؛ ولو صببتُ الدّنيا بجَمّاتها علىٰ المنافق علىٰ أن يحبّني ما أحبّني . وذٰلك أنّه قُضِيَ فانقضَىٰ علىٰ لسان النبيّ الأمّيّ (ص) ؛ أنّه قال : « ياعليّ ، لا يبغضك مؤمن ، ولا يحبّك منافق » (ح/٤٥) .

(٤٨٧) بعض المنافقين الّذين ابُتِلَي بهم الامام (ع) :

* (قاله للأشعث بن قيس وهو علىٰ منبر الكوفة يخطب ، فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث فيه ، فقال : ياأمير المؤمنين ، هٰذه عليك لا لك ، فخفض عليه السّلام إليه بصره ثم قال) :

ما يدريك ما عَلَيّ ممّا لي ، عليك لعنة الله ولعنة اللّاعنين ! حائك ابن حائك ! مُنافق ابن كافِر ! والله لقد أسَرَكَ الكفر مرّةً والاسلام أخرىٰ ! فما فَداكَ من واحدة منهما مالُك ولا حَسَبُك ! وإنّ امرءاً دلّ على قومه السّيف ، وساقَ إليهم الحتف ، لَحَرِيٌّ أن يمقته الأقرَب ، ولا يأمنه الأَبْعَد ! (ك/١٩) .

* (في ذمّ أهل الجمل) أخلاقُكم دِقاق ، وعهدكم شِقاق ، ودِينكم نفاق ، وماؤكم زُعاق ، والمقيم بين أظهركم مُرْتَهَنٌ بذنبه ، والشّاخص عنكم مُتدارَكٌ برحمةٍ من ربّه (ك/١٣) .

الباب التّاسع عشر : في الأسرة والقربىٰ والمرأة وتربية الأبناء والجار

الفصل الأوّل : في الأسرة والأقرباء

الفصل الثّاني : في المرأة

الفصل الثّالث : في تربية الأبناء وتعليمهم

الفصل الرّابع : في الجار

« الأسـرة والأقـرباء »

(٤٨٨) من مسؤوليّات ربّ الأسرة :

* وكان رسول الله (ص) نَصِباً بالصّلاة بعد التّبشير له بالجنّة ، لقول الله سبحانه : « وَأْمُرْ أهلك بالصّلاة واصطبر عليها » فكان يأمر بها أهله ، و يصبر عليها نفسه (ك/١٩٩) .
* ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك (ر/٣١) .
* (قال له العلاء : ياأمير المؤمنين ، أشكو إليك أخي عاصم بن زياد . قال : وماله ؟ قال : لبس العباءة وتخلّى عن الدّنيا . قال : عَلَيَّ به . فلمّا جاء قال(ع)) :

ياعُدَيَّ نفسه ! لقد استهام بك الخبيث ! أما رحمتَ أهلك وولدك ! (ك/٢٠٩) .

* وحقّ الولد على الوالد أن يُحَسِّن أسمَهُ ، و يُحَسِّن أدَبَهُ ، و يعلّمه القرآن(ح/٣٩٩) .

(٤٨٩) عدم المبالغة في الاهتمام بالأسرة :

* لا تجعَلَنّ أكثر شُغُلِكَ بأهلك وولدك ، فإن يكن أهلك ، وولدك أولياء الله ، فإنّ الله لا يُضيّع أولياءه ، وإن يكونوا أعداء الله ، فما همّك وشغلك بأعداء الله ؟!(ح/٣٥٢) .

(٤٩٠) المصيبة حين تحلّ بالأسرة ، والموقف منها :

* (وقد عزّى الأشعث بن قيس عن ابن له) :

ياأشعث ، إن تحزن على ابنك فقد استحقّت منك ذلك الرَّحِم ، وإن تصبر ففي الله من كلّ مصيبةٍ خَلَف . ياأشعث ، إن صبرتَ جَرَىٰ عليك القَدَر وأنت مأجور ، وإن جزعتَ

جرى عليك القَدَر وأنت مأزور. ياأشعث، إبنك سَرَّك وهو بلاءٌ وفتنة، وحَزَنَك وهو ثوابٌ ورحمة (ح/٢٩١).

(٤٩١) في أمور أهمّ من الأسرة والأقرباء، وأنّها مقدّمة عليهما:

* ولقد كنّا مع رسول الله (ص) نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا ما يزيدنا ذلك إلاّ إيماناً (خ/٥٦).
* واعلم أنّ أفضل المؤمنين أفضلهم تقدمةً من نفسه وأهله وماله (ر/٦٩).
* وإنّ المال والبنين حرث الدّنيا، والعمل الصّالح حرث الآخرة (خ/٢٣).
* أنْصِفِ الله وأنصف النّاس من نفسك ومن خاصّة أهلك... فإنّك إلاّ تفعل تَظْلِم، ومَن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجّته. وكان لله حرباً حتّى ينزع أو يتوب (ر/٥٣).
* (لبعض عمّاله): ووالله لو أنّ الحسن والحسين فَعَلا مثل الّذي فعلتَ، ما كانت لهما عندي هوادة، ولا ظفرا منّي بإرادة، حتّى آخذ الحقّ منهما، وأزيح الباطل من مظلمتهما (ر/٤١).
* إنّ وَلِيّ محمّد من أطاع الله وإن بَعُدَت لُحْمَتُهُ، وإنّ عدوّ محمّد من عَصَى الله وإن قَرُبَت قرابته! (ح/٩٦).
* والزم الحقّ من لزمه القريب والبعيد... واقعاً ذلك من قرابتك وخاصّتك حيث وقع (ر/٥٣).
* (إلى المنذر بن الجارود العبدي، وقد خان في بعض ما ولاّه من أعماله):
تَعْمُرُ دنياك بخراب آخرتك، وتصل عشيرتك بقطيعة دينك (ر/٧١).
* سل عن الرّفيق قبل الطّريق، وعن الجار قبل الدّار (ر/٣١).
* ... وإنّ للوالد على الوَلَد حقّاً، فحقّ الوالد على الولد أن يطيعه في كلّ شيء، إلاّ في معصية الله سبحانه (ح/٣٩٩).
* مَن أبْطَأ به عمله، لم يسرع به نَسَبُهُ (ح/٢٣).

(٤٩٢) في الحثّ على صلة الرّحم، وأهميّتها :

* أيّها النّاس، إنّه لا يستغني الرّجل ــ وإن كان ذا مالٍ ــ عن عترته، ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم، وهم أعظمُ النّاس حَيْطَةً من ورائه، وألَمُّهم لِشَعَثِهِ، وأعطَفُهم عليه عند نازلةٍ إذا نزلت به (خ/٢٣).

* ألا لا يعدلنّ أحدكم عن القرابة يرى بها الخصاصة أن يسدّها بالّذي لا يزيده إن أمسكه، ولا ينقصه إن أهلكه؛ ومَن يقبض يَدَهُ عن عشيرته، فإنّما تُقْبَض منه عنهم يدٌ واحدة، وتُقْبَض منهم عنه أيدٍ كثيرة (خ/٢٣).

* وأكرم عشيرتك، فإنّهم جناحك الّذي به تطير، وأصلك الّذي إليه تصير، و يدك الّتي بها تصول (ر/٣١).

* إنّ أفضل ما توسّل به المتوسّلون... وصلة الرَّحِم فإنّها مثراة في المال (خ/١١٠).

* فَرَضَ الله... وصلةَ الرَّحِم منماةً للعَدَد (ح/٢٥٢).

* (وقد دخل عليه السّلام عَلَى العلاء بن زياد الحارثي يعوده، فلمّا رأى سعة داره قال):

ما كُنتَ تصنع بهذه الدّار في الدّنيا، وأنت إليها في الآخرة كنتَ أحوج؟ و بَلَى إن شئتَ بلغتَ بها الآخرة. تقري فيها الضّيف، وتصل فيها الرَّحِم، وتُطْلِع منها الحقوق مطالعها، فإذاً أنت قد بلغت بها الآخرة (ك/٢٠٩).

(٤٩٣) صلاح ذات البين :

* (ومن وصيّته للحسن والحسين (ع) لمّا ضربه ابن ملجم ــ لعنه الله ــ):

أوصيكما وجميع وَلَدي وأهلي ومَن بلغه كتابي، بتقوى الله، ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم، فإنّي سمعت جدّكما (ص) يقول: «صلاح ذات البين أفضل من عامّة الصّلاة والصّيام» (ر/٤٧).

(٤٩٤) أمور تقوّي من صلة الرّحم :

* والقرابة إلى المودّة أحوج من المودّة إلى القرابة (ح/٣٠٨).

* فَرَضَ الله ... وتركَ الزِّنا تحصيناً للنَّسَب ، وتَرْكَ اللَّواط تكثيراً للنَّسل (ح/٢٥٢) .

(٤٩٥) أمور تضرّ بصلة الرّحم :

* يأتي على النّاس زمان ... يعدّون الصّدقة فيه غُرْماً ، وصلة الرَّحِم مَنّاً (ح/١٠٢) .
* (الشّيطان) ووقع في حسبكم ، ودفع في نسبكم (خ/١٩٢) .
* (آخر الزّمان) وصار الفسوق نَسَباً ، والعفاف عجباً (خ/١٠٨) .

(٤٩٦) البعيد ـ أحياناً ـ يكون أعطف من القريب :

* ورُبَّ بعيدٍ أقرب من قريب ، وقريب أبعد من بعيد (ر/٣١) .
* مَن ضَيَّعَهَ الأقرب أتيح له الأبْعَد (ح/١٤) .
* الكرم أعطف من الرَّحِم (ح/٢٤٧) .
* والمودّة قرابة مستفادة (ح/٢١١) .

الفصل الثّاني

« المــرأة »

ملاحظة هامّة :

* يجدر أن ننبّه في هذا الباب إلىٰ أنّ الامام علي عليه السّلام في بعض أقواله الّتي يتبادر للبعض أنّ فيها انتقاصٌ للمرأة كإنسانة ، أنّها ــ في الحقيقة ــ ليست كذلك ، فإنّ أقوال الأمام(ع) نابعة من نظرة علميّة صحيحة ، وهي أنّ العاطفة طبيعة تكوينيّة طاغية على النّساء إلاّ ما شذّ وندر، وهي من الضّرورات الواجبة للحياة الأنسانية .. ولكن لكلّ ضرورات محذورات ــ كما يقال ــ .

(٤٩٧) في أحكام تتعلّق بخصائص المرأة :

* معاشر النّاس ، إنّ النّساء نواقص الايمان ، نواقص الحظوظ ، نواقص العقول : فأمّا نقصان إيمانهنّ فقعودهنّ عن الصّلاة والصّيام في أيّام حيضهنّ ، وأمّا نقصان عقولهنّ فشهادة امرأتين كشهادة الرّجل الواحد ، وأمّا نقصان حظوظهنّ فمواريثهنّ علىٰ الأنصاف من مواريث الرّجال .

(٤٩٨) جهاد المرأة :

* وجهاد المرأة حسن التبعّل (ح/١٣٦) .

(٤٩٩) أفضل الخصال عند النّساء ، أَسْوَؤُها عند الرّجال ، وخصلة عند الرّجال حسنة وعند النّساء سيّئة :

* خيار خصال النّساء شرار خصال الرّجال : الزّهو، والجبن، والبخل ؛ فإذا كانت المرأة مزهوّةً لم تمكّن من نفسها، وإذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال بعلها، وإذا كانت جبانةً فَرِقَت من كلّ شيء يَعْرِض لها (ح/٢٣٤).

* غَيْرَة المرأة كفرٌ، وغَيْرَة الرّجل إيمان (ح/١٢٤).

(٥٠٠) في صفات النّساء عندما لا يستخدمن امكانيتهنّ العاطفيّة في خدمة العائلة والمجتمع :

* وإنّ النّساء هَمُّهنّ زينة الحياة الدّنيا والفساد فيها (خ/١٥٣).

* المرأة شرٌّ كلّها، وشرّ ما فيها أنّه لا بدّ منها ! (ح/٢٣٨).

* المرأة عقربٌ حلوة اللّسبة (ح/٦١).

* وأمّا فلانة فأدركَها رأي النّساء، وضِغنٌ غَلاَ في صدرها كمِرْجَلِ القَيْن (ك/١٥٦).

* فإنّ رَأيَهُنّ إلى أفْن، وعَزْمَهُنّ إلى وَهْن (ر/٣١).

(٥٠١) نصائح للرّجال تتعلّق بالطّبائع التّكوينيّة الخاصّة بالنّساء :

* ولا تَـهِيْجُوا النّساء بأذىً، وإن شَتَمْنَ أعراضَكُم، وسبَبْنَ أمراءَكُم، فإنّهنّ ضعيفاتُ القُوَى والأنفُس والعقول ؛ إن كُنّا لَنُؤمَرُ بالكفّ عنهنّ وإنّهنّ لَمُشرِكاتٌ ؛ وإن كان الرَّجُلُ ليتناول المرأة في الجاهليّة بالفَهْرِ أو الهراوَة فيُعَيَّرُ بها وعَقِبُهُ من بعده (ر/١٤).

* وإيّاك ومشاورة النّساء فإنّ رأيَهُنّ إلى أفْنٍ، وعزمَهُنّ إلى وَهنٍ. واكْفُفْ عليهنّ من أبصارهنّ بحجابك إيّاهنّ، فإنّ شدّة الحجاب أبقى عليهنّ، وليس خروجُهُنّ بأشدَّ من إدخالِك مَن لا يُوثَقُ به عليهنّ، وإن استطعتَ ألاّ يَعْرِفْنَ غيرك فافعل. ولا تُمَلِّك المرأة من أمرها ما جاوَزَ نَفْسَها، فإنّ المرأة رَيحانة، وليست بِقَهْرَمَانَة. ولا تَعْدُ بكرامتها نَفْسَها، ولا تُطْمِعْها في أن تَشْفَعَ لغيرها. وإيّاك والتّغاير في غير موضع غَيْرَة، فإنّ ذلك يدعو الصّحيحة إلى السَّقَم، والبريئة إلى الرِّيَب (ر/٣١).

* (وروي أنّه (ع) لما ورد الكوفة قادماً من صفّين مرّ بالشّباميّين، فسمع بكاء النّساء

على قتلى صفّين ، وخرج إليه حرب بن شُرَحبيل الشّبامي فقال له(ع)) :
أتَغْلِبُكُم نساؤكم على ما أسمع ؟ ألا تَنْهَوْنَهُنَّ عن هٰذا الرّنين ؟ (خ/٣٢٢) .

(٥٠٢) نصيحة للرّجل عندما يغريه الشيطان بامرأة جميلة :

* (روي أنه(ع) كان جالساً في أصحابه ، فمرّت بهم امرأة جميلة ، فرمقها القوم بأبصارهم ، فقال(ع)) :

إنّ أبصار هٰذه الفحول طوامح ؛ وإنّ ذلك سبب هبابها ، فإذا نظر أحدكم إلىٰ امرأةٍ تُعْجِبُهُ فَلْيُلامِس أهله ، فإنّما هي امرأةٌ كامرأة (ح/٤٢٠) .

(٥٠٣) نصيحة للجيش المحارِب حول النّساء :

* (أنّه شيّع جيشاً بغزية فقال) :

اَعذِبوا عن النّساء ما استطعتم (ح/٧) .

(٥٠٤) نصيحة للأسرة حول الأبنة إذا وصلت سنّ البلوغ ، وحدثت بسببها الخصومة بين الأقرباء :

* إذا بَلَغَ النّساء نَصَّ الحِقاق فالعَصَبَةُ أَوْلَىٰ (ح/٤) .

الفصل الثّالث

« في تربية الأبناء وتعليمهم »

(٥٠٥) في أهميّة التّربية والتّعليم في الصّغر:

* أي بني ، إني ... بادرت بوصيّتي إليك ، وأوردتُ خصالاً منها قبل أن ... يسبقني إليك بعض غلبات الهوى ، وفِتَنِ الدّنيا ، فتكون كالصّعب النّفور ؛ وإنّما قلب الحَدَث كالأرض الخالية ؛ ما أُلْقِيَ فيها من شيء قَبِلَتْهُ ، فبادرتُك بالأدب قبل أن يَقْسُوَ قلبُك ، ويشتغل لبّك (ر/٣١) .

* ورأيتُ حيث عناني من أَمْرِكَ ما يعني الوالد الشّفيق ، وأجمعتُ عليه من أدبك أن يكون ذلك وأنت مُقْبِل العمر ومقتبل الدّهر ، ذو نيّةٍ سليمة ، ونفسٍ صافية (ر/٣١) .

* فما طاب سَقْيُهُ . طاب غَرْسُهُ وَحَلَت ثَمَرَتُه . وما خَبُثَ سَقْيُهُ ، خَبُثَ غَرْسُهُ وأَمَرَّت ثَمَرَتُه (خ/١٥٤) .

(٥٠٦) من أهمّ أهداف التّربية والتّعليم :

* فبادرتُك بالأدب ... لتستقبل بجدّ رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التّجارب بُغْيَتَهُ وتجربته ، فتكون قد كُفِيْتَ مؤونة الطّلَب ، وعوفيتَ من علاج التّجربة ، فأتاك من ذلك ما قد كنّا نأتيه ، واستبان لك ما ربّما أظلم علينا منه (ر/٣١) .

* أي بنيّ إنّي وإن لم أكن عُمِّرتُ عُمْرَ مَن كان قبلي ، فقد نظرتُ في أعمالهم ، وفكّرتُ في أخبارهم ، وسرتُ في آثارهم ، حتّى عُدْتُ كأحدهم ، بل كأنّي بما انتهى إليّ من أمورهم قد عُمِّرتُ مع أوّلهم إلى آخرهم ، فعرفتُ صفو ذلك من كَدَرِهِ ، ونفعه من ضرره ،

فاستخلصتُ لك من كلّ أمرٍ نخيله ، وتوخّيتُ لك جميله ، وصرفتُ عنك مجهوله (ر/٣١) .

* وإنّك لن تبلغ في النّظر لنفسك ـــ وإن اجتهدت ـــ مبلغ نظري لك (ر/٣١) .

* والأخذ بما مضى عليه الأ وّلون من آبائك ، والصّالحون من أهل بيتك ، فإنّهم لم يَدَعوا أن نَـظَـرُوا لأنفسهم كما أنت ناظر ،وفكّروا كما أنت مفكّر، ثمّ رَدّهم آخر ذ لك إلى الأخذ بما عَرَفوا ، والإمساك عمّا لم يكلّفوا (ر/٣١) .

(٥٠٧) الإقناع والإفهام من أهم شروط التّربية والتّعليم :

* إنّ للـقـلـوب شـهـوةً وإقـبالاً وإدباراً . فأتوها مِن قِبَلِ شهوتها وإقبالها ، فإنّ القلب إذا اُكْرِهَ عَمِي (ح/١٩٣) .

* فـإن أبـت نـفسك أن تقبل ذ لك دون أن تعلم كما علموا ، فليكن طلبك ذ لك بتفهُّم وتعلُّم ، لا بتورّط الشّبهات ، وعَلَق الخصومات (ر/٣١) .

(٥٠٨) متى يلجأ الآباء والمعلّمون إلى العقوبة التّأديبية :

* ولا تـكوننّ ممّن لا تنفعه العِظَة إلاّ إذا بالَغْتَ في إيلامه ، فإنّ العاقل يتّعظ بالآداب ، والبهائم لا تتّعظ إلاّ بالضّرب (ر/٣١) .

(٧٠٩) أهمّ ما ينبغي أن يُرَبّىٰ عليه الأ بناء ، و يعلّموه :

* وأن أبْتَدِئك بتعليم كتاب الله عزّ وجلّ وتأو يله ، وشرائع الأسلام وأحكامه ، وحلاله وحرامه ، لا أجاوز ذ لك بك إلىٰ غيره (ر/٣١) .

* حقّ الولد علىٰ الوالد أن يحسّن اسمه ، ويحسّن أدبه ، و يعلّمه القرآن (ح/٣٩٩) .

* ولا ميراث َكالأدب (ح/٥٤) .

* العلم وراثة كريمة (ح/٥) .

* يا كميل ، مُرْ أهلك أن يروحوا في كسب المكارم (ح/٢٥٧) .

(٥١٠) التّربية بالقدوة :

• ولقد كنت أتّبعه (رسول الله (ص)) اتّباع الفصيل أثر أمّه ، يرفع لي في كلّ يومٍ من أخلاقه عَلَماً ، و يأمرني بالاقتداء به (خ/١٩٢) .

• ليتأسَّ صغيركم بكبيركم (خ/١٦٦) .

• وأريتكم كرائم الأخلاق من نفسي (خ/٨٧) .

(٥١١) أهميّة تربية المعلّم :

• مَن نَصَبَ نفسَه للنّاس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ؛ ومعلّم نفسه ومؤدّبها أحقّ بالاجلال من معلّم النّاس ومؤدّبهم (ح/٧٣) .

« الجـــار »

(٥١٢) :

* والله الله في جيرانكم ، فإنّهم وصيّة نبيّكم ، ما زال يوصي بهم ، حتّى ظنَنّا أنّه سيورّثهم (ر/٤٧) .

* فإن كان لا بدّ من العصبيّة ... فتعصّبوا لخلال الحمد من الحفظ للجوار ، والوفاء بالذّمام ، الطّاعة للبرّ ... (خ/١٩٢) .

* سل عن الرّفيق قبل الطّريق ، وعن الجار قبل الدّار (ر/٣١) .

* (المتّقي) ولا يُضارّ بالجار (خ/١٩٣) .

الباب العشرون : في الصّداقة والأصدقاء

« الصّداقة والأصدقاء »

(٥١٣) في أهميّة الصّداقة والمودّة وضرر فقدانها :

* ورُبَّ بعيدٍ أقرب من قريب ، وقريب أبعد من بعيد (ر/٣١) .
* والغريب من لم يكن له حبيب (ر/٣١) .
* قارن أهل الخير تكن منهم (ر/٣١) .
* فقد الأحبّة غربة (ح/٦٥) .
* مقاربة النّاس في أخلاقهم ، أمنٌ من غوائلهم (ح/٤٠١) .
* والمودّة قرابة مستفادة (ح/٢١١) .
* التودّد نصف العقل (ح/١٤٢) .
* ولا تباغضوا فإنّها الحالقة (خ/٨٦) .

(٥١٤) من صفات المؤهّلين لاختيارهم كأصدقاء ، وصفات غير المؤهلين لذلك :

* قارِن أهل الخير تكن منهم ، و باين أهل الشرّ تبن عنهم . لا خير في مُعينٍ مَهين ، ولا في صديقٍ ظنين (ر/٣١) .
* لا تتخذنَ عدوّ صديقك صديقاً فتعادي صديقك (ر/٣١) .
* وقطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل (ر/٣١) .
* واحذر صحابة مَن يفيل رأيه ، و يُنْكَر عمله ، فإنَ الصّاحب معتَبَرٌ بصاحبه . وإيّاك ومصاحبة الفُسّاق ، فإنّ الشرّ بالشرّ مُلْحَق . و وَقِّرِ الله ، وأَحبِبْ أحبّاءَه (ر/٦٩) .
* يابنيّ إيّاك ومصاحبة الأحمق ، فإنّه يريد أن ينفعك فيضرّك ؛ وإيّاك ومصادقة

البخيل ، فإنّه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه ؛ وإيّاك ومصادقة الفاجر ، فإنّه يبيعك بالتافه ؛ وإيّاك ومصادقة الكذّاب ، فإنّه كالسَّراب : يُقَرِّب عليك البعيد ، و يبعّد عليك القريب (ح/٣٨) .

* أصدقاؤك ثلاثة ، وأعداؤك ثلاثة ؛ فأصدقاؤك : صديقك ، وصديق صديقك ، وعدوّ عدوّك ، وأعداؤك : عدوّك ، وعدوّ صديقك ، وصديق عدوّك (ح/٢٩٥) .

* زُهْدُكَ في راغبٍ فيك نُقْصانُ حظٍّ ، ورغبتُك في زاهدٍ فيك ذُلّ نفس (ح/٤٥١) .

* شرّ الاخوان من تُكُلِّف له (ح/٤٧٩) .

* واعلموا أنّ عباد الله المستحفظين علمه ... يتواصلون بالولاية و يتلاقون بالمحبّة (خ/٢١٤) .

* وأوثق سَبَبٍ أخذتَ به سببٌ بينك و بين الله سبحانه (ر/٣١) .

* ولا ترغبَنّ فيمن زهد عنك (ر/٣١) .

* لا تصحب المائق فإنّه يزيّن لك فعله و يودّ أن تكون مثله (ح/٢٩٣) .

* صاحب السّلطان كراكب الأسد : يُغْبَط بموقعه ، وهو أعلم بموضعه (ح/٢٦٣) .

* والطّمأنينة إلى كلّ أحدٍ قبل الاختبار له عجز (ح/٣٨٤) .

(٥١٥) في حقوق الأصدقاء ، وكيفيّة المحافظة عليهم :

* لا يكون الصّديق صديقاً حتّى يحفظ أخاه في ثلاث : في نكبته ، وغيبته ، ووفاته (ح/١٣٤) .

* اخبُرْ تَقْلِه (ح/٤٣٤) .

* والصّاحب مناسب ، والصّديق مَن صَدَق غيبُهُ . ومَن لم يُبالِك فهو عدوّك (ر/٣١) .

* ولا تضيّعَنّ حقّ أخيك اتكالاً على ما بينك و بينه ، فإنّه ليس لك بأخٍ مَن أضَعْتَ حقّه (ر/٣١) .

* احمل نفسك من أخيك عند صَرْمِهِ على الصّلة ، وعند صدوده على اللّطف والمقاربة ، وعند جموده على البَذْل ، وعند تباعده على الدُّنُوّ ، وعند شدّته على اللّين ، وعند جُرمِهِ على العذر ، حتّى كأنّك له عبدٌ ، وكأنّه ذو نعمةٍ عليك . وإيّاك أن تَضَعَ ذلك في غير موضعه ، أو

أن تـفـعله بغير أهله ... وتجَرَّع الغيظ فإنّي لم أر جرعةً أحلىٰ منها عاقبة ، ولا ألذّ مغبّة . ولِن لمن غالَظَك ، فإنّه يوشك أن يلين لك (ر/٣١) .

* أيّهـا النّـاس ، مَنْ عَرَفَ من أخيه وثيقة دينٍ وسَدادَ طريق ، فلا يسمعنَّ فيه أقاو يل الرّجال . أما إنّه قد يرمي الرّامي ، وتُخطىء السّهام ، ويحيل الكَلام (ك/١٤١) .

* عاتب أخاك بالإحسان إليه ، وآرْدُدْ شرّه بالإنعام عليه (ح/١٥٨) .

* ومَن أطاع الواشي ضيّع الصّديق (ح/٢٣٩) .

* أعـجـز النّـاس مَـن عَـجَـز عـن اكـتـساب الأخوان ، وأعجز منه مَن ضَيَّعَ مَن ظَفِرَ به منهم (ح/١٢) .

* كان لي فيما مَضى أخٌ في الله ... وكان لا يلوم أحداً علىٰ ما يجد العذر في مثله ، حتّى يسمع اعتذاره (ح/٢٨٩) .

* والبَشاشة حِبالَةُ المودّة (ح/٦) .

* حَسَدُ الصّديق من سُقْمِ المودّة (ح/٢١٨) .

* إذا احتشم المؤمن أخاه فقد فارقه (ح/٢٨٠) .

* وإنّـمـا أنـتم إخوانٌ علىٰ دين الله ، ما فَرَّقَ بينكم إلاّ خبث السّرائر ، وسوء الضّمائر ؛ فلا تَوازَرُون ولا تناصَحون ، ولا تباذَلون ولا توادّون (خ/١١٣) .

* خالطوا النّاس مخالطةً إن مِتُّم معها بَكَوا عليكم ، وإن عشتم حَنّوا إليكم (ح/١٠) .

* قلوب الرّجال وحشيّة ، فمن تألّفها أقبلت عليه (ح/٥٠) .

* ومن تلن حاشيته يستدم من قومه المودّة (خ/٢٣) .

* إذا كان في رجلٍ خَلَّةٌ رائقةٌ ، فانتظِروا أخواتِها (ح/٤٤٥) .

(٥١٦) ذمّ الافراط والتّفريط في حبّ الأصدقاء ، وبغض الأعداء :

* وإن أردتَ قـطـيـعـة أخيك فأستَبْقِ له من نفسك بقيّةً يرجع إليها إن بَدا له ذ لك يوماً مّا (ر/٣١) .

* أحـبب حبيبك هَوْناً مّا عَسى أن يكون بغيضك يوماً مّا ، وابغض بغيضك هَوْناً مّا عَسى أن يكون حبيبك يوماً مّا (ح/٢٦٨) .

الباب الحادي والعشرون: في القضايا التّاريخيّة

الفصل الأوّل: عليٌّ(ع) في عهد الخلفاء الثّلاثة

الفصل الثّاني: في بيعة الأمّة للإمام(ع)

الفصل الثّالث: في حكومة الإمام وإصلاحاته

الفصل الرّابع: الفتنة الكبرى ١ ـ أهم شعاراتها وشبهاتها

الفصل الخامس: الفتنة الكبرى ٢ ـ في رؤوس الفتنة

الفصل السادس: الفتنة الكبرى ٣ ـ في أسباب نشوبها

الفصل السّابع: الفتنة الكبرى ٤ ـ نصح الإمام للمفتونين

الفصل الثّامن: الفتنة الكبرى ٥ ـ أسباب تصدّي الإمام لها

الفصل التّاسع: الفتنة الكبرى ٦ ـ أسباب انتصارها مادّياً

الفصل العاشر: الفتنة الكبرى ٧ ـ في مسائل التّحكيم

الفصل الحادي عشر: الفتنة الكبرى ٨ ـ الإمام يصف الفئات الّتي حاربته

الفصل الثّاني عشر: الفتنة الكبرى ٩ ـ الإمام يتحدّث عن ملامح الفتنة عندما تنتصر، ومصير أصحابها

« في عهد الخلفاء الثّلاثة »

كان سلوك الامام (ع) في هٰذه الفترة كما يلي :

(٥١٣) ١ ــ اختيار المبايعة :

* فَسَدَلْتُ دونها ثوباً ، وطويت عنها كشحاً ، وطفقتُ أرتئي بين أن أصول بيدٍ جذّاء ، أو أصبر علىٰ طخيةٍ عمياء ، يهرم فيها الكبير ، و يشيب فيها الصّغير ، و يكدح فيها مؤمنٌ حتّى يلقىٰ ربّه ، فرأيتُ أنّ الصّبر علىٰ هاتا أحجىٰ ، فصبرتُ وفي العين قذىً ، وفي الحلق شجا . . . حتّى مضى الأوّل لسبيله ، فأدلىٰ بها إلىٰ فلانٍ بعده . . . فصبرتُ علىٰ طول المدّة ، وشدّة المحنة (خ/٣) .

* وأغضيتُ علىٰ القذىٰ ، وشربتُ علىٰ الشَّجا ، وصبرتُ علىٰ أخذ الكَظَم ، وعلىٰ أمرّ من العلقم (خ/٢٦) .

* فنظرتُ في أمري ، فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي ، وإذا الميثاق في عُنُقي لغيري (خ/٣٧) .

* و والله لأُسلِمَنّ ما سلمت أمور المسلمين (خ/٧٤) .

* أفلح من نهض بجناح ، أو استسلم فأراح (خ/٥) .

وقد كان الامام (ع) يستهدف باختياره المبايعة تحقيق هدفين :

(٥١٤) الهدف الأوّل : الحفاظ على وحدة المسلمين :

* (خاطبه العبّاس وأبو سفيان في أن يبايعا له بالخلافة ، وذلك بعد أن تمّت البيعة لأبي بكر في السقيفة) فخطب قائلاً :

أيّها النّاس ، شقّوا أمواج الفِتَن بسُفُن النجّاة ، وعرّجوا عن طريق المنافرة ، وضَعوا تيجان المفاخرة ... هٰذا ماءٌ آجن ، ولقمةٌ يغصّ بها آكِلُها (خ/٥) .

* ووالله لأُسْلِمَنَّ ما سلمت أمور المسلمين ، ولم يكن فيها جورٌ إلاّ عَلَيَّ خاصّة (خ/٧٤) .

(٥١٥) الهدف الثّاني : الحفاظ على القيادة الاسلاميّة المتمثّلة بشخصه الكريم وأبنائه البررة :

* وقالوا : ألا إنّ في الحقّ أن تأخذه ، وفي الحقّ أن تُمْنَعَهُ ، ... فنظرتُ فإذا ليس لي رافدٌ ولا ذابٌّ ولا مساعِدٌ إلاّ أهل بيتي ، فضننتُ بهم عن المنيّة (ك/٢١٧) .

* فنظرتُ فإذا ليس لي معينٌ إلاّ أهل بيتي ، فضننتُ بهم عن الموت (خ/٢٦) .

٢ ــ الامام في هٰذه الفترة :

(٥١٦) أ ــ تقديم المشورة للخلفاء :

* (شاوره عمر بن الخطّاب في الخروج إلى غزو الرّوم فقال عليه السّلام) :

إنّك متىٰ تسر إلىٰ هذا العدوّ بنفسك ، فتلقَهم فتُنكب ، لا تكن للمسلمين كانفةٌ دون أقصى بلادهم ، ليس بعدك مرجعٌ يرجعون إليه ، فابعث إليهم رجلاً مِحرَباً ، واحفز معه أهل البلاء والنّصيحة ، فإن أظهر الله فذاك ما تحبّ ، وإن تكن الأخرىٰ ، كنتَ ردءاً للنّاس ، ومثابةً للمسلمين (ك/١٣٤) .

* (واستشاره أيضاً في الشّخوص لقتال الفرس فقال عليه السّلام) :

فكن قطباً ، واستدِرِ الرّحا بالحرب ، وأَصْلِهِمْ دونك نار الحرب ، فإنّك إن شخصتَ من هٰذه الأرض ، انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها ، حتّى يكون ما تَدَعُ وراءك من العورات أهمّ إليك ممّا بين يديك .

إنّ الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولوا : هٰذا أصل العرب ، فإذا اقتطعتموه استرحتم ، فيكون ذٰلك أشدّ لِكَلَبْهِمْ عليك وطمعهم فيك .

فأمّا ما ذكرتَ من مسير القوم إلى قتال المسلمين ، فإنّ الله سبحانه هو أكره لمسيرهم منك ، وهو أقدر على تغيير ما يكره .

وأمّا ما ذكرتَ من عددهم ، فإنّا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ، وإنّما كنّا نقاتل بالنّصر والمعونة (ك/١٤٦) .

* (وسأله عمر بن الخطّاب بشأن أخذ حلي الكعبة المشرّفة فقال عليه السّلام) :

إنّ هٰذا القرآن أُنْزِلَ علىٰ النبيّ (ص) والأموال أربعة : أموال المسلمين فقسمّها بين الورثة في الفرائض ، والفيء فقسمّه بين مستحقّيه ، والخمس فوضعه الله حيث وضعه ، والصّدقات فجعلها الله حيث جعلها ، وكان حلي الكعبة فيها يومئذٍ ، فتركه الله علىٰ حاله ، ولم يتركه نسياناً ، ولم يَخْفَ عليه مكاناً ، فأقِرَّه حيث أقرّه الله ورسولُه (فقال له عمر : لولاك لافتضحنا ، وترك الحلي علىٰ حاله) (ح/٢٧٠) .

(٥١٧) ب ـ إسداء النصّائح لهم :

* (اجتمع النّاس إليه وشكوا ما نقموه علىٰ عثمان ، وسألوه مخاطبته لهم واستعتابه لهم ، فدخل عليه عليه السّلام وقال) :

إنّ النّاس ورائي ، وقد استسفروني بينك و بينهم ، و والله ماأدري ما أقول لك ! ما أعرف شيئاً تجهله ، ولا أدلّك علىٰ أمرٍ لا تعرفه ، وإنّ الطُّرُق لواضحة ، وإنّ أعلام الدّين لقائمة ، فاعلم أنّ أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هُدِيَ وهَدىٰ ، فأقام سُنّةً معلومة ، وأمات بدعةً مجهولة ، وإنّ السُّنَن لنيرّة لها أعلام ، وإنّ البدع لظاهرة لها أعلام ، وإنّ شرّ النّاس عند الله إمامٌ جائر ضَلّ وضُلّ به ، فأمات سنّةً مأخوذة ، وأحيا بدعةً متروكة ، وإنّي سمعت رسول الله (ص) يقول : « يُؤتى يوم القيامة بالامام الجائر وليس معه نصيرٌ ولا عاذر ؛ فيُلقىٰ في نار جهنّم ، فيدور فيها كما تدور الرّحىٰ ، ثمّ يرتبط في قعرها » وإنّي أنشدك الله ألا تكون إمام هٰذه الأمّة المقتول ، فإنّه كان يُقال : يُقتَلُ في هٰذه الأمّة إمامٌ يفتحُ عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة ، و يلبس أمورها عليها ، و يبثّ الفِتَنَ فيها ، فلا يبُصرون الحقّ من

الباطل ، يموجون فيها موجاً ، ويمرجون فيها مرجاً ، فلا تكوننّ لمروان سيّقة يسوقك حيث شاء بعد جلال السنّ وتقضّي العُمُر (ك/١٦٤) .

* أمّا بعد فإنّي أخبركم عن أمر عثمان ، حتّى يكون سمعه كعيانه ، إنّ النّاس طعنوا عليه ، فكنت رجلاً من المهاجرين أكثر استعتابه وأقلّ عتابه (ر/١) .

٣ ــ إبداء آرائه عليه السّلام في قضايا الخلافة وأهم أحداثِها :

(٥١٨) أ ــ في تعيين الخليفة :

١ ــ السّقيفة :

* حتّى إذا قبض الله رسوله (ص) رجع قومٌ على الأعقاب ، وغالتهم السُّبُل ، واتكلوا على الولائج ، ووصلوا غير الرَّحِم ، وهجروا السّبب الّذي أُمِروا بمودّته ، ونقلوا البناء عن رصّ أساسه ، فبنوه في غير موضعه (خ/١٥٠) .

* (قالوا : لـمّا انتهت إلى أمير المؤمنين (ع) أنباء السّقيفة بعد وفاة رسول الله (ص) قال عليه السّلام) :

ــ ما قالت الأنصار ؟

قالوا : قالت : منّا أميرٌ ومنكم أمير.

قال : فهلاّ احتججتم عليهم بأنّ رسول الله (ص) وصّى بأن يُحْسَن إلى مُحسنِهِم ، و يُتَجاوَز عن مسيئهم ؟

قالوا : وما في هذا من الحجّة عليهم ؟

فقال : لو كانت الامامة فيهم لم تكن الوصيّة بهم ، ثم قال :

ــ فماذا قالت قريش ؟

قالوا : احتجّت بأنّها شجرة الرّسول (ص) .

فقال : احتجّوا بالشّجرة ، وأضاعوا الثّمرة (ك/٦٧) .

* لا يُعاب المرء على تأخير حقّه ، إنّما يُعاب مَن أخذ ما ليس له (ح/١٦٦) .

* واعجباه ! أتكون الخلافة بالصحّابة والقرابة ؟

فإن كنتَ بالشّورى ملكتَ أمورَهم فكيف بهٰذا والمشيرون غُيَّبُ
وإن كنتَ بالقُربى حججتَ خصيمَهم فغيرُكَ أولىٰ بالنبيّ وأقربُ (ح/١٩٠)

* إنّ الأئمّة من قريش غُرِسوا في هذا البطن من هاشم ، لا تصلح علىٰ سواهم ، ولا تصلح الولاة من غيرهم ، أين الّذين زَعَموا أنّهم الرّاسخون في العلم دوننا كذباً و بغياً علينا ، أنْ رَفَعَنا الله ووضعهم ، وأعطانا وَحرَمَهم ، وأدخَلَنا وأخرجهم ، بنا يُستَعْطَى الهُدىٰ ، و يُسْتَجلَى العَمىٰ (خ/١٤٤) .

* قد خاضوا بحار الفِتَن ، وأخذوا بالبِدَع دون السُّنَن ، وأرز المؤمنون ، ونطق الضّالّون المكذّبون ، نحن الشّعار والأصحاب ، والخَزَنة والأ بواب ، ولا تُؤتى البيوت إلاّ من أبوابها ، فمن أتاها من غير أبوابها سُمّيَ سارقاً (خ/١٥٤) .

* أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قُحافة ، وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرّحا (خ/٣) .

* اللّهم إنّي استعديك علىٰ قريش ومن أعانهم ، فإنّهم قَطَعوا رَحِمِي ، وصَغَّروا عظيم منزلتي ، وأجمعوا علىٰ منازعتي أمراً هولي (خ/١٧٢) .

* أمّا الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الأعلون نَسَباً ، والأشدّون برسول الله (ص) نوطاً ، فإنّها كانت أَثَرَةً شحّت عليها نفوس قومٍ ، وسخت عنها نفوس آخرين ؛ والحَكَمُ الله ، والمِعْوَد إليه القيامة (ك/١٦٢) .

٢ ــ الأوّل يعيّن الثّاني :

* حتّى إذا مضى الأوّل لسبيله ، فأدلى بها إلى فلانٍ بعده ، ... فياعَجَباً ! بينا هو يستقيلها في حياته ، إذ عَقَدَها لآخر بعد وفاته ، لَشَدَّ ما تشطّرا ضرعيها (خ/٣) .

٣ ــ الشّورى :

* حتّى إذا مضى (الثّاني) لسبيله ، جعلها في جماعةٍ زَعَمَ أنّي أحدهم ، فيالله وللشّورى ! مَتى اعترض الرّيب فيّ مع الأوّل منهم ، حتّى صرتُ أُقْرَن إلىٰ هٰذه النّظائر ! لكنّي أسففتُ إذا أسفّوا ، وطرتُ إذ طاروا ، فَصغَا رجلٌ منهم لضِغنه ، ومال الآخر لصهره ، مع هنٍ وهن (خ/٣) .

* لله بلاءِ فلان ... وخلّف الفتنة ... ذهب ... قليل العيب ، أصاب خيرها وسبق

شرّها ... رحل وتركهم في طرق متشعّبة ، لا يهتدي بها الضّال ، ولا يستيقن المهتدى (ك/٢٢٣) .

* (وعندما عزم النّاس على بيعة عثمان قال عليه السّلام) :

لقد علمتم أنّي أحقّ النّاس بها من غيري ، و والله لأسلمنّ ما سلمت أمور المسلمين ، ولم يكن فيها جورٌ إلّا عليّ خاصة التماساً لأجر ذٰلك وفضله ، وزُهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه (خ/٧٤) .

(٥١٩) ب ــ بعض ما وصف به (ع) الخلفاء :

* ... فصيَّرها في حوزة خشناء (أي : عمر بن الخطاب) يغلظُ كَلْمُها ، ويخشُنُ مَسُّها ، و يكثر العثار فيها ، والأعتذار منها ، فصاحبها كراكب الصّعبة ؛ إن أشنق لها خرم ، وإن أسلس لها تقحّم ، فمُنِيَ النّاس ــ لعمر الله ــ بخبطٍ وشِماس ، وتلوّنٍ واعتراض (خ/٣) .

* إلىٰ أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيهِ بين نثيله ومعتلفه ، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الأبل نبتة الرّبيع (خ/٣) .

* (مخاطباً عثمان) : وإنّي أنشدك الله ألّا تكون إمام هٰذه الأمّة المقتول ، فإنه كان يُقال : يُقتَلُ في هٰذه الأمّة إمامٌ يفتحُ عليها القتل والقتال إلىٰ يوم القيامة ، و يلبس أمورها عليها ، و يبثّ الفتن فيها ، فلا يبصرون الحقّ من الباطل ؛ يموجون فيها موجاً ، ويمرجون فيها مرجاً (ك/١٦٤) .

(٥٢٠) ج ــ في موقف الأمّة من هٰذه القضايا :

* وطفقت أرتئي بين أن أصول بيدٍ جَذّاء ، أو أصبر علىٰ طخيةٍ عمياء (خ/٣) .

* فإن أقل يقولوا : حرص على الملك ، وإن أسكت يقولوا : جزع من الموت (خ/٥) .

* ومجتني الثّمرة لغير وقت إيناعها ، كالزّارع بغير أرضه (خ/٥) .

* وقد كانت أمورٌ مضت مِلْتُم فيها مَيْلَةً ، كنتم فيها عندي غير محمودين ... ولو أشاء أن أقول لقلت : عفا الله عمّا سلف (خ/١٧٨) .

« في بيعة الإمام(ع) بعد مقتل عثمان »

(٥٢١) عدم قبوله عليه السّلام الخلافة إلاّ بعد أن قبلت الأمّة شروطه :

* دعوني والتمسوا غيري ؛ فإنّا مستقبلون أمراً له وجوهٌ وألوان ؛ لا تقوم له القلوب ، ولا تثبُتُ عليه العقول ، وإنّ الآفاق قد أغامت ، والمحجّة قد تنكّرت ، واعلموا أنّي إن أجبتكم ركبتُ بكم ما أعلم ، ولم أُصغ إلى قول القائل ، وعتب العاتب ، وإن تركتموني فأنا كأحدكم (ك/٩٢) .

* فأقبلتم إليّ إقبال العُوذ المطافيل علىٰ أولادها ، تقولون : البيعة البيعة ! قبضتُ كفّي فبسطتموها ، ونازعتكم يدي فجاذبتموها (ك/١٣٧) .

* وبسطتم يدي فكففتُها ، ومددتموها فقبضتُها (ك/٢٢٩) .

* (إلى طلحة والزّبير) : أمّا بعد ، فقد علمتما ، وإن كتمتما ، أنّي لم أرِدِ النّاس حتّى أرادوني ، ولم أبايعهم حتّى بايعوني ، وإنّكما ممّن أرادني وبايَعني ، وإنّ العامّة لم تبايعْني لسلطانٍ غالب ، ولا لِعَرَضٍ حاضر (ر/٥٤) .

* والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ، ولا في الولاية إربة ، ولكنّكم دعوتموني إليها ، وحملتموني عليها (ك/٢٠٥) .

* (إلى معاوية) : أما بعد ، فقد علمتَ إعذاري فيكم ، وإعراضي عنكم ، حتّى كان ما لا بدّ منه ولا دفع له (ر/٧٥) .

(٥٢٢) توضيح الإمام(ع) مراراً وتكراراً بأن قبوله للحكم لم يكن إلاّ للتكليف الألٰهي :

* أما والّذي فلق الحبّة ، وبرأ النّسمة ، لولا حضور الحاضر ، وقيام الحُجّة بوجود

النّاصر، وما أخذ الله على العلماء ألاّ يُقارّوا على كِظّة ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيتُ حبلَها على غاربها، ولسقيتُ آخِرَها بكأس أوّلها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز (خ/٣).

* فأمسكت يدي حتّى رأيتُ راجعة النّاس قد رجعت عن الاسلام، يدعون إلى محق دين محمّد (ص) فخشيتُ إن لم أنصر الاسلام وأهله أن أرى فيه ثَلْماً أو هَدْماً، تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم الّتي إنّما هي متاع أيّام قلائل، يزول منها ما كان كما يزول السّراب، أو كما يتقشّع السّحاب (ر/٦٢).

* اللّهم إنّك تعلم أنه لم يكن الّذي كان منّا منافسةً في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحُطام، ولكن لِنَرِدَ المعالم من دينك، ونُظهر الاصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتُقام المعطّلة من حدودك (ك/١٣١).

* قال عبد الله بن عباس ــ رضي الله عنه ــ: دخلت على أمير المؤمنين عليه السّلام بذي قار وهو يخصف نعله، فقال لي: ما قيمة هذا النّعل؟ فقلت: لا قيمة لها! فقال عليه السّلام: والله لهي أحبُّ إليّ من إمرتكم إلاّ أن أقيم حقّاً، أو أدفع باطلاً (خ/٣٣).

* اليوم أنطق لكم العجماء ذات البيان، عَزَبَ رأي امرىءٍ تخلّف عنّي، ما شككت في الحقّ مذ أريتُهُ، لم يوجس موسى (ع) خيفةً على نفسه، بل أشفق من غَلَبَة الجهّال ودُوَل الضّلال (خ/٤).

(٥٢٣) كانت بيعة الأمّة للامام (ع) وفق الأسس الاسلامية؛ فلم يفرض نفسه بالقوّة أو الدّهاء، وإنّما اختارته الأمّة عندما وجدته أهلاً للخلافة:

* فما راعني إلاّ والنّاس كعُرف الضَّبعُ إليّ، ينثالون عليّ من كلّ جانب، حتّى لقد وُطِىء الحَسَنان، وشُقّ عِطفايَ، مجتمعين حولي كربيضة الغنم (خ/٣).

* وبايَعَني النّاس غير مُستَكْرَهين ولا مُجْبَرين، بل طائعين مُخَيَّرين (ر/١).

* ما منهم رجل إلاّ وقد أعطاني الطّاعة، وسَمَحَ لي بالبيعة، طائعاً غير مكرَه (خ/١٧٢).

* لم تكن بيعتُكم إيّاي فلتةً (ك/١٣٦).

* ... ثمّ تداككتم عليّ تداكّ الإِبل الهِيم على حياضها يوم وِرْدِها، حتّى انقطعت

النَّعل ، وسقط الرّداء ، ووُطِىء الضّعيف ، و بلغ من سرور النّاس ببيعتهم إيايّ أن ابتهج بها الصّغير، وهَدَجَ إليها الكبير، وتحامل نحوها العليل ، وحَسَرَت إليها الكِعاب (ك/٢٢٩) .

* وإنّ العّامة لم تبايعْني لسلطانٍ غالب ، ولا لِعَرَضٍ حاضر (ر/٥٤) .

الفصل الثّالث

« الإمام يحكم ... إصلاحاته »

كـان مـن أهـمّ أهداف الإمام(ع) التي عمل لتحقيقها : القضاء على الظّواهر المَرَضيّة التي حلّت في الدّولة الإسلاميّة ابان حكم الخلفاء الثلا ثة والتي كان أهمها :

أ ـ في جسم الخلافة الإسلاميّة :

(٥٢٨) ١ ـ ظاهرة البدعة والانحراف عن بعض ما أنزل الله تعالىٰ في قرآنه الكريم أو أمر به الرّسول الأمين :

* (مخاطباً عثمان) : فاعلم أنّ أفضل عباد الله عند الله إمامٌ عادل ، هُدِيَ وهَدىٰ ، فأقام سُنّةً معلومة ، وأمات بدعةً مجهولة ، وإنّ السُّنن لنيرّة ، لها أعلام ، وإنّ البدع لظاهرة ، لها أعلام ، وإنّ شرّ النّاس عند الله إمام جائر ضلّ وضُلّ به ، فأمات سُنّةً مأخوذة ، وأحيا بدعةً متروكة ... (ك/١٦٤) .

* وأَخَذُوا بالبِدَع دون السُّنَن ، وأَرَزَ المؤمنون ، ونطق الضّالّون المكذّبون (خ/١٥٤) .

* ... ولكن لنرد المعالم من دينك ، ونُظهر الاصلاح في بلادك ، فيأمن المظلومون من عبادك ، وتقام المعطّلة من حدودك (ك/١٣١) .

* واعلموا أنّكم لن تعرفوا الرُّشد حتّى تعرفوا الّذي تركه ، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتّى تعرفوا الّذي نقضه ، ولن تمسّكوا به حتّى تعرفوا الّذي نبذه ، فالتمسوا ذلك من عند أهله (ح/١٤٧) .

* فأمسكتُ يدي حتّى رأيتُ راجعة النّاس قد رجعت عن الاسلام ، يدعون إلىٰ محق

دين محمد (ص) فخشيت إن لم أنصر الاسلام وأهله أن أرى فيه ثلْماً أو هدماً (ر/٦٢).

* فلمّا أفضت إليّ نظرتُ إلىٰ كتاب الله وما وَضَعَ لنا، وأمَرَنا بالحكم فاتّبَعْتُه، وما استنّ النبيّ (ص) فاقتديتُه (ك/٢٠٥).

* وإنّ الآفاق قد أغامت، والمحجّة قد تنكّرت (ك/٩٢).

* فأرادوا ردّ الأمور علىٰ أدبارها، ولكم علينا العمل بكتاب الله تعالىٰ وسيرة رسول الله (ص) والقيام بحقّه، والنّعش لسنّته (خ/١٦٩).

* قد طَلَعَ طالع، ولمع لامع، ولاح لائح، واعتدل مائل؛ واستبدل الله بقومٍ قوماً، و بيومٍ يوماً؛ وانتظرنا الغِيَر إنتظار المُجْدِبِ المطر (خ/١٥٢).

* وقد كانت أمورٌ مضت مِلتمُ فيها ميلةً، كنتم فيها عندي غير محمودين، ولئن رُدّ عليكم أمركم إنّكم لَسُعَداء، وما عليّ إلاّ الجهد (خ/١٧٨).

* ألا وإنّ بليّتكم قد عادت كهيئتها يوم بَعَثَ الله نبيّه (ص) والّذي بَعَثَهُ بالحقّ لَتُبَلْبَلُنّ بلبلةً، ولَتُغَرْبَلُنّ غربلةً، ولَتُساطُنّ سوط القِدْر، حتّى يعود أسفلكم أعلاكم، وأعلاكم أسفلكم، ولَيَسْبِقُنّ سابقون كانوا قصّروا، ولَيُقَصِّرَنّ سبّاقون كانوا سبقوا.

(٥٣٠) ٣ ــ ظاهرة تعظيم الخليفة والثّناء عليه أمامه، وتهيّبه في الحقّ:

* (خطب عليه السّلام بصفّين فأجابه رجل من أصحابه بكلام طويل، يُكثِرُ فيه الثّناء عليه، و يذكر سمعه وطاعته له؛ فقال عليه السّلام):

... وإنّ من أسخف حالات الولاة عند صالح النّاس، أن يظنّ بهم حبّ الفخر، و يُوضَعُ أمرُهُم علىٰ الكِبْر، وقد كرهتُ أن يكون جال في ظنّكم أنّي أحبّ الأطراء، واستماع الثّناء؛ ولستُ بحمد الله كذلك، ولو كنتُ أُحِبُّ أن يُقالَ ذلك لَتَرَكْتُهُ انحطاطاً لله سبحانه عن تناول ما هو أحقّ به من العَظَمة والكبرياء.. وربّما استحلىٰ النّاس الثّناء بعد البلاء، فلا تثنوا عليّ بجميل ثناء، لأخراجي نفسي إلى الله سبحانه وإليكم من التّقيّة في حقوقٍ لم أفرُغ من أدائها، وفرائض لا بدّ من إمضائها، فلا تكلّموني بما تُكَلَّم به الجبابرة، ولا تتحفّظوا منّي بما يُتَحَفَّظ به عند أهل البادرة، ولا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنّوا بي استثقالاً في حقٍّ قيل لي، ولا التماس إعظامٍ لنفسي، فإنّه مَن استثقل الحقّ أن

يُقال له أو العدل أن يُعرَض عليه ، كان العمل بهما أثقل عليه ، فلا تكفّوا عن مقالةٍ بحقّ ، أو مشورةٍ بعدلٍ ، فإنّي لستُ في نفسي بفوق أن اُخطىء ، ولا آمَنُ ذلك من فعلي ، إلاّ أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به منّي (خ/٢١٦).

* وقال عليه السّلام ، وقد لقيه عند مسيره إلى الشّام دهاقين الأنبار ، فترجّلوا له واشتدّوا بين يديه فقال :

ــ ما هٰذا الّذي صَنَعْتُمُوه ؟

فقالوا : خُلُقٌ منّا نعظّم به أمراءنَا !

فقال : والله ما ينتفع بهٰذا أمراؤكم ! وإنّكم لَتَشُقّون علىٰ أنفسكم في دنياكم ، وتَشْقَونَ به في آخرتكم ، وما أَخْسَرَ المَشَقَّةَ وراءها العقاب ، وأربَحَ الدَّعَةَ معها الأمان من النّار (ح/٣٧).

* فصيّرها في حوزةٍ خشناء ، يغلظُ كَلْمُها ، ويخشُن مَسُّها (خ/٣).

* (وأقبل حرب يمشي معه ، وهو عليه السّلام راكب ، فقال عليه السّلام) :

ارجِع ، فإنّ مشي مَثلِك مع مثلي فتنةٌ للوالي ، ومَذَلّة للمؤمن (ح/٣٢٢).

(٥٣١) ٤ ــ ظاهرة اهتمام الخليفة بحياته المعيشيّة الخاصة علىٰ حساب الأمّة :

* إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حِضْنَيه بين نثيله ومعتلفه ... إلى أن ... وكَبَت به بِطنتُه (خ/٣).

* قال : ياأمير المؤمنين ، هٰذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك ؟!

قال : ويحك ، إنّي لستُ كأنت ، إنّ الله تعالىٰ فرض علىٰ أئمّة العدل أن يقدّروا أنفسهم بضَعَفَة النّاس ، كيلا يتبيّغ بالفقير فقره ! (ك/٢٠٩).

* والله لقد رقّعتُ مدرعتي هٰذه حتّى استحييتُ من راقِعِها ، ولقد قال لي قائل : ألا تَنبِذُها عنك ؟ فقلتُ : اعزُب عنّي ، فعند الصّباح يَحْمَدُ القوم السُّرى (خ/١٦٠).

* ألا وإنّ لكلّ مأمومٍ إماماً ، يقتدي به و يستضيء بنور علمه ؛ ألا وإنّ إمامكم قد اكتفىٰ من دنياه بطِمريه ، ومن طُعْمِهِ بقرصيه ...

فَوَ الله ما كنزتُ من دنياكم تبراً ، ولا ادّخرتُ من غنائمها وَفراً ،ولا اعددت لبالي ثوبي

طِمراً ، ولا حزتُ من أرضِها شِبراً ، ولا أخذتُ منه إلاّ كقوت أتان دَبِرَة ...

ولو شئتُ لاهتديتُ الطّريق ، إلىٰ مُصَفّى هذا العَسَل ، ولُباب هٰذا القمح ، ونسائج هٰذا القَزّ ، ولكن هيهات أن يغلبَني هواي ، و يقودُني جَشَعي إلى تخيرّ الأطعمة ــ ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طَمَعَ له في القُرْص ، ولا عهد له بالشّبع ؛ أَوَ أبيتُ مبطاناً وحولي بطونٌ غرثَى ، وأكبادٌ حَرّى ؟! أوْ أكون كما قال القائل :

وحسبُك داءً أن تبيت ببطنةٍ وحولَكَ أكبادٌ تَحِنّ إلى القِدِّ

أأقنعُ من نفسي بأن يُقال : هٰذا أمير المؤمنين ، ولا أشاركهم في مكاره الدّهر ، أو أكون أسوةً لهم في جشوبة العيش ؟! (ر/٤٥) .

* والله لأن أبيتَ على حَسَك السَّعدان مُسَهَّداً ، أو أُجَرّ في الأغلال مُصَفَّداً ، أحبُّ إليّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد ، وغاصباً لشيءٍ من الحُطام ، وكيف أظلم أحداً لنفس يُسرع إلى البلى قفولها ، و يطول في الثّرى حُلولُها (ك/٢٢٤) .

(٥٣٢) ٥ ــ ظاهرة المساومة والمداهنة والمصانعة في تنفيذ حكم الله تعالى :

* واعلموا أنّي إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ، ولم أصغ إلىٰ قول القائل وعتب العاتب (ك/٩٢) .

* وإنّي لمن قومٍ لا تأخذهم في الله لومة لائم (خ/١٩٢) .

* فإن أنتم لم تستقيموا لي علىٰ ذ لك ، لم يكن أحدٌ أهون عليّ ممّن اعوجّ منكم ، ثمّ أُعظِم له العقوبة ، ولا يجد عندي فيها رخصة (ر/٥٠) .

* وليس أمري وأمركم واحداً ، إنّي أريدكم لله ، وأنتم تريدونني لأنفسكم (ك/١٣٦) .

* وإنّي لعالم بما يُصلحكم ، و يقيم أَوَدَكم ، ولكنّي لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي (ك/٦٩) .

* الذّليل عندي عزيز حتّى آخذ الحقّ له ، والقويّ عندي ضعيف حتّى آخذ الحقّ منه (ك/٣٧) .

* عجباً لابن النابغة ! يزعم لأهل الشّام أنّ فيّ دُعابة ، وأنّي امرؤٌ تلعابَة : أعافس وأمارس ... أما والله إنّي ليمنعني من اللّعب ذكر الموت ، وإنّه ليمنعه من قول الحقّ نسيان

الآخرة (خ/٨٤).

* وقال له طلحة والزّبير: نبايعك على أنّا شركاؤك في هذا الأمر، فقال عليه السّلام: لا، ولكنّكما شريكان في القوّة والأستعانة، وعونان على العجز والأود (ح/٢٠٢).

(٥٣٣) ٦ ـ ظاهرة تفضيل القربى والمعارف على عامّة النّاس:

* إلى أن قام ثالث القوم... وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الأبل نبتة الرّبيع (خ/٣).

* والله لقد رأيت عقيلاً وقد أملق حتّى استماحني من برّكم صاعاً، ورأيت صبيانه شُعثَ الشُّعور، غُبْرَ الألوان من فقرهم، كأنّما سُوِّدَتْ وجوهُهم بالعظلم، وعاوَدَني مؤكّداً، وكرّرَ عليّ القول مردّداً، فأصغيتُ إليه سمعي، فظنّ أنّي أبيعُه ديني، وأتّبع قِيادَه مُفارِقاً طريقتي، فأحميتُ له حديدة، ثمّ أدنيتُها من جسمه ليعتبر بها، فضجّ ضجيجَ ذي دَنَفٍ من ألمها، وكاد أن يحترقَ من مِيسَمِها، فقلت له: ثكِلَتْكَ الثّواكل، ياعقيل أتئنّ من حديدة أحماها إنسانُها لِلَعِبِه، وتجرّني إلى نار سَجَرَها جبّارها لغضبه! أتئنّ من الأذى ولا أئنّ من لَظىً؟! (ك/٢٢٤).

* (في عثمان): استأثَرَ فأساء الأَثَرَة (ك/٣٠).

(٥٣٤) ٧ ـ ظاهرة قبول الرّشوة:

* وأعجب من ذلك طارقٌ طَرَقَنا بملفوفةٍ في وعائها، ومعجونةٍ شَنِئتُها، كأنّما عُجِنَتْ بريق حَيَّةٍ أو قيئها، فقلت: أَصِلَةٌ، أم زكاةٌ، أم صدقةٌ؟ فذلك مُحَرَّمٌ علينا أهل البيت! فقال: لا ذا ولا ذاك، ولكنّها هديّة، فقلت: هَبِلَتْكَ الهَبول! أَعَنْ دين الله أتيتَني لتخدَعَني؟ أمختبطٌ أنت أم ذو جِنَّةٍ أم تهجر؟ والله لو أُعطيتُ الأقاليم السّبعة بما تحت أفلاكها، على أن أعصي الله في نملةٍ أسلُبُها جِلْبَ شعيرةٍ ما فعلت (ك/٢٢٤).

الظّواهر المَرَضيّة في اقتصاد الدّولة الأسلامية؛ الّتي أحدثها الخلفاء الثلاثة بسبب سوء سياستهم الاقتصادية:

(٥٣٥) ١ ـ ظاهرة التفريق أو عدم التسوية في العطاء :

* ومن كلام له عليه السّلام لمّا عوتب على التّسوية في العطاء وتصييره النّاس أسوة في العطاء من غير تفضيل أولي السّابقات والشّرف :

أتأمرونّي أن أطلب النّصر بالجور فيمن وُلّيت عليه ! والله لا أطور به ما سَمَرَ سمير، وما أمّ نجمٌ في السّماء نجماً ! ولو كان المال لي لسَوّيتُ بينهم ، فكيف وإنّما المال مال الله ! ألا وإنّ إعطاء المال في غير حقّه تبذيرٌ وإسراف ؛ وهو يرفع صاحبه في الدّنيا ، و يضعُهُ في الآخرة ، و يُكرمه في النّاس ، و يُهينه عند الله ؛ ولم يضع امرُؤٌ ماله في غير حقّه وعند غير أهله إلاّ حرمه الله شكرهم ، وكان لغيره وُدّهم ؛ فإن زلّت به النّعل يوماً فاحتاج إلى معونتهم فشرّ خليل ، وألأمُ خدين (ك/١٢٦) .

* (إلى عامله على المدينة) : أمّا بعد ، فقد بلغني أنّ رجالاً ممّن قِبَلَكَ يتسلّلون إلى معاوية ... وعلموا أنّ النّاس عندنا في الحقّ أسوة ، فهربوا إلى الأَثَرَة ، فبُعْداً لهم وسُحقاً (ر/٧٠) .

* ولكنّني آسى أن يَلِيَ أمر هٰذه الأمّة سفهاؤها وفجّارُها ، فيتّخذوا مال الله دُوَلاً ... (ر/٦٢) .

* (مخاطباً طلحة والزّبير) : وأمّا ما ذكرتُما من أمر الأسوة ، فإنّ ذلك أمرٌ لم أحكم أنا فيه برأيي ، ولا وليتُهُ هوىً منّي ، بل وجدتُ أنا وأنتما ما جاء به رسول الله (ص) قد فُرِغَ منه (ك/٢٠٥) .

* إنّ بني أميّة ليفوّقونني تراث محمد (ص) تفويقاً ، والله لئن بقيت لهم لأنفضنّهم نفض اللّحام الوِذام التَّرِبَة (ك/٧٧) .

(٥٣٦) ٢ ـ ظاهرة نشوء إقطاعيّين كبار بسبب إغداق الخلفاء المال والقطائع عليهم :

* (فيما ردّه على المسلمين من قطائع عثمان) :

والله لو وَجَدتُهُ قد تُزُوّجَ به النّساء ، ومُلِكَ به الأماء لَرَدَدْتُهُ ؛ فإنّ في العدل سعة ، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق ! (ك/١٥) .

ج ــ الظّواهر المَرَضية في الأجهزة الاداريّة :

(٥٣٧) ١ ــ فساد معظم الولاة أو عدم كفاءتهم ، فعزلهم الامام(ع) وولّى غيرهم :

* ... قالوا : صاحب رسول الله (ص) رآه ، وسمع منه ، ولَقِفَ عنه ، فيأخذون بقوله ، وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك ، ووصفهم بما وصفهم به لك ، ثمّ بَقَوا بعده ، فتقرّبوا إلىٰ أئمّة الضّلالة ، والدّعاة إلى النّار بالزّور والبُهتان ، فولّوهم الأعمال ، وجعلوهم حُكّاماً علىٰ رقاب النّاس ، فأكلوا بهم الدّنيا (ك/٢١٠) .

* فليست تصلح الرّعيّة إلاّ بصلاح الولاة ، ولا تصلح الولاة إلاّ باستقامة الرّعيّة (خ/٢١٦) .

* ولكنّني آسىٰ أن يلي أمر هذه الأمّة سفهاؤها وفجّارها ، فيتّخذوا مال الله دولاً ، وعباده خولاً ، والصّالحين حرباً ، والفاسقين حزباً ، فإنّ منهم الّذي قد شرب فيكم الحرام ، وجُلِدَ حدّاً في الاسلام ، وإنّ منهم من لم يُسلم حتّى رُضِخَت له على الاسلام الرّضائخ (ر/٦٢) .

* (إلى معاوية) : فإنّك مُتْرَف ، قد أخذ الشّيطان منك مأخذه ، وبلغ فيك أمله ، وجرى منك مجرى الرّوح والدّم ، ومتى كنتم يامعاوية ساسة الرّعيّة ، وولاة أمر الأمّة ؟ بغير قَدَم سابق ، ولا شَرَفٍ باسق (ر/١٠) .

* (إلى معاوية) : وأمّا طَلَبُكَ إليّ الشّام ، فإنّي لم أكن أعطيك اليوم ما منعتُك أمس (ر/١٧) .

* وأَقْرِب بقومٍ من الجهل بالله قائدهم معاوية ، ومؤدّبهم ابن النّابغة (خ/١٨٠) .

* (في عمرو بن العاص) : إنّه لَيَقول فيكذبُ ، و يَعِدُ فيُخْلِف ، و يُسْأَل فيبخل ، و يَسْأَل فيُلحِف ، ويخون العهد ، و يقطع الأَلّ ؛فإذا كان عند الحرب فأيّ زاجرٍ وآمرٍ هو! ما لم تأخذ السّيوف مآخِذَها ، فإذا كان ذلك كان أكبر مكيدته أن يمنَحَ القوم سُبَّتَه (خ/٨٤) .

* وقد علمتم أنّه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدّماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل ، فتكون في أموالهم نَهْمَتُه ، ولا الجاهل فيُضِلّهم بجهله ، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ولا الحائف للدُّوَل فيتّخذ قوماً دون قوم ، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ، و يقف بها دون المَقاطع ، ولا المُعَطّل للسُّنّة فيُهلِك الأمّة (ك/١٣١) .

(٥٣٨) ٢ ـ ظاهرة عدم محاسبة الولاة على تفريطهم وانحرافهم :

* (إلى زياد بن أبيه) : وإنّي أقسم بالله قَسَماً صادقاً ، لئن بَلَغَني أنّك خنْتَ من فَيْء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً ، لأشُدَّنّ عليك شَدّةً تَدَعُكَ قليل الوَفْر ، ثقيلَ الظّهر ، ضئيلَ الأمر والسّلام (ر/٢٠) .

* (إلى زياد أيضاً) : فَدَعِ الإسراف مقتصداً ، واذكر في اليوم غداً ، وأَمْسِك من المال بقدر ضرورتك ، وقَدِّم الفضل ليوم حاجتك ، أترجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين وأنت عنده من المتكبّرين ! وتطمع ـ وأنت متمرّغ في النّعيم ، تَمْنَعُهُ الضّعيف والأرملة ـ أن يُوجِبَ لك ثواب المتصدّقين ؟ وإنّما المرء مجزيٌّ بما أسلف ، وقادمٌ علىٰ ما قدّم والسّلام (ر/٢١) .

* (إلى عبد الله بن عباس) : وقد بَلَغَني تنمّرك لبني تميم ، وغِلظتُك عليهم ؛ وإنّ بني تميم لم يغب لهم نجمٌ إلاّ طَلَع لهم آخر ، وإنّهم لم يُسْبَقُوا بوَغْمٍ في جاهليّةٍ ولا إسلام ، وإنّ لهم بنا رَحِماً ماسّةً ، وقرابةً خاصةً ، نحن مأجورون علىٰ صلتها ، ومأزورون على قطيعتها (ر/١٨) .

* (إلى بعض عماله) : أمّا بعد ، فإنّ دهاقين أهل بلدك شَكَوْا منك غِلْظَةً وقسوة ، واحتقاراً وجفوة ، ونظرتُ فلم أرَهُمْ أهلاً لأن يُدْنَوا لشِركِهم ، ولا أن يُقْصَوا و يُجْفَوا لعَهدِهِم ، فالبس لهم جُلباباً من اللّين تشوبه بطرفٍ من الشّدّة ، وداوِلْ لهم بين القسوة والرأفة ، وامزج لهم بين التّقريب والإدناء ، والإبعاد والإقصاء (ر/١٩) .

* (إلى بعض عماله) : أمّا بعد ، فقد بَلَغَني عنك أمرٌ إن كنتَ فعلتَه ، فقد أسخطت ربّك ، وعَصَيْتَ إمامك ، وأخزيت أمانتك ؛ بلغني أنّك جرّدت الأرض فأخذتَ ما تحت قدميك ، وأكلتَ ما تحت يديك ، فارفع إليّ حسابك ، واعلم أنّ حساب الله أعظمُ من حساب الناس كأنّك ـ لا أبا لغيرك ـ حدرتَ إلىٰ أهلك تراثك من أبيك وأمّك ، فسبحان الله ! أما تؤمن بالمعاد ، أو ما تخاف نقاش الحساب ! أيّها المعدود كانَ عندنا من أُولي الألباب ، كيف تُسيغُ شراباً وطعاماً ، وأنت تعلم أنّك تأكل حراماً ، وتشرب حراماً ، وتبتاع الإماء ، وتنكح النّساء من أموال اليتامى والمساكين والمؤمنين والمجاهدين ، الّذين أفاء الله عليهم هٰذه الأموال ، وأحرز بهم هٰذه البلاد !

فاتّق الله واردُد إلى هؤلاء القوم أموالهم ، فإنّك إن لم تفعل ثمّ أمكنني الله منك ، لأُعذرَنّ إلى الله فيك ، ولأضربَنّك بسيفي الّذي ما ضربت به أحداً إلّا دخل النّار ، ووالله لو أنّ الحسن والحسين فَعَلا مثل الّذي فعلتَ ، ما كانت لهما عندي هوادة ، ولا ظَفِرا منّي بإرادة ، حتّى آخذ الحقّ منهما ، وأزيح الباطل عن مظلمتهما (ر/٤١) .

* (إلى مصقلة بن هبيرة الشّيباني) : بلغني عنك أمرٌ إن كنتَ فعلته فقد أسخطت إلٰهك ، وعصيت إمامك ، إنّك تَقسِمُ فَيءَ المسلمين ــ الّذي حازته رماحهم وخيولهم ، وأريقت عليه دماؤهم ــ فيمن اعتامك من أعراب قومك ، فوالّذي فلق الحبّة ، وبرأ النَّسَمَة ؛ لئن كان ذٰلك حقّاً ، لتجدَنَّ لك عليّ هَوٰاناً ، وَلَتخِفَّنَّ عندي ميزاناً ، فلا تَسْتَهِنْ بحقّ ربّك ، ولا تُصلح دنياك بمحق دينك ، فتكون من الأخسرين أعمالاً . ألا وإنّ حقّ مَنْ قِبَلَكَ وقِبَلَنا من المسلمين في قسمة هذا الفيء سواء ، يَرِدون عندي عليه ، ويَصْدُرون عنه (ر/٤٣) .

* (إلى عثمان بن حنيف الأنصاري) : أمّا بعد يابن حنيف ، فقد بلغني أنّ رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مَأْدُبَةٍ فأسرعتَ إليها ، تُستَطابُ لك الألوان ، وتُنْقَلُ إليك الجِفان ، وما ظننتُ أنّك تجيبُ إلى طعام قومٍ عائلهم مَجْفُوّ ، وغنيّهم مَدعُوّ ، فانظر إلى ما تقضمه من هٰذا المقضِم ، فما اشتبه عليك علمه فالْفِظهُ ، وما أيقنتَ بطيبِ وجهه فَنَلْ منه (ر/٤٥) .

* (إلى المنذر بن الجارود العبديّ) : أمّا بعد ، فإنّ صلاح أبيك غرّني منك ، وظننتُ أنّك تتّبع هَدْيَه ، وتسلك سبيله ، فإذا أنت فيما رُقّيَ إليّ عنك لا تَدَعُ لهواك انقياداً ، ولا تُبْقي لآخرتك عتاداً ، تَعْمُرُ دنياك بخراب آخرتك ، وتصل عشيرتك بقطيعة دينك ؛ ولئن كان ما بلغني عنك حقّاً لَجَمَلُ أهلك وشِسْعُ نَعْلِك خيرٌ منك ، ومن كان بعنقك فليس بأهلٍ أن يُسَدَّ به ثَغر ، أو يُنَفَّذَ به أمر ، أو يُعلى له قَدر ، أو يشرَكَ في أمانة ، أو يُؤْمَن على جباية ، فأقْبِلْ إليّ حين يصل إليك كتابي هذا إن شاء الله (ر/٧١) .

« الفتنـة الكبـرى »
أوّلاً : « أهمّ شعارات الفتنة وشبهاتها »

١ ــ شعار الثّأر لمقتل عثمان وإتّهام الإمام بضلوعه في قتله ، وإيواء قاتليه :

(٥٣٩) أ / أوْضَحَ الإمـام(ع) براءتـه من دم عثمان وأنّه كان يدفع عنه ولم يقدّم له سوى النصح والإرشاد :

* (إلى طلحة والزّبير) : وقد زعمتما أنّي قتلتُ عثمان ، فبيني و بينكما من تخلّف عنّي وعنكما من أهل المدينة ، ثم يلزم كلّ امرىءٍ بقدر ما احتمل (ر/٥٤) .

* فطلبتَني (معاوية) بما لم تجنِ يدي ولِساني (ر/٥٥) .

* ولعمري ، يامعاوية ، لئن نظرتَ بعقلك دون هواك لَتَجِدَنّي أبرأ النّاس من دم عثمان ، ولتعلمنّ أنّي كنت في عزلةٍ عنه إلاّ أن تتجنّى ، فتجنَّ ما بدا لك ! والسلام (ر/٦) .

* وأمّا تلك التي تريد (يامعاوية) فإنّها خدعة الصّبيّ عن اللّبن في أول الفصال (ر/٦٤) .

* إنّ النّاس طعنوا عليه ، فكنت رجلاً من المهاجرين أكثر استعتابه وأُقِلّ عتابه (ر/١) .

* وما كنت لأعتذر من أنّي كنت أنقم عليه أحداثاً ؛ فإن كان الذّنب إليه إرشادي وهدايتي له ؛ فَرُبَّ ملومٍ لا ذنب له . « وقد يستفيد الظّنّة المتنصّحُ » (ر/٢٨) .

* والله لقد دفعتُ عنه حتّى خشيت أن أكون آثماً (ك/٢٤٠) .

* الأمر واحد إلاّ ما اختلفنا فيه من دم عثمان ، ونحن منه بُراء (ر/٥٨) .

* لو أمرت به لكنتُ قاتلاً ، أو نهيت عنه لكنت ناصراً ، غير أنّ من نصره لا يستطيع أن

يقول : خَذَله من أنا خيرٌ منه ، ومن خَذَلَهُ لا يستطيع أن يقول : نصره من هو خيرٌ منّي (ك/٣٠).

* (لـمّا بلغه اتهام بني أميّة له بالمشاركة في دم عثمان) : أوَ لَمْ ينه بني أميّة علمها بي عن قرفي ، أوَما وزع الجُهّال سابقتي عن تهمتي ! (ك/٧٥).

(٥٤٠) ب / كَشَف(ع) النقاب عن أن المتّهمين له ، كان لهم اليد الطّولى في قتل عثمان وهم :

١ ــ عائشة (حرّضت على قتله) :

* وكان من عائشة فيه فلتة غضب (ر/١).

٢ ــ طلحة والزّبير (كانا من أشدّ المحرّضين على قتله وأنّهما لم ينصراه عندما حوصرت داره في المدينة) :

* والله ما أنكروا عليّ منكراً ، ولا جَعَلوا بيني و بينهم نَصْفاً ، وإنّهم ليطلبون حقّاً هم تركوه ، ودماً هم سفكوه ، فإنْ كنتُ شريكهم فيه ، فإنَّ لهم نصيبهم منه ، وإن كانوا وَلُوه دوني فما الطَّلِبَة إلاّ قِبَلَهم (خ/١٣٧).

* وكان طلحة والزّبير أهْوَنُ سيرهما فيه الوجيف ، وأرفَقُ حدائهما العنيف (ر/١).

* (وقال عليه السّلام حين بلغه خروج طلحة والزّبير إلى البصرة لقتاله) :

والله ما استعجَلَ متجرّداً للطّلب بدم عثمان إلاّ خوفاً من أن يُطالَب بدم ، لأنّه مَظِنَّته ، ولم يكن في القوم أحرص عليه منه ، فأراد أن يغالِط بما أجلَبَ فيه ليلتبس الأمر و يقع الشكّ . وَوَالله ما صَنَعَ في أمر عثمان واحدةً من ثلاث : لئن كان ابن عفّان ظالماً ــ كما كان يزعم ــ لقد كان ينبغي له أن يُوازِر قاتليه ، وأن يُنابِذ ناصريه ، ولئن كان مظلوماً لقد كان ينبغي له أن يكون من المنهنهين عنه ، والمعذِّرين فيه ، ولئن كان في شكٍّ من الخصلتين ، لقد كان ينبغي له أن يعتزله و يركُدَ جانباً ، و يَدَعَ النّاس معه ، فما فعل واحدةً من الثّلاث ، وجاء بأمرٍ لم يُعْرَف بابُه ، ولم تسلم معاذيره (ك/١٧٤).

٣ ــ معاوية (لم يسعفه بالمعونة عندما طلب عثمان منه ذلك ، فقد تباطأ جيشه في الطريق إليه عن عمدٍ حسب أوامره :

* (إلى معاوية) : ثمّ ذكرتَ ما كان من أمري وأمر عثمان ، فلك أن تُجاب عن هٰذه لِرَحِمِك منه ، فأيُّنا كان أعدى له ، وأهدى إلىٰ مقاتِله ! أمن بذل له نصرته فاستقعده واستكفّه ، أم من استنصره فتراخى عنه ، وبثّ المنون إليه ، حتّى أتى قدره عليه ، كلاّ والله لـ « قد يعلم الله المعوِّقين منكم والقائلين لاخوانهم هلمّ إلينا ولا يأتون البأس إلاّ قليلاً » (ر/٢٨) .

* (إلى معاوية) : فسبحان الله ! ما أشدّ لزومك للأهواء المبتَدَعة ، والحيرة المتَّبَعَة مع تضييع الحقائق واطّراح الوثائق ، الّتي هي لله طِلْبَةٌ وعلى عباده حُجّة ، فأمّا إكثارُك الحِجاج علىٰ عثمان وقَتَلَته ، فإنّك إنّما نصرتَ عثمان حيث كان النّصر لك ، وخذلتَه حيث كان النّصر له ، والسّلام (ر/٣٧) .

* وزعمت أنّك جئتَ ثائراً بدم عثمان ، ولقد عَلِمْتَ حيث وقع دم عثمان فاطلبه من هناك إن كنت طالباً (ر/١٠) .

(٥٤١) ج / في أنّه لم يكن لعثمان مَناصٌ من القتل ، وهو الّذي جرّ لنفسه القتل بسبب تصرّفاته :

* أمّا بعد ، فإنّي أخبركم عن أمر عثمان حتّى يكون سَمْعُهُ كعِيانه : إنّ النّاس طَعَنُوا عليه ، فكنت رجلاً من المهاجرين أكثر استعتابه وأقلّ عتابه ، وكان طلحة والزّبير أهون سيرهما فيه الوجيف ، وأرفق حدائهما العنيف ، وكان من عائشة فيه فلتة غضب ، فأُتيح له قومٌ فقتلوه (ر/١) .

* إنّه قد كان على الأمّة والٍ أحدثَ أحداثاً ، وأَوْجَدَ النّاس مقالاً ، فقالوا ، ثم نقموا فغيّروا (ك/٤٣) .

* إلى أن انتكث عليه فَتْلُهُ ، وأجهز عليه عَمَلُهُ ، وكَبَتْ به بِطْنَتُه (خ/ ٣) .

(٥٤٢) د / لم يقتصّ الأمام من قتلة عثمان ، ولم يشجّع أَوْيُساعِد أحداً علىٰ الاقتصاص منهم لحسّاسية الظروف آنذاك ، والنّتائج الوخيمة التي يُسَبّبها مثل هذا العمل :

* (بعدما بويع بالخلافة ، وقد قال له قوم من الصّحابة : لو عاقبتَ قوماً ممّن أجلب على

عثمان ؟ فقال عليه السّلام) :

يا إخوتاه ! إنّي لستُ أجهل ما تعلمون ، ولكن كيف لي بقوّةٍ والقوم المُجلِبون على حدّ شوكتهم يملكوننا ولا نملكهم ! وها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانُكم ، والتفّت إليهم أعرابُكم ، وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا ، وهل ترَوْنَ موضعاً لقدرةٍ على شيء تريدونه ! إنّ هذا الأمر أمر جاهلية ، وإنّ لهٰؤلاء القوم مادّة ، إنّ النّاس من هٰذا الأمر ـ إذا حُرِّك ـ على أمور : فرقةٌ ترى ما ترَوْنَ ، وفرقةٌ ترى ما لا ترون ، وفرقةٌ لا ترى هذا ولا ذاك ، فاصبروا حتّى يهدأ النّاس ، وتقع القلوب مواقعها ، وتؤخَذ الحقوق مُسْمَحَة ؛ فاهدأوا عنّي ، وانظروا ماذا يأتيكم به أمري ، ولا تفعلوا فَعْلَةً تُضعضِعُ قوة ، وتُسْقِطُ مُنّةً ، وتُورِثُ وهناً وذِلّةً ، وسأُمْسِكُ الأمر ما استمسَك ، وإذا لم أجد بُدّاً فآخر الدّواء الكَيّ (ك/١٦٨) .

* (إلى معاوية) : وأمّا ما سألتَ من دفع قَتَلَة عُثمان إليك ، فإنّي نظرتُ في هٰذا الأمر ، فلم أَرَه يَسَعُني دَفْعُهُم إليك ولا إلى غيرك (ر/٩) .

* (إلى معاوية) : وقد أكثرتَ في قَتَلَة عُثمان ، فادخُلْ فيما دَخَلَ فيه النّاس ، ثمّ حاكم القوم إليّ ، أَحْمِلْك وإيّاهم على كتاب الله تعالى (ر/٦٤) .

(٥٤٣) ٢ ـ شبهة عدم حصول الإجماع في بيعة الإمام عليه السّلام :

* (إلى معاوية) : إنّه بايَعَني القوم الّذين بايَعوا أبا بكرٍ وعمر وعثمان ، على ما بايعوهم عليه ، فلم يكن للشّاهد أن يختار ، ولا للغائب أن يَرُدّ ، وإنّما الشّورى للمهاجرين والأنصار ، فإن اجتمعوا على رجلٍ وسمّوه إماماً كان ذ لك لله رضىً (ر/٦) .

* وَلَعَمْري ، لئن كانت الإمامة لا تنعقد حتّى يحضرها عامّة النّاس ، فما إلى ذ لك سبيل ، ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها ، ثمّ ليس للشّاهد أن يرجع ، ولا للغائب أن يختار (خ/١٧٣) .

* وإن اجتمع النّاس على إمامٍ طعنتم (خ/١٨٠) .

(٥٤٤) ٣ ـ شبهة عدم استشارة الصّحابة عند قيام الإمام بإصلاحاته الاقتصادية والادارية :

* (كلّم به طلحة والزّبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا عليه من ترك مشورتهما ،

والأستعانة في الأمور بهما) : لقد نَقَمْتُما يسيراً ، وأرجأتما كثيراً ، ألا تُخبراني ، أيُّ شيء كان لكما فيه حقّ دفعتكما عنه ؟ أم أيّ حقٍّ رَفَعَهُ إليّ أَحَدٌ من المسلمين ضَعُفْتُ عنه ، أم جَهِلْتُه ، أم أخطأتُ بابه ! والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ، ولا في الولاية إربة ، ولكنّكم دعوتموني إليها ، وحملتموني عليها ، فلّما أفضت إليّ نظرتُ إلى كتاب الله وما وَضَعَ لنا ، وأَمَرَنا بالحكم فاتّبعتهُ ، وما استَنّ النبيُّ (ص) فاقتديته ، فلم أَحْتَجِ في ذلك إلى رأيكما ، ولا رأي غيركما ، ولا وَقَعَ حكمٌ جَهِلْتُه ، فأستشيركما وإخواني من المسلمين ؛ ولو كان ذلك لم أرغب عنكما ، ولا عن غيركما . وأمّا ما ذكرتُما من أمر الأسوة ، فإنّ ذلك أمرٌ لم أحكم أنا فيه برأيي ، ولا وَلِيتُه هوىً منّي ، بل وَجَدْتُ أنا وأنتما ما جاء به رسول الله (ص) قد فُرغ منه ، فلم أحتج إليكما فيما قد فَرَغ الله من قَسْمِه ، وأمضى فيه حُكْمَه ، فليس لكما ، والله ، عندي ولا لغيركما في هٰذا عتُبى ، أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحقّ ، وألْهَمنا وإيّاكم الصّبر (ك/٢٠٥) .

(٥٤٥) ٥ ــ شبهة أنّ هنالك غير الإمام من هم الحقّ بالخلافة ، وأنّهم من قريش أيضاً :

* إنّ الأئمّة من قريش غُرِسوا في هٰذا البطن من هاشم ؛ لا تصلح على سواهم ، ولا تصلح الولاة من غيرهم (خ/١٤٤) .
* لا يُقاس بآل محمّد (ص) من هٰذه الأمّة أحد ، ولا يُسَوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً ؛ هم أساس الدّين ، وعماد اليقين ، إليهم يفيء الغالي ، و بهم يلحق التّالي ، ولهم خصائص حقّ الولاية ، وفيهم الوصيّة والوراثة ؛ الآن إذ رجع الحقّ إلى أهله ، ونُقِلَ إلى منتقله (خ/٢) .
* أيّها النّاس ، إنّ أحقّ النّاس بهٰذا الأمر أقواهم عليه ، وأعلمهم بأمر الله فيه (خ/٧٣) .
* وأنا من رسول الله (ص) كالصنو من الصنو ، والذّراع من العَضُد (ر/٤٥) .
* فَجَزَت قريشاً عنّي الجوازي ! فقد قطعوا رَحِمِي ، وسَلَبُوني سلطان ابن أمّي (ر/٣٦) .
* أمّا بنو مخزوم فريحانة قريش ، نحبّ حديث رجالهم ، والنّكاح في نسائهم ، وأمّا بنو عبد شمس فأبْعَدُها رأياً ، وأمنَعُها لما وراء ظهورها ، وأمّا نحن فأبذل لما في أيدينا ، وأسمح عند الموت بنفوسنا ، وهم أكثر وأمكر وأنكر ، ونحن أفصح وأنصح وأصبح (ح/١٢٠) .

* فإذا حُكِمَ بالصّدق في كتاب الله ، فنحن أحقّ النّاس به ، وإن حُكِمَ بسُنّة رسول الله (ص) ، فنحن أحقّ النّاس وأولاهم بها (ك/١٢٥) .

* ووالله إن جئتُها ، إنّي لَلْمُحِقّ الّذي يُتَّبَع ، وإنّ الكتاب لَمَعي ، ما فارقتُه مذ صَحِبْتُه (ك/١٢٢) .

* (طلحة والزّبير) لقد أتلعوا أعناقهم إلى أمر لم يكونوا أهله (ك/٢١٩) .

* (إلى معاوية) : وأمّا قولك : إنّا بنو عبد مُناف ، فكذلك نحن ، ولكن ليس أميّة كهاشم ، ولا حربٌ كعبد المطّلب ، ولا أبو سفيان كأبي طالب ، ولا المهاجر كالطّليق ، ولا الصّريح كاللّصيق ، ولا المُحِقّ كالمُبْطِل ، ولا المؤمن كالمُدغل ، ولبئس الخَلْفُ خَلْفٌ يتبع سَلَفاً هَوى في نار جهنّم ، وفي أيدينا بعد فضل النبوّة الّتي أذللنا بها العزيز ، ولَعَشْنا بها الذّليل ، ولّما أدخل الله العرب في دينه أفواجاً ، وأَسْلَمَت له هٰذه الأمّة طوعاً وكَرْهاً ، كنتم ممّن دخل في الدّين : إمّا رغبةً وإمّا رَهْبَةً ، علىٰ حين فاز أهل السّبق بسَبقهم ، وذهب المهاجرون الأوّلون بفضلهم (ر/١٧) .

* (إلى معاوية) : أمّا بعد ، فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله محمّداً (ص) لِدينِهِ ، وتأييده إيّاه بمن أَيّدَهَ من أصحابه ؛ فلقد خَبّأ لنا الدّهر منك عَجَباً ؛ إذ طفقتَ تُخْبِرُنا ببلاء الله تعالىٰ عندنا ، ونعمتِهِ علينا في نبيّنا ، فكنتَ في ذلك كناقل التّمر إلى هَجَر ، أو داعي مُسَدِّدِهِ إلى النِّضال ، وزعمتَ أنّ أفضلَ النّاس في الاسلام فلانٌ وفلان ؛ فذكرتَ أمراً إن تَمَّ أعتزَلَكَ كُلّه ، وإن نَقَصَ لم يلحقك ثَلْمُه ، وما أنت والفاضل والمفضول ، والسّائس والمَسُوس ، وما للطُّلَقاء وأبناء الطُّلَقاء والتمييز بين المهاجرين الأوّلين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم ! هيهات لقد حَنَّ قِدْحٌ ليس منها ، وطَفِقَ يَحْكُمُ فيها من عليه الحكمُ لها ! ألا تَرْبَعُ أيّها الإنسان على ظَلْعِك ، وتعرفُ قصور ذرعك ، وتتأخّر حيث أخّرك القَدَر ! فما عليك غَلَبَة المغلوب ، ولا ظَفَرَ الظّافِرِ ! وإنّك لَذَهّابٌ في التّيه ، روّاغٌ عن القصد ، ألا ترى ــ غير مُخْبِرٍ لك ، ولكن بنعمة الله أُحَدّث ــ أنّ قوماً استُشهدوا في سبيل الله تعالى من المهاجرين والأنصار ، ولكُلٍّ فَضْلٌ ، حتّى إذا استُشْهِدَ شَهيدُنا قيل : سيّد الشّهداء ، وخصّهُ رسول الله (ص) بسبعين تكبيرةً عند صلاته عليه ! أَوَ لا ترى أنّ قوماً قُطِّعَت أيديهم في سبيل الله ــ ولِكُلٍّ فَضْلٌ ــ حتّى إذا فُعِلَ بواحِدِنا ما فُعِلَ بواحِدِهم ، قيل : « الطّيّار في الجنّة وذو

الجَنـاحين ! » ، ولـولا ما نهى الله من تزكية المرء نفسَه ، لَذَكَرَ ذاكرٌ فضائل جَمَّةً ، تعرفُها قلـوب المؤمنين ، ولا تمجُّها آذان السّامعين ، فَدَعْ عنك مَن مالَت به الرَّمِيَّة فإنّا صنائع ربِّنا ، والنّـاس بعدُ صنـائع لـنا ، لم يَمْنَعْنا قديمُ عِزِّنا ولا عـاديُّ طَوْلنا على قومِكَ أن خَلَطْناكم بأنفُسِنا ؛ فَنَكَحنا وأنْكَحْنا ، فِعْلَ الأكفاء ولستم هناك ، وأنّى يكون ذلك ومنّا النّبيّ ومنكم الـمُكَذِّب ، ومنّـا أسد الله ومنكم أسَدُ الأحلاف ، ومنّا سيّدا شباب أهل الجنّة ، ومنكم صبيـة النّـار ، ومنّا خير نساء العالمين ، ومنكم حمّالة الحطب ، في كثيرٍ ممّا لنا وعليكم ! فإسلامُنا قد سُمِع ، وجاهليّتُنا لا تُدْفَع ، وكتاب الله يجمع لنا ما شَذّ عنّا ، وهو قوله سبحانه وتعـالى : « وأولو الأرحام بعضُهم أوْلى ببعضٍ في كتاب الله » وقوله تعالى : « إن أوْلَى النّاس بإبراهيم لَلّذين اتَّبَعوه وهٰذا النّبيّ والّذين آمنوا والله وَليّ المؤمنين » فنحنُ مرّةً أَوْلى بالقرابة ، وتارةً أولى بالطّاعة ، ولـمّا احتجّ المهاجرون على الأنصار يومَ السّقيفة برسول الله (ص) فَلَجوا عليهم ، فإن يكن الفَلَجُ به فالحقّ لنا دونكم ، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم (ر/٢٨) .

* (إلى معاوية) : فأراد قَوْمُنا قتل نبيّنا ، واجتياح أصلنا ، وهَمّوا بنا الهُمُوم ، وفَعَلوا بنا الأفاعيل ، ومَنَعونا العَذْب ، وأحْلَسونا الخوف ، واضطرّونا إلى جَبَلٍ وَعْرٍ ، وأوْقَدُوا لنا نار الحرب ، فَعَزَمَ الله لنا على الذّبّ عن حوزته ، والرّمي من وراء حُرمتِهِ ، مُؤْمِنُنا يَبغي بذلك الأجر ، وكافِرُنا يُحامي عن الأصل ، وَمَنْ أسلم من قُرَيش خِلْوٌ ممّا نحن فيه بحلِفٍ يَمْنَعُه ، أو عشيرةٍ تقوم دونه ، فهو من القتل بمكانِ أَمْنٍ ، وكان رسول الله (ص) إذا احمَرّ البأس ، وأحجم النّاس ، قَدّم أهل بيته فَوَقى بهم أصحابه حرّ السّيوف والأسِنّة ، فَقُتِلَ عبيدةُ بن الحارث يومَ بدر ، وقُتِلَ حمزة يومَ أُحُد ، وقُتِلَ جعفرٌ يوم مُؤْتَة ، وأراد مَن لو شئتُ ذكرتُ اسْمَه مثل الّذي أرادوا من الشّهادة ، ولكنّ آجالهم عُجِّلَت ، ومَنِيَّتَه أُجِّلَت ، فياعجباً للدّهر ! إذ صرتُ يُقْرَنُ بي مَن لم يَسْعَ بقَدَمي ، ولم تكن له كسابقتي الّتي لا يُدلي أَحَدٌ بمِثْلِها ، إلّا أن يَدَّعيَ مُدَّعٍ ما لا أعرفُه ، ولا أظُنّ الله يعرفُه ، والحمد لله علىٰ كلّ حال (ر/٩) .

* ومتى كنتم يامعاوية ساسة الرّعِيّة ، وولاة أمر الأُمّة ؟ بغير قدمٍ سابقٍ ، ولا شرفٍ باسق (ر/١٠) .

* ولقد كنت معه (ص) لمّا أتاه الملأ من قريش ، فقالوا له : يامحمّد ، إنّك قد ادّعيتَ

عظيماً لم يَدَّعِهِ آباؤك ولا أحدٌ من بيتك ، ونحن نسألُك أمراً إن أنتَ أجبتَنا إليه وأرَيْتَناه ، عَلِمْنا أنّك نبيٌّ ورسول ، وإن لم تَفْعَل عَلِمْنا أنّك ساحرٌ كذّاب ، فقال (ص) : « وما تسألون ؟ » قالوا : تدعو لنا هٰذِه الشَّجَرة حتّى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك ، فقال (ص) : « إنّ الله على كل شيءٍ قدير ، فإن فَعَلَ الله لكم ذلك ، أتؤمنون وتشهدون بالحقّ ؟ » قالوا : نعم ، قال : « فإنّي سأُريكُم ما تَطْلُبون ، وإنّي لأعْلَمُ أنكم لا تَفيئون إلى خير ، وانّ فيكم مَن يُطرَح في القَليب ، ومَن يُحَزّب الأحزاب » . ثمّ قال (ص) : « ياأيّتها الشجرة إن كنتِ تؤمنين بالله واليوم الآخر ، وتعلمين أنّي رسول الله ، فانقلعي بعروقك حتّى تَقِفي بين يَدَيَّ بإذن الله » فَوَالّذي بَعَثَهُ بالحقّ لانقَلَعَتْ بعروقها ، وجاءت ولها دَوِيٌّ شديدٌ ، وقَصْفٌ كقصف أجنحة الطّير ؛ حتّى وَقَفَتْ بين يدي رسول الله (ص) مُرَفْرِفَةً ، وألقت بغُصْنِها الأعلى على رسول الله (ص) ، و ببعض أغصانها على مَنْكِبي ، وكُنْتُ عن يمينه (ص) ، فلّما نَظَرَ القوم (من قريش) إلى ذلك قالوا ــ عُلُوّاً واستكباراً ــ : فَمُرْها فَلْيَأتِك نِصْفُها و يَبْقى نِصْفُها ، فَأمَرَها بذلك ، فأقْبَلَ إليه نِصْفُها كأعجب اقبالٍ وأشَدِّهِ دَو يّاً ، فكادَتْ تلتف برسول الله (ص) ، فقالوا ــ كفراً وعُتُوّاً ــ : فَمُرْ هٰذا النّصفَ فَلْيَرجِعْ إلى نِصْفِهِ كما كان ، فَأمَرَه (ص) فَرَجَع ؛ فقلت أنا : لا إلٰهَ إلاّ الله ؛ إنّي أوّل مؤمنٍ بك يارسول الله ، وأوّل مَنْ أقَرَّ بأنّ الشّجرة فَعَلَتْ ما فَعَلَت بأمر الله تعالى تصديقاً بنبوّتك ، وإجلالاً لكلمتك ، فقال القوم كلّهم (من قريش) : بل ساحِرٌ كذّابٌ ، عجيبُ السِّحْرِ خفيفٌ فيه ، وهل يُصَدِّقك في أمرِكَ إلاّ مثلُ هذا ؛ يعنونني ! وإنّي لمن قومٍ لا تأخُذُهم في الله لومة لائم ، سيماهم سيما الصّدّيقين ، وكلامُهُم كلامُ الأ برار ، عُمّار اللّيل ومَنار النّهار ، مُتَمَسِّكون بحبل القرآن ، يُحْيَون سُنَنَ الله وسُنَنَ رسوله ؛ لا يستكبرون ولا يَعْلون ، ولا يَغلّون ولا يُفْسِدون ، قلوبهم في الجِنان ، وأجسادُهم في العَمَل (خ/١٩٢) .

* إنّ أولى النّاس بالأنبياء أعْلَمُهُمْ بما جاءوا به ، ثمّ تَلا : « إنّ أولى النّاس بإبراهيم لَلّذين اتّبَعُوه ، وهٰذا النّبيّ والّذين آمنوا » الآية ، ثمّ قال : إنّ وَلِيَّ محمّد من أطاع الله وإن بَعُدَت لُحْمَتُه ، وإنّ عَدُوّ محمّد مَن عَصَى الله وإنْ قَرُبَت قرابَتُه ! (ح/٩٦) .

« الفتنة الكبرى »
ثانياً : « رؤوس الفتنة »

(٥٤٦) ١ ، ٢ ـ طلحة والزّبير:

* إنّهما قطعاني وظلماني ، ونكثا بيعتي ، وألّبا النّاس عليّ (ك/١٣٧) .
* (الزّبير) : يزعم أنّه قد بايع بيده ، ولم يبايع بقلبه ، فقد أقرّ بالبيعة ، وادّعى الوليجة (ك/٨) .
* لا تلقَيَنّ طلحة ، فإنّك إن تَلْقَه تجِدْه كالثّور عاقِصاً قَرْنَه ، يركب الصّعب و يقول : هو الذّلول ، ولكن إلقَ الزّبير، فإنّه ألين عريكة ، فقل له : يقول لك ابن خالك : عرفتني بالحجاز وأنكرتَني بالعراق ، فما عدا ممّا بدا (ك/٣١) .
* كلّ واحدٍ منهما يرجو الأمر له ، و يعطفه عليه دون صاحبه ، لا يَمُتّان إلى الله بحبل ، ولا يَمُدّان إليه بسبب ، كلّ واحدٍ منهما حامل ضَبٍّ لصاحبه ، وعمّا قليلٌ يُكشَف قِناعُه به ، والله لَئنْ أصابوا الّذي يريدون لينتزعَنّ هذا نفسَ هذا ، ولَيَأتِيَنّ هٰذا على هذا (ك/١٤٨) .
* لقد أتلعوا أعناقهم إلى أمرٍ لم يكونوا أهله ، فَوُقِصُوا دونه (ك/٢١٩) .
* ما زال الزّبير رجلاً منّا أهل البيت حتّى نشأ ابنه المشؤوم عبد الله (ح/٤٥٣) .

(٥٤٧) ٣ ـ عائشة بنت أبي بكر:

* وأمّا فُلانة فأدركها رأي النّساء ، وضِغنٌ غَلَا في صدرها كمِرْجَلِ القَين ، ولو دُعِيَتْ لتنال من غيري ما أتت إليّ لم تفعل ، ولها بعد حُرْمَتُها الأ ولى ، والحساب على الله

تعالى (ك/١٥٦).

(٥٤٨) ٤ ــ معاوية بن أبي سفيان :

* (إلى معاوية) : فقد سلكتَ مدارجَ أسلافك بادّعائك الأ باطيل ، واقتحامك غرور المَيْن والأكاذيب ، و بانتحالك ما قد علا عنك ، وابتزازك لما قد اختُزِن دونك ، فراراً من الحقّ ، وجحوداً لما هو ألزَم لك من لحمك ودمك ؛ ممّا قد وعاه سمعك ، ومُلِيء به صَدرُك (ر/٦٥).

* فقد أجريتَ إلى غايةٍ خُسْر ، ومحلّةٍ كُفْرٍ ، فإنّ نفسك قد أولجتك شرّاً ، وأقحمتك غيّاً ، وأوردتك المهالك ، وأوعرت عليك المسالك (ر/٣٠).

* أمّا بعد ، فقد أتتني منك موعظة مُوَصَّلة ، ورسالة محبّرة ، نمّقتَها بضلالك ، وأمضيتَها بسوء رأيك ، وكتاب امرىءٍ ليس له بصرٌ يهديه ، ولا قائدٌ يرشده ، قد دعاه الهَوى فأجابَهُ ، وقاده الضّلال فاتّبعه ، فَهَجَرَ لاغِطاً ، وضلّ خابطاً (ر/٧).

* وإنّك لَذَهّابٌ في التّيه ، روّاغٌ عن القصد (ر/٢٨).

* وإنّك والله ما علمتُ الأغلفَ القلب ، المُقارب العقل ، والأَوْلى أن يُقال لك : إنّك رَقيتَ سُلّماً أطلعك مطلع سوءٍ عليك لا لك ، لأنّك نشدت غير ضالّتك ، ورعيتَ غير سائمتك ، وطلبتَ أمراً لستَ من أهله ولا في معدنِه ؛ فما أبعد قولك من فعلك ! وقريبٌ ما أشبهتَ من أعمامٍ وأخوال ! حَمَلَتْهُمُ الشّقاوة ، وتمنّي الباطل ، على الجحود بمحمّد (ص) فَصُرِعوا مصارعهم حيث علمتَ (ر/٦٤).

* ولمّا أدخل الله العرب في دينه أفواجاً ، وأسلمت له هٰذه الأمّة طَوْعاً وكَرْهاً ، كنتم ممّن دخل في الدّين : إمّا رغبةً وإمّا رهبة (ر/١٧).

* وقد أتاني كتابٌ منك ذو أفانينَ من القول ، ضَعُفَت قُواها عن السّلم ، وأساطير لم يَحُكْها منك علمٌ ولا حلم ؛ أصبحتَ منها كالخائض في الدّهاس ، والخابط في الدّيماس ، وترقّيتَ إلى مَرْقَبَةٍ بعيدة المرام ، نازحة الأعلام ، تَقْصُرُ دونها الأنوق و يُحاذي بها العَيّوق (ر/٦٥).

* واعلم أنّ الشّيطان قد ثبّطك عن أن تُراجِع أحسن أمورك ، وتأذن لمقال

نصيحتك (ر/٧٣).

* ... امرىءٍ ظاهرٍ غيُّهُ، مهتوكٌ سترهُ، يشين الكريم بمجلسه، و يسفّه الحليم بخِلْطَته (ر/٣٩).

* فإنّك مُترَفٌ قد أخذ الشّيطان منه مأخذه، و بلغ فيك أمله، وجرى منك مجرى الرّوح والدّم (ر/١٠).

* ومتى كنتم يامعاوية ساسة الرّعيّة، وولاة أمر الأمّة؟ بغير قدمٍ سابق، ولا شرفٍ باسق (ر/١٠).

* وما أنتَ والفاضل والمفضول، والسّائس والمسوس! وما للطُّلَقاء وأبناء الطُّلَقاء، والتّمييز بين المهاجرين الأوّلين، وترتيب درجاتهم، وتعريف طبقاتهم، هيهات لقد حَنَّ قِدْحٌ ليس منها، وطَفِقَ يحكم فيها مَن عليه الحكم لها، ألا تَرْبَع أيّها الانسان على ظَلعك، وتعرِفُ قُصورَ ذَرْعك، وتتأخّر حيث أخّرك القَدَر! فما عليك غَلَبَةُ المغلوب، ولا ظَفَرُ الظّافر! (ر/٢٨).

* فياعجباً للدّهر! إذ صِرتُ يُقْرَن بي مَن لم يَسْعَ بقَدَمي، ولم تكن له كسابقتي التي لا يُدلي أحدٌ بمثلها، إلاّ أن يدّعيَ مُدَّعٍ ما لا أعرفُه، ولا أظُنّ الله يعرفه، والحمد لله على كلّ حال (ر/٩).

* والله ما معاوية بأدهى منّي، ولكنّه يَغْدِرُ و يفجُر (ك/٢٠٠).

* وسأَجْهَدُ في أن أطهّر الأرض من هٰذا الشّخص المعكوس، والجسم المركوس (ر/٤٥).

* فسبحان الله! ما أشدّ لزومك (معاوية) للأهواء المبتدَعة، والحيرة المتَّبَعَة مع تضييع الحقائق واطّراح الوثائق، الّتي هي لله طِلْبَة، وعلى عباده حُجّة (ر/٣٧).

(٥٤٩) ٥ ـ عَمْرو بن العاص:

* فإنّك قد جعلتَ دِيْنَك تَبْعاً لدنيا امرىءٍ ظاهرٍ غيُّه، مهتوكٍ سِترُه، يشين الكريم بمجلسه، و يسفّه الحليم بخِلْطَتِه، فاتّبعتَ أثَرَه، وطلبتَ فَضْلَهُ، اتّباعَ الكَلْبِ للضّرغام يلوذ بمخالبه، و ينتظر ما يُلْقَى إليه من فضل فريسته، فأذهبتَ دنياك وآخرتك (ر/٣٩).

* عَجَباً لابن النّابغة! يزعم لأهل الشّام أنّ فيّ دُعابة، وأنّي امرُؤٌ تِلعابَة: أعافِسُ

وأمارس ! لقد قال باطلاً ، ونطق آثِماً ، أما ــ وشرّ القول الكَذِب ــ إنّه لَيَقولُ فيكذبُ ، و يَعِدُ فَيُخْلِف ، و يُسْأَل فَيَبْخَل ، و يسأل فيُلحِف ، ويخونُ العهد ، و يقطع الإلّ ؛ فإذا كان عند الحرب فأيّ زاجرٍ وآمرٍ هو! ما لم تأخذ السّيوف مآخذها ، فإذا كان ذلك كان أكبر مكيدته أن يمنح القِرْمَ سُبَّته ، أما والله إنّي لَيَمْنَعُني من اللّعِب ذكر الموت ، وإنّه لَيَمْنَعُه من قول الحقّ نسيان الآخرة ، إنّه لم يُبايع معاوية حتّى شرط أن يُؤتِيَهُ أتيّة ، و يرضخ له على ترك الدّين رضيخة (خ/٨٤).

* وأقرِبْ بقومٍ من الجهل بالله قائدهم معاوية ! ومؤدّبهم ابن النابغة ! (خ/١٨٠).

(٥٥٠) عمر بن الخطّاب والفتنة :

* لله بلاء فُلان ... وخَلّف الفتنة ... أصاب خيرها ، وسبق شرّها ... رَحَلَ وتركهم في طُرُقٍ متشعّبة ، لا يهتدي بها الضّالّ ، ولا يستيقن المهتدي (ك/٢٢٨).

* حتّى مضى الأوّل لسبيله ، فأدلى بها إلى فلانٍ بعده ... فَصَيَّرَها في حوزةٍ خشناء يغلظ كَلْمُها ، ويخشُنُ مَسُّها ، و يكثُرُ العِثارُ فيها ، والأعتذار منها ... فَمُنِيَ النّاس ــ لَعَمْرُ الله ــ بخبطٍ وشِماس ، وتَلَوُّنٍ واعتراض (خ/٣).

(٥٥١) عثمان بن عفّان والفتنة :

* (مخاطباً عثمان) : وإنّي أنشُدُك الله ألاّ تكون إمام هٰذه الأمّة المقتول ، فإنّه كان يُقال : يُقْتَل في هٰذه الأمّة إمامٌ يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة ، و يَلْبِسُ أُمورَها عليها ، و يَبُثّ الفتن فيها ، فلا يُبصرون الحقّ من الباطل ؛ يموجون فيها موجاً ، ويمرجون فيها مُرْجاً (ك/١٦٤).

« الفتنة الكبرى »

ثالثاً : « الأسباب الرئيسيّة والمباشرة لنشوب الفتنة »

(٥٥٢) ١ ــ قيام الامام(ع) بإصلاحاته الكبيرة الّتي أضرّت الكثير من المنتفعين :

* فلّما نهضت بالأمر نكثت طائفة ، ومرقت أخرى ، وقسط آخرون ، كأنّهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول : « تلك الدّار الآخرة نجعلها للّذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً ، والعاقبة للمتّقين » بلَى والله لقد سمعوها وَوَعَوْها ، ولكنّهم حَلِيَتِ الدّنيا في أعينهم ، وراقهم زِبْرِجُها (خ/٣).

* إنّ هٰؤلاء قد تمالأوا على سخطة إمارتي ، وسأصبر ما لم أخَف على جماعتكم ... وإنّما طلبوا هٰذه الدّنيا حَسَداً لمن أفاءها الله عليه ، فأرادوا ردّ الأمور على أدبارها ، ولكم علينا العمل بكتاب الله تعالى وسيرة رسول الله (ص) والقيام بحقّه ، والنّعش لسُنّته .

* (في رجالٍ من المدينة التحقوا بمعاوية) وإنّما هم أهل دنيا مُقبلون عليها ، ومُهطِعون إليها ، وقد عرفوا العدل ورأوه ، وسمعوه وَوَعَوْهُ ، وعلموا أنّ النّاس عندنا في الحقّ أسوة ، فهربوا إلى الأَثَرَة ، فبُعْداً لهم وسحقاً (ر/٧٠).

(٥٥٣) ٢ ــ التّنافس على الخلافة والولاية :

* (في طلحة والزّبير) : كلّ واحدٍ منهما يرجو الأمر له ، ويعطفه عليه دون صاحبه ، لا يمتّان إلى الله بحبل ، ولا يمدّان إليه بسبب ، كلّ واحدٍ منهما حامل ضبٍّ لصاحبه ، وعمّا قليل يُكشَف قناعُه به ! والله لئن أصابوا الّذي يريدون لينتزعَنّ هٰذا نفس هٰذا (ك/١٤٨).

* (أصحاب الجمل) لقد أتلعوا أعناقهم إلى أمرٍ لم يكونوا أهلَه فوُقصوا دونه (ك/٢١٩).

* وقد قال له طلحة والزّبير: نبايعك على أنّا شركاؤك في هذا الأمر، فقال عليه السّلام: لا، ولكنّكما شريكان في القوّة والأستعانة، وعونان على العجز والأَوَد (ح/٢٠٢).

* (كلم به طلحة والزّبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا عليه من ترك مشورتهما، والأستعانة في الأمور بهما): ألا تخبراني... أيّ حقٍّ رَفَعَهُ إليّ أحدٌ من المسلمين ضعفتُ عنه، أم جهلتُه، أم أخطأتُ بابه!... فلم أحتج في ذلك إلى رأيكما، ولا رأي غيركما، ولا وقع حكمٌ جهلتُه، فأستشيركما وإخواني من المسلمين؛ ولو كان ذلك لم أرغب عنكما، ولا عن غيركما (ك/٢٠٥).

* (إلى معاوية): إنّك رَقيتَ سُلّما أطلعك مطلع سوءٍ عليك لا لك، لأنّك نشدت غير ضالّتك، ورعيت غير سائمتك، وطلبت أمراً لستَ من أهله ولا في معدنه (ر/٦٤).

* ومتى كنتم يامعاوية ساسة الرّعيّة، وولاة أمر الأمّة؟ بغير قدمٍ سابق، ولا شرفٍ باسق (ر/١٠).

* ألا تربَع أيّها الانسان (معاوية) على ظَلعك، وتعرف قصور ذرعك، وتتأخّر حيث أخّرك القدر! فما عليك غَلَبَة المغلوب، ولا ظَفَر الظّافر! (ر/٢٨).

* فياعجباً للدّهر! إذ صرتُ يُقرَن بي مَن لم يَسْعَ بقدمي ولم تكن له كسابقتي الّتي لا يُدلي أحدٌ بمثلها (ر/٩).

* (إلى معاوية): وأمّا طلبك إليّ الشّام، فإنّي لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتُك أمس (ر/١٧).

* (في عمرو بن العاص): إنّه لم يبايع معاوية حتّى شرط أن يؤتيَه أَتِيَّةً، و يرضخ له على ترك الدّين رضيخة (خ/٨٤).

* (إلى عمرو بن العاص): ولو بالحقّ أخذت أدركتَ ما طلبت (ر/٣٩).

* أمّا الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الأعلَوْنَ نَسَباً، والأشدّون برسول الله (ص) نوطاً، فإنّها كانت أَثَرَةً، شحّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين (ك/١٦٢).

(٥٥٤) ٣ ـ بُغْضُ الفئات المُعارضة للإمام وأهل بيت الرسول (ص):

* والله ما تنقم منّا قريش إلاّ أنّ الله اختارنا عليهم، فأدخلناهم في حيّزنا (خ/٣٣).

* أين الّذين زعموا أنّهم الرّاسخون في العلم دوننا ، كذباً و بغياً علينا ، أن رَفَعَنا الله ووضعهم ، وأعطانا وحرمهم ، وأدخلنا وأخرجهم ... إن الأئمّة من قريش غُرِسوا في هذا البطن من هاشم ؛ لا تصلح علىٰ سواهم ، ولا تصلح الولاة من غيرهم (خ/١٤٤) .

* فَدَع عنك قريشاً وتَرْكاضهم في الضّلال ، وتَجْوالهم في الشّقاق ، وجِماحَهم في التّيه ، فإنّهم قد أجمعوا على حربي كإجماعهم على حرب رسول الله (ص) قبلي (ر/٣٦) .

* إنّ هؤلاء قد تمالؤوا على سخطة إمارتي ... وإنّما طَلَبوا الدّنيا حسداً لمن أفاءها الله عليه (خ/١٦٩) .

* (طلحة والزّبير) لقد نقمتما يسيراً ، وأرجأتما كثيراً (ك/٢٠٥) .

* وأمّا فلانة (عائشة) فأدركها رأي النّساء ، وضِغنٌ غلا في صدرها كمِرْجَل القَيْن ، ولو دُعِيَتْ لتنال من غيري ما أتت إليّ لم تفعل (ك/١٥٦) .

« الفتنـة الكبـرى »
رابعاً : « الإمام ينصح ويمهل أقطاب الفتنة قبل محاربتهم »

(٥٥٥) ١ ــ نصحه لعامّة النّاس :

* ذمّـتـي بمـا أقـول رهـيـنـة ، وأنـا بـه زعـيـم ، إنّ من صرّحت له العِبَر عمّا بين يديه من الـمَثُلات ، حَجَزَتْهُ التقوى عن تقحّم الشُّبُهات ، ألا وإنّ بليّتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه (ص) (ك/١٦) .

* أيّـهـا الـنّـاس ، أعـينوني على أنفسكم ، وأيْمُ الله لأُنصِفَنَّ المظلوم من ظالمه ، ولأقودَنّ الظّالم بخِزامته ، حتّى أورده منهل الحقّ وإن كان كارهاً (ك/١٣٦) .

* ولـو أنّ الـنّاس حين تنزل بهم النّقَم ، وتزول عنهم النّعَم ، فزعوا إلى ربّهم بصدقٍ من نـيّـاتـهـم ، ووَلهٍ مـن قـلـوبـهم ، لَرَدَّ عليهم كلّ شارد وأصلح لهم كلّ فاسد ، وإنّي لأخشى عـلـيـكـم أن تـكـونـوا في فترةٍ ، وقد كانت أمورٌ مضت ملتم فيها ميلةً ، كنتم فيها عندي غير محمودين ، ولئن رُدّ عليكم أمركم إنّكم لَسُعَداء ، وما عليّ إلاّ الجهد (خ/١٧٨) .

* أيّـهـا الـنّـاس ، إنّـي قد بثثتُ المواعظ التي وعظ الأنبياء بها أممهم ، وأدّيتُ إليكم ما أدّت الأ وصـيـاء إلى مَـن بَـعْـدَهُم ، وأدّبتكم بسوطي فلم تستقيموا ، وحَدَوتُكُم بالزّواجر فلم تستوسقوا (خ/١٨٢) .

(٥٥٦) ٢ ــ نصحه لأصحاب الجمل (النّاكثين) :

* فارجعا أيّها الشّيخان عن رأيكما ، فإنّ الآن أعظم أمركما العار ، من قبل أن يتجمّع

العار والنّار (ر/٥٤).

* أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحقّ، وألهمنا وإيّاكم الصّبر، رحم الله رجلاً رأى حقاً فأعان عليه، أو رأى جوراً فردّه، وكان عوناً بالحقّ على صاحبه (ك/٢٠٥).

* ... إلقَ الزّبير... فقل له: يقول لك ابن خالك: عرفتني بالحجاز، وأنكرتني بالعراق، فما عدا ممّا بدا (ك/٣١).

* ولقد استَثْبَتُّهما قبل القتال، واستأنيتُ بهما أمام الوِقاع، فَغَمَطا النّعمة، وردّا العافية (ك/١٣٧).

(٥٥٧) ٣ ــ نصحه لأهل صفّين «القاسطين»:

* (إلى معاوية): فاتّق الله فيما لديك، وانظر في حقّه عليك، وارجع إلى معرفة مالا تُعْذَر بجهالته، فإنّ للطّاعة أعلاماً واضحة، وسُبُلاً نيّرة، ومحجّةً نهجة، وغايةً مُطّلَبة، يَرِدُها الأكياس، ويخالفها الأنكاس؛ مَن نكَبَ عنها جار عن الحقّ، وخبط في التّيه، وغيّرَ الله نعمته، وأحلّ به نِقْمَتَه، فنفسَك نفسَك! فقد بيّن الله لك سبيلك، وحيث تناهت بك أمورُك، فقد أجريتَ إلى غايةِ خُسْرٍ، ومحلّةِ كفر (ر/٣٠).

* (إلى معاوية): فاحذر يوماً يغتبط فيه من أحْمَدَ عاقبَة عمله، و يندم مَنْ أمكنَ الشّيطان من قِياده فلم يُجاذِبْهُ (ر/٤٨).

* (إلى معاوية): فاتّق الله في نفسك، ونازع الشّيطان قيادك، واصرِف إلى الآخرة وجهك، فهي طريقنا وطريقك، واحذر أن يصيبك الله منه بعاجل قارعةٍ تَمَسّ الأصل وتقطع الدّابر (ر/٥٥).

* (إلى معاوية): أمّا بعد، فقد آن لك أن تنتفع باللّمح الباصر من عيان الأمور، فقد سلكتَ مدارج أسلافك بادّعائك الأباطيل، واقتحامك غرور المَيْن والأكاذيب، وبانتحالك ما قد عَلا عَنْكَ، وابتزازك لِما قد اختُزِنَ دونك، فراراً من الحقّ، وجحوداً لما هو ألزم لك من لحمك ودمك، ممّا قد وعاه سمعك، ومُلِىءَ به صَدرُك، فماذا بعد الحقّ إلاّ الضّلال المبين، وبعد البيان إلاّ اللّبس؟ فاحذَر الشُّبهة واشتمالها على لُبْسَتها، فإنّ الفتنة طالما أغدَفَتْ جلابيبَها، وأغشت الأبصار ظُلْمَتَها... فمن الآن فتدارَكْ نفسك، وانظر لها،

فإنّك إن فرّطتَ حتّى يَنْهَدَ إليك عبادُ الله أُرتِجَت عليك الأمور، ومُنِعْتَ أمراً هو منك اليوم مقبول، والسّلام (ر/٦٥).

* (عندما أشار عليه أصحابه بالاستعداد لحرب أهل الشّام بعد إرساله جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية ولم ينزل معاوية على بيعته): إنّ استعدادي لحرب أهل الشّام وجريرٌ عندهم، إغلاقٌ للشّام، وصرفٌ لأهله عن خيرٍ إن أرادوه، ولكن قد وقتّ لجريرٍ وقتاً لا يُقيمُ بعده إلاّ مخدوعاً أو عاصياً، والرّأي عندي مع الأناة، فأرودوا، ولا أكره لكم الإعداد (ك/٤٣).

* (وقال عليه السّلام لأصحابه عندما استبطأوا إذنه لهم في القتال بصفّين):

أمّا قولكم: أكلّ ذٰلك كراهية الموت؟ فوالله ما أبالي؛ دخلتُ إلى الموت أو خرج الموت إليّ. وأمّا قولكم شكّاً في أهل الشّام، فوالله ما دفعتُ الحرب يوماً إلاّ وأنا أطمع أن تلحق بي طائفةٌ فتهتدي بي، وتعشو إلى ضوئي، وذلك أحبّ إليّ من أن أقتلها على ضلالها، وإن كانت تبوء بآثامها (ك/٥٥).

* لا تقاتلوهم حتّى يبدؤوكم، فإنّكم بحمد الله على حجّة، وترككم إيّاهم حتّى يبدؤوكم حجّة أخرى لكم عليهم (وص/١٤).

* (وطلب من أصحابه أن يدعو بهٰذا الدّعاء أيام حرب صفّين):

اللّهم احقِن دماءنا ودماءهم، وأصلِحْ ذات بيننا وبينهم، وأهدِهم من ضلالتهم، حتّى يعرف الحقّ من جهله، ويرعويَ عن الغيّ والعدوان من لهج به (ك/٢٠٦).

* (كتبه إلى أهل الأمصار، يقصّ فيه ما جرى بينه وبين أهل صفّين):

وكان بَدْءُ أمرنا أنّا التقينا والقوم من أهل الشّام، والظّاهر أنّ ربّنا واحد، ونبيّنا واحد، ودعوتنا في الاسلام واحدة، ولا نستزيدهم في الأيمان بالله والتّصديق برسوله ولا يستزيدوننا، الأمر واحد إلاّ ما اختلفنا فيه من دم عثمان، ونحن منه بُراء! فقلنا: تعالَوا نُداوِ ما لا يُدْرَكُ اليوم بإطفاء النّائرة، وتسكين العامّة، حتّى يشتدّ الأمر ويستجمع، فنقوى على وضع الحقّ مواضعه، فقالوا: بل نداويه بالمكابرة! فَأَبَوا حتّى جَنَحَتِ الحرب وركدت، ووقدت نيرانها وحَمِشَت، فلمّا ضَرَّسَتْنا وإيّاهم، ووضَعَت مخالبها فينا وفيهم،

أجابوا عند ذلك إلى الّذي دعوناهم إليه ، فأجبناهم إلى ما دَعَوْا ، وسارعناهم إلى ما طَلَبُوا ، حتّى استبانت عليهم الحُجَّة ، وانقطعت منهم المعذرة ، فمن تمّ على ذلك منهم فهو الّذي أنْقَذَه الله من الهَلَكَة ، ومن لَجَّ وتمادى فهو الرّاكس الّذي ران الله على قلبه ، وصارت دائرة السَّوء على رأسه (ر/٥٨) .

(٥٥٨) ٤ ـ نصحه للخوارج (المارقين) :

* فأنا نذيرٌ لكم أن تُصبِحوا صَرعى بأثناء هٰذا النَّهر ، وبأهضام هذا الغائط ، على غير بيّنةٍ من ربّكم ، ولا سلطان مُبينٍ معكم : قد طوّحت بكم الدّار ، واحتبلكم المقدار (خ/٣٦) .

* فأوبوا شـرّ مآب ، وأرجِعوا على أثر الأعقاب (ك/٥٨) .

« الفتنة الكبرى »
خامساً : « أسباب تصدّي الإمام للفتنة »

(٥٥٩) ١ ــ الوقوف بوجه الفتنة في مهدها أسهل بكثير من الوقوف بوجهها عندما تستفحل وتعمّ وتصبح حقيقة ثابتة :

* ثمّ إنّكم معشر العرب أغراض بلايا قد اقتربت ، فاتّقوا سكرات النّعمة ، واحذروا بوائق النّقمة ، وتثبّتوا في قتام العشوة ، واعوجاج الفتنة عند طلوع جنينها ، وظهور كمينها ، وانتصاب قطبها ، ومدار رحاها ، تبدأ في مدارج خفيّة ، وتؤول إلى فظاعة جليّة ، شِبابُها كشِباب الغلام ، وآثارها كآثار السِّلام ، يتوارثها الظَّلَمَة بالعهود ، أوّلهم قائد لآخرهم ، وآخرهم مقتدٍ بأوّلهم ؛ يتنافسون في دنيا دنيّة ، و يتكالبون على جيفةٍ مريحة .

وعن قليلٍ يتبرّأ التّابع من المتبوع ، والقائد من المقود ، فيتزايلون بالبغضاء ، و يتلاعنون عند اللّقاء .

ثمّ يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرّجوف ، والقاصمة الزَّحوف ، فتزيغ قلوبٌ بعد استقامة ، وتضلّ رجالٌ بعد سلامة ؛ وتختلف الأهواء عند هجومها ، وتلتبس الآراء عند نجومها ، مَن أشرف لها قَصَمَتْهُ ، ومن سَعى فيها حطمته ، يتكادمون فيها تكادم الحُمُر في العانة ، قد اضطرب معقود الحبل ، وعَمِيَ وجه الأمر ، تغيضُ فيها الحكمة ، وتنطق فيها الظَّلَمَة ، وتدقّ أهلَ البدو بِمِسْحَلِها ، وترضُّهم بكَلْكَلِها ، يضيعُ في غبارها الوُحدان ، و يهلك في طريقها الرّكبان ، ترد بمُرّ القضاء ، وتحلُبُ عبيط الدّماء ، وتثلم منار الدّين ، وتنقُضُ عقد اليقين ، يهرب منها الأكياس ، و يدبّرها الأرجاس ، مرعادٌ مبراقٌ ، كاشفةٌ عن

ساق، تُقْطَعُ فيها الأرحام، و يُفارَق عليها الاسلام، بَرِيُّها سقيم، وظاعنها مقيم (خ/١٥١).

* اليوم أنطق لكم العجماء ذات البيان، عَزَبَ رأي امرىءٍ تخلّف عنّي، ما شككتُ في الحقّ مذ أريتُهُ، لم يُوجِس موسى عليه السّلام خيفةً على نفسه، بل أشفق من غَلَبَة الجُهّال ودُوَل الضّلال (خ/٤).

(٥٦٠) ٢ ـ الوقوف بوجه الفتنة ـ حتى إذا لم يقضي عليها تماماً ـ فإنّه سيفضحها، و يكشفها للنّاس، ويحجّم تأثيرها فيهم حاضراً ومستقبلاً :

* واعلموا أنّكم لن تعرفوا الرّشد حتّى تعرفوا الّذي تركه، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتّى تعرفوا الّذي نقضه، ولن تَمَسَّكوا به حتّى تعرفوا الّذي نبذه (خ/١٤٧).

* اليوم تواقفنا على سبيل الحقّ والباطل ... أقمتُ لكم على سَنَن الحقّ في جواد المضلّة، حيث تلتقون ولا دليل، وتحتفرون ولا تميهون (خ/٤).

* (إلى معاوية) : وأمّا قولك : إنّ الحرب قد أكلت العرب إلاّ حشاشات أنفسٍ بَقِيَت، ألا ومن أكله الحقّ فإلى الجنّة، ومن أكله الباطل فإلى النّار (ر/١٧).

* أيّها النّاس، فإنّي فقأت عين الفتنة ... بعد أن ماج غيهبها، واشتدّ كَلَبُها (خ/٩٣).

* غداً ترون أيّامي، و يُكشَف لكم عن سرائري، وتعرفونني بعد خلوّ مكاني، وقيام غيري مقامي (خ/١٤٩).

* (إلى معاوية) أمّا بعد، فإنّا كنّا نحن وأنتم على ما ذكرتَ من الأُلْفَة والجماعة، ففرّق بيننا و بينكم أمسِ أنّا آمَنّا وكفرتم، واليوم أنّا استقمنا وفُتِنتُم (ر/٦٤).

* (آل محمد عليهم السلام) بهم عاد الحقّ إلى نصابه، وانزاح الباطل عن مُقامه، وانقطع لسانه عن منبته (ك/٢٣٩).

* فنهضتُ في تلك الأحداث حتّى زاح الباطل وزهق، واطمأنّ الدّين وتنهنه (ر/٦٢).

(٥٦١) ٣ ـ عدم التصدّي للفتنة من قِبَل الإمام وفي عهده ستكون نتيجته القضاء على الإسلام والإمام نفسه وأبنائه البررة عليهم السّلام، وهٰذا هو الهدف الأوّل لأقطاب الفتنة :

* حاول القوم إطفاء نور الله من مصباحه، وسَدّ فوّاره من ينبوعه، وجدحوا بيني

و بينهم شر باً و بيئاً ، فإن ترتفع عنّا وعنهم محن البلوى ، أحملهم من الحقّ على محضه : وإن تكن الأخرى ، « فلا تذهب نفسُك عليهم حَسَرات ، إنّ الله عليمٌ بما يصنعون » (ك/١٦٢) .

* والله لا أكون كالضَّبُع : تنام على طول اللّدم ، حتّى يصل إليها طالبها ، ويختلها راصدها ، ولكنّي أضرب بالمقبل إلى الحقّ المدبِر عنه ، و بالسّامع المطيع العاصي المريبَ أبداً ، حتّى يأتي عليّ يومي (خ/٦) .

* فَدَع عنك قريشاً وتركاضهم في الضّلال ، وتجوالهم في الشّقاق ، وجماحهم في التّيه ، فإنّهم قد أجمعوا على حربي كأجماعهم على حرب رسول الله (ص) قبلي (ر/٣٦) .

* مالي ولقريش ! والله لقد قاتلتهم كافرين ، ولأقاتلنّهم مفتونين ، وإنّي لصاحبهم بالأمس ، كما أنا صاحبهم اليوم ! والله ما تنقم منّا قريشٌ إلاّ أن الله اختارنا عليهم ، فأدخلناهم في حيّزنا (خ/٣٣) .

* (وقال عليه السّلام عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة) : إنّ هٰؤلاء قد تمالأُوا على سَخْطَة أمارتي ، وسأصبر مالم أخَفْ على جماعتكم ، فإنّهم إن تَمّموا على فيالة هذا الرّأي انقطع نظام المسلمين ، وإنّما طلبوا هٰذه الدّنيا حَسَداً لمن أفاءها الله عليه ، فأرادوا ردّ الأمور على أدبارها ولكم علينا العمل بكتاب الله تعالى ، وسيرة رسول الله (ص) والقيام بحقّه ، والنّعش لسُنّته (خ/١٦٩) .

* ولكنّني آسَ أن يلي أمر هٰذه الأمّة سفهاؤها وفجّارها ، فيتّخذوا مال الله دولاً ، وعباده خَوَلاً ، والصّالحين حرباً ، والفاسقين حزباً ، فإنّ منهم الّذي قد شرب فيكم الحرام ، وجُلِدَ حدّاً في الأسلام ، وإنّ منهم من لم يُسْلِم حتّى رُضِخَت له الرّضائخ ، فلولا ذلك ما أكثرتُ تأليبكم وتأنيبكم ، وجَمْعَكم وتحريضكم ، ولتركتكم إذْ أبيتم وَوَنَيْتُم (ر/٦٢) .

* ألا وقد قطعتم قيد الاسلام ، وعطّلتم حدوده ، وأمتّم أحكامه (خ/١٩٢) .

* ألا وإنّ الشّيطان قد ذمّر حِزْبَه ، واستجلب جَلَبَه ، ليعود الجور إلى أوطانه ، و يرجع الباطل إلى نصابه (خ/٢٢) .

* استعدّوا للمسير إلى قومٍ حيارى عن الحقّ لا يبصرونه ، وموزَعين بالجور لا يعدلون به ، جُفاةٍ عن الكتاب ، نُكُبِ عن الطّريق (ك/١٢٥) .

(٥٦٢) ٤ ـ توفّر الأعوان للإمام في بداية الأمر لم يدع له عليه السّلام عذراً في عدم التّصدّي للفتنة :

* (إلى معاوية) : وأنا مُرقِلٌ نحوك في جحفلٍ من المهاجرين والأنصار، والتّابعين لهم بإحسان، شديدٍ زِحامهم، ساطعٍ قِتامُهم، متسربلين سرابيل الموت، أحبّ اللّقاء إليهم لقاء ربّهم، وقد صحبتهم ذريّةٌ بدريّة، وسيوف هاشميّة، قد عرفْتَ مواقع نِصالها في أخيك وخالك وجدّك وأهلك « وما هي من الظّالمين ببعيد » (ر/٢٨).

* (ولكن عندما قُتِلَ من خيار أصحابه الكثير وتخاذل أكثر الباقين قال عليه السّلام) : أين القوم الّذي دُعُوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرأوا القرآن فأحكموه، وهِيجوا إلى الجهاد فَوَلِهُوا وله اللّقاح إلى أولادها، وسَلَبُوا السّيوف أغمادها، وأَخَذُوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً، وصفّاً صفّاً، بعضٌ هلك، وبعضٌ نجا ... أولئك إخواني الذّاهبون، فَحَقَّ لنا أن نظمأ إليهم، ونعضّ الأيدي على فراقهم (خ/١٢١).

* ما ضَرَّ إخواننا الّذين سُفِكَت دماؤهم ـ وهم بصفّين ـ ألاّ يكونوا اليوم أحياءً؟ يسيغون الغُصَص ويشربون الرَّنق ... أين إخواني الّذين ركبوا الطّريق، ومضوا على الحقّ، أين عمّار؟ وأين ابن التَّيهان؟ وأين ذو الشّهادتين؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الّذين تعاقدوا على المنيّة ... دُعُوا للجهاد فأجابوا، وَوَثِقُوا بالقائد فاتّبعوه (خ/١٨٢).

* وأمّا استواؤنا في الحرب والرّجال، فلستَ بأمضى على الشّكّ منّي على اليقين، وليس أهل الشّام بأحرص على الدّنيا من أهل العراق على الآخرة (ر/١٧).

* أنتم الأنصارُ على الحقّ، والاخوان في الدّين، والجُنَن يوم البأس، والبِطانة دون النّاس، بكم أضربُ المُدبِر، وأرجو طاعة المُقبِل، فأعينوني بمناصحةٍ خليّةٍ من الغشّ، سليمةٍ من الرّيب، فوالله إنّي لأولى النّاس بالنّاس (ك/١١٨).

* (قاله لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة) : أيّها النّاس، إنّه لم يزل أمري معكم على ما أُحِبّ، حتّى نهكتكم الحرب (ك/٢٠٨).

* (بعدما بويع بالخلافة، وقد قال له قوم من الصّحابة : لو عاقبتَ قوماً ممّن أجلب على عثمان؟ فقال عليه السّلام) :

... إنّ النّاس من هٰذا الأمر ــ إذا حُرِّكَ ــ على أمور : فرقةٌ ترى ما ترون ، وفرقةٌ ترى مالا ترون ، وفرقةٌ لا ترى هذا ولا ذاك (ك/١٦٨) .

* (إلى أهل الكوفة بعد فتح البصرة) : وجَزاكم الله من أهل مصرٍ عن أهل بيت نبيّكم أحْسَن ما يجزي العاملين بطاعته ، والشّاكرين لِنِعْمَتِهِ ، فقد سمعتم وأَطَعْتُم ، ودُعيتُم فَأَجَبْتُم (ر/٢) .

* وقد رأيتُ جولتكم ، وانحيازكم عن صفوفكم ، تحوزكم الجفاة الطّغام ، وأعرابُ أهل الشّام ، وأنتم لهاميم العرب ، و يآفيخ الشَّرَف ، والأنف المقدّم ، والسّنام الأعظم ، ولقد شفى وَحٰاوِحَ صدري أن رأيتُكُم بأُخَرَةٍ تحوزونهم كما حازوكم ، وتزيلونَهم عن مواقفهم كما أزالوكم ؛ حَسّاً بالنِّصال ، وشَجْراً بالرّماح ؛ تركب أولاهم أخراهم كالأ بل الهيم المطرودة ؛ تُرمى عن حياضها ؛ وتُذادُ عن مواردها (ك/١٠٧) .

(٥٦٣) ٥ ــ الواجب الشّرعي يحتّم قتال النّاكثين والمارقين والقاسطين ، وأولئك الّذين يثيرون الفتن في البلاد الاسلامية ، والّذين يقتلون النّاس بغير حقّ :

* ألا وقد أمرني الله بقتال أهل البغي والنّكث والفساد في الأ رض ، فأمّا النّاكثون فقد قاتلت ، وأمّا القاسطون فقد جاهدت ، وأمّا المارقة فقد دوّخت ، وأمّا شيطان الرّدهة فقد كُفيتُه بصعقةٍ سُمِعَت لها وَجْبَةُ قلبه ورجّة صدره (خ/١٩٢) .

* وأمّا ما سألتَ عنهُ من رأيي في القتال ، فإنّ رأيي قتال المُحِلّين حتّى ألقى الله (ر/٣٦) .

* ولقد ضربتُ أنف هٰذا الأمر وعينَه ، وقلّبتُ ظهره و بطنه ، فلم أر لي فيه إلاّ القتال أو الكفر بما جاء به محمّد (ص) (ك/٤٣) .

* إنّه بايعني القوم الّذين بايَعوا أبا بكرٍ وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه ، فلم يكن للشّاهد أن يختار ، ولا للغائب أن يَرُدّ ، وإنّما الشّورى للمهاجرين والأنصار ، فإن اجتمعوا على رجلٍ وسَمَّوه إماماً كان ذلك لله رِضىً ، فإن خَرَجَ عن أمرهم خارجٌ بطعنٍ أو بِدْعَةٍ رَدّوه إلى ما خرج منه ، فإن أَبَى قاتَلوه على اتّباعه غير سبيل المؤمنين ، وولاّه الله ما تَوَلّى (ر/٦) .

* أيّها النّاس ، إنّ أحقّ النّاس بهٰذا الأمر أقواهم عليه ، وأعلمهم بأمر الله فيه ، فإن

شَغَبَ شاغب استُعْتِبَ ، فإن أبى قُوتِلَ ، ولعمري ، لئن كانت الامامة لا تنعقد حتّى يَحْضُرَها عامّة النّاس ، فما إلى ذلك سبيل ، ولكن أهلُها يحكُمون على من غاب عنها ، ثمّ ليس للشّاهد أن يرجع ، ولا للغائب أن يختار ، ألا وإنّي أقاتل رَجُلَيْن : رجلاً ادّعى ما ليس له ، وآخر مَنَعَ الّذي عليه (خ/١٧٣) .

* (إلى عمرو بن العاص) : فإنّك قد جعلتَ دينك تَبْعاً لدنيا امرِىءٍ ظاهِرٍ غَيُّهُ ، مهتوكٍ ستْرُهُ ، يشين الكريمَ بمجلِسِه ، و يسفّه الحليم بخلطته ، فاتّبعتَ أثَرَه ، وطلبتَ فضلَه ، اتّباع الكلب للضّرغام ، يلوذ بمخالبه ، و ينتظر ما يُلقى إليه من فضل فريستِهِ ، فأذهبتَ دنياك وآخرتَكَ ! ولو بالحقّ أخذتَ أدركتَ ما طلبتَ ، فإن يمكّنني الله منك ومن ابن أبي سفيان أجْزِكُما بما قدّمتُما ، وإن تُعجِزا وتَبْقَيَا فما أمامكما شَرٌّ لكما ، والسّلام (ر/٣٩) .

* وإن كنتما بايعتماني كارهَيْن ، فقد جعلتما لي عليكما السَّبيل باظهاركما الطّاعة ، وإسراركما المعصية ، ولَعَمْري ما كنتما بأحقّ المهاجرين بالتّقيّة والكتمان (ر/٥٤) .

(٥٦٤) ٦ ــ الجرائم الكبيرة التي ارتكبها أقطاب الفتنة لا يمكن أن تُترَك بدون عقاب من قِبلَ خليفة المسلمين :

* (في ذكر السّائرين إلى البصرة لحربه عليه السّلام) : فَقَدِموا على عمّالي وخُزّان بيت المُسلمين الّذي في يَدَيَّ ، وعلى أهل مصر ، كلّهم في طاعتي وعلى بيعتي ؛ فشتّتوا كلمتهم ، وأفسدوا عليَّ جماعتهم ، وَوَثَبوا عل شيعتي ، فقتلوا طائفةً منهم غدراً ؛ وطائفةٌ عضّوا على أسيافهم ، فضارَبوا بها حتّى لقوا الله صادقين (ح/٢١٨) .

* فقدِمُوا على عاملي بها (البصرة) وخُزّان بيت مال المسلمين وغيرهم من أهلها ، فقتلوا طائفةً صبراً ، وطائفةً غدراً ، فو الله لو لم يُصيبوا من المسلمين إلاّ رجلاً واحداً معتمدين لقتله ، بلا جُرْمٍ جرَّه ، لَحَلَّ لي قتل ذلك الجيش كُلِّه ، إذ حَضَروه فلم يُنكِروا ، ولم يَدْفَعُوا عنه بلسانٍ ولا بيد ، دَع ما أنّهم قد قتلوا من المسلمين مثل العُدّة الّتي دَخلوا بها عليهم (خ/١٧٢) .

* (في شأن طلحة والزّبير) : اللّهم إنّهما قطعاني وظَلَماني ، ونكَثا بيعتي ، وألّبا النّاس عليّ (ك/١٣٧) .

* فخرجوا يجُرّون حرمة رسول الله (ص) كما تُجَرّ الأَمَةُ عند شرائها ، متوجّهين بها إلى البصرة ، فحَبَسا نساءهما في بيوتهما ، وأبرزا حبيس رسول الله (ص) لهما ولغيرهما في جيشٍ ما منهم رجلٌ إلاّ وقد أعطاني الطّاعة ، وسمح لي بالبيعة طائعاً غير مُكرَه (خ/١٧٢) .

* ألا ترون إلى أطرافكم قد انتقَصَت ، وإلى أمصاركم قد افتُتِحَتْ ، وإلى ممالككم تُزوى ، وإلى بلادكم تُغزى (ر/٦٢) .

* ... حتّى شُنَّت عليكم الغارات ، ومُلِكَت عليكم الأوطان ، وهٰذا أخو غامدٍ وقد وَرَدَتْ خَيْلُه الأنبار ، وقد قَتَلَ حسّانَ بن حسّان البكريّ ، وأزال خيلكم عن مسالحها ، ولقد بَلَغَني أنّ الرّجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة ، والأخرى المعاهَدَة ، فينتزع حِجلَها وقُلْبَها وقلائدها ورُعُثَها ، ما تمتنع منه إلاّ بالإسترجاع والإسترحام ، ثمّ انصرفوا وافرين ... فلو أنّ أمْرَءاً مسلماً مات من بعد هٰذا أسفاً ما كان به ملوماً ، بل كان عندي جديراً (خ/٢٧) .

* زرعوا الفجور ، وسقوه الغرور ، وحصدوا الثّبور (خ/٢) .

* (إلى معاوية) : وأرديتَ جيلاً من النّاس كثيراً ؛ خَدَعَتَهم بغيّك ، وألقيتَهم في موج بحرك ، تغشاهم الظُّلُمات ، وتتلاطم بهم الشُّبُهات ، فجازوا عن وجهتهم ، ونكصوا على أعقابهم ، وتولّوا على أدبارهم ، وعَوَّلوا على أحسابهم (ر/٣٢) .

* (إلى زياد بن أبيه) : وقد عرفتُ أنّ معاوية كتب إليك يستزلّ لُبّك ، و يستفَل غَرْبَك ، فاحذَرهُ ، فإنّما هو الشّيطان (ر/٤٤) .

(٥٦٥) ٧ ــ الامام بصفته المثل الأعلى للقيادة الاسلاميّة بعد رسول الله (ص) لا بدّ له أن يتصدّى للفتنة ولا يداهن أو يتوان عن ذلك قيد شعرة وإلاّ فإنّه سيّفقد خاصيّة المثل الأعلى ، ولن تغفر له الأجيال ذلك بالأضافة إلى حرمان الأجيال من قدوةٍ في مجال التصّدي للفتن التي تعصف بالبلاد الاسلامية :

* أما والله إن كنتُ لفي ساقتها ، حتّى تولّت بحذافيرها ما عجزت ولا جبنتُ ، وإنّ مسيري هٰذا لمثلها ؛ فلأنْقُبَنَّ الباطل حتى يخرج الحقّ من جنبه (خ/٣٣) .

* وأيم الله ، لقد كنت من ساقتها حتّى تولّت بحذافيرها ، واستوسقت في قيادها ؛ ما ضعفتُ ، ولا جبنتُ ، ولا خنتُ ، ولا وهنتُ ، وأيْمُ الله ، لأَبْقُرَنّ الباطل حتّى أُخرِجَ الحقّ

من خاصرته (خ/١٠٤).

* ولَعَمري ما عليّ من قتال من خالف الحقّ، وخابط الغيّ من إدهانٍ ولا إيهان (خ/٢٤).

* أنت فكن ذاك إن شئتَ؛ فأمّا أنا فو الله دونَ أن أُعطِيَ ذلك ضَرْبٌ بالمشرفيّة تطير منه فراش الهام، وتطيح السّواعد والأقدام، و يفعل الله بعد ذلك ما يشاء (خ/٣٤).

* وأمّا ما سألتَ عنه من رأيي في القتال، فإنّ رأيي قتال المُحِلّين حتّى ألقى الله؛ لا يزيدني كثرة النّاس حولي عزّة، ولا تفرّقهم عنّي وحشة، ولا تحسبَنَّ ابن أبيك ــ ولو أسلمه النّاس ــ متضرّعاً متخشّعاً، ولا مُقِرّاً للضيّم واهناً، ولا سلس الزّمام للقائد، ولا وطىء الظّهر للرّاكب المتقعّد، ولكنّه كما قال أخوبني سليم:

فإن تسأليني كيف أنتَ فإنّني صبورٌ على ريب الزّمان صليبُ
يعزّ عليّ أن تُرى بي كآبةٌ فيشمتَ عادٍ أو يُساء حبيبُ (ر/٣٦)

* فقمتُ بالأمر حين فَشِلُوا، وتطلّعتُ حين تقبّعوا، ونطقتُ حين تَعْتَعُوا، ومضيتُ بنور الله حين وقفوا، وكنت أخْفَضُهُم صوتاً، وأعلاهم فوتاً، فطرتُ بعِنانِها، واستبددتُ برهانها، كالجبل لا تحرّكه القواصف، ولا تُزيله العواصف، لم يكن لأحدٍ فيّ مَهْمَز، ولا لقائلٍ فيَّ مَغْمَز، الذّليل عندي عزيز حتّى آخذ الحقّ له، والقويّ عندي ضعيف حتّى آخذ الحقّ منه، رضينا عن الله قضاءه، وسَلّمنا لله أمره (ك/٣٧).

* أيّها النّاس، فإنّي فَقَأتُ عين الفتنة، ولم يكن ليجترىء عليها أحدٌ غيري (خ/٩٣).

* غداً ترون أيّامي، و يُكْشَف لكم عن سرائري، وتعرفونني بعد خلوّ مكاني، وقيام غيري مقامي (خ/١٤٩).

* وإنّي لعالم بما يصلحكم، و يقيم أودكم، ولكنّي لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي (ك/٦٩).

(٥٦٦) ٨ ــ الامام عليه السّلام مرصودٌ ومأمورٌ مِنْ قِبَل النبيّ (ص) لمواجهة الفتنة وفضحها:

* (قد قام إليه رجل ــ وهو يخطب ــ فقال: ياأمير المؤمنين: أخبرنا عن الفتنة، وهل

سألت رسول الله (ص) عنها ؟ فقال عليه السّلام) :

إنّه لمّا أنزل الله سبحانه قوله : « لم . أَحَسِبَ النّاس أنْ يُترَكُوا أن يقولوا آمنّا وَهُم لا يُفْتَنون » علمتُ أنّ الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله (ص) بين أظْهُرنا . فقلت : يارسول الله ما هٰذه الفتنة الّتي أخبرك الله تعالى بها ؟ فقال : « ياعليّ ، إنّ أمّتي سَيُفْتَنون من بعدي » فقلت : يارسول الله ، أوَ لَيْسَ قد قُلْتَ لي يَوْمَ أُحُد حيث استُشْهِدَ مَن استُشْهِدَ من المسلمين وحِيْزَت عنّي الشَّهادة ، فَشَقَّ ذلك عَلي ، فقلتَ لي : « أَبْشِرْ، فإنّ الشّهادة من ورائك » فقال لي : « إنّ ذلك لكذلك ، فكيف صَبْرُك إذَن ؟ » فقلت : يارسول الله : ليس هٰذا من مواطن الصّبر، ولكن من مواطن البُشرى والشّكر. وقال : « ياعليّ ، إنّ القوم سيُفْتَنون بأموالهم ، و يَمُنّون بدينهم على ربّهم ، و يتمنّون رحمته ، و يأمنون سطوته ، و يستحلّون حرامه بالشُّبُهات الكاذبة ، والأهواء السّاهية ، فيستحلّون الخمر بالنّبيذ ، والسُّحْتَ بالهديّة ، والرّبا بالبيع » قلت : يارسول الله ، فبأيّ المنازل أُنْزِلُهُم عند ذلك ؟ أبمنزلة رِدَّةٍ أم بمنزلة فتنة ؟ فقال : « بمنزلة فِتْنَة » (خ/١٥٦).

« الفتنـة الكبـرى »

سادساً : « أسباب إنتصار الفتنة مادّيّاً على الإمام »

(٥٦٧) ١ ــ تظاهر أقطاب الفتنة بالإسلام واستخدامهم للغدر والمكر في محاربة الإمام(ع) :

* (إلى معاوية) : أمّا بعد ، فقد أتاني كتابُك تذكر فيه اصطفاء الله محمّداً(ص) عليه وآله لدينه ، وتأييده إيّاه بمن أيّدَهُ من أصحابه ، فلقد خبّأَ لنا الدّهر منك عجباً ، إذ طفِقْتَ تُخْبِرُنا ببلاء الله تعالى عندنا ، ونعمته علينا في نبيّنا ... وزعمتَ أنّ أفضل النّاس في الإسلام فلانٌ وفلان ... (ر/٢٨).

* (إلى معاوية) : وقد دعوتَنا إلى حكم القرآن ولستَ من أهله ، ولسنا إيّاك أجَبْنا ، ولكنّا أجبنا القرآن في حكمه (ر/٤٨).

* فعدوتَ (معاوية) على الدّنيا بتأويل القرآن (ر/٥٥).

* فما أبعد قولك (معاوية) من فعلك (ر/٦٤).

* ألـم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلةً وغيلةً ، ومكراً وخديعةً : إخواننا وأهل دعوتنا ، استقالونا واستراحوا إلى كتاب الله سبحانه ، فالرّأي القبول منهم والتّنفيس عنهم ؟ فقلتُ لكم : هٰذا أمرٌ ظاهره إيمان ، وباطنه عُدوان ، وأوّله رحمة ، وآخره ندامة (ك/١٢٢).

* وقال(ع) لما سمع قول الخوارج : « لا حكم إلاّ لله » : كلمة حقٍّ يُراد بها باطل (ح/١٩٨).

* والله مامعاوية بأدهى منّي ، ولكنّه يغدر ويفجر ، ولولا كراهية الغدر لكنتُ من

أدهى النّاس ، ولكن كلّ غُدَرَةٍ فُجَرَة ، وكلّ فُجَرَة كفرة ، « ولكلّ غادرٍ لواءٌ يُعَرف به يوم القيامة » (ك/٢٠٠) .

* ولقد أصبحنا في زمانٍ قد اتّخذ أكثر أهله الغدر كَيْساً ،ونَسَبَهُم أهل الجهل فيه إلى حُسْن الحيلة ، مالَهم ، قاتلهم الله ! قد يَرَى الحُوَّل القُلَّبُ وَجْهَ الحيلة ودونها مانعٌ من أمر الله ونهيِهِ ، فَيَدَعُها رأيَ عينٍ بعد القدرةِ عليها ، وينتهِزُ فرْصَتَها مَنْ لا حريجَةَ له في الدّين (خ/٤١) .

* وأمّا بنو عبد شمس فَأَبْعَدُها رأياً ، وأَمْنَعُها لِما وراء ظهورها ، وأمّا نحن فَأَبْذَلُ لِما في أيدينا ، وأَسْمَحُ عند الموت بنفوسنا ، وهم أكثر وأمكر وأنكر ، ونحن أفصح وأنصح وأصبح (ح/١٢٠) .

* وإنّي لَعالِمٌ بما يُصْلِحُكُم ، ويقيم أَوَدَكُم ، ولكنّي لا أرى إصلاحَكُم بإفساد نفسي (ك/٦٩) .

* (إلى معاوية) : وإنّ البغي والزّور يوتِغان المرء في دينه ودنياه ، ويُبديان خلله عند من يعيبُه (ر/٤٨) .

* (إلى زياد بن أبيه ، وقد بلغه أنّ معاوية كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه) : وقد عرفتُ أنّ معاوية كَتَبَ إليك يستزلّ لبّك ، ويستفلّ غربَكَ ، فاحذره ، فإنّما هو الشّيطان ... (ر/٤٤) .

(٥٦٨) ٢ ــ تخاذل جيش الامام وعدم طاعته على الحقّ :

أ ــ الامام يصنّف جيشه المتخاذل إلى ثلاثة أصناف :

* (إلى عبد الله بن العبّاس ، بعد مقتل محمد بن أبي بكر) :

وقد كنتُ حثثتُ النّاس على لحاقه ، وأمرتهم بغِياثِهِ قبل الوقعة ، ودعوتهم سرّاً وجَهْراً ، وعَوْداً وبَدْءاً ، فمنهم الآتي كارهاً ، ومنهم المعتلّ كاذباً ، ومنهم القاعد خاذلاً (ر/٣٥) .

الصّنف الأول : الآتي كارهاً :

* دعوتُكم إلى نصر إخوانكم فجرجرتم جرجرة الجمل الأَسَرّ ، وتثاقلتم تثاقل النّضو الأدبر ، ثم خرج إليّ منكم جُنَيْدٌ متذائبٌ ضعيف « كأنّما يساقون إلى الموت وهم

ينظرون » (خ/٣٩) .

* إذا دعوتُكم إلى جهاد عدوّكم دارت أعينكم ، كأنّكم من الموت في غمرة ، ومن الذّهول في سكرة ، يُرتَج عليكم حواري فتعمهون ، وكأنّ قلوبكم مألوسة ، فأنتم لا تعقلون (خ/٣٤) .

الصّنف الثاني : المعتلّ كاذباً :

* فإذا أمَرتُكم بالسّير إليهم في أيّام الحرّ قُلْتُم : هٰذه حَمارّة القيظ ، أمْهِلْنا يُسَبَّخ عنّا الحرّ ، وإذا أمرتُكُم بالسّير إليهم في الشّتاء قلتم : هٰذه صَبّارة القُرّ ، أمْهِلْنا ينسلخ عنّا البرد ؛ كلّ هذا فراراً من الحرّ والقُرّ ، فإذا كنتم من الحرّ والقُرّ تفرّون ؛ فأنتم والله من السّيف أفرّ (خ/٢٧) .

* أعاليل بأضاليل ، وسألتموني التّطويل ، دِفاعَ ذي الدَّين المطول (خ/٢٩) .

* (وقد جمع النّاس وحضّهم علىٰ الجهاد فسكتوا مليّاً فقال عليه السّلام) :

ما بالكم أمُخْرَسون أنتم ؟ فقال قوم منهم : ياأمير المؤمنين ، إن سرتَ سِرنا معك ، فقال عليه السلام :

ما بالكم ! لا سُددتم لِرُشدٍ ! ولا هُدِيتُم لِقَصْد ... طعّانين عيّابين ، حَيّادين روّاغين (ك/١١٩) .

الصّنف الثّالث : القاعد متخاذلاً :

* كلّما أطَلّ عليكم مَنسِرٌ من مناسر أهل الشّام أغلق كلّ رجلٍ منكم بابه ، وانجَحَر انجحار الضَّبّة في جُحْرها ، والضَّبعُ في وِجارها (ك/٦٩) .

* أحمد الله على ما قضى من أمرٍ ، وقَدّرَ من فعل ، وعلى ابتلائي بكم أيّتها الفرقة الّتي إذا أمَرْتُ لم تُطِعْ ، وإذا دعوتُ لم تُجِب ، إن اُمْهِلْتُم خُضْتُم ... وإن اُجِئتُم إلى مُشاقّةٍ نَكَصْتُم (خ/١٨٠) .

* استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا ، وأسمعتكم فلم تسمعوا ، ودعوتكم سرّاً وجهراً فلم تستجيبوا (خ/٩٧) .

* مُنِيتُ بمن لا يُطيع إذا أمَرْتُ ، ولا يُجيب إذا دعوتُ ... أقوم فيكم مستصرخاً ، وأناديكم متغوّثاً ، فلا تسمعون لي قولاً ، ولا تطيعون لي أمراً (خ/٣٩) .

* وأفْسَدتم عليّ رأيي بالعصيان والخِذْلان (خ/٢٧).

* أيّها النّاس، المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم، كلامكم يُوهي الصُّمَّ الصِّلاب، وفعلكم يُطْمِعُ فيكم الأعداء! تقولون في المجالس: كيتَ وكيت، فإذا جاء القتال قلتم: حيدي حَياد (خ/٢٩).

* ألا وإنّي قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، وسرّاً وإعلاناً، وقلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غُزِيَ قومٌ قطّ في عُقر دارهم إلاّ ذُلّوا، فتواكلتم وتخاذلتم حتّى شُنّت عليكم الغارات، ومُلِكَت عليكم الأوطان (خ/٢٧).

* أما والّذي نفسي بيده، لَيَظهَرَنّ هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنّهم أَوْلى بالحقّ منكم، ولكن لاسراعهم إلى باطل صاحبهم، وإبطائكم عن حقّي (خ/٩٧).

* إنّكم ـ والله ـ لكثيرٌ في الباحات، قليلٌ تحت الرّايات (ك/٦٩).

ب ـ أسباب التّخاذل:

(٥٦٩) ١ ـ عدم غيرتهم على الإسلام وعلى نواميسهم:

* لا أبالكم! ما تنتظرون بنصركم ربّكم؟ أما دينٌ يجمعكم، ولا حميّة تَحْمِشكم (خ/٣٩).

* لله أنتم، أما دين يجمعكم! ولا حمية تشحذكم (خ/١٨٠).

* فمكّنتم الظَّلَمة من منزلتكم، وألقيتم إليهم أزمّتكم، وأسلمتم أمور الله في أيديهم، يعملون بالشُّبُهات، و يسيرون في الشَّهَوات (خ/١٠٦).

* وصار دين أحدكم لُعْقَةً على لسانه (خ/١١٣).

* لا تأخذون حقّاً، ولا تمنعون ضيماً (خ/١٢٣).

* والله إنّ امرءاً يمكّن عدوّه من نفسه... ضعيفٌ ما ضُمَّت عليه جوانح صدره (خ/٣٤).

* ولقد بَلَغني أنّ الرّجل منهم (جند معاوية) كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المُعاهِدة، فينتزع حِجْلَها وقُلْبَها، وقلائدَها ورُعُثَها، ما تمتنع منه إلاّ بالاسترجاع والاسترحام... فلو أنّ امرءاً مسلماً مات من بعد هٰذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان به عندي جديراً... فقُبحاً لكم وتَرَحاً، حين صرتم غَرَضاً يُرمىٰ: يُغار عليكم ولا تُغيرون،

وتُغْزَون ولا تَغْزون ، و يُعصَى الله وتَرْضَوْن ! (خ/٢٧) .

* وتَنْتَقَص أطرافكم فلا تمتعضون (خ/٣٤) .

* أيّ دارٍ بعد داركم تمنعون (خ/٢٩) .

(٥٧٠) ٢ ــ الرّكون إلى الدّنيا :

* (إلى أبي موسى الأشعري) : فإنّ النّاس قد تغيرّ كثيرٌ منهم عن كثيرٍ من حظّهم ، فمالوا مع الدّنيا ، ونطقوا بالهوى (ر/٧٨) .

* مالي أراكم عن الله ذاهبين ، وإلى غيره راغبين ! كأنّكم نَعمٌ أراح بها سائمٌ إلى مرعىً و بيّ ، ومشربٍ دَوِيّ ، وإنّما هي كالمعلوفة للمُدى ، لا تعرف ماذا يُراد بها ! إذا أُحْسِنَ إليها تَحْسَبُ يومَها دهرها ، وشبعها أمرها (خ/١٧٥) .

* ما بالكم تفرحون باليسير من الدّنيا تدركونه ، ولا يحزنكم الكثير من الآخرة تُحرَمونه ! و يقلقكم اليسير من الدّنيا يفوتكم حتّى يتبيّن ذلك في وجوهكم ، وقلّة صبركم عمّا زُوِيَ منها عنكم ! كأنّها دار مقامكم ، وكأنّ متاعها باقٍ عليكم ... قد تصافَيْتُم على رفض الآجل ، وحبّ العاجل (خ/١١٣) .

* (وقال عليه السّلام في رجالٍ التحقوا بمعاو ية) : وإنّما هم أهل دنيا مُقبلون عليها ، ومُهطِعون إليها ، وقد عَرِفوا العدل ورأوه ، وسَمِعُوه وَوَعْوهُ ، وعلموا أنّ النّاس عندنا في الحقّ أسوة ، فَهَرَبُوا إلى الأَثَرَة ، فبُعداً لهم وسُحْقاً (ر/٧٠) .

(٥٧١) ٣ ــ إنهاك الحرب لهم وعدم صمودهم في القتال إلى النّهاية ونصيحة الإمام لهم في هذا المجال :

* أيّها النّاس ، إنّه لم يزل أمري معكم على ما أحبّ ، حتّى نهتككم الحرب ، وقد ، والله ، أخذت منكم وتركت ، وهي لعدوّكم أنهك (ك/٢٠٨) .

* فلقد كنّا مع رسول الله (ص) وإنّ القتل لَيَدور على الآباء والأ بناء والاخوان والقرابات ، فما نزداد على كل مصيبةٍ وشدّةٍ إلاّ إيماناً ، ومُضِيّاً على الحقّ ، وتسليماً للأمر ، وصبراً على مضض الجراح (ك/١٢٢) .

* ولقد كنّا مع رسول الله (ص) نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا : ما يزيدنا ذلك إلاّ إيماناً وتسليماً ، ومُضِيّاً على اللَّقَم ، وصبراً على مضض الألم ، وجِدّاً في جهاد العدوّ ؛ ولقد كان الرّجل منّا والآخر من عدوّنا يتصاولان تصاول الفَحْلَين ، يتخالسان أنفسهما : أيّهما يَسْقي صاحبَه كأس المَنون ، فمرّةً لنا من عدُوّنا ، ومرّةً لعدوّنا منّا ، فلمّا رأى الله صدقَنا أنزل بعدوّنا الكبت ، وأنزل علينا النصر ، حتّى استقرّ الاسلام مُلْقِياً جرانَه ومتبوّئاً أوطانه ، ولَعَمري لو كنّا نأتي ما أتيتم ، ما قام للدّين عمود ، ولا اخضرّ للايمان عود (ك/٥٦) .

* وإن حور بتم خُرتُم (خ/١٨٠) .

* أمّا بعد ياأهل العراق ، فإنّما أنتم كالمرأة الحامل ، حملت فلمّا أتمّت أملصت ومات قيّمها ، وطال تأيّمها ، وورثها أبعدها (خ/٧١) .

(٥٧٢) ٤ ـ التّفرقة في صفوفهم ونصيحة الامام لهم في هٰذا المضمار:

* وإنّي والله لأظُنّ أنّ هؤلاء القوم سَيُدالون منكم باجتماعهم على باطلهم ، وتفرّقكم عن حقّكم ، و . . .(خ/٢٥) .

* إنّه لا غناء في كثرة عددكم مع قلّة اجتماع قلوبكم (ك/١١٩) .

* فياعجباً ! عجباً ـ والله ـ يميت القلب ويجلب الهمّ من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم ، وتفرّقكم عن حقّكم (خ/٢٧) .

* أيّها النّاس ، المجتمعة أبدانهم ، المختلفة أهواؤُهم (خ/٢٩) .

* تَرِبَت أيديكَم ! ياأشباه الإبل غاب عنها رُعاتها ! كلّما جُمِعَت من جانب تفرّقت من آخر(خ/٩٧) .

* وما أنتم برُكنٍ يُمال بكم ، ولا زوافر عزٍّ يُفْتَقَر إليكم ، ما أنتم إلاّ كإبلٍ ضلّ رُعاتها ، فكلّما جُمِعَت من جانب انتشرت من آخر(خ/٣٤) .

* كم أداريكم كما تُدارى البكارُ العَمِدَة ، والثّياب المتداعية ! كلّما حيصَت من جانبٍ تهتّكت من آخر(ك/٦٩) .

* وأحثّكم على جهاد أهل البغي فما آتي على آخر قولي حتّى أراكم متفرّقين أيادي سَبا (خ/٩٧) .

* لله أنتم ! أما دينٌ يجمعكم ! ولا حميّة تشحذكم ! أو ليس عجباً أنّ معاوية يدعو الجفاة الطّغام فيتّبعونه على غير معونة ولا عطاء ، وأنا أدعوكم ــ وأنتم تريكة الاسلام ، و بقيّة النّاس ــ إلى المعونة أو طائفةٍ من العطاء ، فتفرّقون عنيّ وتختلفون عليّ ؟ إنّه لا يخرج إليكم من أمري رِضىً فترضونه ، ولا سُخْطٌ فتجتمعون عليه (خ/١٨٠) .

* هٰذا جزاء من ترك العقدة ... إنّ الشّيطان يُسَنّي لكم طُرُقه ، و يريد أن يَحُلّ دينكم عُقدَة عقدة ، و يعطيكم بالجماعة الفُرقة ، و بالفُرقة الفتنة ، فاصدِفوا عن نزغاته ونفثاته ، واقبلوا النّصيحة ممّن أهداها إليهم ، واعقلوها على أنفسكم (خ/١٢١) .

* ألا وإنّكم قد نفضتم أيديكم من حبل الطّاعة ، وثَلَمْتُم حِصن الله المضروب عليكم بأحكام الجاهليّة ، فإنّ الله سبحانه قد امتنّ على جماعة هٰذه الأمّة فيما عَقَدَ بينهم من حبل هٰذه الأُلْفَة الّتي ينتقلون في ظلّها ، و يأوون إلى كَنَفِها ، بنعمةٍ لا يعرف أحدٌ من المخلوقين لها قيمة ، لأنّها أرجح من كلّ ثمن ، وأجلّ من كلّ خطر ، واعلموا أنّكم صرتم بعد الهجرة أعراباً ، و بعد الموالاة أحزاباً ، ما تتعلّقون من الاسلام إلاّ باسمه ، ولا تعرفون من الايمان إلاّ رسمه ، تقولون : النّار ولا العار ! كأنّكم تريدون أن تُكفئوا الاسلام على وجهه انتهاكاً لِحَريمِه ، ونقضاً لميثاقه الّذي وضعه الله لكم حَرَماً في أرضه ، وأمناً بين خلقه (خ/١٩٢) .

(٥٧٣) ٥ ــ تسرّب الشّكوك إلى صفوف الجيش وبثّ الإشاعات الباطلة حول الامام :

* ولقد بَلَغني أنّكم تقولون : عَليّ يكذب ، قاتلكم الله تعالى ! فَعَلى من أكذب ؟ أعلى الله ؟ فأنا أوّل مَنْ آمَنَ به ! أم على نبيّه ؟ فأنا أوّل من صَدَّقه ! كلاّ والله ، لكنّها لهجةٌ غِبْتُم عنها ، ولم تكونوا من أهلها (خ/٧١) .

* فَوَ الّذي لا إلٰهَ إلاّ هو إنّي لَعَلى جادّة الحقّ ، وإنّهم لَعَلى مزلّة الباطل (ك/١٩٧) .

* وإنّي لَعَلى بيّنةٍ من ربّي ، ومنهاجٍ من نبيّي ، وإنّي لَعَلَى الطّريق الواضح أَلْقُطُهُ لَقْطاً (ر/٤٥) .

* وإنّي لَعَلى يقينٍ من ربّي ، وغير شبهةٍ من ديني (خ/٢٢) .

* ما استبدلتُ ديناً ، ولا استحدثتُ نبياً ، وإنّي لَعَلَى المنهاج الّذي تركتموه طائعين ، ودخلتم فيه مُكْرَهين (ر/١٠) .

* فإن أبَيْتُم إلاّ أن تزعموا أنّي أخطأت وضَلَلْتُ ، فَلِمَ تُضَلّلون عامّة أمة محمد (ص) بضلالي ، وتأخذونهم بخطىء (ك/١٢٧) .

* (وقيل : إن الحارث بن حوط أتاه فقال : أتراني أظنّ أصحاب الجمل كانوا على ضلالة ؟) فقال عليه السّلام :

ياحارث ، إنّك نظرتَ تحتك ولم تنظر فوقك فَحِرْتَ ! إنّك لم تعرف الحقّ فتعرف مَن أتاه ، ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه (ح/٢٦٢) .

* أوَ لم يَنْهَ بني أميّة عِلمها بي عن قرفي ، أوَ ما وَزَعَ الجُهّال سابقتي عن تهمتي ! ولَما وَعَظَهُمُ الله به أبلغ من لساني ، أنا حجيج المارقين ، وخصيم النّاكثين المرتابين ، وعلى كتاب الله تُعْرَض الأمثال ، وبما في الصّدور تجازى العباد (ك/٧٥) .

* عَجَباً لابن النّابغة ! يَزْعُمُ لأهل الشّام أنّ فيّ دُعابَة ، وأنّي امرُؤٌ تِلعابة : أُعافس وأمارس ! لقد قال باطلاً ، ونطق آثماً ، أما ـ وشرّ القول الكذب ـ إنّه لَيقول فيكذب ، ... أما والله إنّي لَيَمْنَعُني من اللّعب ذِكْرُ الموت ، وإنّه لَيَمْنَعُهُ من قول الحقّ نسيان الآخرة (خ/٨٤) .

* (إلى أبي موسى الأشعري) ... وإنّي لأعْبَدُ أن يقول قائلٌ بباطل ، وأن اُفْسِدَ أمراً قد أصلحه الله ، فَدَعْ مالا تعرف ، فإنّ شرار النّاس طائرون إليك بأقاويل السّوء ، والسّلام (ر/٧٨) .

(٥٧٤) ج ـ الامام تصيبه خيبة أمل من جيشه فيقوم بتقريعهم وتوبيخهم ويدعو عليهم :

* ما عَزّت دعوة من دعاكم ، ولا استراح قلب من قاساكم (خ/٢٩) .

* المغرور والله مَن غررتموه ، ومن فاز بكم فقد فاز ـ والله ـ بالسّهم الأَخْيَب ، ومَن رَمى بكم فقد رَمى بأفوق ناصل ، أصبحتُ والله لا اُصَدِّق قولكم ، ولا أطمع في نصركم ، ولا أوعد العدوّ بكم (خ/٢٩) .

* فما يُدرَك بكم ثار ، ولا يبلغ بكم مرام (خ/٣٩) .

* فلو ائتمنتُ أحَدَكُم على قَعْبٍ لخشيتُ أن يذهَبَ بعِلاقته (خ/٢٥) .

* ما أنتم لي بثقةٍ سجيس اللّيالي ، وما أنتم بركنٍ يُمالُ بكم ، ولا زوافر عزٍّ يفْتَقَرُ

إليكم (خ/٣٤).

* أُقَوِّمكم غُدْوَةً، وترجعون إليّ ــ عشيّةً ــ كظهر الحَنِيَّة، عَجَزَ المُقَوِّم، وأَعْضَلَ المُقَوَّم (خ/٩٧).

* أريد أن أُداوي بكم وأنتم دائي، كناقش الشّوكة بالشّوكة، وهو يعلم أنّ ضَلْعَها معها! اللّهم قد ملّت أطبّاء هذا الدّاء الدّوِيّ، وكَلّت النّزعة بأشطان الرّكيّ! (خ/١٢١).

* هيهات أن أطلعَ بكم سِرار العدل، أو أقيم اعوجاج الحقّ (ك/١٣١).

* أيّها النّاس، إنّي قد بثثتُ لكم المواعظ الّتي وعظ الأنبياء بها أُمَمَهُم، وأدّيتُ إليكم ما أدّت الأوصياء إلى مَن بَعْدَهم، وأدّبتُكم بسَوْطي فلم تستقيموا، وحَدَوتُكم بالزّواجر فلم تستوسِقوا لله أنتم، أتتوقّعون إماماً غيري يَطَأبكم الطّريق، و يرشدكم السّبيل (خ/١٨٢).

* فقُبْحاً لكم وَتَرَحاً، ... فإذا كنتم من الحرّ والقُرّ تفرّون؛ فأنتم ــ والله ــ من السّيف أفرّ! ياأشباه الرّجال ولا رجال! حُلوم الأطفال، وعُقول ربّات الحِجال، لَوَدِدْتُ أنّي لم أركم ولم أعرفكم معرفةً ــ والله ــ جَرّت ندماً، وأعقبت سَدَماً. قاتلكم الله! لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً، وجرّعتموني نُغَبَ التّهمام أنفاساً (خ/٢٧).

* أفٍّ لكم! لقد سئمتُ عتابَكُم (خ/٣٤).

* أضرَع الله خدودكم، وأتْعَسَ جُدودكم! لا تعرفون الحقّ كمعرفتكم الباطل، ولا تُبطلون الباطل كإبطالكم الحقّ! (ك/٦٩).

* ياأهل الكوفة، منيتُ منكم بثلاثٍ واثنتين: صُمٌّ ذوو أسماع، و بُكْمٌ ذوو كلاَم، وعُميٌ ذوو أبصار، لا أحرار صدقٍ عند اللّقاء، ولا إخوان ثقةٍ عند البلاء! تَرِبَت أيديكم ... والله لَكَأنّي بكم فيما إخالكم: أنْ لو حَمِسَ الوَغى، وحَمِيَ الضِّراب، قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج المرأة عن قُبُلِها (خ/٩٧).

* مالي أراكم أشباحاً بلا أرواح، وأرواحاً بلا أشباح، ونُسّاكاً بلا صلاح، وتُجّاراً بلا أرباح، وأيقاظاً نُوَّماً، وشهوداً غُيَّباً، وناظرةً عمياء، وسامعةً صمّاء، وناطقةً بكماء! (خ/١٠٨).

* لا أبا لغيركم! ما تنتظرون بنصركم والجهاد على حقّكم؟ الموت أو الذلّ لكم؟

فوالله لئن جاء يومي ــ وَلَيَأتِيَنّي ــ لَيُفَرِّقَنّ بيني و بينكم ، وأنا لصحبتكم قالٍ ، و بكم غير كثير(خ/١٨٠) .

* (قالها لسعد بن أبي وقّاص ومحمد بن مسلمة وعبد الله بن عمر لمّا امتنعوا من الخروج معه لحرب أصحاب الجمل) ما كلّ مفتونٍ يُعاتَب (ح/١٥) .

* وإنّ أحبّ ما أنا لاقٍ إليّ الموت !(خ/١٨٠) .

* اللّهم إنّي قد مَلِلْتُهم ومَلّوني ، وسئمتُهم وسئموني ، فأبدِلْني بهم خيراً منهم ، وأبدلهم بي شرّاً منّي ، اللّهم مِثْ قلوبَهم كما يُماثُ الملح في الماء (خ/٢٥) .

* وَلَوَدِدْتُ أنّ الله فَرّقَ بيني و بينكم ، وألحقني بمن هو أحقّ بي منكم ... أما والله لَيُسَلَّطَنّ عليكم غلام ثقيف الذّيّال الميّال ؛ يأكل خَضِرَتَكُم ، و يُذيبُ شَحْمَتَكُمْ ، إيهٍ أبا وَذَحَة !(خ/١١٦) .

* أسأل الله تعالى أن يجعل لي منهم فرجاً عاجلاً ؛ فوالله لولا طَمَعي عند لقائي عدوّي في الشّهادة ، وتوطيني نفسي على المنيّة ، لأحببتُ ألّا ألقى مع هؤلاء يوماً واحداً ، ولا ألتقي بهم أبداً (ر/٣٥) .

* اللّهم أيُّما عبدٍ من عبادك سمع مقالتنا العادلة غير الجائرة ، والمصلحة غير المُفسِدَة في الدّين والدّنيا ، فأبى بعد سمعه لها إلّا النّكوص عن نصرتك ، والابطاء عن إعزاز دينك ، فإنّا نستشهدك عليه ياأكبر الشّاهدين شهادةً ، ونستشهد عليه جميع ما أسكنتَه أرضك وسماواتك ، ثمّ أنت بَعدُ المُغني عن نصره ، والآخذ له بذنبه (خ/٢١٢) .

* مَلَكَتْني عيني وأنا جالس ، فَسَنَح لي رسول الله (ص) فقلت : يارسول الله ، ماذا لقيتُ من أمّتك من الأَوَد واللَّدَد ؟ فقال : « ادع عليهم » فقلت : أَبْدَلني الله خيراً منهم ، وأَبْدَلَهُم بي شَرّاً لهمْ منّي (ك/٧٠) .

(٥٧٥) ٣ ــ مقتل الامام(ع) فقد هَزَمَ الامام النّاكثين والمارقين ولم يبق سوى بضعة فلول من جيش معاوية ، فأعدّ الامام جيشاً كبيراً لذلك ولكنّه قُتِلَ عشيّة اليوم المقرّر لقتالهم :

* فأمّا النّاكثون فقد قاتلتُ ، وأمّا القاسطون فقد جاهدتُ ، وأمّا المارقة فقد دوّختُ ، وأمّا شيطان الرّدهة فقد كُفِيتُهُ بصعقةٍ سُمِعَت لها وَجْبَةُ قلبه ورجّةُ صَدْرِهِ ، و بَقِيَتْ بقيّةٌ من

أهل البغي، ولئن أَذِن الله في الكرّة عليهم لأُديلَنّ منهم إلّا ما يتشذّر في أطراف البلاد تَشَذُّراً ! (خ/١٩٢).

* إنّ بني أميّة لَيُفَوّقونني تراث محمّد (ص) تفويقاً، والله لئن بقيتُ لهم لأَنْفُضَنَّهم نَفْضَ اللّحّام الوِذامَ التَّرِبَة (ك/٧٧).

* لو قد استوت قدماي من هٰذه المداحض لغيّرتُ أشياء (ح/٢٧٢).

« الفتنة الكبرى »
سابعاً : « مسائل التحكيم »

(٥٧٦) ١ ــ شبهة قبول الإمام للتحكيم بعد رفضه له، وبيان الأسباب التي دفعت الإمام لذلك:

* (قام إليه رجل من أصحابه فقال: نهيتنا عن الحكومة ثمّ أمرتَنا بها، فلم ندر أيّ الأمرين أرشد؟ فصفّق عليه السّلام إحدى يديه على الأخرى ثم قال):

هٰذا جزاء مَنْ تَرَكَ العُقدَة! أما والله لو أنّي حين أَمَرْتُكُم به حملتُكُمْ على المكروه الّذي يجعل الله فيه خيراً، فإن استقمتم هَدَيتُكُم وإن أعوَجَجتُم قوّمتُكُم، وإن أبَيْتُم تداركتُكُم، لكانت الوُثْقى، ولكن بمَن وإلى مَن؟ أريدُ أن أُداوِيَ بكم وأنتم دائي، كناقشِ الشّوكة بالشّوكة، وهو يعلم أنّ ضَلْعَها مَعَها! (خ/١٢١).

* أيّها النّاس، إنّه لم يزل أمري مَعَكُم على ما أحِبُّ، حتّى نَهِكَتْكُمُ الحرب، وقد، والله، أخَذَت منكم وتركت، وَهِيَ لعَدُوّكم أنهك، لقد كنتُ أمسِ أميراً، فأصبحتُ اليوم مأموراً، وكنتُ أمسِ ناهياً، فأصبحتُ اليومَ منهيّاً، وقد أحببتُمُ البقاء، وليس لي أن أحْمِلَكُم على ما تكرهون (ك/٢٠٨).

* (للخوارج): ألم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلةً وغيلةً، ومكراً وخديعةً: إخواننا وأهل دعوتنا، استقالونا واستراحوا إلى كتاب الله سبحانه، فالرأي القبول منهم والتنفيس عنهم؟ فقلت لكم: هٰذا أمرٌ ظاهره إيمان، و باطنه عدوان، وأوّله رحمة، وآخره ندامة، فأقيموا على شأنكم، والزموا طريقتكم، وعَضّوا على الجهاد بنواجذكم، ولا تلتفتوا إلى ناعقٍ

نـعـق : إن أُجـيـبَ أضلّ ، وإن تُـرِك ذَلّ ؛ وقـد كـانـت هٰذه الـفـعلة وقد رأيتكم أعطيتموها (ك/١٢٢) .

* وقد كنت نهيتكم عن هٰذه الحكومة ، فأبيتم عليّ إباء المنابذين ، حتّى صرفت رأيي إلى هواكم ... ولم آتِ ــ لا أبالكم ــ بُجراً ، ولا أردتُ لكم ضُرّاً (خ/٣٦) .

* وإنّـي قـد نـزلـت مـن هذا الأمر منزلاً معجباً ، اجتمع به أقوامٌ أعجبتهم أنفسهم ، وأنا أداوي مـنـهـم قـرحـاً أخاف أن يكون عَلَقاً ، وليس رجلٌ ــ فاعلم ــ أحرص على جماعة أمّة محمد (ص) منّي أبتغي بذلك حسن الثّواب (ر/٧٨) .

(٥٧٧) ٢ ــ الإمام (ع) لم يـرفـض الحـكـم بـالقرآن الكريم بل كان من الدّاعين إليه في بـدايـة الأمـر وفي نـهـايـتـه ولـكـن بـشـرطـهـا وشروطها و يؤكّد (ع) أنّ التّحكيم لو كان قد جرى بالأسلوب الصّحيح لحُكِمَ لصالحه :

* ووالله إن جـئـتُـهـا إنّـي لَلـمُـحِـقّ الّـذي يُـتَّـبَـع ؛ وإنّ الـكـتـاب لَمَعي ، ما فارقتُه مذ صحبتُه (ك/١٢٢) .

* فـإذا حُـكِـمَ بـالـصّـدق في كـتـاب الله ، فـنـحـن أحـقّ الـنّـاس به ، وإن حُكِمَ بسُنّة رسول الله (ص) ، فنحن أحقّ النّاس وأولاهم بها (ك/١٢٥) .

* فـإنّـمـا حُـكّـِمَ الحَكَمان ليُحْيِيا ما أحيا القرآن ، و يُميتا ما أمات القرآن ، وإحياؤه الإجتماع عليه ، وإماتته الإفتراق عنه (ك/١٢٧) .

* وكـان بَـدءُ أمرنـا أنّـا التقينا والقوم من أهل الشّام ... فقلنا : تعالَوا نُداوِ ما لا يُدْرَك الـيـوم بـإطـفـاء النّائرة ، وتسكين العامّة حتّى يشتدّ الأمر و يستجمع ، فنقوى على وضع الحقّ مـواضِـعَـه ، فـقـالـوا : بـل نُـداو يه بالمكابرة ! فَأَبَوا حتّى جنحت الحرب وركدت ، ووقدت نـيرانها وحَمِشَت ، فلمّا ضرّستنا وإيّاهم ، ووضَعَت مخالبَها فينا وفيهم ، أجابوا عند ذلك إلى الّذي دعوناهم إليه فأجبناهم إلى ما دَعَوا ، وسارعناهم إلى ما طَلَبوا (ر/٥٨) .

* فـإذا طـمِـعْنا في خصلةٍ ، يلمُّ الله بها شَعَثَنا ، ونتدانى بها إلى البقيّة فيما بيننا ، رغبنا فيها ، وأمسكنا عمّا سواها (ك/١٢٢) .

* ولـمّـا دعـانـا الـقـوم إلى أن نـحـكّم بيننا القرآن لم نكن الفريق المتولّي عن كتاب الله

سبحانه وتعالى ، وقد قال الله سبحانه : « فإن تنازعتم في شيء فردُّوه إلى الله والرّسول » فَرَدُّهُ إلى الله أن نحكم بكتابه ، ورَدّه إلى الرسول أن نأخذ بسُنّته (ك/١٢٥) .

* وأمّا قولكم : لِمَ جَعَلتَ بينك وبينهم أجلاً في التّحكيم ؟ فإنّما فعلتُ ذلك ليتبيّن الجاهل ، ويتثبّت العالم ؛ ولعلّ الله أن يُصْلِحَ في هٰذه الهدنة أمرَ هٰذه الأمّة ، ولا تؤخَذ بأكظامها ، فتعجل عن تبيُّن الحقّ ، وتنقاد لأوّل الغيّ ؛ إنّ أفضل النّاس عند الله من كان العمل بالحقّ أحبّ إليه ــ وإن نَقَصَه وكَرَثه ــ من الباطل وإن جَرَّ إليه فائدةً وزاده ، فأين يُتاه بكم ، ومن أين أُتيتُم !؟ (ك/١٢٥) .

(٥٧٨) ٣ ــ الإمام يرفض أبا موسى الأشعري حَكَماً عنه ، ويقترح عبد الله بن العبّاس بدلاً منه :

* ألا وإنّ القوم اختاروا لأنفسهم أقرب القوم ممّا تُحبّون ، وإنّكم اخترتم لأنفسكم أقرب القوم ممّا تكرهون ، وإنّما عَهْدُكُم بعبد الله بن قيس بالأمس يقول : « إنّها فتنةٌ ، فقطّعوا أوتاركم ، وشِيموا سيوفكم » . فإن كان صادقاً فقد أخطأ بمسيره غير مستكره ، وإن كان كاذباً فقد لَزِمَتْهُ التُّهَمَة ، فادفعوا في صدر عَمْرو بن العاص بعبد الله بن العبّاس ، وخُذوا مَهَلَ الأيّام ، وَحُوطُوا قواصي الإسلام (ك/٢٣٨) .

(٥٧٩) ٤ ــ الإمام ينزل على رأي أصحابه في تعيين أبي موسى الأشعري ويقوم بنصيحتِهِ محاوَلَةً منه عليه السّلام بأن لا يزيغ الأشعريّ عن حكم الحقّ والقرآن الكريم :

* فإنّ النّاس قد تغيّر كثيرٌ منهم عن كثيرٍ من حظّهم ، فمالوا مع الدّنيا ونَطقوا بالهوى ، وإنّي نزلتُ من هٰذا الأمر منزلاً مُعْجِباً ، اجتمع به أقوامٌ أعجبتهم أنفُسُهم ، وأنا أداوي منهم قرحاً أخاف أن يكون عَلَقاً ، وليس رجلٌ ــ فاعلم ــ أحرص على جماعة أمّة محمّد (ص) منّي ، أبتغي بذلك حسن الثّواب ، وكرم المآب ، وسأفي بالّذي وَأَيْتُ على نفسي ، وإن تغيّرتَ عن صالح ما فارقْتَني عليه ، فإنّ الشّقيّ مَن حُرِم نفعَ ما أوتيَ من العقل ، والتّجربة ، وإنّي لأَعْبَدُ أن يقول قائل بباطل ، وأن اُفْسِدَ أمراً قد أصلحه الله ، فدع مالا تعرف (ر/٧٨) .

(٥٨٠) ٥ ـ الإمام يبيّن أسباب خداع وفشل أبي موسى الأشعري في التّحكيم :

* إنّما اجتمع رأي مَلَئِكُم على اختيار رجلين ، أخذْنا عليهما ألاّ يتعدّيا القرآن ، فتاها عنه ، وتَرَكا الحقّ وهُما يُبصِرانه ، وكان الجور هواهما فمضَيا عليه ، وقد سبق استثناؤنا عليهما ــ في الحكومةِ بالعَدْل ، والصَّمْد للحقّ ــ سوء رأيهما ، وجور حكمهما (ك/١٢٧) .

* فَأَجْمَعَ رأي ملأكم على أن اختاروا رَجُلَين ، فأخذنا عليهما أن يُجَعْجِعا عند القرآن ، ولا يُجاوزاه ، وتكون ألسنتُهما معه وقلوبهما تَبَعَه ، فتاها عنه ، وتركا الحقّ وهما يُبصِرانه ، وكان الجور هواهما ، والاعوجاج رأيهما ، وقد سبق استثناؤنا عليهما في الحكم بالعدل والعمل بالحقّ سوء رأيهما وجور حكمهما . والثّقة في أيدينا لأنفُسِنا ، حين خالَفا سبيل الحقّ ، وأتَيا بما لا يُعرَف من معكوس الحكم (ك/١٧٧) .

(٥٨١) ٦ ــ الامام يلوم أصحابه على تفريطهم بنصائحه في التّحكيم بعد أن خُدِعَ أبو موسى الأشعري ، ويدعوهم لمواصلة القتال :

* أمّا بعد ، فإنّ معصية النّاصح الشتفيق العالم المُجَرِّب تُوْرِثُ الحسرة ، وتُعْقِب النّدامة ، وقد كنتُ أمرتُكُمُ في هذه الحكومة أمري ، ونخلتُ لكم مخزون رأيي ، لو كان يُطاع لقصيرٍ أمر ! فأبيتم عَلَيَّ إباء المخالفين الجُفاة ، والمُنابذين العُصاة ، حتّى ارتاب النّاصح بنصحه ، وضنّ الزّند بقدحِه ، فكنتُ أنا وإيّاكم كما قال أخو هوازن :

أمَرْتُكُمُ أمري بِمُنْعَرَجِ اللّوى   فلم تستبينوا النّصح إلاّ ضُحَى الغَدِ (خ/٣٥)

* فأين يُتاه بكم ، ومن أينَ أُتِيتُم ! استعِدُّوا للمسير إلى قومٍ حيارى عن الحقّ لا يبصرونه ، ومُوزَعين بالجور لا يَعْدِلون به ، جُفاةٍ عن الكتاب ، نُكُبٍ عن الطّريق (ك/١٢٥) .

« الفتنة الكبرى »
ثامناً : « الامام يصف الفئات الّتي حاربته »

(٥٨٢) ١ ـ أصحاب الجمل :

* كنتم جُنْدَ المرأة ، وأتباع البهيمة ؛ رَغا فأَجَبْتُم ، وعُقِرَ فَهَرَبْتُم ، أخلاقُكم دِقاق ، وعَهْدُكُم شقاق ، ودينُكُم نفاق ، وماؤُكم زُعاق ، والمقيم بين أظهركم مُرْتَهَنٌ بذَنْبِه ، والشّاخِصُ عنكم متدارَكٌ برحمةٍ من ربّه (ك/١٣) .

* خَفَّت عقولكم ، وسَفِهَت حُلومُكُم ، فأنتم غَرَضٌ لنابلٍ ، وأُكْلَةٌ لآكل ، وفريسةٌ لصائل (ك/١٤) .

* وقد كان من انتشار حبلكم وشقاقكم ما لم تَغْبَوا عنه ، فَعَفَوْتُ عن مجرمكم ، ورفعتُ السّيف عن مُدبِرِكم ، وقبلتُ من مُقْبِلِكُم ، فإن خَطَتْ بكم الأمور المُرْدية ، وسَفَهُ الآراء الجائرة ، إلى منابذتي وخلافي ، فهاأَنَذا قد قرّبت جيادي ، ورَحَلْتُ ركابي ، ولئن ألجأتُمُوني إلى المسير إليكم لأُوقِعَنَّ بكم وقعةً لا يكون يَوْمُ الجمل إليها إلاّ كَلَعْقَةِ لاعق ؛ مَعَ أنّي عارفٌ لِذي الطّاعة منكم فضلَه ، ولِذِي النّصيحة حقَّه ، غيرُ متجاوزٍ مُتَّهَماً إلى بَرِيٍّ ، ولا ناكِثاً إلى وَفِيٍّ (ر/٢٩) .

(٥٨٣) ٢ ـ أهل صفّين :

* ألا وإنّ معاوية قاد لُمَةً من الغُواة ، وعَمَّسَ عليهم الخَبَر ، حتّى جَعَلوا نحورَهُم أغراضَ المنيّة (خ/٥١) .

* جُفاةٌ طُغام، وعبيدٌ أقزام، جُمِعُوا من كُلِّ أوْب، وتُلُقِّطُوا من كُلِّ شَوْب، مِمَّن ينبغي أن يُفَقَّه و يُؤدَّب، و يُعَلَّم و يُدَرَّب، و يُوَلّى عليه، و يُؤخَذُ على يديه، ليسوا من المهاجرين والأنصار، ولا من الّذين تَبَوَّأوا الدّار والايمان (ك/٢٣٨).

* ليظهَرَنّ هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنّهم أوْلى بالحقّ منكم، ولكن لاسراعهم إلى باطل صاحبهم، وإبطائكم عن حقّي ... صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وصاحب أهل الشّام يعصي الله وهم يطيعونه، لَوَدِدْتُ والله أنّ معاوية صارَفَني بكم صرف الدّينار بالدّرهم، فَأَخَذ منّي عَشَرَةً منكم وأعطاني رجلاً منهم! (خ/٩٧).

* وأقْرِب بقومٍ من الجهل بالله قائدهم معاوية، ومؤدّبهم إبن النّابغة (خ/١٨٠).

* ... قومٍ حيارى عن الحقّ لا يبصرونه، وموزَعين بالجور لا يعدلون به جفاةٍ عن الكتاب، نكب عن الطّريق (ك/١٢٥).

* وليس أهل الشام بأحرص على الدّنيا من أهل العراق على الآخرة (ر/١٧).

* (إلى معاوية): وأرديتَ جيلاً من النّاس كثيراً؛ خَدَعْتَهم بغيّك وألْقَيْتَهُمْ في موج بحرِك، تغشاهم الظُّلُمات، وتتلاطم بهم الشُّبُهات، فجازوا عن وِجْهَتِهم، ونكَصُوا على أعقابهم، وتَوَلَّوا على أدبارهم، وعَوَّلوا على أحسابهم، إلاّ مَن فاء من أهل البصائر، فإنّهم فارقوك بعد معرفتك، وهَرَبوا إلى الله من مُوازَرَتك، إذ حَمَلْتَهم على الصّعب، وعَدَلتَ بهم عن القَصْد (ر/٣٢).

* (إلى معاوية أيضاً): فَعَدَوْتَ على الدّنيا بتأويل القرآن، فَطَلَبْتَني بما لم تَجْنِ يدي ولساني، وعَصَيْتَهُ أنتَ وأهلُ الشّام بي، وألّبَ عالِمُكُم جاهِلَكُم، وقائِمُكُمْ قاعِدَكُم (ر/٥٥).

* (إلى سهل بن حنيف الأنصاري، عامله على المدينة): أمّا بعد، فقد بَلَغني أنّ رجالاً ممّن قِبَلَكَ يتسلّلون إلى معاوية، فلا تأسَفْ على ما يفوتُك من عَدَدِهم، و يذهبُ عنكَ من مَدَدِهم، فكفى لهم غَيّاً، ولك منهم شافياً، فِرارُهُمْ من الهُدى والحقّ، وإيضاعُهُم إلى العَمى والجَهْل؛ وإنّما هم أهْلُ دُنْيا مُقْبِلُونَ عليها، ومُهْطِعُون إليها، وقد عَرفوا العدل ورأوْهُ، وسَمِعُوهُ وَوَعَوْهُ، وَعَلِموا أنّ النّاس عندنا في الحقّ أسوة، فَهَرَبوا إلى الأَثَرَةِ، فَبُعْداً لهم وسُحْقاً!!، إنّهم ــ والله ــ لم يَنْفِروا من جورٍ، ولم يَلْحَقُوا بعدل (ر/٧٠).

* (قاله لعَمار بن ياسر، وقد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة كلاماً) : دَعْهُ ياعَمّار، فإنّه لم يأخذ من الدّين إلاّ ما قارَبَه من الدّنيا، وعَلى عمدٍ لَبَسَ على نفسه، ليجعل الشُّبُهات عاذراً لسَقَطاته (ح/٤٠٥).

(٥٨٤) ٣ ـ الخوارج :

* وأنتم معاشر أخِفّاء الهام، سفهاء الأحلام (خ/٣٦).
* لا تقاتِلوا الخوارج بعدي؛ فليس مَنْ طَلَبَ الحقّ فأخطَأهُ، كَمَنْ طَلَبَ الباطل فأدركه (خ/٦١).
* ثمّ أنتم شِرار النّاس، ومَن رَمى به الشّيطان مَرامِيَهُ، وضَرَبَ به تِيهَه (ك/٢١٧).
* إنّ الشّيطان اليوم قد استفَلَّهُمْ، وهو غداً متبَرِّىءٌ منهم، ومُتَخَلٍّ عنهم، فَحَسْبُهُم بخروجهم من الهُدى، وارتكاسهم في الضّلال والعَمى، وصَدّهم عن الحقّ، وجِماحهم في التِّيْه (ك/١٨١).
* (وقد مرّ بقتلى الخوارج يوم النّهروان) : بُؤساً لكم، لقد ضرّكم من غَرّكم، فقيل له : مَن غرّهم ياأمير المؤمنين؟ فقال : الشّيطان المُضِلّ، والأنفس الأمّارة بالسّوء، غَرّتهم بالأمانّي، وفَسَحَت لهم بالمعاصي، وَوَعَدَتْهُمُ الإظهار، فاقتحَمَتْ بهم النّار (ح/٣٢٣).
* (لما قُتِلَ الخوارج فقيل له : ياأمير المؤمنين، هلك القوم بأجمعهم) فقال :

كلاّ والله؛ إنّهم نُطَفٌ في أصلاب الرِّجال، وقراراتِ النّساء، كلّما نَجَمَ منهم قَرْنٌ قُطِعَ، حتّى يكون آخِرُهُم لصوصاً سَلاّبين (خ/٦٠).

* (قاله للبرج بن مسهر الطّائيّ، وقد قال له بحيث يسمعه : «لا حكم إلاّ لله») : أُسْكُت قَبَحَك الله ياأثرم، فَوَ الله لقد ظهر الحقّ فكنتَ فيه ضئيلاً شَخْصُك، خفيّاً صوتُك، حتّى إذا نَعَرَ الباطل نجمتَ نجوم قرن الماعز (ك/١٨٤).

(٥٨٥) الإمام(ع) يناقش الخوارج في شبهاتهم واعتقاداتهم وأحكامهم الأخرى :

* (لما سمع قولهم : «لا حكم إلاّ لله»، قال عليه السّلام) : كلمةُ حقٍ يُراد بها باطل! نعم إنّه لا حكم إلاّ لله، ولكنّ هؤلاء يقولون : لا إمرة إلاّ لله، وإنّه لا بُدّ للنّاس من

أميرٍ برٍّ أو فاجرٍ يعمل في إمرته المؤمن، و يستمتع فيها الكافر، و يبلّغ الله فيها الأجل، و يُجْمَعُ به الفَيء، و يُقاتَل به العدوّ، وتأمَنُ به السُّبُل، و يؤخَذُ به للضعيف من القويّ؛ حتّى يستريح بَرٌّ، و يُستَراح من فاجر (ك/٤٠).

* (وكلّمهم حين اعتزلوا الحكومة وتنادَوا: أن لا حكم إلاّ لله): أصابكم حاصبٌ ولا بَقِيَ منكم آثِر، أبَعْدَ إيماني بالله، وجهادي مع رسول الله (ص) أشهد على نفسي بالكفر! «لقد ضَلَلْتُ إذاً وما أنا من المهتدين!» فأُبُوا شَرَّ مآب، وارجِعوا على أثر الأعقاب (ك/٥٨).

* (للخوارج): فإن أبَيْتُم إلاّ أن تَزْعُمُوا أنّي أخْطأتُ وضَلَلْتُ، فَلِمَ تُضَلِّلون عامّةَ أمّة محمّدٍ (ص) بضلالي، وتأخذونهم بخطإي، وتكفّرونَهم بذنوبي! سيوفُكم على عواتقكم تضعونها مواضِعَ البُرْءِ والسُّقم، وتَخْلِطون مَن أذنَبَ بمن لم يُذنِب، وقد عَلِمْتُم إنّ رسول الله (ص) رَجَمَ الزّانيَ المُحْصَن، ثمّ صَلّى عليه، ثمّ وَرّثَهُ أهله؛ وقَتَلَ القاتل وَوَرَّثَ ميراثه أهْلَه، وقطع السّارق وجَلَدَ الزّانيَ غيرَ المُحْصَن، ثُمَّ قَسَمَ عليهما من الفيء، ونكَحا المسلمات؛ فَأَخَذَهم رسول الله (ص) بذنوبهم، وأقام حقّ الله فيهم، ولم يَمْنَعْهُم سَهْمَهم من الاسلام، ولم يُخْرِج أسماءَهَم من بين أهله ... ألا مَن دَعا إلى هٰذا الشِّعار فاقتلوه، ولو كان تحت عمامتي هٰذه (ك/١٢٧).

* (وقال عليه السّلام لما سمع قول الخوارج: «لا حكم إلاّ لله»): كلمة حقٍّ يُراد بها باطل (ح/١٩٨).

* (وقال عليه السّلام لعبد الله بن العبّاس، لمّا بعثه للاحتجاج على الخوارج):

لا تُخاصِمْهم بالقرآن، فإنّ القرآن حمّالٌ ذو وجوه، تقول و يقولون، ولكن حاجِجْهم بالسُّنّة، فإنّهم لن يَجِدوا عنها محيصاً (وص/٧٧).

(٥٨٦) ٤ ــ المعتزلون:

* قال عليه السّلام في الّذين اعتزلوا القتال معه:

خَذَلوا الحقّ، ولم ينصرُوُا الباطل (ح/١٨).

* ... فقال الحارث: فإنّي اعتزل مع سعيد بن مالك وعبد الله بن عمر، فقال عليه السّلام: إنّ سعيداً وعبد الله بن عمر لم يَنْصُرا الحقّ، ولم يَخْذُلا الباطل (ح/٢٦٢).

* وإنّما عهدكم بعبد الله بن قيس بالأمس يقول : « إنّها فتنة ، فقطّعوا أوتاركم ، وشِيْموا سيوفكم » . فإن كان صادقاً فقد أخطأ بمسيره غير مستكرَهٍ ، وإن كان كاذباً فقد لَزِمَتْهُ التُّهمة (ك/٢٣٨) .

« الفتنـة الكبـرى »

تـاسعاً : « الامام يتحدّثُ عن ملامح الفتنة عندما تنتصر، وعن مصير أصحابها »

(٥٨٧) ١ ـ سيادة الظّلم على النّاس، بحيث لا يسلم منه الدّاني ولا القاصي :

* أمـا والله، لَيُسَـلَّطَـنَّ عليكم غلام ثقيف الذّيّال الميّال؛ يأكل خَضِرَتَكُمْ، و يُذيبُ شَحْمَتَكُمْ، إِيهٍ أبا وَذَحَة ! (خ/١١٦).

* وأَيْمُ الله لَتَحْتَلِبُنَّها دماً، ولَتُتْبِعُنَّها نَدَماً ! (خ/٥٦).

* أيّهـا الـنّاس، لو لم تتخاذلوا عن نصر الحقّ، ولم تَهِنُوا عن توهين الباطل، لم يطمع فـيكـم مـن لـيـس مـثـلـكـم، ولـم يَـقْوَ مَنْ قَوِيَ عليكم، لكنّكم تهتم متاه بني إسرائيل، ولَعَمْري، لَيُضَعَّفَنَّ لكم التّيه من بعدي أضعافاً بما خلّفتُمُ الحقّ وراء ظهوركم (خ/١٦٦).

* حتّـى يـظنّ الظّانّ أنّ الدّنيا معقولةٌ على بني أميّة، تَمْنَحُهُم دَرَّها، وتُورِدُهُمْ صَفْوَها، ولا يُرْفَعُ عن هٰذه الأمّة سوطُها، ولا سيفُها (ك/٨٧).

* وأَيْمُ الله لَتَجِدُنّ بني أميّة لكم أرباب سوءٍ بعدي، كالنّاب الضّروس : تَعْذِمُ بِفِيهٰا، وتخـبـط بـيَدِها، وتَزْبِن برجلها، وتَمْنَعُ دَرَّها، لا يزالون بكم حتّى لا يتركوا منكم إلاّ نافعاً لهم، أو غير ضائرٍ بهـم. ولا يـزال بلاؤهم عنكم حتّى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلاّ كانتصار العبد من ربّه، والصّاحب من مُسْتَصْحِبِهِ (خ/٩٣).

* فـعـنـد ذلك لا يـبـقـى بـيـتُ مَدَرٍ ولا وَبَـرٍ إلاّ وأَدْخَلَـهُ الـظَّلَمَة تَرْحةً، وأَوْلَجُوا فيه نِقْمَةً (خ/١٥٨).

* أمـا إنّـكـم سـتَـلْـقَـوْنَ بـعدي ذُلّاً شاملاً، وسيفاً قاطعاً، وأَثَرَةً يتّخذها الظّالمون فيكم

سُنَة (ك/٥٨).

* وحتّى لا يبقى بيتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلاّ دَخَلَهُ ظُلْمُهم، ونبابِهِ سوءُ رَعْيِهِمْ، وحتّى يقوم الباكيان يبكيان: باكٍ يبكي لدينه، و باكٍ يبكي لدنياه، وحتّى تكون نصرة أحدكم من أحدهم كنصرة العبد من سيّده، إذا شهد أطاعه، وإذا غاب اغتابه (ك/٩٨).

* فعند ذلك أخذ الباطل مآخِذَهُ... وصال الدهر صيال السَّبُع العقور، وهَدَرَ فنيق الباطل بعد كظوم (خ/١٠٨).

* راية ضلال... تكيلكم بصاعها، وتَخْبِطُكُم بباعها (خ/١٠٨).

* بِمَنْ يسومُهُم خَسْفاً، و يَسوقُهُم عُنْفاً، و يسقيهم بكأسٍ مُصَبَّرَة، لا يُعْطيهم إلاّ السَّيف، ولا يُحْلِسُهم إلاّ الخوف، فعند ذلك تودّ قريش ــ بالدّنيا وما فيها ــ لو يرونني مقاماً واحداً، ولو قَدْرَ جَزْرِ جَزور، لأَقْبَلَ منهم ما أطلب اليوم بَعْضَه فلا يُعْطونيه! (خ/٩٣).

* وتنطق فيها الظَّلَمَة، وتَدُقّ أهل البَدْوِ بِمِسْحَلِها، وتَرُضُّهُمْ بكَلْكَلِها! يضيع في غُبارِها الوُحْدان، و يَهْلِكُ في طريقها الرُّكبان؛ تَرِدُ بِمُرّ القَضاء، وتَحْلُبُ عبيطَ الدّماء... بين قتيلٍ مَطْلُول، وخائف مستجير (خ/١٥١).

(٥٨٨) ٢ ــ تعطيل أحكام الاسلام والانحراف عن مبادئه:

* أيّها النّاس، سيأتي عليكم زمانٌ يُكْفَأُ فيه الاسلام، كما يُكْفَأُ الأناء بما فيه (خ/١٠٣).

* ترد عليكم فتنتُهم (بنو أميّه) شوهاء مخشيّة، وقِطَعاً جاهليّة، ليس فيها منار هُدىً، ولا عَلَمٌ يُرى (خ/٩٣).

* راية ضلالٍ قد قامت على قُطبها، وتفرّقت بشُعَبِها... فعند ذلك أخذ الباطل مآخِذَه، وركب الجهل مراكِبَه، وعَظُمَتِ الطّاغيةُ، وقلّت الدّاعية... ولُبِسَ الاسلامُ لُبْسَ الفَرْوِ مَقْلوباً (خ/١٠٨).

* وإنّه سيأتي عليكم من بعدي زمانٌ ليس فيه شيءٌ أخفى من الحقّ، ولا أظهر من الباطل، ولا أكثر من الكَذِبِ على الله ورسوله؛ وليس عند أهل ذلك الزّمان سلعةٌ أبْوَرُ من الكتاب إذا تُلِيَ حقّ تلاوته، ولا أنفَقَ منه إذا حُرِّفَ عن مواضعه؛ ولا في البلاد شيء أنكر

من المعروف ، ولا أعرف من المنكر ! فقد نَبَذَ الكتابَ حَمَلَتُهُ ، وتناساه حَفَظَتُهُ : فالكتابُ يومئذٍ وأهلُه طريدان منفيّان ، وصاحبان مصطَحَبان في طريقٍ واحد لا يؤو يهما مُؤوٍ ، فالكتاب وأهله في ذلك الزّمان في النّاس وَلَيْسَا فيهم ، ومَعَهُم وليسا معهم ! لأنّ الضّلالة لا تُوافق الهُدى ، وإن اجتمعا ، فاجتمع القوم على الفُرْقَة ، وافترقوا على الجماعة ، كأنّهم أئمّة الكتاب وليس الكتاب إمامهم ، فلمْ يبق عندهم منه إلاّ اسمه ، ولا يعرفون إلاّ خطّه وزَبْرَه (خ/١٤٧) .

* يأتي على النّاس زمانٌ لا يبقى فيهم من القرآن إلاّ رسمه ، ومن الاسلام إلاّ اسمه ، ومساجدهم يومئذٍ عامرةٌ من البناء ، خرابٌ من الهُدى ، سكّانها وعمّارها شرّ أهل الأرض ، منهم تخرج الفتنة ، وإليهم تأوي الخطيئة ، يَرُدُّون مَن شذّ عنها فيها ، و يسوقون مَنْ تأخّر عنها إليها (ح/١١٤) .

* والله لا يزالون حتّى لا يَدَعوا لله مُحَرّماً إلاّ استحلّوه ، ولا عَقْداً إلاّ حَلّوه ... وحتّى يقوم الباكيان يبكيان : باكٍ يبكي لدينه ، و باكٍ يبكي لدنياه (ك/٩٨) .

* تغيض فيها الحِكْمَة ، وتنطق فيها الظَّلَمة ... وتثلم منار الدّين ، وتنْقُضُ عَقْدَ اليقين ... و يُفارَق عليها الاسلام (خ/١٥١) .

(٥٨٩) ٣ ــ فساد العلاقات الاجتماعيّة والانسانيّة :

* فعند ذلك أخذ الباطل مآخذه ، وركب الجهل مراكبه ... وتَوَاخَى النّاسُ على الفجور ، وتهاجَرُوا على الدّين ، وتحابّوا على الكَذِب ، وتباغَضُوا على الصّدق ، فإذا كان ذلك كان الوَلَدُ غَيْظاً ، والمطر قَيْظاً ، وتفيضُ اللئام فيضاً ، وتغيض الكرام غيضاً ، وكان أهل ذلك الزّمان ذئاباً ، وسلاطينه سباعاً ، وأوساطه أُكّالاً ، وفقراؤه أمواتاً ، وغار الصّدق ، وفاض الكَذِب ، واستعْمِلَتِ المودّة باللّسان ، وتشاجر النّاس بالقلوب ، وصار الفسوق نَسَباً ، والعفاف عجباً (خ/١٠٨) .

* يأتي على النّاس زمانٌ لا يُقَرَّبُ فيه إلاّ الماحل ، ولا يُظَرَّف فيه إلاّ الفاجر ، ولا يُضَعَّفُ فيه إلاّ المُنْصِف ، يَعُدّون الصّدقة فيه غُرْماً ، وصلَةَ الرّحِمِ مَنّاً ، والعبادة استطالةً على النّاس ! فعند ذلك يكون السّلطان بمشورة النّساء ، وإمارة الصّبيان ، وتدبير

الخِضْيان ! (ح/١٠٢).

* ذاك حيث تسكرون من غير شراب ، بل من النّعمة والنّعيم ، وتحلفون من غير اضطرار، وتكذبون من غير إحراج (خ/١٨٧).

* تُقْطَع فيها الأرحام ، و يُفارَق عليها الاسلام (خ/١٥١).

(٥٩٠) ٤ ــ قلّة المؤمنين العاملين المخلصين للاسلام ، وملاحقتهم ومحاربتهم :

* فلا يبقى يومئذٍ منكم إلاّ ثُفالَة كثفالة القِدر، أو نُفاضة كنُفاضة العِكْم ، تَعْرُكُكُم عَرْكَ الأديم ، وتدوسُكُمْ دوسَ الحصيد ، وتَسْتَخْلِصُ المؤمن من بينكم استخلاص الطّير الحَبَّة البطينة من بين هزيل الحبّ ... وعَظُمَت الطّاغية ، وقلّت الدّاعية ... وتفيض اللئام فيضاً ، وتغيض الكِرام غيضاً (خ/١٠٨).

* فالكتاب يومئذٍ وأهله طريدان منفيّان ، وصاحبان مصطحبان في طريقٍ واحد لا يؤو يهما مُؤوٍ، فالكتاب وأهله في ذلك الزّمان في النّاس وَلَيْسا فيهم ، ومعهم ولَيْسا معهم ! ... ومِن قَبْلُ ما مَثَّلوا بالصّالحين كلّ مُثْلَة ، وسَمَّوا صِدْقهم على الله فِرْيَة ، وجَعَلُوا في الحسنة عقوبة السيّئة (خ/١٤٧).

* يأتي على النّاس زمانٌ لا يُقَرَّب فيه إلاّ الماحل ، ولا يُظَرَّف فيه إلاّ الفاجر، ولا يُضَعَّف فيه إلاّ المُنْصِف (ح/١٠٢).

* يأتي على النّاس زمان ... تَنْهَدُ فيه الأشرار، وتُسْتَذَلّ الأخيار و يبايع المضطرّون ، وقد نهى رسول الله (ص) عن بيع المضطرّين (ح/٤٦٨).

* ... فقد لَعَمْري يهلك في لَهَبِها المؤمن ، و يَسْلَمُ فيها غير المُسْلِم (خ/١٨٧).

* ألا فتوقّعوا ما يكون من إدبار أموركم ، وانقطاع وُصْلِكُم ، واستعمال صِغاركم ، ذاك حيث تكون ضربة السّيف علىٰ المؤمن أهون من الدّرهَم من حِلّه (خ/١٨٧).

* وذلك زمانٌ لا ينجو فيه إلاّ كلّ مؤمنٍ نُوَمَة ، « إن شَهِدَ لم يُعْرَف ، وإن غاب لم يُفْتَقَدْ ، أولئك مصابيح الهُدى » وأعلام السُّرى ، لَيْسُوا بالمسابيح ، ولا المذاييع البُذُر، أولئك يفتح الله لهم أبواب رحمته ، و يكشف عنهم ضرّاء نقمته (خ/١٠٣).

* أما إنّه سيظهر عليكم بعدي رجلٌ رَحْبُ البُلْعوم ، مُنْدَحِقُ البطن ... ألا وإنّه

سيأمركم بسبّي والبراءة منّي ؛ فأمّا السّبّ فسبّوني ؛ فإنّه لي زكاة ، ولكم نجاة ؛ وأمّا البراءة فلا تتبرّأوا منّي ؛ فإنّي وُلِدْتُ على الفِطرة ، وسبقتُ إلى الايمان والهجرة (ك/٥٧).

* يَهْرُبُ منها الأكياس ، و يُدَبّرها الأرجاس (خ/١٥١).

* كن في الفتنة كابن اللّبون ؛ لا ظهرٌ فيُرْكَب ، ولا ضرعٌ فيُحْلَب (ح/١).

(٥٩١) ٥ ـ استئثار السّلطات الحاكمة بأموال المسلمين :

* ولكنّني آسَى أن يَلِيَ أمْرَ هٰذه الأمّة سفهاؤها وفُجّارها ، فيتخّذوا مال الله دُوَلاً ، وعباده خَوَلاً ... و يكون نصيبكم الأخسّ (ر/٦٢).

* أما إنّه سيظهر عليكم بعدي رجل ... يأكل ما يجد و يطلب مالا يجد (ك/٥٧).

* لا يزالون بكم حتّى لا يتركوا منكم إلّا نافعاً لهم ، أو غيرَ ضائرٍ بهم (خ/٩٣).

* وكان أهل ذلك الزّمان ذئاباً ، وسلاطينه سباعاً ، وأوساطُه أكّالاً ، وفقراؤه أمواتاً (خ/١٠٨).

* أما والله لَيُسَلَّطَنّ عليكم غلام ثقيف الذّيال الميّال ؛ يأكل خَضِرَتَكُم ، و يُذيبُ شَحْمَتَكُم ، إيهٍ أبا وَذَحَةَ ! (خ/١١٦).

(٢٩٢) الفتنة سَتُؤدي بأصحابها أيضاً :

* حتّى يظنّ الظانّ أنّ الدّنيا معقولة على بني أميّة ؛ تمنحهم دَرَّها ، وتُورِدُهم صَفْوَها ، ولا يُرفَعُ عن هٰذه الأمّة سَوْطُها ولا سَيْفُها ، وكَذَبَ الظّانّ لذلك ، بل هي مَجَّةٌ مِنْ لذيذ العيش يتطعّمونها بُرْهَة ، ثمّ يلفظونها جُمْلَة ! (ك/٨٧).

* ألا وإنّ لكلّ دمٍ ثائراً ، ولكلّ حقٍ طالباً ، وإنّ الثّائر في دمائنا كالحاكم في حقّ نفسه ، وهو الله الّذي لا يُعْجِزُهُ مَن طَلَب ، ولا يفوتُهُ مَن هَرَب ، فَأُقْسِمُ بالله ، يابني أميّة ، عمّا قليلٍ لَتَعْرِفُنّها في أيدي غيركم وفي دار عدوّكم ! (خ/١٠٥).

* وسينتقم الله ممّن ظلم ، مأكلاً بمأكل ، ومَشْرَباً بمشرب ، من مطاعم العلقم ، ومشارب الصّبر والمَقِر ، ولباس شعار الخوف ، ودثار السّيف ، وإنّما هم مطايا الخطيئات وزوامل الآثام ، فَأُقْسِمُ ، ثمّ أُقْسِم ، لَتَنْخَمَنَّها أُمَيّةُ من بعدي كما تُلْفَظُ النُّخامَة ، ثمّ لا

تَذُوقُها ولا تَطْعَمُ بطَعْمِها أبداً ما كَرَّ الجَديدان ! (خ/١٥٨) .

* على أنّ الله تعالى سيجمعهم لشـرّ يومٍ لبني أميّة ، كما تجتمع قَزَع الخريف يؤلّف الله بينهم ... وأيْمُ الله لَيَذُوبَنّ ما في أيديهم بعد العلوّ والتّمكين ، كما تذوب الأَلْيَة على النّار (خ/١٦٦) .

* (إلى عمرو بن العاص) : فإن يُمَكّنّي الله منك ومن ابن أبي سفيان أجْزِكُما بما قَدّمْتُما ، وإن تُعْجِزا وتبقيا فما أمامكما شـرٌّ لكما ، والسّلام (ر/٣٩) .

* (لمّا قُتِل الخوارج فقيل له : ياأمير المؤمنين ، هلك القوم بأجمعهم !) فقال : كلّا والله ؛ إنّهم نُطَفٌ في أصلاب الرّجال ، وقرارات النّساء ، كلّما نجم منهم قَرْنٌ قُطِع ، حتّى يكون آخرهم لُصُوْصاً سلّابين (خ/٦٠) .

الباب الثّاني والعشرون : في القضاء والإفتاء

الفصل الأوّل : أمور عامّة في القضاء والإفتاء

الفصل الثّاني : في المعاملات

« في القضاء والإفتاء »

(٥٩٣) في أهميّة القضاة، وضرورة وجودهم :

* واعلم انّ الرّعيّة طبقات لا يصلح بعضها إلاّ ببعض ... ومنها قضاة العدل (ر/٥٣).

* ثمّ لا قوام لهٰذين الصنفَيْن (الجنود وعمال الخراج) إلاّ بالصّنف الثّالث من القضاة والعمال والكُتّاب، لما يُحْكِمون من المعاقد، ويجمعون من المنافع، و يؤتمنون عليه من خواصّ الأمور وعوامّها.

(٥٩٤) من شروط اختيار القضاة :

* ثمّ اختر للحكم بين النّاس أفضل رعيّتك في نفسك، ممّن لا تضيق به الأمور، ولا تمحّكه الخصوم، ولا يتمادى في الزّلّة، ولا يَحْصَرُ من الفيء إلى الحقّ إذا عَرَفَهُ، ولا تُشْرِفُ نفسه على طَمَع، ولا يكتفي بأدنى فهمٍ دون أقصاه؛ وأوْقَفَهُم في الشُّبُهات، وآخَذَهُم بالحُجَج، وأقَلَّهُم تبرُّماً بمراجُعَةِ الخَصْم، وأصبَرَهم على تَكَشُّفِ الأمور، وأصْرَمَهُمْ عند اتّضاح الحُكْم، ممّن لا يزدهيه إطراء، ولا يستميله إغراء، واولٰئِكَ قليل (ر/٥٣).

(٥٩٥) يجب على الحاكم مراقبة ومحاسبة وترفيه حال القاضي وتأمين رغد العيش له وسبب ذلك :

* ثمّ أكثِر تعاهُدَ قضائه، وافسح له في البذل ما يزيل علّته، وتقلّ معه حاجته إلى

النّـاس . وأعْطِهِ من المنزلة لديك مالا يطمع فيه غيرُهُ من خاصّتك ، ليأمَنَ بذلك اغتيالَ الرّجالِ له عندك ، فانظر في ذلك نظراً بليغاً ، فإنّ هٰذا الدّين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار يُعْمَلُ فيه بالهَوَى ، و يُطْلَبُ به الدّنيا (ر/٥٣) .

(٥٩٦) في اختلاف القضاة في إصدار الأحكام ، وأنّ اختلافهم هذا دليلٌ على ضعفهم بأصول الإستنباط ، وقلّة اطّلاعهم في القانون الإسلاميّ :

* تَرِدُ على أحدهم القضيّة في حكمٍ من الأحكام ، فيحكم فيها برأيِهِ ، ثمّ ترد تلك القضيّة بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله ، ثمّ يجتمع القضاة بذلك عند الامام الّذي استقضاهم ، فيصوِّب آراءَهم جميعاً ــ وإلٰهُهُم واحد ! ونبيُّهُم واحد ! وكتابُهُم واحد ! أفَأمَرَهم الله ــ سبحانه ــ بالاختلاف فأطاعوه ! أم نهاهم عنه فَعَصَوْه ! أم أنزلَ الله سبحانه ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه ! أم كانوا شركاء له ، فلهم أن يقولوا ، وعليه أن يَرْضَى ؟ أم أنزل الله سبحانه ديناً تامّاً فقصَّرَ الرسول (ص) عن تبليغه وأدائه ، والله سبحانه يقول : « ما فرّطنا في الكتاب من شيء » وفيه تبيان لكلّ شيء . وذكر أنّ الكتاب يصدّق بعضُهُ بعضاً . وأنّه لا اختلاف فيه فقال سبحانه : « ولو كان من عند غير الله لَوَجَدُوا فيه اختلافاً كثيراً » . وإنّ القرآن ظاهرُهُ أنيق و باطنه عميق ، لا تفنى عجائبه ، ولا تنقضي غرائبه ، ولا تُكْشَف الظُّلُمات إلاّ به (ك/١٨) .

* (القرآن) وحديثاً لمن رَوَى ، وحكماً لمن قَضَى (خ/١٩٨) .

* إنّ أبغض الخلائق إلى الله رجلان ... ورجلٌ قَمَشَ جهلاً ، مُوضِعٌ في جُهّال الأمّة ، عادٍ في أغباش الفتنة ، عَمٍ بما في عَقْدِ الهدنة ؛ قد سمّاه أشباه النّاس عالماً وليس به ، بَكَّرَ فاستكثر من جمعٍ ؛ ما قَلَّ منه خيرٌ ممّا كَثُر ، حتّى إذا ارتوى من ماءٍ آجن ، واكتَنَز من غير طائل ، جَلَسَ بين النّاس قاضياً ضامناً لتخليص ما التَبَس على غيره ، فإن نزلت به إحدى المُبْهَمات هَيَّأ لها حشواً رثّاً من رأيه ، ثمّ قَطَعَ به ، فَهُوَ مِن لَبْسِ الشُّبُهات في مثل نسج العنكبوت : لا يدري أصاب أم أخطأ ، فإن أصاب خاف أن يكون قد أخطأ ، وإن أخطأ رَجَا أن يكون قد أصاب . جاهلٌ خبّاط جهالات ، عاشٍ ركّاب عَشَوَات ، لم يعضّ على العلم بضرسٍ قاطع . يذرو الرّوايات ذرو الرّيح الهشيم ؛ لا مَلِيٌّ ــ والله ــ بإصدار ما وَرَدَ

عليه ، ولا أهلٌ لما قُرِّظ به ، لا يحسَبُ العلمَ في شيء ممّا أنكره ، ولا يرى أنّ من وراء ما بَلَغَ مذهباً لغيره ، وإن أظلم عليه أمرٌ اكتَتَمَ به لما يعلم من جهل نفسه ، تَصْرُخ من جور قضائه الدّماء ، وتَعُجّ منه المواريث (ك/١٧) .

* (في دعائم الإيمان) والعدل منها على أربع شعب : على غائص الفهم ، وغور العلم ، وزهرة الحكم ، ورساخة الحلم : فمن فهم علم غور العلم ، ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم ، ومن حلم لم يفرّط في أمره وعاش في النّاس حميداً (ح/٣٠) .

* ليس من العدل القضاء على الثّقة بالظّنّ (ح/٢٢٠) .

* وقال عليه السّلام في قوله تعالى : « إنّ الله يأمر بالعدل والاحسان » : العدل : الانصاف ، والاحسان : التفضّل (ح/٢٣١) .

* وسُئِلَ عليه السّلام : أيّهما أفضل : العدل أو الجود ؟ فقال عليه السّلام : العدل يضع الأمور مواضعها ، والجود يخرجها من جهتها . العدل سائس عام ، والجود عارض خاص . فالعدل أشرفهما وأفضلهما (ح/٤٣٧) .

* وظلم الضّعيف أفحش الظّلم (ر/٣١) .

* يوم المظلوم على الظّالم أشدّ من يوم الظّالم على المظلوم (ح/٢٤١) .

* للظّالم من الرّجال ثلاث علامات : يظلم مَنْ فَوْقَهُ بالمعصية ، ومَن دونه بالغَلَبَة ، و يظاهر القوم الظَّلَمَة (ح/٣٥٠) .

« في المعاملات »

(٥٩٧) ١ ــ في المواريث :

• (في جوابه عليه السّلام لعمر بن الخطاب عندما استشاره في أمر حليّ الكعبة) :

إنّ القرآن أُنْزِلَ على النّبيّ (ص) والأموال أربعة : أموال المسلمين فقسَّمَها بين الوَرَثَة في الفرائض . . . (ح/٢٧٠) .

• (رسول الله) رَجَمَ الزّاني المحصن ، ثمّ صلّى عليه ، ثمّ وَرَّثَهُ أهله ، وقتل القاتل وورّث ميراثَه أهله (خ/١٢٧) .

• (في حقّ زياد بن أبيه) وقد كان من أبي سفيان في زمن عمر بن الخطّاب فلتةٌ من حديث النّفس ، ونزغة من نزغات الشّيطان : لا يثبت بها نَسَبٌ ، ولا يُسْتَحَقُّ بها إرث (ر/٤٣) .

• (الحاكم الجاهل) تصرخ من جور قضائه الدّماء ، وتعجّ منه المواريث (خ/١٧) .

• (النّساء) وأمّا نقصان حظوظهنّ فمواريثهنّ على الأنصاف من مواريث الرّجال (خ/٨٠) .

(٥٩٨) ٢ ــ في الشّهادة وحلف اليمين :

• فَرَضَ الله . . . والشّهادات استظهاراً على المجاحَدات (ح/٢٥٢) .

• (العمّال) فإن أحدٌ منهم بسط يَدَهُ إلى خيانةٍ اجْتَمَعَتْ بها عليه عندك أخبار عيونك

اكتفيتَ بذلك شاهداً، فبسطتَ عليه العقوبة في بدنه، وأخذتَه ... (ر/٥٣).

* (إلى شُرَيْح) بلغني انّك ابتعت داراً بثمانين ديناراً وكتبت لها كتاباً وأشهدت فيها شهوداً (ر/٣).

* وكان عليه السّلام يقول: أَحْلِفُوا الظّالم ـ إذا أردتم يمينه ـ بأنه بريء من حول الله وقوّته. فإنّه إذا حلف بها كاذباً عوجل العقوبة، وإذا حلف بالله الّذي لا إلهَ إلّا هو لم يعاجَل، لأنّه قد وحَّدَ الله تعالى (ح/٢٥٣).

* (ذكر الملاحم) وتَحْلِفُون من غير اضطرار، وتكذبون من غير إحراج. ذاك إذا عضَّكم البلاء كما يَعَضّ القَتَبُ غاربَ البعير (خ/١٨٧).

(٥٩٩) ٣ ـ القصاص وإقامة الحدود:

* فَرَضَ الله الايمان تطهيراً من الشّرك ... والقصاص حقناً للدّماء، واقامة الحدود إعظاماً للمحارم (ح/٢٥٢).

* (رسول الله) رَجَمَ الزّاني المحصَن ثمّ صلّى عليه، ثمّ وَرَّثَهُ أهله. وقَتَلَ القاتل وورّث ميراثَهُ أهله، وقطع السّارق وجلد الزّاني غير المحصَن، ثمّ قَسَمَ عليهما من الفَيء، ونكَحَا المسلمات، فأخذهم رسول الله (ص) بذنوبهم، وأقام حقّ الله فيهم، ولم يمنعهم سهمهم من الاسلام، ولم يخرج أسماءهم من بين أهله (خ/١٢٧).

* (في عهده عليه السّلام للأشتر):

ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد، لأنّ فيه قَوَدُ البَدَن، وإن ابتُليتَ بخطأ وأفرط عليك سوطُك أو سيفُك أو يَدُك بالعقوبة، فإنّ في الوَكْزَةِ فما فوقَها مقتلة، فلا تطمحنّ بك نخوة سلطانك عن أن تؤدّي إلى أولياء المقتول حَقَّهُم (ر/٥٣).

* (للحسن والحسين عليهما السّلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله): يابني عبد المطّلب، لا ألفينّكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً، تقولون: (قُتِلَ أمير المؤمنين). ألا لا تَقْتُلُنّ بي إلّا قاتلي. أنظروا إذا أنا متّ من ضربته هٰذِه، فاضربوه ضربةً بضربة، ولا تُمَثّلُوا بالرّجل. فإنّي سمعتُ رسول الله (ص) يقول: «إيّاكم والمُثْلَة ولو بالكلب العقور» (ر/٤٧).

* (ورُوِيَ أنّه عليه السّلام رفع إليه رجلان سرقا من مال الله، أحدهما عبد من مال

الله ، والآخر من عروض النّاس) فقال عليه السّلام : أمّا هٰذا فهو مال الله ولا حدّ عليه ، مال الله أَكَلَ بعضُهُ بعضاً ؛ وأمّا الآخر فعليه الحدّ الشديد ، فقطع يَدَهُ (ح/٢٧١) .

* ليس على الامام إلّا ما حُمِّلَ أمر ربّه ... ، وإقامة الحدود على مستحقّيها (خ/١٠٥) .

* ألا وقد قطعتم قيد الاسلام وعطّلتُم حدوده (خ/١٩٢) .

* اللّهم إنّك تعلم أنّه لم يكن الّذي كان منا منافسةً في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحُطام ، ولكن لِنَرِدَ المعالم من دينك ، ونظهر الإصلاح في بلادك ، فيأمن المظلومون من عبادك ، وتُقام المعطّلَة من حدودك (ك/١٣١) .

الباب الثّالث والعشرون : في مواضيع متفرّقة

« مـواضيع متفرّقـة »

(٦٠٠) التّطيُّب :

* الطّـيب نُـشْـرَة (ح/٤٠٠) .

(٦٠١) الخِضاب :

* قـيـل لـه عليه السّلام : لو غيّرت شيبك يا أمير المؤمنين ، فقال عليه السّلام : الخِضاب زينة ونحن قومٌ في مصيبة ! (يريد وفاة رسول الله (ص)) (ح/٤٧٣) .

* وسُـئِـلَ عـليه السّلام عن قول الرّسول (ص) : « غيّروا الشَّيب ، ولا تشبّهوا باليهود » فـقـال عـلـيـه السّلام : إنّما قال (ص) ذلك والدّين قُلٌّ ، فأمّا الآن وقد اتّسع نطاقه ، وضَرَبَ بجِرانِهِ ، فامرؤٌ وما اختار (ح/١٧) .

(٦٠٢) اختلاف طبائع النّاس :

* إنّـمـا فَـرَّق بـيـنـهـم مبادىء طينهم ، وذلك أنّهم كانوا فِلْقَةً من سَبَخ أرضٍ وعَذبِها ، وحَزْنِ تربةٍ وسَهْلِها ، فهم على حسب قُرْبِ أرضهم يتقاربون ، وعلى قَدْرِ اختلافها يتفاوتون ، فتامُّ الرَّواء ناقص العقل ، ومادّ القامة قصير الهمّة ، وزاكي العَملِ قبيحُ المنظر ، وقريبُ القَعْرِ بعيدُ السَّبر ، ومعروف الضّريبة منكرُ الجليبة ، وتائه القلب متفرِّقُ اللّبّ ، وطليق اللّسان حَديدُ الجَنان (ك/٢٣٤) .

(٦٠٣) اَلغَصْبُ :

* الحجر الغصيب في الدّار رهنٌ على خرابها (ح/٢٤٠).
* والله لأن أبيت على حَسَكِ السَّعدان مسهَّداً ، أو أُجَرَّ في الأغلال مصفَّداً ، أحبَّ إليّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد ، وغاصباً لشيء من الحُطام (ك/٢٢٤).

(٦٠٤) الحريّة :

* ولا تكن عبد غيرك ، وقد جعلك الله حرّاً (ر/٣١).

(٦٠٥) تنظيم الأعمال :

* من وصية له عليه السّلام لولديه الحسن والحسين عليهما السّلام :
أوصيكما ، وجميع وَلَدِي وأهلي ومَن بَلَغَهُ كتابي ، بتقوى الله . ونَظْمِ أمركم ... (ر/٤٧).
* واجعل لكلّ إنسانٍ مِن خَدَمِكَ عَمَلاً تأخذه به ، فإنّه أحْرَى ألاّ يتواكَلُوا في خدمتك (ر/٣١).
* ومكانُ القيِّم بالأمر مكان النّظام من الخَرَز يجمَعُهُ و يضمُّهُ : فإن انقطع النّظام تفرَّقَ الخَرَزُ وذَهَبَ ، ثمّ لم يجتمع بحذافيره أبداً (ك/١٤٦).
* (القرآن) ودواء دائكم ، ونَظْمُ ما بينكم (خ/١٥٨).
* والأمانة نظاماً للأمّة (ح/٢٥٢).

(٦٠٦) البلد والرّزق :

* ليس بلدٌ بأحقّ بك من بلد ، خير البلاد ما حَمَلَك (ح/٤٤٢).
* والفقر يخرس الفطن عنْ حجّته ، والمقلّ غريبٌ في بلدته (ح/٣).
* الغِنَى في الغربة وطن ، والفقر في الوطن غربة (ح/٥٦).

(٦٠٧) الهجرة :

* والهجرة قائمة على حدّها الأوّل . ما كان لله في أهل الأرض حاجةٌ من مستسِرّ الإمَّة ومُعْلِنِها . لا يقع اسم الهجرة على أحدٍ بمعرفة الحُجّة في الأرض . فمن عرفها وأقرّ بها فهو مهاجر . ولا يقع اسم الأستضعَاف على مَن بَلَغَتْهُ الحُجّة فسمعتها أُذُنهُ ووعاها قلبه (ك/١٨٩) .

* (إلى معاوية) وذَكَرْتَ أنّك زائري في المهاجرين والأنصار ، وقد انقطعت الهجرة يوم أُسِرَ أخوك (ر/٦٤) .

* (أهل الشّام) ليسوا من المهاجرين والأنصار ولا من الّذين تبوؤوا الدّار والأيمان (خ/٢٣٨) .

* (إلى معاوية) ولا أبو سفيان كأبي طالب ، ولا المهاجر كالطّليق (ر/١٧) .

في أنّ اليهود أكثر من جميع الملل ضلالةً :

* (وقال له بعض اليهود : ما دفنتم نبيّكم حتّى اختلفتم فيه ! فقال (ع)) :
إنّما اختلفنا عنه لا فيه ، ولكنّكم ما جَفَّت أرجلكم من البحر حتّى قلتم لنبيّكم : « اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة فقال : إنّكم قومٌ تجهلون » (ح/٣١٧) .

« إرشادات طبّيّة وصحّيّة »

(٦٠٨) :

* كم من أكلة منعت أكلات (ح/١٧١) .
* آخر الدّواء الكيّ (خ/١٦٨) .
* صحّة الجسد من قلّة الحسد (ح/٢٥٦) .
* إمشِ بدائك ما مشى بك (ح/٢٦) .
* توقّوا البرد في أوّله ، وتلقّوه في آخره . فإنّه يفعل في الأ بدان كفعله في الأشجار ؛ أوّله يحرق ، وآخره يورق (ح/١٢٨) .
* ألا وإنّ من البلاء الفاقة ، وأشدّ من الفاقة مَرَضُ البَدَن ، وأشدّ من مَرَضِ البدن مَرَضُ القلب . ألا وإنّ من صحّة البَدَن تقوى القلب (ح/٣٨٨) .
* فإنّ تقوى الله دواء داء قلوبكم ، و بصر عمى أفئدتكم ، وشفاء مرض أجسادكم (خ/١٩٨) .
* (القرآن) واستشفوا بنوره فإنّه شفاء الصّدور (خ/١١٠) .
* ولا لأحدٍ قبل القرآن من غنىً فاستشفوه من أدوائكم ... فإنّ فيه شفاء من أكبر الدّاء : وهو الكفر والنّفاق ، والغيّ والضّلال (خ/١٧٦) .
* وعليكم بكتاب الله ، « فإنّه الحبل المتين ، والنّور المبين » والشّفاء النّافع ، والرّيّ النّاقع (خ/١٥٦) .

* (الاسلام) فيه شفاء المستشفي، وكفاية المكتفي (خ/١٥٢).
* (تقوى الله) وداووا به الأسقام (خ/١٩١).
* (القرآن) ودواء دائكم، ونظم ما بينكم (خ/١٥٨).
* وربّما كان الدّواء داءً، والدّاء دواءً (ر/٣١).
* وليكن الشّكر شاغلاً له على معافاته ممّا ابتلى به غيره (خ/١٤٠).
* ونسأله المعافاة في الأديان، كما نسأله المعافاة في الأ بدان (خ/٩٩).
* وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على إعطائه غيره من زيادة الأعمار وصحّة الأ بدان (ر/٣١).
* ولا تَسِرْ أوّل اللّيل، فإنّ الله جعله سَكَناً ... فأرِحْ فيه بَدَنَكَ، ورَوِّح ظهرك (ر/١٢).
* الدّهر يُخْلِق الأ بدان، ويجدّد الآمال (ح/٧٢).
* الهمّ نصف الهرم (ح/١٤٣).
* من قَصَّرَ في العمل ابتُلِيَ بالهمّ (ح/١٢٧).

فهرس تفصيلي لمواضيع الكتاب

الباب الأوّل : في العقل والعلم

(١٣) ــ في العمل بغير علم .

(١٤) ــ في النّهي عن كتمان العلم وعدم تعليمه .

(١٥) ــ في وجوب استعمال العالِم لعلمه .

(١٦) ــ في حقّ العالم وصفته وصفة طالب العلم وآداب وإرشادات في طلبه .

(١٧) في جواز أخذ العلم حتّى من المنافقين.

الباب الثّاني : في الإسلام والإيمان واليقين ، والكفر والشّرك والشّك

الفصل الأوّل : الإسلام : ٢٦

(١٨) ــ في تعريف الإسلام ، ومعنى كلمة «إسلام» .

(١٩) ــ في الدّعوة إلى الإسلام .

(٢٠) ــ في غاية الإسلام .

في بعض خصائص الإسلام :

(٢١) ــ سهولته و يسره .

(٢٢) ــ قويّ البرهان .

(٢٣) ــ شموليّته .

(٢٤) ــ في أنّه هو الدّين عند الله تعالى ، وخير الأديان وناسخها ، وأنّ البشريّة لا تُسْعَد إلّا بتطبيق منهجه .

(٢٥) ــ في استمراريّته وأن منهجه محفوظ ، وسلطانه عزيز.

(٢٦) ــ الإسلام يكون بالعمل ، وليس بالقول فقط .

(٢٧) ــ في خصائص المسلم وعلاماته ، والأمور التي تضرّ بشخصيّته .

(٢٨) ــ في أصناف المسلمين ، والّذين أظهروا الإسلام وأضمروا الكفر.

(٢٩) ــ أحكامٌ في حرمة المسلم ، وأنّه لا يجوز تكفيره إذا ارتكب كبيرة مالم يشرك بالله سبحانه وتعالى .

(٤٦) ــ في أنّ علومه لا تنقضي ، وأنّه أوّل المصادر الأسلاميّة .

(٤٧) ــ في أنّه حجّة من حجج الله تعالى على خلقه .

(٤٨) ــ في وجوب العمل بالقرآن الكريم وتحكيم مناهجه ، وأنّ في ذلك نجاة البشريّة من مشاكلها .

(٤٩) ــ في أهميّة تلاوته ومدارسته والتعبّد به .

أفضل المراجع في علومه وتفسيره :

(٥٠) ــ الرّسول الأكرم (ص) .

(٥١) ــ أهل البيت (ع) .

(٥٢) ــ في الإحتجاج به ، وأيّ الموارد التي لا يُحتَجُّ به فيها .

(٥٣) ــ في الأخذ بآياته المحكمة ، وترك المتشابه منها عند النّزاع .

الفصل الثّاني : السّنّة النّبويّة : ٤٨

(٥٤) ــ في أهميّة السّنّة النّبويّة والدّعوة إلى الإهتداء بها ، والإستنان بها .

(٥٥) ــ في آداب الرّواية ، وأنّ الكذب على الرّسول الأكرم كثير جداً .

(٥٦) ــ في العلل الّتي من أجلها كَتَمَ الأئمّة عليهم السّلام بعض العلوم والاحكام .

(٥٧) ــ عِلَلُ اختلاف الأخبار ، وأنواع الأخبار ، وأنواع المحدّثين .

(٥٨) ــ التّأكيد على الأخذ بالسّنّة الجامعة عند التّشابه والتّنازع .

(٥٩) ــ في البدعة ، والسّنّة ، ومخاطر البِدَع ، ووجوب إحياء السّنّة ومحاربة البدعة .

(٦٠) ــ في أنَّ ما أخبر به الإمام (ع) قد أَخَذَهُ عن الرّسول (ص) ، وأنّه لم يكذب فيه قيد أنمله .

الباب الرّابع : في أصول الدّين :

الفصل الأوّل : في مباحث التّوحيد : ٥٦

(٦١) ــ في معنى التّوحيد والهدف من البحث فيه .

(٨٣) ــ في أنّه تعالى بكلّ شيء عليم ، وأنّ جميع المعلومات والمقدورات بالنّسبة إلى علمه وقدرته سواء .

الفصل الثّاني : في مباحث العدل الإلهيّ : ٧٨

(٨٤) ــ في معنى العدل الإلهي والهدف الرّئيسي من البحث فيه .

(٨٥) ــ في أنّ حكمه تعالى العدل ، ومن لا يشمله عدله يغمره بفضله ورحمته .

(٨٦) ــ في أنّه تعالىَ لا يصدر عنه العَبَث ، ولا يأمر بالقبيح ، وأنّ حكمه في أهل السّماء والأرض واحد .

(٨٧) ــ في أنّه تعالى لم يجبر عباده على أفعالهم ، وأنّ المكلّف مختار وله إرادة .

(٨٨) ــ في أنّه تعالى لا يكلّف عباده بشيء قبل أن يرشدهم ويحذّرهم ، وأنّه سبحانه لا يمنعهم صلاحاً ولا نفعاً ، ولا يترك ما يقرّبهم من طاعته .

(٨٩) ــ في أنّه تعالى عَرَّفَ عباده طرق الخلاص من عقابه وابتلاءاته في الدّنيا .

(٩٠) ــ في عدم خلوّ الأرض من هداة أبداً .

(٩١) ــ في أنّ عقابه تعالى لعباده في الدّنيا لطف ورحمة بهم وأنّه لمصلحتهم ، وهو بسبب ذنوب اقترفوها .

(٩٢) في عِلَل ابتلاء المكلّفين .

(٩٣) ــ في أنّه تعالى يملي على العاصين والكافرين ليزدادوا إثماً .

(٩٤) ــ في أنّ عقابه تعالى وثوابه يوم القيامة حقّ بمقتضى عدله ووعده .

(٩٥) ــ في أنّ تأجيل العقاب لطف منه تعالى بالمذنبين وفرصة لهم للأوبة والتّوبة .

(٩٦) ــ في أنّه تعالى للظّالمين بالمرصاد ، ولا يفلت منه ظالم أبداً ، وأنّه سبحانه يقتصّ منهم في الدّنيا قبل الآخرة .

الفصل الثّالث : في مباحث النّبوّة : ٨٧

(٩٧) ــ في أنّ إرساله تعالى للرّسل حجّة على خلقه ، وفي وجوب إرسال الرّسل عليه إلى خلقه .

رسول الله (ص) ولا يصل إلى درجتهم أحد.

(١١٧) ـ في بيان منزلتهم (ع) من رسول الله (ص).

(١١٨) ـ في أنّهم (ع) صادقون، وأنّ حديثهم متواتر.

(١١٩) ـ في أنّهم (ع) لا يفعلون شيئاً إلّا بأمر الله سبحانه وتعالى، ووفق كتابه وسنّة نبيّه (ص).

(١٢٠) ـ في أنّهم (ع) لا يعلمون الغيب، وما ورد عنهم من المغيّبات أعلمهم بها الرّسول (ص) عن الله تعالى.

(١٢١) ـ في أنّهم يعون جميع العلوم الأسلاميّة والمادّيّة، وأنّهم المرجع الأوّل في جميع العلوم الأسلاميّة بعد النبيّ (ص).

(١٢٢) ـ في أنّهم بعد رسول الله (ص) خير قدوة لمن يقتدي، وخير أسوة لمن يهتدي، وأنّ بهم قد سَلِمَ الدّين من الإنحراف بعد فقد الرّسول (ص).

(١٢٣) ـ في أنّهم (ع) من بني هاشم حتماً، وأنّهم خلفاء الله الحقيقيّون دون غيرهم، وأوصياء رسوله الكريم، وأنّهم أحقّ من غيرهم بالخلافة.

(١٢٤) ـ في أنّهم (ع) خير من جاهَدَ مع الرّسول الأعظم (ص) لنصرة الأسلام، وأنّهم خير مَن واساه (ص).

(١٢٥) ـ في وجوب معرفة الإمام الحقّ، وأنّ مُنْكِرَه في النّار.

(١٢٦) ـ في وجوب طاعتهم واتّباعِهِم (ع).

(١٢٧) ـ في أنّ حبَّهم (ع) بلا تفريط ولا إفراط نجاة، وأن بغضهم هلاك.

(١٢٨) ـ في أنّ الإمامة هي الرّياسة العامّة في أمور الدّين والدّنيا نيابةً عن النبيّ (ص).

(١٢٩) ـ في أن أئمّتنا عليهم السّلام لا ينهون عن شيء قبل أن ينتهون منه، ولا يأمرون بشيء قبل أن يأتمرون به.

(١٣٠) ـ في زهدهم عليهم السّلام وتأسّيهم بأضعف النّاس في معيشتهم الخاصّة.

(١٣١) ـ في أنّهم (ع) مع الحقّ، وفي سبيل الحقّ، ولا يخافون فيه لومة لائم.

(١٣٢) ـ في الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه، وأنّه حجّة الله على خلقه إلى يوم

(١٤٩) ـ الجزع عند فقد الأحبّة مرفوضٌ في الاسلام ، والحزن مقبول ، والصبر ممدوح وصاحبه مأجور، والإتّعاظ بهم هو المطلوب .

(١٥٠) ـ في أنّ ماهيّة الموت ، وكيفيّة فناء الأرواح ، علمٌ يختصّ به الله سبحانه وتعالى .

٢ ـ في المعاد يوم القيامة :

(١٥١) ـ في أنّ المعاد جسمانيّ وروحانيّ معاً .

(١٥٢) ـ في أنّ المعاد حقٌّ على الله تعالى ، ولن يخلف الله وعده .

(١٥٣) ـ للإيمان بالمعاد فوائد تربويّة ونفسيّة وماديّة تعود على الإنسان في الدّنيا ، وبيان بعض تلك الفوائد .

(١٥٤) ـ في أنّ المعاد ضرورة وواجب لإثابة المؤمنين الطّائعين والإقتصاص من العاصين والظّالمين .

(١٥٥) ـ في أنّ إعادة خلق الإنسان ليست بعسيرة على الله تعالى .

(١٥٦) ـ في أنّ ساعة المعاد من الأمور الغيبيّة الّتي يختصّ بعلمها الله سبحانه وتعالى .

(١٥٧) ـ في أنّ يوم المعاد يأتي بغتة .

(١٥٨) ـ مشاهد من النّشور.

(١٥٩) ـ في بيان بعض أحوال النّاس النّفسيّة يوم المعاد ، وما ينتابهم من فزع واضطراب .

٣ ـ الحساب والجزاء :

(١٦٠) ـ في أنّ النّاس يُعْرَضون جميعاً يوم القيامة للحساب ، ولا يُتْرَكُ منهم أحدٌ مطلقاً .

(١٦١) ـ في أنّ النّاس يُحاسَبون أفراداً .

(١٦٢) ـ في أنّه لا مفرّ لأحدٍ من الحساب ، ولا عودة لأحد كي يعمل صالحاً ، ويردّ مظلمة .

(١٦٣) ـ في أنّه لا حجّة أو عذر ينقذ أحداً من مصيره يوم الحساب ولا شفيع للكافرين العاصين .

الباب الخامس : في العبادات :

الفصل الثّاني : في آداب العبادات وآثارها : ١٤٥

١ ـ الصّلاة :

(١٧٩) ـ في التّأكيد على إقامة الصّلاة في أوقاتها وعدم تركها أو التّهاون بها أبداً .

(١٨٠) ـ في أوقات الصّلاة وكيفيّة معرفتها .

(١٨١) ـ في وجوب التزام الرّفق بالعبادة مع النّفس إلّا في الفرائض ، وإذا أضرّت النّوافل بالفرائض فيجب رفض النّوافل .

(١٨٢) ـ آداب في صلاة الجماعة .

(١٨٣) ـ آداب في صلاة الجمعة .

(١٨٤) ـ آداب في صلاة النّساء .

(١٨٥) ـ من آثار الصّلاة الرّوحيّة .

(١٨٦) ـ من آثارها الخُلُقيّة .

٢ ـ الصّوم :

(١٨٧) ـ في أنّ الصّوم يجب أن يكون بشرطه وشروطه .

(١٨٨) ـ في صوم النّساء .

(١٨٩) ـ من آثار الصّوم الرّوحيّة والأخرويّة .

(١٩٠) ـ من آثاره الخلقيّة .

٣ ـ الحجّ :

(١٩١) ـ في النّهي عن ترك زيارة البيت الحرام مدّة العمر.

(١٩٢) ـ في نهي أهل مكّة عن أخذ الأجرة ممّن يسكن بيوتهم .

(١٩٣) ـ في صفة الأضحية الّتي تذبح يوم النّحر.

(١٩٤) ـ من آثاره الرّوحيّة .

(١٩٥) ـ من آثاره الخلقيّة .

(١٩٦) ـ من آثاره الإجتماعيّة .

(١٩٧) ـ من آثاره الإقتصاديّة .

(٢٤٥) ٣ ــ افتتاح الدّعاء بذكر الله تعالى والثّناء عليه والصّلاة على النبي(ص) وعلى آله الكرام(ع) .

(٢٤٦) ٤ ــ إخلاص السّريرة عند الدّعاء ، ووجوب التوكّل عليه سبحانه وحده في تحقيق الرَّغَبات ، وتنفيذ الطلّبات .

(٢٤٧) ٥ ــ النّدم والبكاء والخشوع والتذلّل والاعتراف بالذّنب قبل الطَّلَب .

(٢٤٨) ٦ ــ أن يكون الدّعاء في الشدّة والرّخاء .

(٢٤٩) ٧ ــ أن يكون الدّاعي من المطيعين لله تعالى المؤتمرين بأوامره ، المنتهين عن نواهيه .

(٢٥٠) ٨ ــ فيما يُسْأَل الله تعالى منه عند الدّعاء .

(٢٥١) ــ في أنّ أصحاب الجنّة لا تُرَدّ لهم دعوة ، وأصحاب النّار لا تُسْمَع منهم دعوة .

(٢٥٢) الفصل الثّاني : بعض الأدعية المأثورة عنه(ع) والّتي وردت في النّهج :

وعددها (٢٨) دعاءً .

الباب العاشر : في الزّهد : ١٩٤

(٢٥٣) ــ ما هو الزّهد ، وما هي علامات وخصائص الزّاهدين ؟

(٢٥٤) ــ الزّاهدون المزيّفون .

(٢٥٥) ــ أفضل أنواع الزّهد .

ــ في أنّ الطـُّرُق إلى الزّهادة ثلاثة ، وهي : قصر الأَمَل ، والشّكر عند النِّعَم ، والورع عند المحارم و بيانها :

(٢٥٦) ١ ــ في قِصَرُ الأمل .

(٢٥٧) ٢ ــ في الشّكر عند النِّعَم .

(٢٥٨) ٣ ــ في الورع عند المحارم .

(٢٥٩) ــ بين الزّهد والرّهبنة .

ــ في الآثار الأيجابيّة للزّهد :

العسكريّة المتوخّاة .

الفصل الثّالث : في الشّهادة في سبيل الله تعالى : ٢٣٦

(٣١١) ــ في أنّ الشّهادة أكرم الموت ، وأنّ المسلم الحقيقي هو الّذي يرجوها و يتسابق من أجل الحصول عليها .

(٣١٢) ــ في أنّ المتمسّكين بالدّنيا و بهارجها ، هم الّذين يخشون الشّهادة ، و يتهرّبون منها .

(٣١٣) ــ في منزلة الهاربين من الشّهادة عند الله سبحانه ، وعاقبتهم .

(٣١٤) ــ في منزلة عشّاق الشّهادة عند الله تعالى ، وعاقبتهم .

(٣١٥) ــ في أنّ الشّهادة منحة ربّانيّة لا يهبها سبحانه إلاّ لخاصّة أوليائه .

(٣١٦) ــ في درجات الشّهداء عند الله تعالى .

(٣١٧) ــ في أنّ الشّهادة أقوى سلاح للانتصار على الأعداء ، ومَن لم يرهب الموت وُهِبَت له الحياة .

(٣١٨) ــ في الّذين يحظون بمنزلة الشّهداء عند الله تعالى ، ولو لم يُقْتَلوا في سبيله .

الباب الرّابع عشر : الحاكم الإسلامي وخصائصه : ٢٤٢

(٣١٩) ــ في ضرورة وجود الحاكم في الإسلام ووظائفه الرئيسيّة .

ــ من أهمّ خصائص الحاكم النّموذجيّ في الإسلام :

(٣٢٠) ١ ــ أن يشعر بأنّ الحكم أمانة وتكليف إلٰهيّ لديه ، وليس منحة أو ملكاً شخصيّاً .

(٣٢١) ٢ ــ أن لا يستغني عن نصح وتعاون الرّعيّة معه في حكمه ، وأن لا يكرههم على أعمالٍ وواجباتٍ فوق طاقتهم .

(٣٢٢) ــ مسائل عامّة في المشاورة .

(٣٣٥) ٤ ـ التـأكـيد على القناعة والرّضا بالكفاف ، وعدم التذلّل للآخرين في طلب الرّزق ، بل الإعتماد على الله والنّفس فيه .

(٣٣٦) ٥ ـ التّأكيد على أنّ للمؤمن اهتماماته الكبرى الّتي هي غير المال وغير اللّهوث وراءه .

(٣٣٧) ٦ ـ التـأكيد على ذمّ خزن المال ، وذمّ البخل ، والآثار السّلبيّة المترتّبة على من يهتمّ بجمع المال ، أو من يبخل بماله ، ويخلّفه وراءه .

(٣٣٨) ٧ ـ التّأكيد على أن يكون طلب المال من الحلال وترك ما يشتبه به .

(٣٣٩) ٨ ـ التـأكـيـد على أنّ مـن أهـم أسباب الفقر هو استئثار الأغنياء بالمال وعدم إعطائهم المحرومين منه .

(٣٤٠) ٩ ـ منع التّبذير والأسراف .

(٣٤١) ١٠ ـ حثّ الأغنياء على إقراض المحتاجين .

(٣٤٢) ١١ ـ التـأكـيـد على أنّ الإسـلام يمقت الثّراء الفاحش كما يمقت الفقر ، ولا يرضى إلاّ بالتّوازن .

الفصل الثّاني : في الخطوات القانونيّة :

أوّلاً : في منابع بيت المال : ٢٧١

(٣٤٣) ١ ـ الخراج ، أهميّته ، وإصلاحه .

(٣٤٤) ـ ثلاث نقاط لإصلاح الخراج :

أ ـ يجب أن يكون الإهتمام بعمارة الأرض مقدّماً على الإهتمام باستجلاب الخراج .

ب ـ يجب أن لا تـثـقل الدّولة من وطأة الخراج على أصحاب الأرض ، وتخفيفه عندما تحدث بعض الطّوارىء .

ج ـ يجب الإلتزام بالآداب الإسلاميّة عند استجلابه .

(٣٤٥) ٢ ـ الزّكاة أهميّتها والحثّ عليها .

(٣٤٦) ـ بعض الأحكام الخاصّة بالزّكاة .

(٣٤٧) ـ في الآداب الّتي يجب أن يلتزمها آخذوا الزّكاة أو (الصّدقات) .

الباب السّابع عشر: في الأخلاق:

(٣٦٥) ــ تمهيد: في الأخلاق وحسن الخُلُق.

الفصل الأوّل: في اللّسان وآفاته: ٢٩٣

(٣٦٦) ــ في أنّ اللّسان منحة إلٰهيّة عظيمة للأنسان وهو من مميّزاته، ومفتاح شخصيّته.

(٣٦٧) ــ في فضيلة الصّمت ومدحه، ومضرّة الكلام وذمّه.

(٣٦٨) ــ في أنّ الشّيطان يتحدّث بلسان المنافق، وأنّ روح القدس تجري على لسان المؤمن.

(٣٦٩) ــ أمورٌ لا ينبغي فيها الصّمت بل أنّ في بعضها يكون الصّمت محرّماً.

ــ في آفات اللّسان:

(٣٧٠) ١ ــ الكلام فيما لا يعني.

(٣٧١) ٢ ــ فضول الكلام.

(٣٧٢) ٣ ــ الخوض في الباطل.

(٣٧٣) ٤ ــ المراء والمجادلة والخصومة.

(٣٧٤) ٥ ــ الفحُش والسّبّ و بذاءة اللّسان واللّعن.

(٣٧٥) ٦ ــ السّخريّة والإستهزاء.

(٣٧٦) ٧ ــ المزاح ومنه «الضّحك».

(٣٧٧) ٨ ــ إفشاء السّرّ.

(٣٧٨) ٩ ــ كلام ذي اللّسانين.

(٣٧٩) ١٠ ــ المدح، والمدح أكثر من الإستحقاق.

(٣٨٠) ١١ ــ الغفلة عن دقائق الخطأ في فحوى الكلام.

(٣٨١) ١٢ ــ السّؤال عن حقيقة صفات الله تعالى.

(٣٨٢) ١٣ ــ الغيبة والنّميمة والسّعاية.

(٤٠٠) ــ في أنّ العجلة تورّط الإنسان غالباً في الحرام والمضرّة .

(٤٠١) ــ في أنّ الصّبر ينفع في مواضع لا ينفع معها السّيف .

ــ من أهمّ مجالات الصّبر :

(٤٠٢) ١ ــ الصّبر في مواطن الحقّ ، والجهاد في سبيل الله تعالى .

(٤٠٣) ٢ ــ الصّبر على طاعة الله تعالى وتنفيذ أوامره .

(٤٠٤) ٣ ــ الصّبر على اختبارات الله تعالى في الدّنيا .

(٤٠٥) ٤ ــ الصّبر على النّوائب والمصائب .

(٤٠٦) ٥ ــ الصّبر في تطبيق أحكام الله تعالى .

الفصل الخامس : في الصّدق والكذب : ٣١٥

(٤٠٧) ــ في أهمّيّة الصّدق ومضارّ الكذب ، وذمّ الكذب ومدح الصّدق .

(٤٠٨) ــ في أنّ الصّدق من صفات الله الحسنىٰ . والقرآن أصدق الكتب السّماو ية .

(٤٠٩) ــ في أنّ محمّد(ص) هو الصّادق الأمين .

(٤١٠) ــ في أنّ أهل بيته(ع) هم الصّادقون المصّدقون أيضاً .

ــ في أقسام الكَذِب :

(٤١١) ١ ــ الكذب في القول .

(٤١٢) ٢ ــ الكذب في إخلاص النّيّة .

(٤١٣) ٣ ــ الكذب في العمل .

ــ أمور من الكذب : .

(٤١٤) ١ ــ اليمين الكاذبة .

(٤١٥) ٢ ــ خُلْفُ الوعد .

ــ في علاج رذيلة الكذب :

(٤١٦) ١ ــ اجتناب مجالسة الفسّاق والكذبة ، ومجالسة الصّلحاء والصّادقين .

(٤١٧) ٢ ــ التروّي والتثبّت من كل حقيقة قبل الادلاء بها .

الباب الثّامن عشر : في الأسرة والأقرباء والمرأة وتربية الأبناء والجار:

(٥٢٨) ٥ ــ القضاء على ظاهرة تفضيل القربى والمعارف على عامّة النّاس .

(٥٢٩) ٦ ــ القضاء على ظاهرة قبول الرّشوة .

ب ــ في إقتصاد الدّولة الإسلاميّة :

(٥٣٠) ١ ــ القضاء على ظاهرة التّفريق أو عدم التّسوية في العطاء .

(٥٣١) ٢ ــ القضاء على ظاهرة نشوء إقطاعيّين كبار بسبب إغداق الخلفاء المال والقطائع عليهم .

ج ــ في الاجهزة الإداريّة :

(٥٣٢) ١ ــ عزل الولاة الفاسدين أو غير الكفوئين وتولية غيرهم .

(٥٣٣) ٢ ــ متابعة ومحاسبة الولاة المخطئين بشدّة وقوّة .

الفصل الرّابع : الفتنة الكبرى : المبحث الأوّل في أهمّ شعاراتها وشبهاتها : ٣٩٢

١ ــ شعار الثّأر لمقتل عثمان ، واتّهام الإمام(ع) بضلوعه في قتله وإيوائه للقَتلة :

(٥٣٤) أ ــ أوضح الإمام(ع) براءته من دم عثمان ، وأنّه كان يدافع عنه ، ولم يقدّم له سوى النّصح والارشاد .

(٥٣٥) ب ــ كَشَفَ الإمام(ع) النّقاب عمّن كان لهم اليد الطولى في قتله وهم :

ــ عائشة : حرّضت على قتله .

ــ طلحة والزّبير : من أشدّ المحرّضين على قتله وأنّهما لم ينصراه عندما حوصرت داره .

ــ معاوية : لم يسعفه بالمعونة التي طلبها عثمان منه ، وتباطؤ جيشه لنصرته عمداً .

(٥٣٦) ج ــ في أنّه لم يكن لعثمان مناصٌ من القتل ، وهو الّذي جرّ على نفسه القتل بسبب تصرّفاته الخاطئة .

(٥٣٧) د ــ لم يقتصّ الإمام من قَتَلَة عثمان ، ولم يشجّع أو يساعد أحداً على ذلك لحسّاسيّة الظّروف ، والنّتائج الوخيمة الّتي تترتّب على ذلك .

(٥٣٨) ٢ ــ شبهة عدم حصول الإجماع في بيعة الإمام(ع) ومناقشة الإمام لها .

(٥٣٩) ٣ ــ شبهة عدم استشارة الصّحابة عند قيام الإمام بإصلاحاته الاقتصادية والاداريّة ومناقشته(ع) لها .

(٥٥٥) ٢ ــ فضحها وكشفها للنّاس ليتحجّم تأثيرها .

(٥٥٦) ٣ ــ عدم التّصدي نتيجته القضاء على الإسلام والإمام وأهل البيت(ع) .

(٥٥٧) ٤ ــ توّفر الأعوان والأنصار للإمام لم يدع عذراً للإمام(ع) .

(٥٥٨) ٥ ــ الواجب الشّرعي .

(٥٥٩) ٦ ــ معاقبة مرتكبي الجرائم الكبيرة بحقّ الإسلام والمسلمين .

(٥٦٠) ٧ ــ لأنّ الإمام(ع) بصفته المثل الأعلى لا بدّ له من التّصدّي للفتنة ليكسب الأجيال نموذجاً عالياً يُقْتَدى به في مجال التّصدي لأمثال الفتنة الّتي واجهت الإمام(ع) .

(٥٦١) ٨ ــ إنّ الإمام(ع) مرصودٌ للتّصدي لهٰذه الفتنة من قبل الله سبحانه ، ومأمورٌ من قبل الرّسول(ص) .

الفصل التّاسع : الفتنة الكبرى : المبحث السّادس : أسباب انتصار الفتنة مادّيّاً :٤٢٠

(٥٦٢) ١ ــ تظاهر أقطاب الفتنة بالاسلام واستخدامهم للغدر والمكر .

(٥٦٣) ٢ ــ تخاذل جيش الإمام وعدم طاعته على الحقّ .

أ ــ الامام يصنِّف جيشه المتخاذل إلى ثلا ثة أصناف :

الصنف الأ ول : الآتي كارهاً .

الصنف الثّاني : المعتلّ كاذباً .

الصنف الثّالث : القاعد متخاذلاً .

ب ــ أسباب التّخاذل :

(٥٦٤) ١ ــ عدم غيرتهم على الإسلام وعلى نواميسهم .

(٥٦٥) ٢ ــ الرّكون إلى الدّنيا .

(٥٦٦) ٣ ــ إنهاك الحرب لهم .

(٥٦٧) ٤ ــ التفرّق في صفوفهم .

(٥٦٨) ٥ ــ تسرّب الشّكوك والإشاعات إلى صفوفهم .

(٥٦٩) ج ــ خيبة أمل الإمام(ع) من جيشه .

(٥٧٠) ٣ ــ مقتل الإمام(ع) .